جامعة القاهرة

كلية الآداب

الدراسات العليا

قسم التاريخ

مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية

حوالي ٤٤٢ - ٦٦٥هـ

١٠٥١ - ١٢٤٧م

إشراف

أ.د/ محمد بركات البيلي

أستاذ التاريخ الإسلامي

كلية الآداب - جامعة القاهرة

تقدمة

الباحثة/ إلهام حسين دحروج

استعدادًا للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

[illegible]

جامعة القاهرة
كلية الآداب
الدراسات العليا
قسم التاريخ

مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية

حوالى ٤٤٢ـ ٦٢٥هـ
١٠٥١ـ ١٢٤٧م

إشراف
أ.د / محمد بركات البيلى
أستاذ التاريخ الإسلامى
كلية الآداب. جامعة القاهرة

مقدم من
الباحثة / إلهام حسين دحروج

للحصول على درجة الدكتوراه فى التاريخ الإسلامى
١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦) ﴾

صدق الله العظيم

الإهـــــداء

إلى حياة الوجود ووجود الحياة:

فريدة أيمن عبدالحليم

شريف أحمد شبل

إلى ما سيرزقنا الله بإذنه تعالى من أحفاد

من دروس الأجداد يتعلم الأحفاد

البدر يبدأ من الهلال

والنهار يبدأ مع أول شعاع ضعيف يشق ظلام الليل

والجبل يبدأ مع أول حصاة في الوادي

والكتاب يبدأ مع أول سطر نكتبه

وبلوغ القمة يبدأ مع أول خطوة في السفح

الفهرس

مقدمة

تتناول هذه الدراسة مدينة قابس بعنوان «مدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيام الدولة الحفصية» (حوالى ٤٤٢ - ٦٢٥ هـ - ١٠٥١ - ١٢٤٧م)

ظهرت قابس كإمارة أو دويلة عربية مستقلة لبنى جامع الهلاليين، وهم من أكبر القبائل العربية التى غزت إفريقية وسميت الغزوة باسمهم، وذلك بعد فترة زمنية من فتح هذه القبائل لحصن قابس، حيث تمركزت وفرقت السكة المستنصرية.(١)

استمرت دويلة أو امارة بنى جامع بقابس حتى فتحها الموحدون، فى عام الاخماس (٥٥٥ هـ) وانقذت هى والمهدية من استيلاء النورمان. وتبعت بعد ذلك الموحدين، ثم عادت للظهور عندما تحالف بنو غانية النازحين من شرق الأندلس لاستعادة مجد أجدادهم المرابطين، مع قراقوش الأرمنى وجيشه الموفد من قبل تقى الدين الأيوبى ابن أخو صلاح الدين الأيوبى لفتح افريقيا. أصبحت قابس مقراً لهم وخطب على منابرها للخلافة العباسية وللدولة الايوبية والمرابطية حتى استردها الموحدون، وأصبحت تابعة للدولة الحفصية التى هى جزء من الدولة الموحدية، ولعبت قابس فى كلتا حالتيها: كمدينة تابعة وكقاعدة مستقلة دوراً هاماً وخطيراً فى تاريخ افريقية، بحكم موقعها الاستراتيجي الهام في الجنوب الشرقي من أفريقية علي خليج سرت الصغير (خليج قابس في الحاضر)

وربما كان هذا الموقع سبباً فى انها كانت مطمعاً على مر العصور، هذا الموقع الذى سهل لها الاتصال الدائم بين المشرق والمغرب، لذا نجدها جديرة بلقب باب افريقية.(٢) ونقطة الوصل بين الشمال والجنوب، وهى مدينة البحر والصحراء،(٣) ومركز لقوافل الحج والتجارة، ومرفأ سرت الصغرى حيث ترسو السفن الصغرى والمتوسطة.(٤) ومفتاح المدن الافريقية.(٥) وهى النقطة الاستراتيجية الحساسة بالنسبة للسلطة التى تحكم هذه الرقعة من الأرض، وصفها استرابون Strabon قبل الميلاد بنحو نصف قرن بانها سوق جامعة عظيمة، يتبادل الناس فيها البضائع الواردة من المناطق والسلع الموجهة نحو نوميديا.(٦) هكذا ظهرت قابس دائماً. لانها مدينة قديمة نمت وترعرعت كل هذه الأزمنة، بفضل موقعها الفريد وخصائصها المتميزة. ذكرها بلينى فى القرن الأول من الميلاد فى أروع وصف بقوله «وفى خليج

---

(١) عملات ضربت على الطراز الشيعي الشائع في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله

(٢) انظر محمد بن محمد الاندلس الوزير السراج (د/١١٤٩ هـ - ١٧٧١م) الحلل السندسية فى الاخبار التونسية مع تحقيق محمد الحبيب الهيلة ط دار الغرب الاسلامى سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م قسم ١ ص٣٢٤.

(٣) مجهول الاستبصار فى عجائب الأمصار (كاتب مراكش من كتاب القرن السادس الهجرى الثانى عشر ميلادى) نشر وتحقيق سعد زغلول عبدالحميد ط الاسكندرية ١٣٧٨هـ ص١١٢.

(٤) أنظر ابى عبدالله محمد بن عبدالله بن ادريس الحمودى الحسنى المعروف بالشريف الادريسى كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الافاق - بيروت عالم الكتب (بيروت) جـ ١ ص٢٨٠.

(٥) محمد المرزوقى قابس جنة الدنيا طبع الخانجى ١٣٧٢ هـ ١٩٦م ص٥ وانظر دائرة المعارف التونسية ط ١ تونس كراس ص ٩٨ - ١٠٨

(٦) ولايه نوميديا ولايه رومانيه كانت مكان جمهورية الجزائر الآن انظر المراجع السابقة نفس الصفحات.

سيرته توجد مدينة اسمها تاكاب أرضها خصبة ومناخها جميل، وعلى بعد ثلاثين ميلاً منها تقريباً بين عين فوارة متسعة مائها مقسم تقسيماً محكماً بين البساتين بالساعات، وفي بساتينها ترى الزيتون يصعد في ظلال النخيل وفي ظل الزيتون ينبت التين وفي ظلال هذا نجد أشجار الرمان وتحت هذه يغرس العنب وتحت العنب يزدهر القمح وأنواع الخضر، كل هذا يثمر في سنة واحدة وكله في «ظلال وبساتين ممتدة»[1] في القرون التي تلت بعد ذلك. نجد الجغرافيون المسلمون قد أفاضوا في ذكر ثمار منطقة قابس وخيراتها وكثرة منتجاتها من الفواكه والحبوب والخضر والزيتون سواء في الغابة التي تلتف حول أغلب جهات قابس أو في داخلها وحولها، فذكر التجاني[2] (أوائل القرن الثامن) وصفا مشابها لما سبق، وكذلك وصفها من بعده القاضي أبو المطرف بن عميرة، ودخلها الورثيلاني في القرن الثاني عشر الهجري واعطانا وصفاً يؤكد أقوال كل من وصفها قبله، حتى إذا حل القرن التاسع عشر الميلادي وصفها بنفس الأوصاف السابقة التي لا تختلف عن وصف بليني إذ وصفها الباحث الأثري جرين Guerin [3] في رحلته الأثرية عبر واحات افريقية.

وان هذا الموقع الاستراتيجي جعلها جسراً انتقلت عبره التأثيرات الحضارية الى جانب انتقال البضائع التجارية من زمن يسبق حضارة «قرطاج» التي جاءت عبر البحر الرومي، وعن طريق الصحراء انتقلت منها قبل البضائع والسلع المختلفة تعاليم الدين الحنيف الذى نشره التجار المسلمون حتى انتشر في باقي القارة الإفريقية فاحتلت شهرة ومرتبة خاصة بها لذلك ولوجود قبر أبي لبابة الانصارى صاحب رسول الله «صلى الله عليه وسلم» المدفون في ترابها.

لذا فإن قابس تعد في موقع القلب من افريقية، ومركزا للاشعاع الحضارى للمناطق المحيطة وسوقاً للأعمال التجارية وتبادل السلع، كذلك جعل منها هذا الموقع محرساً هاماً ورباطاً لحراسة الساحل والداخل من ناحية أخرى.

هذا الموقع الجغرافي المتميز الى جانب توفر الأمن، فقد كفل لها التحصين بنوعيه الطبيعي والصناعي والطرق المعبدة الى جانب توفر الماء من حيث الازدهار الزراعي، ومن ناحية أخرى - فلها أهميتها - في تزويد المسافرين بالماء والمون من ناحية الصحراء والميناء.

تميز الرحالة التجاني[4] بأنه قدم لنا وصفاً شاملاً ورائعاً عن قابس وضواحيها، فقد زارها ومكث فيها بعض الوقت ثم رحل الى طرابلس ورجع الى قابس مرتين وفي كل مرة يمكث فيها أياماً، يقول

(١) أنظر: الفصل الرابع من هذه الرسالة : الحياة الإقتصادية

(٢) الرحلة ص ٨٦ (لقد كانت رحلة التجاني في مضمونها وصفا لمجلة متنقلة من رادس بجوار تونس، وتنقلت حتى وصلت طرابلس، وكلمة المحلة في العصر الحفصي لها دلالة العسكر المتنقلة بمعنى كتيبة أو جزء من الجيش، وهي في ذلك الوقت حركة عسكرية تدعم للتوازن بين الجيش الرسمي للسلطان والطاقة القتالية للقبائل البدوية مما جعلها تتحول شيئا فشيئا لحركة منظمة، وقد سيطرت هذه القبائل على بوادى افريقية وخنقت مدنها بداية من عصر السلطان أبي اسحاق ابراهيم ابن ابى زكريا (٦٧٨ ـ ٦٨١هـ). ويقول الزركشي: محمد أبو عبد بن إبراهيم بن اللؤلؤ كان حيا في ٧٩٤ هـ ـ ١٤١٦م استولت العرب في ايامه على الغرب وقد استعمل التجاني كلمة المجلة للدلالة على ذلك العسكر المتنقل أو مكان الاستراحة فعبر عنها بكلمة المنزل أو المناخ (ص ٥٧ ـ ٨٥ ـ ٨٦) أنظر الزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية المكتبة التونسية العتيقة بتونس ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٨م، ط١ ص١٣٣ ـ ١٣٧.

(٣) Voyage archeologique dans la régencé du tunis Edit Paris 1867J(86751-86-188

(٤) المصدر السابق نفس الصفحات

التجانى:« فرأينا بلداً استوفت المحاسن واستغرقتها، وأذكر بمنظره الأخضر والأنقى، وورقها الأخضر حنة الخلد واستبرقها وقد أحرقت غابته من جميع جهاته، والنخل المتناسق يستوقف الطرف، ويستوفى الحسن والظرف، ويحقق ماقيل ان قابس جنة الدنيا.» (١)

لم يلق على قابس الضوء الكافى من حيث عمرانها وتخطيطها بالتفصيل، وكذلك الحوادث التى الت بها، ولعل من الجدير بالذكر ان الدراسات لم تركز على قابس كمدينة مستقلة أو على ابراز دورها ومدى فاعليتها فى الأحداث السياسية الكثيرة التى عصفت بمنطقة شرق وجنوب شرق افريقية.

إن الحقبة التاريخية التى تخص زمن هذه الرسالة مع التغيير المستمر لأحوال قابس السياسية وتتابع الوقائع التى مرت عليها بالاضافة الى قلة ما استطعت جمعه من مادة علمية عبارة عن شذرات متناثرة فى المصادر العربية المتنوعة. شكل كل هذا صعوبة فى كتابة التاريخ السياسى والحضارى لقابس، لقد تطلب الأمر الكثير من الصبر والمرونة فى معالجة الموضوع بشكل جعلنى اعكف على دراسة تاريخ قابس فى كل مراحل تاريخها سواء كمدينة تابعة أو كمدينة مستقلة تتمتع بخصائص الدولة، وعلى الرغم من الدور الهام الذى لعبته قابس فى تاريخ إفريقية السياسى والحضارى، فانها لم تلق الاهتمام الكافى الذى تستحقه من مؤرخى المغرب وجغرافيتهم فكانت من أقل مدن إفريقية حظاً فيما سجله هؤلاء المؤرخين من أخبار ووقائع، أو ما أورده الجغرافيون من نصوص جغرافية عن خطط وخصائصها الجغرافية كلها بالكامل، وربما كان مرجع ذلك هو تركيزهم على أخبار الحواضر من ناحية، ومن ناحية أخرى ربما كان مرجع ذلك انها لم تلتزم بالطاعة للخلافة المركزية إلا لفترات، وكان مؤئلا للخوارج والأباصيين وكل من أتى إليها براً أو بحراً فوجدنا بها الكثير من العناصر.

ولهذا لا تخفى صعوبة الخوض فى موضوع مدينة قابس، فهى من الموضوعات الشاقة المضنية التى تحتاج دائماً الى يقظة تامة عند البحث والتنقيب بين ثنايا السطور فى كل ماكتب فى كتب التاريخ الإسلامى العام والسير والجغرافيا والرحلات عن مصر وافريقية، والغرب عموماً، وقد حاولت جاهدة أن أجمع كل شاردة وواردة عن مدينة قابس فى ثنايا المصادر والمراجع، وقد وجدت أن المعلومات متضاربة فى سير الأحداث، ولم تبد صريحة وواضحة أحياناً، مما جعلنى الجأ الى التحليل والنقد والمقارنة والاستنباط للوصول الى الحقيقة بقدر الإمكان، هذا ما أعتقد أننى فعلته.

ابن خلدون نفسه يناقض نفسه فقال عن قابس:« إنها مدينة البحر والصحراء أعظم أمصار إفريقية» فى أحيان أخرى ذم موقعها فى مقدمته.

ومما سبق يتضح أن هذه الدراسة لم تكن هيئة بالإضافة الى أن مادتها مبعثرة ما بين مصادر تاريخ مصر وليبيا والمغرب والأندلس أيضا بالاضافة الى ماستطعت معه من كتابات المستشرقين وما سجله الاثريون من تقارير ونتائج لحفرياتهم فى المنطقة، ومقارنة كل ذلك بالأخبار الواردة والمصادر المختلفة عن قابس، ومحاولة الوصول الى نتائج تفيد البحث، ومكثت فترة طويلة وأنا أحاول فك طلاسم

(١) الرحلة ص ٨٧ ـ ٩٥

المخطوطات من حيث اللغة والخط فعثرت بحمد الله تعالى على عدة مخطوطات افادتني، على رأسها مخطوط السير للوسياني، ورجعت للسجلات المستنصرية لاستخلاص بعض الحقائق التاريخية غن الغزوة الهلالية التى لفتها الأساطير والأشعار من بلد لبلد، وتنقلت من جيل لجيل حتى طمست حقائقها التاريخية،

لقد بحثت كثيراً عن العملات التى تفيد البحث فى متحف الفن الاسلامي ثم دراستها ويعلم الله كم هى دراسة مضنية

إن التاريخ السياسى لقابس كان عامرا بالحوادث والوقائع، وان لوجود قبر آبى لبابة الانصارى بها أضفى عليها صبغة إسلامية مازالت تتمتع بها للآن وكان بها بيعة وأكاديمية لليهود، وكما كانت بها أسقفية ولما كانت حركة الاسترداد REconquista كانت قابس مستهدفة وحدثت بها فتن وثورات وبخاصة فى عصر بنى جامع الهلاليين ـ لقد صمدت قابس دائماً فى كل مجريات تاريخها. هذا التاريخ الطويل الذى سجل أمجاد تزهو بها قابس فى فترات معينة كما سجل نكسات تعرضت لها. هذا التاريخ لم يكتب كاملاً وعلى نحو منهجي.

ورغماً عن ذلك فإنه توجد دراسات تختص بإقليم إفريقية وياتى ذكر قابس متضمناً هذه الدراسات ـ وهى دراسات طيبة ـ تحتفل بالجانب السياسى أكثر من غيره من جوانب.

أهم هذه الدراسات ـ فى حدود علمنا ـ دراسة باللغة الفرنسية للهادى روجيه إدريس عنوانها:

"La Berbérie orientale sous les Zirides - xe - x II e siecles"

وقد ترجمها حمادى الساحلى مؤخراً الى اللغة العربية بعنوان «الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية فى عهد بنى زيرى من القرن ١٠ الى القرن ١٢م» كما أن لدينا اطروحة مصطفى محمد عبدالخالق لنيل درجة الدكتوراة بآداب القاهرة بعنوان «علاقة القوى الصليبية فى غرب البحر المتوسط بالغرب الإسلامى فى القرنين السادس والسابع للهجرة». إشراف أ.د/عصام عبدالرؤوف، أ.د/سعيد عاشور

وللأستاذ محمد المرزوقى كتاب بعنوان «قابس جنة الدنيا» وقدم قدم له الأستاذ حسن حسنى عبدالوهاب، وأعطانا وصفاً لقابس لتجواله فيها. وهو كتاب أدبى مدون فيه وقائع تاريخية رجع فيها للمصادر المختلفة، ووجدت بحث لـ عفيفى محمود عن بنى مكى فى قابس فى عصر بنى حفص لذا كان ذلك مبرراً لأن اختار مدينة قابس موضوعاً لدراستي. وعلى الرغم من ان موضوع الرسالة يرتكز أساساً على مدينة قابس لكنى ايضا اضطررت فى كثير من الأحيان الى أن أخوض فى تاريخ إفريقية والمغرب بصفة عامة لارتباطهما بهم ارتباطا مستمرا واتضح لى ان دراسة التاريخ السياسى والحضارى لمدينة ما لا يقتصر على نطاقها العمرانى الذى يسبغ عليها صفة المدينة، وإنما يتجاوز هذا النطاق ليشمل الإقليم الذى ينتسب الى القاعدة الإدارية، ان الوقائع السياسية تفيض عادة عن هذا النطاق وتتجاوزه الى كل الأقاليم ويجرى عليه مايجرى على القاعدة. كذلك اضطررت إلى ان أقرأ بعض قصائد الشعر وأفسرها علنى أصل الى تفسير ما تذكره المصادر فى بعض الأمور، ومما يجدر بالذكر أن الكتابة فى التاريخ

المحلي للمدن عرفة التـاريخ الاسلامى منذ القرن الثالث الهجرى كمـؤلف تاريخ بغداد للخطيب البغدادى وتاريخ دمشق لإبن عساكر وتاريخ حلب لإبن العديم وتاريخ غرناطة لإبن الخطيب، وقد ظل هذا الاتجاه عند مؤرخى العـرب المحدثين فظهرت عـلى سبيل المثـال ابحاث حسن حـسنى عبدالوهاب عن القـيروان وتونس وغيرها وعبد القـادر الريحاوى عن دمشق، وأبحاث د. سيد عبدالعـزيز سالم عن المريه وقرطبة وطرابلس الشام وآخرين لكثيرين لا يتسع المجال لذكرهم كتبوا عن مدن الشام واليمن والأندلس وغيرها ولايفوتنا ذكر أبحاث الدكتورة سحر سالم عن بطليوس وشاطيه ورباط الفتح بالمغرب الأقصى، وأبحاث د. محمـد البيلى عن اشبيـلية وطليطة فكان حظ مدن الأندلس والمغرب الأقـصى أكبر فى كتـاباتهم، ولقد اتجه الدكـتور عطيـة القوصى اتجاها جـديداً ضمن أبحـاثه القيمـة وهو احياء المدن المنـدثرة فظهرت له أبحاث عن مدينة تنيس وميناء باضع وميناء عيذاب.

تتكون هذه الدراسة من هذه المقدمة وخاتمة وبينهما ستة فصول:

• الفصل الأول وعنوانه «خطط قابس وتطورها»

عرضنا أولاً اسم قابس وتحليله ثم تحدثنا عن موقع قـابس وخصائصه، وقبل أن تخوض فى التطور العمرانى لقابس عرضنا لأسلوب العمارة القابسية وطابعها. وتناولنا المسجـد الجامع بقابس والمساجد الاخرى بانواعها والشوارع والمنارة والأربطة والساحات والحمامات والقصور الى غير ذلك.

وكان منهـجى فى هذا الفصل لقلة المادة التـى تخدمه هو انى لجـأت الى نتائج حفـريات الاثريين فى قلعة بنى حماد وحفـريات الاثريين فى منطقة قابس وقارنتها بما وجدته من مـادة شحيحة ورجعت الى قصائد الشعر وتفسيرها على أكون قد وصلت الى مادة ذات سمة تاريخية مفيدة.

• أما الفصل الثانى بعنوان «الحياة السياسية»

بدأته تمهيد عن قابس منذ الفتح الاسلامى حتى الغزوة الهـلالية وكان منهجى فى معالجة هذا الفصل أن أسلط الضوء على قابس منذ الفـتح الاسلام لما له أهمية لانه القاعدة القـوية التى انطلقت منها للبحث فى الفترات التاريخية اللاحقة سواء التى قبيل الغـزوة الهلالية أو بعدها، لكى تتضح الأحداث السياسية المعنية. ثم بعـد ذلك درست اثار الغزوة الهلاليـة وأهمها سيـاسياً تكوين امارة بنى جـامع فى قابس ثم تناولت علاقات قابس مع دول إفريقية والمغرب ومع مـصر والأندلس وصقلية والسودان موضحة الدور الذى لعبته قابس فى الأحـداث السياسية فى الفترة المعنية بالبحث وهى متـشعبة الحوادث، الاضطراب السياسى الذى حـدث نتيجة لاتصال يوسف مولى بنى جـامع بروجار الثانى ملك صقلية ومـا تبعه من سقوط دولة بنى زى واستيلاء النورمان كذلك دور قراقوش الأرمنى وابن غانية السياسى وغير ذلك.

• أما الفصل الثالث وعنوانه: نظم الحكم والادارة

وكانت خطة الفـصل هى عرض للنظام الإدارى ثم القضـائى والحسبة والجـيش والاسطول ولما كانت الوضعية السياسية لقابس تغيرت لعدة مـرات تبعا لمن امتلكها، فقد تغيرت نظم ادارتها. كان منهجى فى تناول هذا الفصل هو دراسة عـدة نظم إدارية كل منها على حدة فدرست نظام الدولة الفاطمـية الذى سار

على منهجه بنى زيرى بعد رحيل الفاطميين لمصر ثم درست نظام القبائل العربية ولبنى جامع الهلاليين ثم نظام النورمان ثم اسلوب قراقوش الأرمنى وبنى غانية فى الإدارة واضفاء الشرعية على ادارتهما ثم نظام الموحدين الذى سار عليه الحفصين بعد ذلك.

• أما الفصل الرابع بعنوان الحياة الاقتصادية

تميزت الحياة الاقتصادية فى قابس بالتنوع والازدهار، وقد تناولت النشاط الزراعى وعناصره ثم تحدثت عن النشاط الصناعى والنشاط التجارى بأنواعه، وأسواق المدينة وتجارتها الخارجية والداخلية وطرق التجارة الخارجية والفنادق ونظامها وأنواعها ثم تحدثت عن المعاملات المالية وأنواعها، وكان منهجى فى ذلك هو دراسة إفريقية بصفه عامة، ثم نظام الشيوخ والفقهاء الاباضيين فى تشجيع الزراعة بصفة عامة ثم الدخول فى نظام قابس، حيث ان مادة الاقتصاد تتغير تغيرا طفيفا الى حدما بالنسبة لكل مدينة ولقابس نظامها الخاص بها وكان اليهود فيها يعملون أحيانا بالزراعة.

• أما الفصل الخامس بعنوان «الحياة الاجتماعية»

أوضحت أولا العوامل المؤثرة فى الحياة الاجتماعية وأهمها تغلغل الإسلام وتحويل تبعية المسيحيين لأسقفية الإسكندرية بدلا من روما وتحدثت عن عناصر المجتمع وطبقاته والمرأة فى مجتمع قابس ولم انسى ذكر بعض مظاهر الحياة الاجتماعية وعادات وتقاليد موروثة ومحدثة وعرض لبعض المجالس الاجتماعية وهذا بالنسبة للعرب وللبربر الذين كانت لهم تقاليدهم الخاصة وذلك فى جنوب قابس فى الصحراء وعلى الجبال وقد مكث معهم محمد المرزوقى ووصفهم كذلك المستشرق اندريه لوبس وكان منهجى دراسة الحياة الاجتماعية فى إفريقية والمغرب بصفة عامة ليتسنى لى الدخول فى خصوصيات قابس والنظام الاجتماعى الخاص بها وكذلك النظام المألوف فى إفريقية عامة.

• أما الفصل السادس بعنوان «الحياة الثقافية»

فقد خصصته للحياة الثقافية فى قابس وأوضحت أولاً العوامل المؤثرة فى الحياة الثقافية وذكرت نظام التعليم: المكاتب والمدارس والمساجد كذلك نظام التعليم فى الأربطة ودورها فى نشر العلم والثقافة وعرض لأهم علماء قابس ودورهم فى الحياة الثقافية بالقيروان وفى إفريقية عامة.

• أما الخاتمة:

فتضمنت أهم النتائج التى توصلت لها والجديد الذى تراءى لى من خلال هذه الدراسة. ثم افردت ثبتا لأهم المصادر والمراجع العربية والمعربة والأجنبية التى أمكننى الاطلاع عليها والاستفادة منها، كذلك افردت مكانا للملاحق التى اثرت البحث.

ولا يسعنى فى الختام إلا أن أذكر فضل الأيادى البيضاء التى مدت الى وارشدتنى الى طريق الصواب والصمود لتحقيق الهدف المنشود والشكر كل الشكر لـ د. محمد البيلى الذى وجهنى فى أصعب المراحل وهى مرحلة الكتابة والمراجعة والطبع ولم يبخل على بنصائحه وارشاداته فى أى وقت وبفضل

توجيهاته المنهجية الصحيحة ونصائحه المفيدة ومساندته لى لما قدر لهذا البحث أن يرى حيز النور. شكرا د. عبادة كحيلة الذى أشرف على هذه الرسالة فى أولي مراحلها حتى مرحلة الكتابة وبذل جهدا فى مساعدتى وتوجيهى التوجيه السليم كذلك اتقدم بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة الذين يشرفوننا د. عطية القوصى ود. سحر سالم وشكرا كل اساتذتى فى قسم التاريخ بكلية الاداب جامعة القاهرة الذين تتلمذت على ايديهم واكن لهم كل تقدير ووفاء متعهم الله بالصحة والعافية، وكانت مؤلفاتهم وستظل هى الشعلة المضيئة لى، وأخص بالذكر د. ليلى عبدالجواد رئيسة القسم وواجهته المشرقة التى لم تأل جهدا فى مساعدتى على تخطى الصعاب. شكرا لاستاذى د. حسن محمود شفاه الله وعفاه، وانى لأشكر د. عصام عبدالرؤوف ود. عطية القوصى أعمدة التاريخ الاسلامى الذين ساعدونى بتوجيهاتهم السديدة فى اختيار هذا الموضوع ومواصلة البحث فيه

ولا أنسى الشكر للأستاذ الدكتور/ سيد عبدالعزيز سالم شفاه الله وعافاه لما قدمه لى من نصائح وتوجيهات وكانت مؤلفاته القيمة من أهم المراجع التى فتحت امامى طريق البحث كما اشكر د. أحمد مختار العبادى ود. سعد زغلول عبدالحميد وشكرا لأسرة قاعة العملات بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة وإدارة المتحف وإدارة الدراسات العليا بكلية الآداب جامعة القاهرة، شكرالأولادى وتمنياتى لهم بالصحة والسعادة وأخص بالذكر المهندس/ محمد وليد الذى تحمل عنى مشاقا عديدة وتمنياتى له بدوام التوفيق فى عمله وابحاثه وحياته.

وإنى أقدر وأشكر كل من قدم لى يد العون

• نقد المصادر:

تجولت الباحثة جولة واسعة في المصادر الكثيرة والمتنوعة بتشعبها المادي والغير مادي واشتملت المصادر المادية علي السكة والنميات شواهد قبور والوثائق المختلفة وبقايا الحفائر التي وضحت الكثير من مظاهر الحياة في منطقة قابس.

مثل الحفائر الأثرية التي قام بها الأثري جيرين Guerin عام ١٨٦٧ مع بعض الدارسين فقاموا بعمل رحلة أثرية كان من أهم ما فيها منطقة قابس وما وجدوه من بقايا خزف وأعمدة مهشمة وشواهد قبور مسلمين ومسيحيين وما يدل علي وجود الأسقفية المسيحية في شمال قابس علي خليجها وكذلك أعمال جورج مارسيه Ceorges Marcais وليفي بروفنسال Levi Provencal وهم باحثون فرنسيون مهتمون بالبحث والكتابة عن العمارة الإسلامية وآثار البربر وعلاقاتهم وبما كشفت أوراق الجينزا عن علاقات يهود قابس بالقاهرة وتجارتهم. كذلك كشفت لنا وثائق الأرشيف الوطني في تونس عن تحبيس أموال علي الأربطة والمساجد «ولو أنها زمنيا متأخرة نسبيا» كما كشفت عام ١٩١٢ عن قبور بعض افراد بني جامع الهلاليين في قابس من حيث السكة فقد أثبتت لنا بالدليل الواضح رجوع أفريقية كلها للفاطميين ولو بتبعية مؤقتة «عن طريق قابس مثلما أوضح السجل رقم ٥ من السجلات المستنصرية أنه سكت دنانير مستنصرية في المهدية.

كذلك وجدنا ديناراً نادراً من السكة الرشيدية لرشيد بن مكي بن جامع الهلالي الذي كان يتولي إمارة قابس.

من حيث المصادر المكتوبة «غير المادية» اشتملت علي الكثير من المؤلفات بعضها من وضع مؤرخي المغرب والأندلس والأخري من وضع مؤرخي المشرق وكلها احتوت علي كتب التاريخ والرحلات والجغرافيا والطبقات والسير والفرق وستختار الباحثة بعضا من أهمها علي سبيل المثال لا الحصر:

(١) كتب التاريخ:

من أهم كتب التاريخ التي مازالت مخطوطة كتاب السير للوسباني فهو عرض لتاريخ منطقة جبال قابس الي جبال نفوسة وقد تتبع لسير الاباضية وتاريخهم كما تعرض لتاريخ الفاطميين وبني زيري.

• الوسياني:

أبو الربيع سليمان بن عبدالسلام ابن حسان بن عبدالله الوسباني (من رجال القرن السادس الهجري مخطوط بدار الكتب المصرية (الهيئة العامة للكتاب) موجود في قاعة المخطوطات يحمل رقم ٩١١٣ح ورقم الميكروفيلم ٨٤٥٢.

وقد قرأت في نقد مصادر رسالة مسعود مزهودي التي بعنوان «الأباضية في المغرب الأوسط من بند سقوط الدولة الرستمية إلي هجرة بني هلال الي بلاد المغرب (٢٩٦ ـ ٤٢٢هـ) (٩٠٩ـ ١٠٥٨م) باشراف أ. د. حسن محمود ـ ١٤٠٩هـ ١٦٨٨م رسالة ماجستير رقم ٥١٠٥ كلية الآداب جامعة القاهرة.

نقد المصادر (١)

يقول الباحث مسعود أنه وجد نسخة أخري من مخطوط السير للوسياني عند الحاج سعيد محمد أيوب بمدينة وداية بالجزائر وهذه النسخة هي التي اعتمد عليها كمصدر هام لتاريخ الأباضية واستفاد منها في تراجم علماء الاباضية سواء في افريقيا أو المغرب.

أما نسخة الهيئة العامة للكتاب والتي اطلعت عليها مرات عديدة وجدت أن د/ سعد زغلول عبدالحميد قد كتب بحثا تضمن هوامش وشرح لهذه المخطوط ووضع له عنوان: هامش علي مصادر تاريخ الاباضية وقد نشر في مجلد لاشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب طبعته الجامعة التونسية «١٣٩٦ سنة ١٩٧٩م».

استفدت من هذا المخطوط استفادة كبيرة.

فقد أوضح لي الكثير من الأخبار في ثنايا حديثه عن الاباضية مثل:

سجل خطابا أرسلة ابراهيم بن ونمو المزاتي قائد المعز بن باديس الي الشيخ ابي زكريا قبل دخول جربة أورد الكثير من الغارات التي شنها المعز علي جبال نفوسة والمنطقة حول قابس.

كما أورد أن قابس ارضها غنية وكانت أيام أزمات المجاعات تعطي من حولها تمرا مقابل مبالغ كثيرة بواسطة شيخ من الشيوخ المعروفين بالثقة فوجدت أن عندهم نظام الوسيط والضامن في عمليات البيع والشراء والصفقات.

كذلك فهمت أنه يوجد مجلس السوق يجتمعون فيه لعقد الصفقات والمشاورات ونقل الأخبار المختلفة وكان يوجد في منطقة قابس سوق خاصة لبيع الجمال.

رأي المؤلف دخول الهلاليين وأنه كان سعيدا لانحسار المعز بن باديس وذكر مساجد عدة في قابس مثل مسجد الصهريج مسجد الوهبية مسجد السوق، ذكر قري كثيرة جدا حول قابس لم تذكر في أي مصدر جغرافي آخر وقري الجبال في جنوبها.

كما أورد أسماء قبائل عديدة ما بين جربة وقابس مثل: بنودمر - بنو يراسن - بنو واشيه..وأشار الي علاقات عدائية من بنو حماد والمرابطين «الصهناجيون»» ثم تحدث عن النشاط الاقتصادي والقوافل التي تمر من قابس في طريقها الي السودان واشار الي معاملات المالية - النظم الزراعية التي استخدمت في ذلك الوقت وكذلك رعي الحيوانات ونظام الارض المقسمة الي أحواض وتقدير مساحة الحوض «كوحدة مساحية».

كذلك تحدث عن الأسواق ونظام المزايدة فيها وأنواع النقود مثل «الحندسية في جربة» ونظام المجتمع الاباضي. ونظام القضاء والفصل في القضايا العامة والسرقات «اسم السلابة» واجراءات التقاضي - ونوع العقوبات.

هذا الي جانب حديثه الاساسي عن الاباضية ونظامهم وطابعهم الديني وأنواع مذاهبهم واسمائهم مثل: الوهبية والنكارية والاشعرية والخوارج...

كذلك أفدت من مخطوط العيني «ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م) المسمي عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ـ في معركة الكثير من احداث تاريخ. ويبدو أن العيني نقل ايضا ممن سبقه من المؤرخين مثل التجاني وغيره، وكتاب عقد الجمان هذا كتاب ضخم يقع في حوالي خمسة وثلاثين مجلدا مصورا وهو بدار الكتب المصرية تحت رقم «١٥٨٤).

وكتاب ابن عذاري البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ـ يحتوي علي اخبار المغرب منذ الفتح العربي للمغرب حتي أواخر القرن السادس الهجري اعتمد ابن عزاري علي مصادر مغربية اندلسية وبخاصة اخبار الفتح العربي للمغرب . وكانت آخر سنة أشار اليها في كتابه هي ٧١٢هـ ـ ١٣١٣م انه كان يكتب فيها بعد أجزاء من كتابه.

وفي كثير من الأخبار التي أوردها أرجعها لتاريخ الطبري والبكري والقضاعي «ابن الآبار»، لذا جاء كتابه متكاملا من الناحية التاريخية وتكاد تقارب الحقيقة فعلي سبيل المثال أورد خبرا عن المعز بن باديس انه اتصل بالخليفة العباسي ٤٣٣هـ وأورد ابن الأثير انه كان في ٤٣٥ وكتاب بن عذاري مقسم الي ثلاثة أجزاء:

أما الجزء الأول: يتضمن أخبار افريقية منذ الفتح الاول في خلافة سيدنا عثمان، وذكر أمراء المغرب في عصر الدولة الأموية والعباسية حتي انتقال الفاطميين الي مصر واستخلافهم صنهاجة علي افريقيا كما عالج غزو العرب الهلالية واسبابها ـ وأخبار أمراء بني زيري وبني حماد حتي ظهور المرابطين.

والجزء الثاني: فخصص لذكر أخبار تاريخ الاندلس منذ الفتح العربي حتي دخول المرابطين الاندلس سنة ٤٧٨ هـ وهو من صحيح المستشرق الهولندي دوزي عن مخطوطة سنة ٦٧ بلندن.

كما نشر هذا المستشرق نشر في باريس ١٩٣٠ قسم خاص من كتاب البيان المغرب خاصا بملوك الطوائف في الاندلس أي من وفاة ابن ابي عامر الي سنة ٤٦٠هـ وقد اعتقد بروفنسال أن هذا الجزء هو الجزء الثالث من كتاب ابن عزاري ولكن اتضح فيما بعد ان قمته للجزء الثاني من هذا الكتاب لكن حسب نشرة احسان عباس «بيروت ١٣١٧هـ/ ١٩٦٧م) تمثل الجزء الرابع من الكتاب.

أما الجزء الثالث من كتاب ابن عزاري فيضم تاريخ دولتي المرابطين واللموحدين حتي انقراض دولة الموحدين وقيام الدول الوارثة للموحدين في المغرب.

وقد قام لتحقيق هذا الجزء محمد بن تاويت ومحمد ابراهيم الكناني ومعهم المستشرق الاسباني امبروسيو اديني ميراندا ونشرته جامعة الرباط.

وقد نشرت مجلة Hesperis قطعة من كتاب البيان تتعلق بتاريخ المرابطين «وقد وجدتها مطبوعة في مكتبة د. حسين مؤنس المهداة لمركز الدرسات الشرقية بجامعة القاهرة كما نشر الجزء الثالث ليفي بروفنسال في باريس «١٣٥٠هـ ـ ١٦٣هـ) وهي التي نشرها احسان عباس «وقد ذكرت في الصفحة السابقة».

استمد الكتاب ابن عذاري هذه الأهمية الكبيرة لأنه عاصر أحداثا كثيرة وبخاصة خلال فترة حكم الموحدين الي جانب اعتماده علي مصادر متعددة وثيقة مشرقية أو مغربية «ذكرتها سابقا» هذا بالاضافة الي انه قد انفرد بذكر اخبار كثيرة هامة.

• ابن الاثير:

عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الجزري د/ ٦٣٠هـ - ١٢٦٢م.

الكامل في التاريخ ١٠ أجزاء تصحيح محمد يوسف الدقاق طـ بيروت دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م. طـ١.

هو الإمام العلامة عمدة المؤرخين ابن الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني المعروف بابن الاثير الجزري الملقب بعز الدين.

الطبعة السابقة هي الموجودة في مكتبتي المنزلية لكن وجدت طبعات أخري في جامعة القاهرة مكتبة معهد الدراسات والبحوث الافريقية ومكتبة الجامعة الامريكية UC مكونة من ١١ جزءا و١٢ جزءا طـ بيروت أيضا بدون تاريخ طبع.

يمتاز ابن الاثير بالدقة في نقل الاختبار واسنادها الي الثقات وهو يختلف عن الطبري في شيء وهو أن الطبري ينقل جميع ما يروي اليه حتي ولو كانت اساطير وعلي القاريء أن يستنبط الحقيقة لكن ابن الاثير ينتقي ما يثق فيه وهو ينفي وباسلوبه البسيط الواضح.

استفدت من هذا المؤلف كثيرا جدا تاريخيا واجتماعيا فهو أول من القي لي ضوءا علي قابس وعلي بنو جامع الهلاليين الذين حكموها ومن خلالها فهمت الكثير عن المناقشات والمواجهات السياسية وغيرها بين الخلافتين العباسية والفاطمية كذلك تتبعت من خلاله علي أخبار بني زيري وبداية انقسامهم عن الفاطميين وخطبتهم للعباسيين كذلك بداية الغزوة الهلالية وأخبارها وأخبار قبائلها.

• ابن خلدون:

ولي الدين عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (٨٠٨هـ/ ١٤٤٠م)

عنوان الكتاب: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عناصرهم من ذوي السلطان الأكبر أو تاريخ ابن خلدون.

والموجود لدي مكون من ٧ أجزاء من طـ بيروت مؤسسة جمال للطباعة والنشر بدون.

أشار المؤرخون أن أسرة ابن خلدون استقرت بمدينة اشبيلية بالاندلس بعد أن تم فتحها وهذه الأسرة تنتمي الي العرب اليمنية بحضر موت وجدهم وائل بن حجر.

ولما بدأت الأوضاع السياسية في الاندلس تتدهور نتيجة استيلاء القشتاليين علي العديد من المدن مثل مدينة قرطبة التي سقطت في ايديهم سنة ٦٣٣هـ/ ١٢٦٧م لذا رحلت أسرة ابن خلدون مثل أسر كثيرة في ذلك الوقت الي بلاد المغرب وفي تونس التحق جد ابن خلدون بخدمة بعض حكام بني حفص.

ولد ابن خلدون بتونس في اول رمضان سنة ٧٣٢ق/٢٧مايو ١٣٣٢م ونشأ في بيئة علمية وتتلمذ علي يد مجموعة كبيرة من علماء والاندلسي فعلي يد والده درس النحو واللغة، كما تتلمذ علي يد أبو عبدالله محمد بن السواس الزرزالي والشيخ أو عبدالله محمد بن العربي وغيرهم من العلماء.

تحتوي المجلدات السبع المطبوعة لابن خلدون علي ٣ أجزاء رئيسية موزعة عليها:

١ـ الجزء الأول: يتحدث فيه عن العمران وما يعرض فيه من العوارض الذاتية من الملك والسلطان والكسب والمعائش والصنائع وعللها وأسبابها وقد أطلق عليه اسم المقدمة أو مقدمة ابن خلدون.

٢ـ أما الجزء الثاني يتضمن أخبار العرب منذ بدء الخليقة حتي القرن الثامن الهجري ومن عاصرهم من الدول مثل الفرس والروم وغيرهم.

٣ـ أما الجزء الثالث فقد اشتمل علي كل ما استطاع ابن خلدون جمعه من أخبار البربر وقبائلهم مثل زناته وغيرها وذكر أوليهم وأجيالهم ودولهم بالمغرب فالمجلد الأول يحتوي علي المقدمة.

أما المجلدات من الثاني الي الخامس فتعني أخبار العرب وأجيالهم وأخبار الأمم القديمة والتركية والفرنجية ومن عاصرهم حتي القرن الثامن الهجري.

أما المجلدين السادس والسابع فقد اختصوا بأخبار البربر ودولهم المختلفة.

والمتصفح لهذه المجلدات يجد أن ابن خلدون قد اتخذ لنفسه منهجا جديدا في الكتابة فهو يبحث دائما عن العلل والاسباب ويربط بينهما ولا يعتمد علي طريق السرد فقط.

ابن خلدون من المصادر الاساسية في بحثي وقد استفدت منه جل الاستفادة فهو مصدر يعطيني معلومات كثيرة ولو أنه يعتبر مصدر متأخر نسبيا.

فالنسبة للعرب الهلالية اعطاني تفاصيل كثيرة عن انسابهم وتفريعاتهم وبخاصة الموجودين ببرقة. وهم غير الزاحفين من مصدر وهو يوثق روايته دائما ولو انه يعيني مصدر متأخر عنهم.

وقد استفدت منه [illegible] في اخبار الزبرين أصلهم والخلافة بينهم وبين بنو عمهم بنو حماد الذين استقلوا بالمغرب الاوسط كذلك القي ضوءا باهرا علي دولة بنو جامع الهلاليين الذين كونوا إمارة عربية في مدينة قابس وما يلفت النظر انه قال عنها أن موقعها سيىء وموبوء ثم في قول آخر قال أنها أعظم مدن افريقية كذلك تحدث عن أخبار الدولة الفاطمية ومناوشاتها مع الدولة العباسية التي كان من نتائجها التحريض الذي حدث للمعز بن باديس لتحويل الطابعة الي القائم بالله الخليفة العباسي ويعتبر ذلك من الاخبار والحوادث التاريخية.

• **المراكشي:**

محيي الدين عبدالواحد بن علي التميمي «د. النصف الثاني من القرن السابع» المعجب في تلخيص أخبار المغرب».

لقب بالمراكشي نسبة الي مكان مولده مراكش في سنة ٧٥١هـ ـ ١٢١٣م في أثناء خلافة أبي يعقوب الموحدي.

وتلقي دراسته في العلوم الدينيـة في مدينتي مراكش وقابس علي أيدي كبار علمـاء هذا العصر كأبي بكر بن زهر علي سبيل المثال - حـتي إذا بلغ الثانية والعشرين من عمره عـبر الي الاندلس ليلتقي علومه ومزيدا من المعـارف فنجده تلمذ علي يد اسـتاذه ابي جعفـر الجعبري فـي قرطبة وفي أشبـيليه في ذلك الوقت» فاصبح من اعضاء مجلسه. ولا شك إن ذلك أتاح له فرصة الاتصال بكبار رجال الإدارة في البلاد.

ثم نراه يعود الي مراكش سنة ٦١٠هـ- ١٢٤٢م نجده غـادر المغرب في جولة الي المشرق قطاف بأقطار من مصر الي الحجاز الي الشام الي العراق وكانت ذلك الرحلة عن طريق تونس.

وفي أثناء هذه الجـولة أو الرحلة ألف كتـاب المعجب ولم تشـر المصادر الي ظروف حيـاة هذه المؤلف بعد ذلك ومتي كانت وفاته هل كانت قبل أو بعد منتصف القرن السابع من الهجرة.

وطبـقات الموحـدين وصلاتهم - وفـتحـهم بجاية واسـتيـلاءهم علي قلعة بني حـماد وفـتح المهدية واستردادها من بلاد الصقليين وكذلك قابس.

ثم تحدث بالتفـصيل عن بني غانية وغزوهم لافـريقيا وتحالفهم مع العرب ودخـول الموحدين جزيرة ميورقة ثم شرح بـعد ذلك حد بلاد افريقيا وبرقة وطرابلس واتصال العـمران بين الاسكندرية والقيروان وبلاد افريقية الساحليـة - كذلك ذكر المعادن المختلفة مثل الفضة والحـديد وغيرها بالمغرب والاندلس ثم ذكر الانهار المشهور.

• المقـريـزي:

نصر الدين أحمد بن علي بن تقي الدين المعروف بالمقريزي «د/ ٨٤٥هـ- ١٣٧٧م» له أكثر من مؤلفات كثيرة منها:

١- كتـاب السلوك لمعرفـة دولة الملوك طـ القـاهرة لجنة التأليف والتـرجمـة والنشر ونشـر محـمد مصطفي زيادة.

استفدت جـيدا من ج(١) لمعرفة الفتـرة الزمنية لصلاح الدين الايوبي وما حولها بخـصوص اتصاله بالموحدين.

٢- المواعظ والاعتبـار يذكر بالخطط والاثار المعروف بالخطط المقريزية - طـ بيروت بدون، اسـتفدت منه في اشياء كثيرة فمثلا معرفة مـكان وأهمية بركة الحـجاج التي أتي اليها الشيوخ المذكورين في الحج نحو [illegible] في ذلك.

٣- المقفي الكبير تحقيق محمد اليعلاوي طـ بيروت ١٤١هـ ١٩٩٢م طـ كتاب كبير موزع علي ثمانية مجلدات عـبارة عن تراجم لكل من سمع عنهـم أو منهم أو عاصروه، أفادنـي كثير في مـعرفة الكثـير عن التراجم وإلـقاء ضوء عليـهم مثل الفـاطمين ووزرائهم وسـياسـتهم علي سـبيل المثال الـوزير اليازوري الحسن بن ملهم امين الـدولة ومكينها الذي لعب دورا كبـيرا في مصـالحة القبـائل وانطوائها تحت رايـة لفاطمين والكثير غيرهم.

٤ـ اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الفاطميين الخلفاء ثـم محمد حلمي أحمد طـ القاهرة طـ ٢ هذا الكتاب كان من أكثر الكتب التي أفادتني كثيرا في موضوع الخلاف بني المستنصر بالله والمعز بن باديس وأظهر لي الحقيقة في علاقتهم وسياسة كل منهم طوال حكم المستنصر بالله ومنه فهمت دور قابس الحيوي.

• ابن أبي دينـــار:

هو عبدالله محمد ابن ابي القاسم الرعيني القيرواني المعروف بابن أبي دينار طـ بيروت طـ وطـ تونس ١٤١٣هـ/١٦٦٣م طـ٣.

وعنوان كتابه: المؤنس في أخبار افريقيا والمغرب.

اختلفت المصادر عن ذكر مولده أو وفاته. سوي انه كان حيا بمدينة تونس أواخر القرن الحادي عشر الذي انهي فيه تاريخه.

درس علي يد بعض شيوخ عصره المشهورين أمثال الشيخ محمد بن قتاتة والشيخ محمد بن الشيخ والشيخ ابو الحسن علي بن عبدالواحد الأنصاري.

ألف ابن دينار هذا الكتاب الي جانب كتابين آخرين كتاب رضا العقيق في الروض الأنيق في مجارات الأخوان وأحوال الصاحب والصديق.

وكتاب آخر بعنوان: الأدب وتوجد منه ننسخة بالخزائن الأحمدية داخل جامعة تونس، وكتاب المؤنس يعرض لتاريخ افريقيا بصفة خاصة وأشار ابن ابي دينار اليه استمد مادة الكتاب من ابن الشماع والزركشي المؤرخين من قبله ومن غيرهم مما تلقاه من الثقاة ما شاهده بنفسه من خلال معاصرته للأحداث.

والكتاب يعرف بتونس الحاضرة وبافريقية وكيف فتحتها الجيوش الإسلامية ويعرض لتاريخ الخلفاء الفاطميين وتاريخ الأمراء الصنهاجية الذين حموا افريقيا من قبل الفاطميين بعد استقرارهم بمصر. ثم يعرض للموحدين واعطاني معلومات وافرة عن بنو غانية وحروبهم في افريقية وتحالفهم مع العرب ضد الموحدين.

ومن تولي بعد ذلك افريقيا ثم دايات تونس ثم يستعرض العادات والتقاليد الاجتماعية بتونس وطرق الاحتفال بالاعياد الدينية وأحوال الناس في تونس وافريقيا.

مما جعل الإستفادة كبيرة بالنسبة لبحثي رغم تأخره نسبية الي انه توخي الصدق في اخباره.

من الموســوعات الأدبيــة:

• النـــويري:

شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب البكري النويري (د/ ٧٣٢هـ ـ ١٣٦٤م)

نهاية الأرب في فنون الأدب.

ولد النويري في مدينة قوص بمصر «سنة ٦٧٧هـ ـ ١٣٠٩م» وتلقي علومه الدينية في بلدته في

صعيد مصر فسمع الحديث من عدد من كبار المحدثين في عصر الناصر ابن قلاوون ثم تدرج في سلك الدواوين ـ وجمع كتابه الكبير «نهاية الأرب في فنون الأدب» وقد وصل في تحقيقه الي ٣١ جزءا منه شملت اقسام رئيسية كبيرة يسميها مؤلفها فنون: مثل الجغرافيا في السماء والأرض والمعالم الفعلية ألا يتشابه وما يتعلق به الحيوان وما يتعلق به النبات وما يتعلق به التاريخ وحوادثه.

هذا الفن وهو فن التاريخ هو من أكثر الاشياء التي استفدت منها جم الاستفادة فمثلا أفرد أجزاء من مجلداته لتاريخ افريقيا والاندلس وفتوحاتهم التي احيانا تختلط فيها الاسطورة بالحقيقة وحقيقة لقد استفدت كثيرا من النويري فعلي صعيد البحث ألقي ضوءا ساطعا علي التاريخ الفاطمي والعباسي وتاريخ افريقيا والدول المعاصرة مما يجعل ألم الماما شاملا بالعالم الاسلامي كل هذا مما لا يتوفر في مؤلفات غيره.

• الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة:

مؤلف هذا المصدر هو أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني «من بلدة» شنترين

Santaren من أعمال بطليوس بالبرتغال الحالية «ت٥٤٢هـ/ ١١٤٧» والكتاب موسوعة أدبية تاريخية لمؤلف أديب وليس مؤرخا، حيث اعتمد في الجزء التاريخي علي كتب غيره من المؤرخين وقسم الكتاب الي أربعة اقسام كما يقول: الأولون لأهل حضرة قرطبة وما يصاحبها من بلاد موسطة الاندلس، والثاني لأهل الجانب الغربي من الاندلس وذكر أهل حضرة اشبيلية وفي هذا القسم يذكر إعلام المرابطين والموحدين مثل «ابن زهر» و«ابن القصيرة» و«ابن الجد» وغيرهم، اما القسم الرابع والأخير فقد افرده لمن طرأ علي الاندلس في تلك الفترة من الأدباء والشعراء وأهل الفضل. ومن خلال ما يذكره «ابنْ بسام» عن هؤلاء المشاهير تظهر الحقائق الاجتماعية من رثاء وتعليم وأعياد وعناصر السكان والمنتزهات والغزل والزهد وغيرها.

واستفدت ايضا منه في معرفة رسول العباسيين الي المغرب، وكيف دخل متخفيا الي مصر ووصل الي افريقيا وكان ذلك ايذانا بما حدث كما توفرت مصادر ادبية هامة تحتوي علي الكثير من المادة العلمية الخاصة بالحياة الاجتماعية في الاندلس في عصر المرابطين الموحدين وتشابهما مع افريقيا وقابس، والتي تخص مادة البحث، منها كتاب «نفح الطيب من غضن الاندلس الرطيب» المقري التلمساني.

• من أهم كتب الجغرافيا:

كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم للمقدس طـ القاهرة مدبولي طـ٣.

• المقدسي:

شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي البشاري اشتهر بالمقدسي نسبة موطن رأسه بيت المقدس ونعته ياقوت في القرن الثالث عشر م السابع الهجري بالبشاري وأحيانا بأسمائه الأخري مثل ابن البناء لأن والده كان من اشهر البنائيين حيث بني ميناء عكا ـ وقد ذكر هو في

كتابه أنه سمي بستة وثلاثين اسما ذكر المقدسي أنه أخرج كتابه عندما بلغ الأربعين من عمره في ٣٧٥هـ وبذلك يكون مولده في عام «٣٣٥هـ ٩٤٦- ٢٩٤٧م) أما وفاته فيصعب تحديدها ويرجع انه توفي أواخر القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي لأنه ذكر في كتابه من خلفاء بني العباس الذي عاصرهم هو الطائع الذي تولي الخلافة بين أعوام ٣٦٣- ٣٨١هـ ولم يذكر القادر الذي خلفه ويذكر كراتشوفيسكي أنه توفي (٣٩٠هـ ـ ١٠٠٠م) هذا الرحالة الجغرافي الذي رحل الي الشرق وجاب مفاوز الأقاليم العربية الاسلامية ليخرج لنا هذا الكتاب النفيس الذي استفدت منه كثيرا في فهم أقاليم الأرض ومفاوزها.

وأحوال أهلها ووصف أمصارها المشهورة وطرقها وسكنها والعادات وأحوال الناس الاجتماعية والثقافية والدينية وامتزاجه مع الناس فهو يقول في مؤلفاته: أنه ساح في البراري وتاه في الصحراء واختني وافتقر وصاحب السلاطين والعاليم وشبع وجاع كاتبه السادات ووبخه الاشراف وسعي به الي السلاطين ورأي حمامات طبرية والقلاع الفارسية.

وذكر أنواع المدن والأمصار وقد وصف قابس ومعاملاتها ومزروعاتها والطرق الموصلة عليها وطرق لتحصيلها ضرائبها وهو يقول عموما ضرائب المغرب انها مثل نظام ضرائب مصر.

كذلك حدد لي وضع قابس بالنسبة لافريقيا عند تحديده لكل مدن وأمصار وقصباتها.

• **البكـــري:**

أبو عبيد الله عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري «د/ ٤٨٧هـ ـ ١١١٩م»

عنوان كتابه: المسالك والممالك مكون من جزءان.

نشأ البكري في بيت معروف بالعلم والشرف وقد أقام البكري في قرطبة في عصر التفتت السياسي الذي منيت به بلاد الاندلس لمن رغم ذلك فإنه عصر ارتفعت فيه مكانة العلماء والأدباء.

والعجيب أن البكري لم يغادر في حياته أرض الاندلس ولذلك فإن مكتبه الجغرافية لا تعدو وأن تكون جمعا منظما لجهود من سبقه من المؤرخين والجغرافيين.

كذلك أفاد البكري من تواليف لاتينية معربة ككتاب Elimologia لايزودور الاشبيلي ويعتبر كتابه المسالك والممالك أعظم ما صنعه من تواليف جغرافية الا أنه للأسف لم يصل الينا منه سوي الجزء الخاص بوصف المغرب.

وفي كتتاب البكري نجد أنه يدرس المسالك المؤدية الي المدن ويضمنها مع ذلك بعض أخبار تاريخية ومعلومات هامة استقي قسما كثيرا منها من محمد بن يوسف الوراق وهو مؤرخ مغربي كان قد هاجر من القيروان واستقر بقرطبة.

استفدت من هذا الكتاب كثيرا فقد وصف لي قابس وصف رائع، وصف المسافات بينها وبين باقي البلاد في تونس وخارجها.

كذلك وصف الساحل والخليج وهو يورد في بعض في بعض أجزائه كتابه قصصا طريفا لعلها

أساطير في غاية الطرافة.

• الشريف الادريسي:

(د ٥٦٤هـ/ ١١٩٦م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.

هو أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريسي ينسب الي بيت الاشراف الادراس المحمودين.

وتلقي الادريسي علومه الاولي في المغرب ثم انتقل الي الاندلس حيث قام فترة من الوقت في قرطبة. أتم فيها دراسته ثم رحل الي الاندلس والمغرب ومصر وآسيا الصحوي وزار صقلية واتصل بملكها روجار (Roger 11) فقربه هذا الملك إليه إذ كان مولعا بعلوم الفلك والجغرافيا ووجد في علم الادريسي واتساع أفقه الجغرافي ما جعله في كنف هذا الملك في صقلية وعندئذ عهد عليه روجاز بتصنيف كتاب في صفة الأرض من واقع مشاهداته معلق الإدريسي علي تصنيفه حتي أتمه في سنة ٥٤٨هـ - ١١٨٠م.

هذا الكتاب الزاخر بالمعلومات القيمة التي أضاءت لي جنبات البحث في قابس وهو يعطينا معلومات قيمة بصفة عامة عن مصر والمغرب والسودان والأندلس وقيمتها مستمدة من انها من واقع واسفاره ورحلاته التي قام بها متجولا في كل الأماكن التي كتب فيها وعنها. نشر ذوزي الجزء الخاص باقي هذه والأندلس من نزهة المشتاق في لندن ١٨٦٦م بعنوان:

"Description de L'.a frique et de L` Espeagne"

أما التي استفدت بها فهي طبعة تحتوي علي جزأين من هذا الكتاب والإدريسي في كتابه يسير من الغرب الي الشرق واعتمد ايضا علي عدة مصادر جغرافية أخري مثل كتاب العجائب للمسعودي وكتابه أبي القاسم عبيد الله بن خرداذبة وكتاب أحمد بن عمر العذري وكتاب أبي القاسم محمد من حوقل البغدادي. وكتاب احمد بن يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبي والقياس والمقارنة. وقد لاحظت انه احيانا يبالغ في وصفه لتدمير القبائل العربية لمدن افريقية لكنه في نفس الوقت وصف قابس انها لم تكن من المدن المستهدفة مما يؤكد انها أصبحت مركزا لهم فيما بعد ان كانت تلك المبالغ لتبرير الغزو النورماني بعد ذلك أو ليضفي عليه صفة السلام لقد عاش الادريسي في صقلية حتي أن هذا الكتاب يعرف أحيانا بكتاب روجار وربما يكن وصف تدمير المدن الافريقية علي يد القبائل العربية وصف محايد أو كوقائع حدثت.

• مجهول:

كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار تحقيق سعد زغلول عبدالحميد مطبعة جامعة الاسكندرية ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨ ط-١.

لقد المؤلف أغفل عن ذكر اسمه أو نسبة أو عائلة لكنه وجد في ثنايا كتابه القيم اشارات تدل علي أنه مغربي الاصل وأنه كان حيا في عصرا أمير المؤمنين يعقوب المنصور الموحدي، وأنه كان ينظر بعين الولاء لأحد كبار رجال الدولة حينئذ وهو الشيخ أبو عمر بن أبي يحيي الذي يهدي اليه الكتاب ويطلب

منه حسن الرعاية وكذلك بدا من كتابه أنه صنعه في عام ٥٨٧هـ نظرا للاشارات التي وردت فيه وخاصة بمناسبة سفارة ابن رسول صلاح الدين الايوبي الي المنصور الموحدي، وبمناسبة العمليات الحربية ضد بني غانية.

هذا الكتاب بالنسبة لي مصدر غنيا ومتنوعا من حيث معلوماته الجغرافية والتاريخية الواردة من خلال معارضته لها كذلك وضع قابس وعلاقتها وقد وصف لي بدقة معلومات وفيرة عن المدن حول قابس وأحيانا أجد أنها تشبه ما أورده البكري ويبدو أنه نقل عنه بعض الشيء الي جانب أنه يصفة خاصة زصفة الي بلاد مكة والمدينة وتصوير شعائر الحج مما أعجبني بصفة خاصة، لأنه وصفة جاد بدقة وبمثابة فائقة.

هذا بالإضافة الى انه أشار الى فترة سفارة صلاح الدين وحروب بنو غانية فى نواحى تونس وقابس وهذه فترة زمنية مهمة جداً فى بحثى لأنها زاخرة بالأحداث التاريخية التى يلقى هذا المجهول ضوءاً عليها.

• التجانى:

أبو محمد عبدالله بن محمد أحمد التجانى (كانت رحلته ٧٠٦ الى ٧٠٨ وقد توفى بعدها بأعوام قليلة لم تذكر بالتحديد).

رحلة التجانى قدم لها حسن حسنى عبدالوهاب ط. تونس ـ المطبعة الرسمية بتونس ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٨م ط١. هذه الطبعة قرأتها فى الهيئة العامة للكتاب.

وقد صور الكتاب من طبعته الثانيه هى ط. ليبيا وتونس الدار العربية للكتاب ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م ط٢.

وقد أورد التجانى فى مقدمة كتابه نبذة عن عائلته وقتها فى مقدمته.

لما بلغ التجانى فى الشبابات وقد امتلأ علماً وأدباً ودرساً انخرط فى سلك الكتاب فى ديوان الإنشاء حيث كان يباشر أبوه وأخرون من أقاربه. وقد امتزج فى هذا الوسط الأدبى بثلة من أصحاب القلم المعروفين مثل أبى إبراهيم بن حسينة وأبى زيد عبدالرحمن بن نزار ـ وأبى عبدالله محمد الهوارى وغيرهم وكان انخراط التجانى فى زمرتهم فى مدة السلطان محمد المعروف بأبى عصيدة فى بداية القرن الثامن من الهجرة ولم يكن يستقر فى الديوان حتى ظهرت عليه مخايل النجابة وعلامات الشيوخ فاصطفاه لنفسه كبير الدولة وشيخ الموحدين أبوزكريا بن اللحيانى وقرب منزلته منه ورسمه فى خواص كتابه ـ فلما عزم هذا الأمير على تفقد شئون المملكة وأذاع نيته على محاربة الأسبان المغتصبين لجزيرة جزية وحدد موعد سفره الى تلك الجهات ـ عين أبا محمد عبدالله التجانى، لمصاحبته وفوض إليه الإشراف على رسالته وذلك فى منتصف سنة ٧٠٦هـ ـ (شهر ١٢/١٣٠٦م) فكانت تلك الانتقالات والجولات التى يراها المطالع مبسوطة فى تقييد الرحلة التجانية وتنتهى بعودة صاحبنا الى حضرة تونس فى شهر صفر من سنة ٧٠٨ هـ ـ ١٣٠٨م وقد فارق مؤلفنا مخدومة من تراب طرابلس لأسباب صحيحة وسياسية معاً: فكان أمر الغيبة عامين وثمانية أشهر وأبابا.

ويعود الثجانى بعد رجوعه الى تونس الى ديوان الرسائل ويقيم على خطته السابقة الى أن يرجع مخدومه من تجواله فى الشرق وحجه الى البيت الحرام، طرقت البلاد أحداثاً جامعة أثناء تغييب الأمير غيرت صيغة الحكم من جراء ثورات الخارجين على الملك بمجرد وفاة السلطان الواثق بالله الملقب بأبى عصيدة فى خلال سنة ٧٠٩هـ ـ ١٣٠٨م، وكان هذا السلطان ابن الأمير زكريا بن اللحيانى وزيراً مفوضاً لمباشرة سياسته وذلك من حين توليه سنة ٦٩٤هـ ـ ١٢٩٥م أى مدة خمسة عشر عاماً وبوفاته فتح باب الثورات والتنازع بين المتزعمين من الأسرة الحفصية وهم كل واحد منهم باغتصاب العرش ومحاولة اعتلائه. وفى أثناء هذه الاضطرابات المتوالية كان شيخ الموحدين أبو يحيى زكريا اللحيانى قد عاد من الحج كما أسلفنا واستقر بمدينة طرابلس يراقب الأمور ويتربص حتى سنحت الفرصة له، هجم من مكمنه على البلاد التونسية فى جموع عظيمة من أعراب وحضر ويقصد العاصمة، وتمت له البيعة العامة فى المحمدية(١) من أحواز تونس ٢ رجب ٧١١هـ ١٤/١١/١٣١١م ودخل القصبة وتلقّب بالقائم بأمر الله وتسلم زمام الأمور ومن أول أعماله أن عهد لكاتب سره القديم صاحبنا عبدالله الثجانى برئاسة دواوين رسائله. ومن باكورة أعماله أيضاً إسقاط اسم المهدى الموحدى الثجانى برئآسة دواوين رسائله. ومن باكورة أعماله أيضاً إسقاط اسم المهدى الموحدى من الخطبة وإقامتها لصاحب مصر فى ذلك الوقت: محمد بن قلاوون لما كان بينهما من ولاء ومجاملة.

فى غمار هذه الأحداث لم نسمع بعبد الله الثجانى بعد ٧١٧هـ أن رحلة الثجانى هى بحق من غرر المصنفات التونسية وكانها الوحيدة من نوعها فى وصف البلاد الافريقية والتعريف بعمرانها أوائل القرن الثامن الهجرى وهو أحد العصور الغامضة فى تاريخ تونس الاجتماعى والسياسى لندرة النصوص الواصلة إلينا منه.

وأهم خصائص هذه الرحلة الميسورة أنها تبسط أخبار المدن والقرى التى يمر بها الرجال كل واحدة بانفرادها وتجعله يحيطنا علماً بما مضى من أحداثها مع التعريف بالنابغين من أبنائها من فقهاء وثوار وأدباء وصلحاً سواء قدامى أو معاصرين له.

وهكذا يزور الثجانى الساحل التونسى الزاخر بالعمران قديماً وحديثاً ويمر بصفاقس ثم ينزل الى الجنوب ناحية قابس وجزيرة جربة فيعرفها أحسن تعريف ويعرض لنا الموقع الجغرافى والعقائد والتقاليد والتاريخ والقبائل والمذاهب وكل مايتعلق بقابس من جميع النواحى.

ومن مصادر كتب الفرق الهامة كتاب عبدالقاهرة البغدادى (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٧م) المعروف بـ «الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم» وهو يمثل مع مؤلف ابن حزم الظاهرى (ت ٤٥٦/١٠٦٣م) المعروف بـ «الفصل فى الملل والأهواء والنحل» موسوعتين.

• كتب الطبقات:

تمثل كتب الطبقات أهمية كبيرة فى هذا البحث، حيث استفادت منها الباحثة فى دراسة لمختلف أوجه النواحى الحضارية بالإضافة الى وظيفتها الهامة فى الترجمة لمشاهير الاعلام واحتواءها على معلومات

(١) وتوجد مدينة بنفس الاسم فى المغرب الأقصى

تاريخية غاية فى الأهمية وانفراد بعضهم بها دون المصادر التاريخية المتخصصة.

وهناك من كتب الطبقات، ما خصصه أصحابه للترجمة لطبقات المالكية فى منطقة معينة والتى تهمنا هنا هى كتب طبقات مالكية افريقية، وهى كثيرة، ويأتى على رأسها منصف أبى العرب التميمى (ت ٣٣٣هـ/٩٤٤م) المعروف باسم «طبقات علماء إفريقية»، ويمتاز هذا الكتاب بعنايته الشديدة بالسند الى جانب أن أخبار أبى العرب خا لية من المبالغات، وأنه يشير فى بعض الأحيان الى المظاهر الاجتماعية، مثل حديثه عن ملابس العلماء والفقهاء، واستفادت منه الباحثة فى معلوماته حول المناظرات التى جرت بين السنة والشيعة، الى جانب حديثه عن كرامات متصوفة المغرب، وقيامهم بالأمر بالمعروف.

وهنا أيضاً مصنف ابن النديم (ت ٤٠٠هـ/١٠٠٩م) المعرفو باسم «الفهرست» ومنه استفادت الباحثة بمعلومات هامة حول أصول المذهب الشيعى، ومصنفات علماء القيروان أمثال القابسى، وابن أبى زيد وغيرهم، الى جانب تعرضه لأصل الفاطميين وتاريخهم.

ومن كتب الطبقات ماخصصها أصحابها للترجمة لأصحاب مذهب معين من المذاهب مثل المذهب المالكى، أو المذهب الحنفى، ونظراً لأن المذهب المالكى كان ولايزال المذهب السائد والغالب على سكان أهل المغرب، ولهذا فكتب الطبقات الخاصة بهذا المذهب تعتبر حجر زاوية فى هذه الرسالة. ولهذا اهتمت بها الباحثة ومنها استفادت استفادة كبيرة.

وهناك أيضاً مصنف المالكى (ت بعد ٤٥٣هـ/١٠٦١م) الشهير «رياض النفوس فى طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم» والجزء الأول منه مطبوع بتحقيق الدكتور حسين مؤنس، وفى حين أن الجزء الثانى مخطوط بدار الكتب، ومن موسوعة المالكى استفاد الباحث فى معلوماته حول تفاصيل الصدام بين الفقهاء وبين الشيعة. وعن مناظرات ابن الحداد معهم الى جانب معلوماته عن التصوف فى بلاد المغرب وكرامات المتصوفة ثم حقق هذا الكتاب فى جزءين.

وهناك كتاب الخشنى القيروانى (ت ٤٩٦هـ/٩٧١م) المعروف بقضاة قرطبة وعلماء إفريقية، والخشنى يسجل الأخبار التى يسمعها دون تغيير أو إضافات.

ومن أبرز كتب الطبقات المالكية العامة، يأتى القاضى عياض (ت ٥٤٤هـ/١١٤٩م) المعروف باسم «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب الإمام مالك» فمن هذه الموصوعة استقت الباحثة تراجم اخرى عديدة لأعلام المذهب المالكى فى بلاد المغرب، ومنها استمد معلومات هامة حول تنكيل الفاطميين بالفقهاء والعامة. فضلاً عن ذكره لمتصوفة ا لمغرب وكراماتهم وأحوالهم وسياحتهم فى البلاد، الى جانب استفادة الباحثة منه فى معرفة علماء الأندلس الذين تعلموا فى القيروان وسائر مدن إفريقية. ومما تأخذه الباحثة على الكاتب ضياع بعض تراجم المغاربة منه مثل سعيد بن الحداد، وموسى القطان، وابن المرذون، وعلى مايبدو أنهم سقطوا من النسخة المطبوعة التى رجعت اليها الباحثة من تحقيق أحمد بكير محمود، ومن منشورات مكتبة الحياة بلبنان، ومن كتب الطبقات المالكية العامة أيضا، استفادت انباحثة من طبقات ابن فرحون (ت ٧٩٩هـ/١٣٩٦م) المعروفة باسم «الديباج المذهب فى معرفة أعيان

علماء المذهب» ورغم كون ابن فرحون عاش فى القرن الثامن الهجرى، إلا أنه اهتم بتسجيل علماء المذهب المالكى بإفريقية فجاءت معلوماته دقيقة واضحة ليسقط منا علم من الاعلام، وإن كانت تلك المعلومات فى أحيان قليلة لا تذكر أحداثاً هامة.

ومن كتب الطبقات العامة أيضاً مصنف ابن خلكان (ت ٦٨١هـ ـ ١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، فمنه استفادت الباحثة معلومات هامة حول شخصيات إفريقية، الإمام سحنون، والفقيه القابسى، الى جانب تراجمه الهامة لأئمة التصوف فى بلاد أمثال الثورى، إبراهيم بن أدهم، ذو النون المصرى، البسطامى وغيره.

ويمتاز المالكى فى تراجمه بالإسهاب فى بعض التراجم حتى تصل ترجمته ورجعت الباحثة أيضا الى موسوعة الدباغ القيروانى (ت ٦٩٩هـ/١٢٩٩م) فى طبقات المالكية باسم «معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان» ومن هذه الموسوعة جاءت غالبية معلومات الباحث فى ميدان التصوف، الى جانب وجود لغة رمزية يتخاطبون بها، فضلا عن حديثه حول صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى دخلوا إفريقية وعن مساجد القيروان السبعة، ويمتاز كتاب الدابغ باهتمام صاحبه بذكر تاريخ الوفاة لصاحب الترجمة، وإذا لم يعثر على تاريخ الوفاة يقول «من أقف له على تاريخ وفاة».

ومن كتب الطبقات:

● **الدرجينى:**

أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن على بن مخلف الدرجينى قتبة شاعر ومؤلف ومؤرخ أباضى عاش فى القرن السابع الهجرى الثالث عشر الميلادى. ألف كتاباً فى تاريخ الإباضية عنوانه «طبقات المشائخ بالمغرب، نشره إبراهيم طلاى فى البليدة ـ الجزائر فى جزئين أولهم بمثابة عرض تاريخ لجماعات الإباضية فى المغرب مع بيان نظمهم وتراثهم والثانى فى طبقاتهم المنظمة فى اثنى عشر طبقة. وهو يعتبر تكملة لكتاب السير لأبى زكريا.

أما بالنسبة للدرجينى المؤلف فهو ينتمى لعائلة تسمى بركة تدين بالمذهب الأباضى، كان جده يخلف من يخلف، كان فقيهاً بارزاً مقيماً بضواحى نقطة بالجريد، وكان ابنه ورعا واشتغل بالتجارة مع السودان، وفى إحدى رحلاته سنة ٥٧٥هـ ـ ١١٧٩م أدخل الملك الوثنى لدولة مالى بالسودان العربى فى الإسلام.

أما والد المؤلف فكان متديناً محافظاً، ومستقرا بدرجين السفلى، وقد ذهب المؤلف فى مبخرة الى وارجلان لتلقى العلم، وبقى عامين بها للدراسة على يد مشايخ الإباضية فيها ثم عاد الى الجريد، حيث واصل عمله التاريخى بتوز سنة ٦٣٣هـ ـ ١٢٣٥م، وفى جزيرة جربة كانت إقامته حيث ألف كتاب طبقات المشايخ.

أفادنى هذا الكتاب فى معرفة تراجم المشايخ الإباضيين وأماكنهم، وقد فهمت أن منطقة قابس وجربة لينشر فيها المذهب الإباضى ومن ثانياً الكتب فهمت الكثير عن النواحى الاجتماعية والنظم والعادات

والمعاملات التى تفيدنى فى بحثى.

• السجلات المستنصرية:

تحقيق عبدالمنعم ماجد ط. القاهرة - ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربى طبعة جديدة قد [illegible] [illegible] سنة ١٩٩٣م الموافق ١٤١٣هـ ولكن ليس على الكتاب أى إشارة أنه طبعة جديدة.

أن التاريخ الصحيح يضع الوثائق التى هى من آثار وأفكار السلف وأفعالهم والبحث عنها يعتبر قسماً أساسياً فى مهمة المؤرخ ويأتى فى المرتبة الأولى عنده ويطلق الألمان على الوثائق اسم الهورسطيقا Heuristic بمعنى اتابع المنهج التاريخى.

والسجلات المستنصرية تعتبر مصدراً فى غاية الأهمية من الناحية التاريخية والأدبية لاحتوائها على رسائل صادرة عن ديوان الإنشاء الفاطمى بالقاهرة خلال فترة الحكم للخليفة المستنصر بالله (٤٢٧هـ - ٤٨٧م) (١٠٣٥ - ١٠٩٤م) وابنه الخليفة المستقلى بالله من بعده وعنوانها الكامل «سجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين - صلوات الله عليه. الى دعاة اليمين وغيرهم قدس الله أوراح جمع المؤمنين».

هذه السجلات تستعرض فى مجموعها (٦٤ سجلاً) العلاقات السياسية والدينية بين اليمن ومصر حيث كان الخلفاء الفاطمون يحثون ولاتهم الصيلحين فى اليمن على التدخل فى شئون الحجاز إذ كانوا يتمسكون بشدة بأنه يخطب لهم فى الحرمين الشريفين: مكة والمدينة قبلة جميع المسلمين، وكذلك ظهرت فى هذه السجلات المنافسة الشديدة بينهم وبين الخلافة العباسية لتوطيد نفوذ كل منهما فى «دار السلام» بعامة، والاهتمام الذى أيد الصليحيون لإخضاع تلك الأماكن المقدسة لنفوذهم تمكيناً لسلطان أئمتهم بنى المسلمين جميعاً.

لجأ الفاطميون من جانبهم الى إرسال المال الى الحجاز لمساعدتهم وإغراءتهم.

إضافة الى أن هذه السجلات تعرض لنا موضوعات أخرى متنوعة منها بسياسة داخلية وخارجية ونشرات واحتفالات بمناسبات دينية واجتماعية كمولد ابن الخليفة - عيد الفطر وما الى ذلك، ونحن بصدد السجل رقم (٥) الذى أمكننى بفضله أن أفهم أن أقف على الكثير من الوقائع الحقيقية التى وقعت بين دولة الفاطميين ودولة الزبربين التى حكمت المغرب الأدنى وهى تابعة للفاطميين فى القاهرة غداة إعلان حاكمها وهو المعز بن باديس راية العصيان على تبعيته للفاطميين وتحويل راية الطاعة الى الخلافة العباسية معلنا استقلاله عن سكت الخلافة بالقاهرة.

يستعرض السجل بعد ذلك أخبار العرب الذين أرسلهم لتفويض ملك المعز بن باديس وإعطائه درساً لا ينسى ويلفت النظر أنه بعد إرسال العرب حوالى ٤٤٢ - ٤٤٣ الى ٤٥٥هـ تاريخ كتابة السجل رقم ٥ أنه كان فيه إشراف وترصد للأخبار من جهة الخلافة فى القاهرة وانهم أرسلوا الحسن بن ملهم للتوفيق بين القبائل لانطوائهم تحت راية واحدة وهى الراية الفاطمية وأنه حدث مجلس صلح للسلطان الزيرى وأن شيوخ القبائل دانت بالقبول لحسن بن الملهم وفتح حصن قابس وفرقت السكة المستنصرية ونعير ذلك عين لقابس قائد تابع للقاهرة، وأن الشيوخ بعد ذلك ذهبوا للقاهرة لتقديم الولاء والذهاب للحج عن

طريق القاهرة.. إلى آخر التفاصيل التى تعتبر جديدة فى نوعها.

وقد استفدت كثيرا من هذا السجل من حيث فهمى للغزوة الهلالية وتخليصها كم كبير من الشوائب والأساطير، كذلك أثبت لى هذا السجل أن الغزوة كانت منظمة وتحت إشراف، وليست مجرد قبائل همجية كذلك وهو الأهم إلقاء الضوء على مدينة قابس وأهمية موقعها الاستراتيجى الهام كمدينة متحضرة فى إفريقية وكحصن فتح ليكون مقراً للخلافة الفاطمية فى تونس وشوكة فى جنب الخلافة الزيرية.

اما الرحلات المغربية والأندلسية الاخرى والمشرقية الواردة فى هذا البحث، فقد اختلف مضمونها ومنهجها، فمثلاً «رحلة العبدرى» أو «الرحلة المغربية»، الأندلسى الأصل، المغربى المولد والموطن (بلدة حاحة جنوب المغرب الأقصى) التى قام بها فى نهاية القرن السابع الهجرى، حيث بدأ رحلته نحو البقاع المقدسة بعد سنتين من عودة ابن رشيد السبتى الى موطنه، أى فى ٢٥ من ذى القعدة سنة ٦٨٨هـ/١٢٨٩م. وسار فى رحلته ذهاباً من حاحا الى فاس، تازا، تلمسان، مليانة، الجزائر، بجاية، قسنطينة، بونة، تونس، القيروان، قابس، طرابلس، ثم مصر، والأراضى المقدسة بالحجاز، وفى العودة سلك نفس الطريق تقريبا، وقد بدأ تدوين رحلته حسبما يذكره من تلمسان. وتميز أسلوب العبدرى عن غيره من الرحالة باعتداده المبالغ فيه ببلاد المغرب الأقصى، وتصغيره من شأن غيرها من البلدان، ومن ذلك تركيزه على انعدام الأمن فى الكثير من البلاد التى مر بها. كذلك غياب العلم فقد اثارته ردود شيخ المسجد الجامع فى قابس ووصفه بانه غير متعمق فى علوم الدين.

ورحلة ابن بطوطة (ت ٧٧٠هـ/١٣٦٨م) المسماة «تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الأسفار» التى انفردت عن باقى الرحلات باستغراقها ربع قرن من الزمن، فاحتوت الكثير من المعلومات عن البلاد التى زارها، خصوصاً قابس التى زارها فى ذهابه وايابه أيام بنى مكى.

ومن الكتب الجغرافية المشرقية، كتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموى (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، وهو مرتب على حروف المعجم مثل كتاب الروض المعطار. ومن الواضح انه اعتمد على الكتب المغربية اعتماداً كبيراً، خصوصاً كتب البكرى، حول بلاد المغرب والأندلس. إلا أن ابن فضل الله العمرى (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م) انفرد عن الجغرافيين المشارقة فى الفصول التى أوردها فى كتابه «مسالك الابصار فى ممالك الامصار» حول بلاد المغرب والأندلس، والتى شرع فى كتابتها فى سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م وانتهى منها بعد عدة سنوات، قدم للبحث معلومات جديدة وهامة حول النبات، والحيوانات، وأهم المدن، والموازين والمكاييل، والنقود، والبريد، وكذلك معلومات فى الجغرافية السياسية، من خلال تعرضه للادارة العليا فى بلاد المغرب والاندلس، قطراً قطراً، والحفلات الرسمية، والحكام والجيش، ومن هنا نجد فى بعض هذه الجوانب لديه استدراكاً على مايغفله عبدالرحمن بن خلدون بعده.

واعتمد صاحب مسالك الابصار على نوعين من المصادر، أولهما الكتب المغربية والاندلسية، خصوصاً كتب ابن سعيد الاندلسى. وثانيهما على رواة مغاربة، ومنهم الذين استقروا ببلاد المشرق، فاعتمد عليهم

المؤلف، حيث ذكرهم مصادراً له فى كتابه، وهم: محمد السلالحى، والقاضى أبوالقاسم بن بنون، ومحمد بن عبدالواحد العقيلى، وابن حراز، من المغرب الاقصى والأندلسى، والقاضى أبو الروح عيسى المنجلاتى (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٢م) والطبيب محمد بن القوبع (ت ٧٣٦هـ/١٣٣٥م)، وكلاهما من البلاد الحفصية. ولو انه مصدر متأخر بالنسبة لزمن يحيى الادنى وجدته مفيدا فى بعض النواحى خاصة فى زمن مثل قيام الدولة الحفصية.

ولذلك كتاب «الروض المعطار فى خبر الاقطار» لابن عبدالمنعم الحميرى (من أهل القرن الثامن الهجرى)، السبتى الأصل مثل الإدريسى، يتميز عنه بثقافته الواسعة، ويقل عنه فى موسوعيته الجغرافية، وكتاب الروض المعطار اختلف عن كل كتب الجغرافيين المغاربة والاندلسيين، من حيث ترتيبه مواده على حروف المعجم، ويسير على الاقاليم للتعرف عليها آنذاك. وهذا الكتاب أيضا يحتوى على تراجم ونصوص أدبية متفرقة على العصور والأماكن، فضلاً عن كونه وصفاً جغرافياً.

كتب الطبقات من المكتبة الأندلسية

وكانت حقاً مكملة لكتب التاريخ بما تضمنته من سرد للأحداث فى طياتها، التى ترتبط بالاشخاص الذين ترجمت لهم، فضلاً عن كونها مصدراً أساسياً للعلاقات الثقافية، من حيث رصدها للحركة الفكرية، والمبادلات الثقافية من خلال حركة العلماء والطلبة. وقد اشتهر الأندلسيون باحرازهم قصب السبق فى هذا المجال، ويحتل مرتبة مشرفة بعدهم كتاب المغرب. وأهم هذه الكتب التى استفدنا منها، كتابى ابن الأبار (قتل سنة ٦٥٨هـ/١٢٦٩م) «الحلة السيراء» و«التكملة لكتاب الصلة» (صلة ابن بشكوال)، وكتاب ابن سعيد «المغرب فى حلى المغرب» وكتاب ابن الزبير (ت٧٠٨هـ/١٣٠٨م) «صلة الصلة» وهو تكملة لصلة ابن بشكوال الاندلسى (ت ٥٧٨هـ/١١٩١م)، وكتاب «الذيل والتكملة لكتابى الموصول والصلة» لابن عبدالملك المراكشى (ت ٧٠٣هـ/١٣٠٤م). وهو بدوره تكملة لكتابى ابن الزبير وابن بشكوال، وكتاب «المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا» الذى اشتهر «بتاريخ قضاة الأندلس» وفقا لمحتوياته، للنباهى المالقى الاندلسى (ت ٧٩٣هـ/١٣٩٠م)، وهذا على سبيل المثال لا الحصر ولا يفوتنا ذكر كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة بجاية للغبرينى (٧٠٤هـ/١٣٠٤م) فقد افادنى فى معرفة الناحية الثقافية فى قابس ولجوء العلماء ليستزيدوا من العلم فيها، من بين كتب الحسبة على سبيل المثال: (كتاب آداب الحسبة والمحتسب) تحقيق/ليفى بروفنسال ويضم ثلاث رسائل احداها لابن عبدون والاخرى لاحمد بن عبدالله بن عبدالرؤوف والأخيرة لعمر بن عثمان بن العباس الجرسيقى. كما استعنت أيضاً بكتاب (الحسبة فى الاسلام) لابو العباس أحمد بن تيمية المتوفى سنة ٦١٤هـ.

وقد افادتنى هذه المجموعة من الكتب فى القاء الضوء على نشأة نظام الحسبة والمحتسب ووظيفته ودوره فى المجتمع الى جانب كتب للحسبة لا تقل أهمية مثل ابن الاخوة والعقبانى التلمسانى.

أما كتب الفقه والتشريع الاسلامى وعلى رأسها كتاب (الخراج) لابى يوسف يعقوب ابن ابراهيم المتوفى سنة ١٩٢هـ وكتاب (الاحكام السلطانية) للماوردى. فقد امدتنى برأى الفقه والتشريع الاسلامى فى الملكية العقارية وللامارة على البلدان ونشأة الاقطاع وأنواعه وشروطه وتطوره. ومايعزز أهمية هذه

الكتب المشرقية ان ابن خلدون فى مقدمته قد نشر رسالة الطاهر بن الحسن ووصيته لابنه.

كما استعنت بالكتب التى تتناول النشاط الزراعى، مثل كتاب (مختصر الفلاحة الافريقية) لابن الصوام الاندلسى، وكتاب (الفلاحة) لابن بصال وقد امدنى كل منهما بمعلومات وافية عن الحاصلات الزراعية وطرق زراعتها وريها وتسميدها ومقاومة افاتها.

كذلك كتاب لمؤلف مجهول اسمه (مفتاح الراحة) وهو عن الفلاحة وغرس النباتات المختلفة وطرق تسميدها وأوانها الى غير ذلك.. وهو محقق وطبع فى الكويت.

• من المصادر المتأخرة:

ومنها كتاب (الحلل السندسية فى الأخبار التونسية) للوزير السراج (ت ١١٤٩هـ)، وقد حققه محمد الحبيب الهيلة، وينقسم الجزء الأول من هذا الكتاب الى أربعة أقسام، يختص كل منها بموضوع معين خاص بإفريقية. وقد اعتمد الوزير السراج كثيراً على ابن خلدون والزركشى وابن دينار الذى نقل على ابن الشماع كذلك أورد جغرافية قابس نقلاً عن البكرى وياقوت فهو كتاب مهم فى الجغرافية والتراث، وكتاب (نزهة الانظار فى عجائب التواريخ والأخبار) لابن مقديش الصفاقسى(ت ١٢٢٨هـ/١٨١٣م) و(مؤنس الأحبة فى أخبار جربة) لمحمد بن بوراس الجربى تحقيق محمد المرزوقى وهو من جزيرة حربة.

• المراجع والدراسات:

كما اعتمدت فى انجاز هذا البحث على عدد من المراجع والأبحاث باللغة العربية والفرنسية والانجليزية، ساعدتنى كثيراً فى تحليل الأحداث، وأبراز انعكاساتها على مختلف النواحى السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، والتخطيطية، وكذلك استكشاف امهات المصادر التى تخص البحث، وتوسيع افقه، واستنباط المناهج المناسبة للبحث، بالاضافة الى أهميتها الكبيرة فى التعرف على جوانب هذا الموضوع أثناء القراءات الأولى، قبل وبعد تسجيله، وأثناء الكتابة حتى الطبع.

وقد اختلفت المراجع العلمية التى تم الرجوع اليها فى بحثنا، فاختص بعضها بدراسة تاريخ طرابلس وذكرت فيها قابس واهتم بعضها بتاريخ المغرب أو التاريخ الفاطمى والتاريخ الزيرى وتاريخ مصر وصقلية والاندلس، وكانت المراجع الخاصة بدراسة تاريخ طرابلس وإفريقية من أكثر المراجع مساسا بالبحث حيث كان سلطان قابس يمتد الي طرابلس مثل تاريخ ليبيا منذ الفتح العربى حتى مطلع القرن التاسع الهجرى للدكتور احسان عباس، وهو عبارة عن تاريخ عام ومجموعة كتب الطاهر أحمد الزاوى التى الفها فى تاريخ ليبيا كتاريخ الفتح العربى فى ليبيا الذى يتميز بترتيب الحوادث ونقده لبعض المصادر التى اعتمد عليها الا ان نقده جاء أحيانا متحيزاً بدافع الانتماء لوطنه، وكتابه ولاة طرابلس استفدت كثيراً من ارائه فى هذين الكتابين خاصة فى الناحية السياسية الثقافية، وأخيراً كتاب معجم البلدان الليبية الذى ذكرت فيه قابس ضمنه الذى الفه على غرار معجم البلدان لياقوت (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) مرتب ترتيباً ابجدياً ويتميز هذا الكتاب بانه شمل تقريباً كل المدن والقرى والجبال والعيون والسجنات والآبار الموجودة داخل الاقليم خاصة ان فيها مايمتد الى قابس، كما اضاف اليها

بعض المعلومات التاريخية التى افادتنى، كما استفدت من كتب أوروبية ودراسات مترجمة للغة العربية مثل كتاب الهادى روجيه ادريس عن تاريخ الدولة الصنهاجية ترجمة حمادى الساحلى، وقد قرأتها باللغة الفرنسية قبل ان تصدر ترجمته ومما يلفت النظر انه يتحدث عن القبائل الهلالية على انها كارثة، وقد جاءت الترجمة فيها ايضاحات وهوامش مفسرة أكثر من النسخة الفرنسية، كذلك كتاب جوايتين عن دراسته فى حوض البحر المتوسط والذى ترجمه الاستاذ الدكتور عطية القوصى لقد افادنى هذا الكتاب وأفادتنى ترجمة الدكتور عطية واضافته وتفسيراته فائدة أكيدة فى الناحية الاجتماعية والاقتصادية، كما استفدت من كتب الأستاذ الدكتور محمد البيلى عن الزهاد والمتصوفة والتشيع ودراساته القيمة عن مدن طليطة واشبليه فى اضافة معلومات جديدة والقاء ضوء على ناحية الزهاد والتصوف والتشيع فى المغرب وتعلمت منها الكثير.

واستفدت كثيراً من الدراسات والبحوث والكتب القيمة مثل كتاب الأستاذ الدكتور السيد عبدالعزيز سالم «المغرب الكبير» الجزء الثانى، فهو مفيد الى حد كبير فى الالمام بتاريخ المغرب عامة وتاريخ تونس بخاصة وهو يركز على الفترة التى تمتد منذ الفتح الاسلامى وحتى قدوم الحفصيين.

كذلك رجعت الى كل ماكتبه عن المدن الاندلسية كمثل فى كتبه وتتبعت تخطيط المدن الاسلامية فى اعداد مختلفة من مجلة المجلة وكان اغلبها قد طبع فى مجلد بعنوان بحوث فى تاريخ الحضارة الاسلامية، لقد استفدت بعلم هذ[illegible] وارائه القيمة وكذلك كتب د. سحر سالم عن من شاطبه وقادس وبطليوس ورباط الفتح التى القت ضوءا لى فى كيفية الوصول للمعلومة.

ومن المراجع التى افادتنى بآراء مؤلفها فى دراستى مؤلفات د/أحمد مختار العبادى كدراسات فى تاريخ المغرب والأندلس وفى التاريخ العباسى والفاطمى، وكذلك كتاب الحضارة المغربية عبر التاريخ الجزء الأول للحسن السائح، ومعالم تاريخ المغرب للدكتور حسين مؤنس وكتابه تاريخ المغرب وحضارته، وتاريخ المغرب العربى للدكتور سعد زغلول عبدالحميد، والى جانب هذه المراجع كانت هناك بعض المقالات التى أوضحت بعض جوانب البحث مثل «سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس» للدكتور أحمد مختار العبادى، ومحنة الشيعة بإفريقية فى القرن الخامس الهجرى، وكتاب قيام دولة المرابطين للدكتور حسن أحمد محمود و«الغزو الهلالى للمغرب» للدكتور حسن على حسن، وفترة حاسمة من تاريخ المغرب موقف ليبيا فيما بين قيام الفاطميين من إفريقية ونقلتهم الى مصر للدكتور سعد زغلول عبدالحميد، وكذلك مؤلفات وأبحاث د. حسن حسنى عبدالوهاب.

• عن الدوريات والدراسات :

كذلك استعنت ببعض الدوريات، وماتتضمنه من دراسات تلقى الضوء على الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ومن أمثلة هذه الدوريات بحث للدكتور سعيد عبدالفتاح عاشور عن «العلاقات التجارية القائمة بين بيزا وتونس» ـ وهو فى مجلة كلية الأداب جامعة القاهرة، وقد افادنى كثيراً فى دراسة التجارة الخارجية وعلاقة إفريقية بالدول المسيحية وبحث فى مجلة تاريخ وحضارة المغرب

«يوليو سنة ١٩٦٨» عن «العلاقات بين ايطاليا والمغرب فى العصور الوسطى» وهذه الدراسة باللغة الفرنسية، وبحث أيضاً للأستاذ حسن حسنى عبدالوهاب عن «قصة الثقافة فى تونس» و«معاهد التعليم الكبرى فى إفريقية» وهما فى مجلة الندوة، تونس عدد مايو ١٩٥١، ولذلك كتبه ودراسة الأستاذ عثمان الكعاك عن أميه بين الصلت وسفارته الى مصر وعن أن الأفضل بدر الجمالى سجنه ستة عشر عاماً امضاها فى العلم والقراءة وفى هذه الدراسة نشرت عام ١٩٣٠ فى المجلة الخلدونية، وقد أفادنى فى توثيق استمرار الصلات بين بنى زيرى والفاطميين، وكانت للدراسات الأجنبية وخاصة - الفرنسية والإنجليزية - أهمية فى بحثى هذا حيث القت أضواء على مختلف النواحى والأنشطة وعلى النشاط الاقتصادى وخاصة التجارى منه - وكانت المصادر العربية قد اغفلتها ولم تكتب بتوسع عنها منها كتاب General de Bey liery Kalaa de Beni Hammad كذلك تابعت نشرات الحفريات التى قام بها De belyier بمساعدة الباحثين معهم ومنهم Ferchiou Naidé الذى نشر بعض نتائجها فى Les Cahiers de Tunisie عن موقع قابس على خليج سرت، كما نشرت فى مجلد مستقل ط١٩٠٧م - ١٣٢٧هـ - فى باريس والجزائر.

والحق ان استفدت من الدراسات التى نشرت فى هذه الدورية وغيرها مثل Revue Tunsicnne وغيرها فى معرفة دراسات الاثريين ونتائج حفرياتهم وابحاثهم وقد ساعدت هذه الدراسات فى الاستدلال على معلومات تخطيطية فى قابس في بحثى هذا ولا تنسى ذكر كتب العملات والنقد الأجنبية مثل مجموعات Lavoix وكتاب المقريزى والقلقشندى وغيرهم وابن خلدون من جمع الاب انستاس كرملى. بعنوان : رسائل فى النقود العربية والاسلامية وعلم النميات . ط القاهرة مكتبة الثقافة الدينية ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الأول

خطط قابس وتطورها

اسم قابس

موقع قابس

اسلوب العمارة القابسية وطابعها

المسجد الجامع

مساجد الأضرحة

قصر العروسين

ساحة القصر

رياض القصر

القصبة

الأسواق

الشوارع

عمارة الدور والمنازل في قابس

منشآت قابس الصناعية

الأسقفية

البيعة اليهودية

المقابر

السجن

السور والخندق

الأرباض

الساحات

منارة قابس

المرفأ

الفنادق

الرباطات

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم قابس : -

قابس مدينة أولية موغلة في القدم[1]، وربما ترجع إلى زمن الفينيقيين[2]، الذين أرسوها ميناءً ومصرفاً تجاريًا من المصارف الشرقية لقرطاج[3]، ومحطة بضائع لها وجزءًا مهمًا من ولايتها، ثم تحولت لمستعمرة مزدهرة في العصر الروماني وأصبحت تسمى تاكابي: Tacape, Which irrigated place بمعنى المكان الرطب المروي[4]، وكانت من أهم الأسكلة الرومانية[5]، يبدو أن كلمة قابس تعريب للاسم اللاتيني تاكاباس ، وهو صيغة المفعول من الكلمة اللاتينية تاكابي التي جمعها تاكاباي وربما تكون الكلمة اللاتينية ترجع إلى أصل بربري وهو مالا نعرفه تحديداً ،

---

(1) أثبتت الحفريات والبحوث التي قامت بها بعثة قسم الآثار بتونس بالتعاون مع البعثة الفرنسية وجود إنسان العصر الحجري في واحة قابس ، بدليل أنها وجدت بعض الأدوات البدائية وأثار طبقات نباتية أصلية عريقة في القدم ، وبعض عظام حيوانات وقد وجدت هذه الآثار بالتحديد في منطقة وادي المكاريث شمال شرق واحة قابس ، كذلك فإن المتعارف عليه تاريخياً أن البربري الأول قد استقر بواحة قابس عندما هاجر من الشرق في هجرة من هجرات اليمن التاريخية إثر تصدع سد مأرب ، لما تتمتع به تلك المنطقة من مياه غزيرة ومزروعات.

عبد الوهاب بن منصور، بالقاسم جراد : لمحة تاريخية عن واحة قابس - المؤتمر الأول للواحات في تونس ص ٥ وما يليها.

(2) قوم ينحدرون من آل سام وهم شعبة من الكنعانيين جاءوا من صور وصيدا وجزيرة إرواد ، واشتهروا بالتجارة وكذلك بصباغة الثياب الحريرية باللون الأحمر الأرجواني واستخرجوه من محارات الموراتكس على ساحل صيدا، فأرسوا معامل صباغة شمال صيدا تسمى فورفيزون بمعنى مدينة الأرجوان ، بل إن كلمة فينيكس phoinix تعني اللون الأحمر وهي المقطع الأول من فينيقيا ، كما أن كلمة كينج في اللغة الفينيقية تعني الحمرة، وسميت منطقة استيطانهم phenicina أو فينيقيا، وكانت لهم صلات تجارية مع قدماء المصريين فقد أشارت برديات تل العمارنة إلى سكان الساحل الفينيقي باسم كناهه Kinaknkhi أو كناهو Kinahn بمعنى كنعاني أو كنعانيون لذا نجد أن كلمة فينيقي موافقة لكلمة كنعانيون:

أ - سيد عبد العزيز سالم. صيدا: ط بيروت ط١ - ص ١٠١.

ب- محمد الصغير غانم : التوسع الفينيقي في غربي البحر المتوسط ط بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢ - ط٢ ص ٢١.

(3) قرطاج هي قرطاجنه إفريقية وبينها وبين تونس عشرة أميال - وهي قرط حدشت بمعني المدينة الحديثة لأن سبقتها أوتيكا على خليج سرت - وتؤكد الأبحاث الأثرية في منطقتها إنها كانت مقسمة إلى أحياء متميزة حسب الطبقات الاجتماعية أهمها حي بيرصا التجاري المحاط بسور قوي ويتوسطه معبد الإله أشمون وكان هناك ثلاثة شوارع تنحدر من نفس الحي لتربطه بالساحة العمومية والميناء المزدوج. كانت أبنيتها شاهقة من عدة طوابق وكان هناك حي ميغارة أو ميجارة بمعني المجاور لحي بيرصا والميناء:

- الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار ت. إحسان عباس ط بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٠م ط ٢ ص ٤٦٢.

- محمد الصغير غانم التوسع الفينيقي من ص ١٠٧ - ١٠٨.

(4) مستخرجة من الانترنيت : مفتاح تونس ومدنها HTT Foccus Mmou Tunis.

(5) كلمة أسكلة في الجغرافية اسم يطلق في حوض البحر المتوسط أو على المدن التجارية وهي من سكالا Scala أي المكان الذي يوضع فيه سلم للتفريغ والنزول من السفينة ، انظر بيار جورج Pierre Goerges معجم المصطلحات الجغرافية ترجمة أحمد الطفيفي وهيثم اللمع ط بيروت (بدون) ص ٣٦.

وإن كانت تدل على وجود أداة التعريف القومية البربرية (التاء) [١]، وقد تكون التاء استعملها البربر بدلاً من السين في الكلمة اللاتينية Scaphai وهي كلمة مؤنثة معناها قارب خفيف وتعطي معنى آخر " المعدية أو الجسر[٢]، أما إذا رجعت إلى الأصل اليوناني فتجد أنها اسم بمعنى حوض Scaphai أو نفق أو قناة Tube أو مركب مجوف كلمة Scaphai[٣]، وترجح الباحثة أن هذه الكلمة ذات مقطعين أولهما مقطع Taki وهو اسم يرجع أصله إلى اللغة الكلتية القديمة[٤]، بمعنى مركب شراعي أو معنى مجري السفن[٥]، أما المقطع الثاني cape من الكلمة اللاتينية caput ويعطي معنى آخر وهو جزء من أرض داخلة في البحر Head Lands ومعنى ثانيا: مقدمة السفينة[٦].

ويقول ياقوت الحموي في معجمه[٧]، إن كان عربياً فهو من: أقبست فلاناً علماً وناراً، أو أقبسته فهو قابس ، ولقد قال تعالي على لسان سيدنا موسى عليه السلام "لعلي آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى" [٨]. وجاء في لسان العرب[٩]: والقابس طالب النار ، وهو فاعل من قبس ، والقوابس الذين يقبسون الناس الخير أي يعلمون" ، وعندما فتحها الموحدون ، قال الشاعر: –

واقبستم نار الهدى خلف قابس وعنيتم فسلهم حورياتها العين[١٠].

---

(1) Encyclopedie de L'islam – Edit, Paris 1986 – 2e Edit V4, P. 357.

– أنظر دائرة المعارف التونسية كراس ٤ ، ط تونس ، ١٤١٤هـ/١٩٩٤ ، ص ١٠٠.

– محمد المرزوقي: قابس جنة الدنيا ، ط. القاهرة ، الخانجي ، ١٣٨ هـ / ١٩٦٢م ، ص ٣٠.

(2) Latin – English Dictionary, London 1866 P. 619.

(3) A. Lexicon: greck – English Lexicon, Oxford 13e edit P. 554.

(٤) الكلتيين أو الكيلت Celts واليونانية Celtos قوم ينحدرون من الغال القدماء وهم جماعات من سكان أوربا الأقدمين وقد هاجروا واستوطنوا سواحل إفريقية والأندلس.

- See the world Book Encyclopedia United Slates of America. 1999 – V3, P. 307 – 308.

- انظر سحر سالم : شاطبة : الحصن الأمامي لشرق الأندلس في العصر الإسلامي ط إسكندرية ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م ص ٣.

- تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي ط إسكندرية ١٤٠١هـ/١٩٨٩م ص ١٤٤.

- انظر ايفارلسلر : الماضي الحي ترجمة شاكر إبراهيم ط القاهرة ١٤٠١هـ ١٩٨١م ص ٢٦٤.

(5) The Lexicon WeBster Dictionary V. II, P. 999.

(6) Ibid. VI, P. 148 & See The world Book Encyclopedia – United States of America 1999. V3.P.308

(٧) معجم البلدان ج ٤ ص ٢٨٩.

(٨) سورة طه آية ١٠.

(٩) ابن منظور : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد بن القاسم بن منظور الإفريقي المصري (ت. ٧١١هـ – ١٣١١م) لسان العرب ت. عبد الله على الكبير – محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشاذلي ط القاهرة دار الشعب ١٤٠١هـ – ١٩٨١م ص ١ ج ٥ ص ٣٥١٠ مادة قبس.

(١٠) ابن عذارى : أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي من رجال القرن السابع من الهجرة الثالث عشر ميلادي. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ت. محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت وآخرون ط بيروت والدار البيضاء ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م. ج٣ قسم الموحدين ص ٢٤٦.

موقع قابس :

تقع مدينة قابس في الجنوب الشرقي من إفريقية[١]، على خليج يحمل إسمها وكان قديماً يسمي خليج[٢]، سرت[٣] الصغير (تميزاً له عن خليج سرت الكبير الموجود في طرابلس[٤]، الغرب) وقابس جنوب مدينة صفاقس[٥]، التي تقع في أول عمق هذا الخليج وهي تقع بين صفاقس وطرابلس وذكر المؤلف المجهول صاحب الاستبصار أن المسافة بينهما ثمانية أيام[٦]، ويقول ياقوت : إنها ذات أودية وإنها من عين خرارة تأتيها من الجبل في جنوبها ولها أودية وعيون كثيرة أكبرها عين سلام وعين الأمير وكما أن ساحلها مرفأ للسفن فإن أطرافها تقع على الصحراء الموصلة للطرق التجارية الرئيسية. يصفها اليعقوبي[٧]، (ومن طرابلس على الجادة[٨]،العظمى إلى مدينة يقال لها قابس عظيمة على البحر الملح عامرة)، ومدينة قابس مدينة بحرية صحراوية فإن الصحراء متصلة بها ، والبحر على ثلاثة أميال منها[٩].

---

(١) إفريقية هي الاسم الذي أطلق على المغرب الأدنى والذي يقابل الآن جمهورية تونس الحالية وجزء من الجزائر وجزء من طرابلس.

- ويقول اليعقوبي : (ابن يعقوب بن واضح ت.٢٨٠هـ) إن قابس هي أول أعمال إفريقية (ولاية أفريقية).
  - البلدان ط بيروت ص ٢٥٤.
  - انظر البكري المسالك والممالك ط تونس ١٤١٢هـ ١٩٩٢م ، ص ٦٨٧.
  - انظر حسين مؤنس تاريخ المغرب وحضارة ، ط القاهرة ١٤١٥هـ ، ١٩٩٢م ط ٣ ص ٢٠٤.

(٢) الخليج من البحر شرم منه والخليج منقطع من معظم الماء لأنه يحيد منه وعلى هذا فإن لفظ "خليج" قد يطلق في اللغة العربية ويراد به الترعة أو النهر يقتطع من النهر الكبير أو جزء من بحر يحيط به الأرض من كل جهات ما عدا جهة واحدة هناك ألفاظ في اللغة العربية مدينة في معناها من المعنى المتقدم. للخليج مثل الخور ، الشرم ، الجون ، فالشرم مثل شرم الشيخ في شبه جزيرة سيناء والخور تستعمل مثل خور الزبير في منطقة الخليج العربي أما الجون فنجد الأدريسي يستعملها ليصف الخليج:

- انظر ابن منظور: لسان العرب مجلد ٢ مادة خليج. والفيروز آبادي القاموس المحيط ط القاهرة البابي الحلبي ط٣ ، ١٣٧٢هـ ١٩٥٢م ، ص ١٩٣٠.
- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ط دار المعارف ط١ ، ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م ، ط٢ ج١ ص ٢٤٨ نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. ج٢ ص ٢٧٩ وما يليها.

(٣) يري بروكيبوس القيصري في كتابه عمائر جستنيان أن تسمية سرت جاءت من الكلمة اللاتينية والتي تعني السحب وذلك لأن السفن كانت إذا دفعتها الرياح إلى هذا الخليج لا يمكنها العودة ويبدو منذ تلك اللحظة وكأنها تسحب. نقلاً عن عمران عبد السلام الصفراني: السيادة على الخلجان التاريخية والسيادة العربية الليبية على خليج سرت. ط جامعة قاريونس بني غازي ١٤١٤هـ ١٩٩٤م ، ط١ ص ٢٨ – ٢٩.

(٤) طرابلس مدينة على شاطئ البحر ، والبحر لاصق بها ، بني جامعها أحسن مبني وكلمة طرا معناها ثلاث ويليطة في لغة اليونانيين مدينة أي ثلاث مدن وتلس غربها وبينها ثمانية منازل ، انظر ياقوت معجم البلدان ، ج٤ ص ٢٥.

(٥) صفاقس: مدينة من نواحي إفريقية جل غلاتها الزيتون وهي على ضفة الساحل بينها وبين قابس ثلاثة أيام، المصدر السابق ، ج٣ ، ٢٢٢.

(٦) نفس المصدر ج ٤ ، ص ٤٧٩.

(٧) البلدان ص ٢٤٦.

(٨) في اللغة جادة الطريق تعني سواء الطريق السوي وجمعها جواد : مفردها جادة الطريق ويعني هنا الطريق الكبير للبريد والحج والقوافل ، انظر بن منظور : لسان العرب ، ج١ ص ٥٦٢.

(٩) التجاني ابو محمد عبد الله بن أحمد، ت. بعد ٧١٠هـ – ١٣٣٢م. ط الدار العربية للكتاب ١٤٠١هـ ١٩٨١م ط٢ ص ٧٨.

وهي حاضرة البحر من أعظم أمصار إفريقية[١]، وهي تعد أيضا من بلاد الجريد [٢]، وصفها كاتب موحدي (المدينة العتيقة روح هذه الجهات الإفريقية ومعناها وقفلها الذي يحمي حوزتها ويكف عداها ، ومنعتها التي لا يتهيأ لمفسد أن يتخطاها إلى أذيتها ويتعداها .. يتفجر خلالها الماء العذب) ويلتقي بها الركاب والركب. وتحدق أرجاءها الجنات والأعناب والحدائق الغلب وتجتمع فيها أصناف الثمر المتخير والحب)[٣].

كان ساحل قابس مرفأ للسفن المتوسطة التي تأتي إليها من كل مكان، لتدخل خليجها المتفتح على الشرق من جهة، وعلى أوروبا وبقية دول القارة الإفريقية حيث يكمن الذهب والنفائس من جهة أخري ، وهذا الخليج ربطها مباشرة بطرابلس[٤]، وبخليج سيرتا الكبير ومنها إلى الشرق ونحو الغرب منه إلى خليج تونس وباقي خلجان البحر المتوسط من جهة أخري[٥]، فكما كانت معبرا للطرق البرية صحراويا بين الشرق والغرب ، وبين الشمال والجنوب ، وكانت معبرا ساحليا وبحريا ليمر بالمدن الساحلية والمواني[٦]، ومما لا ريب فيه ، كان لكل هذا أثره في رواج تجارتها الداخلية والخارجية ، وجعلها دائما مطمعا لكل من أدرك أهمية موقعها على مر العصور ؛ إن قابس تتحكم في المجاز الضيق الذي يقع بين منطقة الشطوط والسبخات[٧]، وبين البحر[٨]، الذي يربط عن طريق البر بين تونس[٩] والقيروان[١٠] ، والمغرب كل من جهة ، وبين طرابلس والمشرق من جهة أخري[١١]، وقد كانت المراكب خلال القرون الغابرة تصل إلى حد ميناء قابس ، الذي كان يعني نقطة الوصل الملائمة بين التجارة البحرية أو البرية ، وبين

---

(١) ابن خلدون د. عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ٨٠٨هـ - ١٤٣٠م ، ط بيروت ط٢ ج١ ص ١١١.

(٢) مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ص ١٠٥ و ص ١١٢. والجريد : بلاد في إفريقية على طرف الصحراء كثيرة النخيل ، لذا سميت بالجريد وهي فيها واحات كثيرة خصبة وكثيرة الفواكه والثمار لوفرة المياه بها ــــــــ -

(٣) رسائل موحدية ت. ليفي بروفنسال ، رسالة ٣٠ ط رباط الفتح، ط١ ص ١٩٠.

(٤) موسوعة تاريخنا ، ط ليبيا ط١ ج٣ ص ١٢٢.

(٥) نشرة المؤتمر الأول للواحات التونسية ، ص١ - ٢ وما يليها.

(٦) ابن فضل الله العمري قطعة من تح/ حسن حسني عبد الوهاب : كراسات تونسية المجلد ٩ - ٣ لسنة ١٩٧٢ ص ١١٢.

(٧) السبخات مفردها سبخة في علم المياه هي قاع حفرة مغلقة خالية من النبات تتميز بظهور مكونات ملحية على السطح خلال فترات الجفاف وتكون أطرافها مغطاة بأعشاب قصيرة متأقلمة مع الملح. وأكبر سبخة هي تاكمرت أو شط الجريد هذه السبخات في حد ذاتها تكون ثروة اقتصادية أو يستخرج منها الملح وهو عنصر هام جدا في التجارة مع البلاد حيث وصل في بعض الأحيان أن الأقاليم الحارة في الجنوب من القارة الإفريقية تدفع ثمنه ذهبا. وأرض قابس وما حولها بها العديد من السبخات جورج بيار Pierre gorges معجم للمصطلحات الجغرافية ، ص ٤٤٦.

- انظر روبار برانشفيك R.Brun shevik : تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ترجمة حمادي الساحلي ط دار الغرب الإسلامي ، ط١، ج١ ، ص ٣٤٥..

(٨) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة.

(٩) اسمها الأول ترشيش لها مرسى وبحرها اسمه رادس ، فتحها حسان ابن النعمان وفيها دار صناعة كان عبد الملك عبد مروان وجه إلى معسكرها ألف قبطي يعملون بها لتكون لسواة قوة وعدة للمسلمين. أنظر البكري : المسالك والممالك ج٢ ص ٦٦٥

(١٠) القيروان مدينة في بساط من الأرض بنيت سنة ٥٠هـ ، في الجوف منها بحر تونس وفي الشرق بحر سوسة والمهدية وفي القبلة (الجنوب) بحر صفاقس وقابس. البكري المصدر السابق نفس الجزء ص ٦٧٥.

(١١) نشرة المؤتمر لواحات تونس ص٢ - ٣.

التجارة الصحراوية وكان المسافر يصل بسهولة إلى واحات منخفض الشطوط[1]، (سبخة تاكمرت) إلى جانب وضعها الاستراتيجي.

خصائص الموقع :

بنظرة عامة على جنوب أفريقية حيث تقع مدينة قابس : نجد المناظر الطبيعية المختلفة : مشهد أشجار النخيل الباسقات أو ما دونها من الغابات والحدائق وبين السهول المترامية بالتقابل مع الدور المنتظمة في صورة واحات وقرى ومداشر[2]، وبين خيام البدو الرحل تتجمع الحياة النباتية والبشرية حول ينابيع المياه أو الشعاب المنحصرة بين الجبال والصحراء والبحر[3]، هذا إلى جانب السهول المذكورة نستدل من ذلك أن واحة[4]، قابس تنقسم إلى ثلاث مناطق رئيسية كبيرة - منطقة جبلية ، منطقة السهول ، ومنطقة ساحلية. يشتمل الساحل على عدة بحيرات مثل بحيرة بوغرارة عند جزيرة جربة[5]، ويلتحم كل هذا مع الصحراء الكبرى ليصبح المسرح الجغرافي مكتملا والمنطقة الجبلية تقع نحو الجنوب الغربي من قابس وهي جبال مطماطة[6]، التي تمتد من الجنوب الغربي لتنتهي في جنوب طرابلس بجبل نفوسه مكونة فقط

---

(1) أي بلاد الجريد وما بعدها (انظر الخريطة) لقد كانت قابس منفذا للعبور وقاعدة استراتيجية هامة تمر بها خطوط الليمس الدفاعية التي تصل إلى ما حول جبل الأوراس الدفاعية في المغرب الأوسط وعن وضعها هذا يقول د/ سعد زغلول أن قابس كانت كحلق الزجاجة (انظر تاريخ المغرب ، ج١ ٧٤).

(2) المداشر جمع مدشر وهي مجموعة بيوت من طين بدون سوق ابن خلدون المقدمة ص ٣٢٢.

(3) انظر ديبوا Depois : تونس الشرقية ترجمة الصادق لمازيغ ، ط تونس ط١ ص ٨٨ وما يليها.

(4) لاحظت الباحثة أن هناك اختلافا في أقوال الجغرافيين ، فمنهم من وصف قابس كمدينة مثل البكري والإدريسي ، ومنهم من وصفها بالواحة ، وقابس تجمع بين الاثنين ، فهي مدينة ذات حصن حصين في وسط واحة ، وواحة بمعنى إقليم جغرافي أو ولاية قابس أو منطقة قابس ، التي تتكون من عدة واحات متصلة نذكر منها كتانة ، الحامة ، تبلبو ، الزارات ، مارث... والواحة قد تكون جبلية مثل منطقة قفصة أو صحراوية مثل دوز أو قبلي أو بحرية مثل قابس وهذه الواحات بأنواعها نجدها في جنوب إفريقية وطرابلس وبرقة وهذا التعريف مصري منذ القدم حيث يمتد أثره ليشمل كل الشمال الأفريقي والواحة جغرافيا هي أرض منخفضة عن سطح البحر يتم زراعتها على مياه الآبار والعيون التي تسمي بالمياه الجوفية لأن البيئة الصحراوية أو شبة الصحراوية تكون الأمطار فيها قليلة فأمطار قابس لا يتعدى عن ٢٠٠ ملي في العام. وينتج عن ذلك أن السكان أما أن يكونوا متفرغين للزراعة أو بدو رحل يسكنون الخيام ويتنقلون حسب المرعى والعشب.

- انظر المصدر السابق نفس المكان

- & See Habib Attya: L' organisiation de l'oasis. Les cahiers de tunisie 1957 No. 17 – 18, PP. 39 – 44.

(5) جزيرة جربة هي جزيرة في خليج قابس وبينها وبين قابس مسافة قصيرة وقد وصفها التجاني في أروع وصف. للاستزادة انظر الرحلة ص ١٠٣ وما يليها.

(6) الجبال لها أسماء عامة وأسماء محلية على حسب المنطقة مثل سلسلة الجبال المذكورة ، في قابس تسمى مطماطة على اسم أشهر قبيلة تسكنها ومنهم النسابه البربري سابق من مطماط ، وفي بلاد الجريد تسمى بجبال طباقة وفيها هضاب الظهر أو جبال الظاهر، أما في طرابلس نجد أنها أخذت اسم جبل نفوسه على اسم أشهر قبيلة سكنته ، وكذلك اسم جبل دمر الذي يقع في جنوب قابس ضمن هذه السلسلة ، وتوجد منطقة منه تسمى غمراسن وهو اسم للناحية من الجبل ، إن البربر قد سكنوا هذه الجبال وجعلوا منه خطا دفاعيا لحماية ممتلكاتهم وبخاصة أثناء الغزوة الهلالية. التجاني : الرحلة ص ١٤٣ – ١٨٥ – ١٨٧ – ١٩٧. الوسياني : أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني (من رجال القرن السادس من الهجرة – الثاني عشر من الميلاد) ، السير مخطوط في الهيئة العامة للكتاب ، ميكروفيلم رقم ٨٤٥٣. ورقات ٤٨ – ٥٢ . وفي صفحات كثيرة تحدث عن جبل نفوسه ووصفه :

- See André Louis : Tunisie du sud. Paris 1975 PP. 18 – 35.

من سلاسل الجبال (جبال الظاهر) التي يمتد منه جبال مطماطة وجبل دمر وجبل الأبيض مكونة بصخورها ، ومع الصحراء منظراً ذا خاصية معينة في مواجهة خليج قابس.

ومنطقة السهول الممتدة من ناحية الساحل حتى تتوغل في الصحراء، وهي سهل أو منخفضات الجريد أو الشطوط مثل شط الغريبه وشط الفجاج أو الفجيج[1]، أما السهول الرئيسية في منطقة قابس سهول الأعراض والجفارة وتكون الجزء الأكبر من منطقة قابس بمراعيها والنطاق الزراعي بها[2]، أما المنطقة الساحلية : قابس تقع في عمق خليج سرت الذي يكون تجويفا دائريا كبيرا في أرض منطقة قابس التي تقع مدينتها على بعد أميال من شاطئه[3]، فيكون شرماً صغيراً تدخله المراكب المتوسطة والصغيرة[4] وأشار ابن خلدون[5]، إلى أهمية الموقع الساحلي ، وذلك أن قرب المدينة من البحر يسهل الحاجات القاصية من البلاد النائية.

أسلوب العمارة القابسية وطابعها :

لقد احتلت العمارة الإسلامية مكانة بين فنون العمارة المختلفة ، واستطاعت أن تصنع لنفسها أسلوباً فريداً بين تلك الطرز ، وأضافت للتراث المعماري نظماً تخطيطية لم تكن معروفة من قبل ، كالمساجد والزوايا والمدارس والخانقاوات وغير ذلك من ناحية. ومن جهة ثانية أدخلت على نظم العمارة المدنية والحربية أنظمة جديدة جعلت لها طابعاً فريداً مميزاً ، وذلك فضلاً عن عما ابتكرته العمارة الإسلامية من بيوت بُيوتاً معمارية وزخرفية عديدة اتسمت بالمهارة والتنوع والدقة البالغة وبقيمتها الفنية والجمالية التي لا تخطئها العين ، ومن الحقائق المعروفة في تاريخ العمارة والفنون أن الأساليب المختلفة تتأثر في مراحل تطورها بعدد من العوامل العامة تختص بالبيئة المحلية. وقد ساهمت في نشأة وتطور العمارة الإسلامية عدة عوامل ، دينية وسياسية واقتصادية وبيئية. ويمكن القول أن هذه العوامل تكاد تكون متشابهة في معظم أقطار العالم الإسلامي ، مما زاد من الروابط التي تربطها ببعضها توثيقاً ، وهو الأمر

---

(١) ديبوا: ص ٨٦ – ٩٣.

(٢) وأنظر André Louis – Tunisie du sud – PP. 1975 P. 18 – 35

(٣) الأدريسي نزهة ج٢ ص ٢٧٩.

(٤) Frechiou Nàudé: L'occupàtion du sud de la province Romaine d'afrique du. 1° sicle aprés: j.c. la petité syrte et le Djerid : cahier de Tunisie 1972 – P. 65 – 99.

وهى نتائج أبحاث هذا الأثري الذي كان مساعدا للأثري جنرال هيلاري الذي انحسرت ابحاثه في منطقة خليج سرت كما قام بحفريات في قلعة حماد.

(٥) المقدمة ص ٤٤٤ أما موقع قابس حديثاً : تقع قابس جغرافياً في الجنوب الشرقي من أفريقيا يحدها من الشرق البحر الأبيض المتوسط على طول خليج يحمل أسمها على طول ٨٠ كم من الشمال تحدها ولاية صفاقس وولاية سيدى ابى زيد ومن الغرب توجد ولاية جبلى أو قبلي وتفصة وفي الجنوب تجد ولاية مدنين مساحة الولايات ٧١٦,٦٢٦ هكتار. وتمثل هذه المساحة ١٤,٦٠٠ من تراب أفريقية – تونس – اليوم – وعدد سكانها ٣٢٣,٧٠٠ نسمة في مناخها خصوصيات فهو مناخ يتسم بالازدواجية فهو مناخ ساحلي جاف صحراوي وتبلغ بسبة الأمطار ١٨٠ ملم في الساحل ٢٢٣مم في جبال مطماطة. كانت مساحة قابس قديماً أوسع وقد انقسمت جزيرة جربه إلى ولاية مدنين التي تحتل مكانة جغرافية متميزة في أقصى الجنوب الشرقي ولها حدود وسواحل بحرية تمتد ٤٠٠ كم وهى ما يمثل ثلث السواحل الافريقية لها حدود برية وميناء جوى طاقه استيعابه مليون و ٥٠٠ مسافر حدودها البرية مع بيان وهي منطقة عبور الشرق والمغرب مساحتها ٩,١٦٧ كم ما يمثل ٥,٦٠ من المساحة الإجمالية للبلاد وثلثاها تملأة المراعي الواسعة وهى تمثل بدورها ١ / ١٠ المراعى التونسية لكل عدد السكان ٤١٨,٠٠٠ساكن فيها ، لسبة السكان الحضريين ٦٥%، أما الريفيين ٣٥% تنقسم قابس إلى ثلاث مناطق طبيعية رئيسية كبرى.

١– منطقة جبلية : جبال الظاهر. ٢– منطقة الجيفارا : وهي الجزء الأكبر للولاية بسهولها ومراعيها.

٣– المنطقة الساحلية : على خليج قابس.

الذي أضفى على الطراز الإسلامي طابعه الذي يتسم به طابع الوحدة الظاهرة التي لا مجال لإنكارها أو التشكك فيها ، على الرغم من احتفاظ كل قطر بطابع مميز خاص به. وفي ضوء ما تقدم يمكن القول إنه يوجد طراز إسلامي عام تفرعت عنه عدة طرز محلية. فقد كان كل قطر من الأقطار الإسلامية قد اتخذ لنفسه سمات خاصة مستقلة يتميز بها، في قليل أو كثير، عن بقية الأقطار الإسلامية بمعنى أن كل قطر تميز بسمات خاصة استقل بها في أكثر أو أقل عن بقية الأقطار الإسلامية وهو يتأثر في ذلك بعوامل البيئة المحلية وما كان يصاحبها. وتلك السمات قد تكونت من استقرار في الأوضاع الاجتماعية وتحسين العلاقات الخارجية التي كان لها أثرها البالغ في تبادل التأثيرات المعمارية والفنية وبالتالي في أثر كل طراز من هذه الطرز[1]، وعندما نتحدث عن طابع مدينة قابس المعماري وتخطيطها لا بد أن نتذكر أنه قبل الإسلام كان طابعها فنيقيا تجاريا كميناء ومصرف من مصارف قرطاج لتعبئة البضائع. وبعد ذلك أخذت الطابع الروماني ، و سيطرت على الطرق الاستراتيجية الرومانية[2]. وكل طابع كانت له خصائصه المعمارية سواء كان طابعا دينيا أو مدنيا. تبدلت تلك الطوابع العمرانية السابقة مع دخول القيم الجديدة للدين الإسلامي بعد الفتح الإسلامي ، فتكونت حالة عمرانية متناسقة من التعاليم الإسلامية ، وتراث المدينة القديم. تغلب الطابع العسكري الإسلامي الديني ، ويلاحظ ذلك في كثرة المساجد والرباطات والجوامع والزوايا والمزارات والتكنات والتحصينات في المدينة وعلى الساحل وعلى أطراف الطرق الصحراوية[3]. كما أنها مركز تجاري فقد أصبحت بعد ذلك مركز إشعاع للدين الحنيف ، إلى جانب أنها أصبحت فيما بعد موئلا للإباضيين[4]، الذين كونوا فيما بعد جانبا من سكانها. وكان لهم في مساجدهم الخاصة طابع خاص وقد استخدمت في قابس وفي أغلب طرق المدن الإفريقية مواد السابقين من الرومان والبيزنطيين لذا قلما نجد آثارا لأبنية الأول في قابس ، ولكننا نجد الأحجار البيزنطية قد استخدمت في بناء المساجد والقصور بعد الفتح الإسلامي[5]، ثم أخذ الفن الإسلامي المعماري بعد ذلك مظاهر جديدة أيام عصر بني زيري وقلعة بنى حماد ، فقد لفت التجاني نظرنا [6]، إلى أن الكثير من المنشآت المعمارية في قابس كمثيلاتها حتى في الأسماء الموجودة في قلعة بنى حماد ، حيث تبلور التأثير الشرقي في مزيج من الهندسة العربية[7]، والتي تتمثل في تضليغ المنارات والمآذن ونقوش الفسيفساء والزخارف الدقيقة والزجاج والخط الكوفي للكتابات القرآنية[8]، الواضح حول الجدار في

---

[1] سيد عبد العزيز سالم قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ط بيروت ١٣٩١ – ١٩٧١م ص ١٩٥

- Creswel, K. Early Muslim Architecture Cairo 1989 P. 291 – 315
- Gorges Marçais, L'ârchilecture Musulmanne de l'occidint Paris 1937. P. 79 – 80
- وانظر محمد حمزة الحداد : التخطيط غير التقليدي للمساجد في الأندلس مجلة دراسات أثرية إسلامية، القاهرة ١٩٩٥م / ١٤١٥هـ. المجلد الخامس ص ١٤٩

[2] Diehl : charles : L'afriquc Byzantine Paris 1896, P. 223-265,

[3] عثمان الكعاك الحضارة في حوض البحر المتوسط ط. جامعة الدول العربية ط (١) ص ٦٠..

[4] انظر الوسياني السير – مخطوط ، ورقة ٤٣ – ٦٥ – ١٧٣.

[5] دائرة المعارف التونسية كراس (٤) ص ١٠٤.

[6] الرحلة ص ٨٧ وما بعدها.

[7] عبد العزيز بن عبد الله الآثار الفاطمية في تونس والقاهرة ، ص ١٥٧ ، ١١٣ – مصطفي زبيس ، القبة التونسية ص ٩٣ وما يليها : من أبحاث المؤتمر الأول للآثار التونسية ، وانظر المصدر السابق نفس الصفحات.

[8] أبحاث المؤتمر الأول للآثار التونسية وكذلك أبحاث المؤتمر الثالث للآثار العربية بتونس.

محاريب المساجد[١]، وتوسيع الأسواق المسقوفة[٢]، وظلت الهندسة المعمارية الإفريقية بمظاهر روعتها. حدثنا القاضي ابن عميرة[٣]، عن جمالها الأندلسي عندما تولى قضاءها عدة سنوات (قابس) ، فأضيفت جذوع الأعمدة المحلاة بحلقات وتيجان الأعمدة المنحوتة والزخارف الكثيرة من الرخام والجص الملون ومعجون المرمر والجبس[٤]، وترى آثار هذا الفن في أبنية صقلية الإسلامية التي تأثرت بإفريقية والصنهاجيين وبنوا فيها قصورا كثيرة تشبه قصورهم[٥]، في قلعة بني حماد وبجاية ، وبدأ هذا الفن المعماري الرائع في التدهور في أواخر عهد الصنهاجيين ثم أرتفع في عهد الحفصيين ، فاصلحوا كثيرا من المساجد والأبنية ، وزادوا منها الكثير في قابس وأقاموا الكثير من الفنادق تبعا لازدهار الحياة الاقتصادية وانتعاش التجارة على عهدهم ولذلك تطورت الصناعات الكثيرة[٦]، أما قابس فنجد فيها خصوصية في طريقة البناء فطابعها – إلى جانب الطابع المذكور سالفا – نجد فيه البيئة القابسية هي السمة العامة ، حيث يوجد البناء المعماري : السقف القابسي نسبة لقابس ، والسقف الحامي : نسبة لحامة والسقف الصفاقسي، وكل سقف يتميز عن الآخر بطريقة البناء والحشو واستخدام خشب أشجار البيئة المحلية مثل شجر الزيتون والنخيل والبرقوق والأحجار وكذلك الأحجار المستخدمة كانوا يأتون بها من مكان المدينة القديمة ومنطقة المدر والمحاجر من الجبال الجنوبية[٧] ، واستخدام طين الفخار القابسي والجير والملاط المستخرج من قرى قابس ، بذلك تختلط رمال الساحل والصحراء ، في كل هذه المواد البيئية المحلية التي يأخذها الصانع القابسي ويضيف إليها ذوقه وخبرته وجودة صنعته لكي تكون في النهاية معبرة متمشية مع الطرز المعمارية التي رأيناها في العصور الأغلبية والفاطمية والصنهاجية والموحدية وبني حفص.

المسجد الجامع :

تتفق المدن الإسلامية جميعا سواء في المشرق أو في المغرب ، وسواء أكانت مدنا مفتوحة أم مدنا أسست في عهد الإسلام ، في مظهرها العمراني العام أي في طريقة تخطيطها وتوزيع مراكزها العمرانية ، وفي أبنيتها عامة باستثناء تفاصيلها الزخرفية أو ما اضطرت إلى التماسه بتأثير المناخ أو الموقع أو طبيعة المكان. وتتمثل هذه الظاهرة في المغرب والأندلس كما تتمثل في مصر والشام والعراق ، ويمكن تفسيرها بأن المسجد الجامع الذي لا يختلف كثيرا في نظام بنائه في سائر أنحاء العالم الإسلامي كان أساسا للتنظيم العمراني للمدينة[٨] ، والمركز الديني الذي تلتف حوله بقية مراكزها العمرانية ، والقلب الذي ينبض بالحياة ويهبها النشاط والحركة. كان تشييد المساجد الجامعة أساس العمران في المدن التي يراد طبعها بطابع الإسلام.

---

(١) حسن حسني عبد الوهاب ، خلاصة تاريخ تونس ط تونس ط ١ ص ٤٨ ، عثمان الكعاك الحضارة العربية : ص ٦٠.

(٢) انظر المراجع السابقة ، وتسمى هذه النقوش الجليز في قابس وفي مدن إفريقية.

(٣) محمد ابن شريفة : أبو المطرف بن عميرة المخزومي ، حياته وآثاره ، ط القاهرة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م ص ١١٢-١١٤.

(٤) أبحاث المؤتمر الأول للآثار التونسية.

(٥) انظر رشيد بوربيه أثر الفن المعماري الصنهاجي على النورمانديين بصقلية مجلة الثقافة الجزائرية السنة السابعة مجلد ٣١ ، ١٩٧٦م ص ٢٦ وما يليها وقد وجدت آثار بعض القصور في الحفريات التي أشرف عليها الخبراء خنزل دبليية Kalaa de Bani Hassmal G. De Bélier ترجمة.

(٦) انظر بروشيفك تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي ترجمة حمادي الساحلي بيروت دار الغرب الإسلامي ط ص ٣٨٧.

(٧) ناصر بقلوطي : العمارة التقليدية في الجنوب التونسي ، مجلة المأثورات الشعبية عدد ١٩٨٩/٣٥ ص ٧٩ وما يليها.

(٨) سيد عبد العزيز سالم : التخطيط ومظاهر العمران في المدينة الإسلامية في العصور الوسطى ، مجلة المجلة ط. القاهرة عدد ١٩٥٧/٩م ١٣٧٧هـ ص ص ٥٤-٦٢.

كان المسلمون منذ فجر الإسلام ، وفي أيام الفتوحات الكبرى يشيدون المسجد الجامع في البدء رغبة في إضفاء الصيغة الإسلامية على المدن التي كانت وثنية أو مسيحية. شيد عقبة بن نافع جامعه بالقيروان سنة ٥٠ هـ (٦٧٠م) [١]، وقد نص القرآن الكريم في آيات كثيرة على أن المسلمين كانت لهم مساجد جامعة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم إذ يقول الله تبارك وتعالى : {إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين}[٢].

وقال جل ذكره {في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار}[٣].

وقال تعالى : {ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله}[٤].

وقال سبحانه : {وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا}[٥].

ينقسم المسجد بصفة عامة إلى عناصر معمارية متعددة :

١- بيت الصلاة :

عبارة عن بيت مربع أو مستطيل قائم بسقفه على أعمدة وله قبتان قبة المحراب للإضاءة وقبة البهو للدخول وهو متجه إلى القبلة وعلامتها المحراب الذي في جداره القبلي[٦]، وإلى جانب أهميته الشعائرية له وظيفة تنظيمية بالنسبة لجماعة المصلين الذين يدخلون ويصطفون في المقدمة من الصف الأول ثم الذي يليه دون أن يتخطى بعضهم رقاب بعض[٧]، وما بين صفوف الأعمدة من الباب إلى المحراب يسمى بلاطة Nef – وما بين صفوف الأعمدة في الشرق إلى الغرب يسمى مسكبه Travee[٨]، وفي المحراب الذي هو بيت الصلاة عبارة عن دخله أو تجويف في الجدار القبلي يتجه إليها الإمام[٩]، وهي مزخرفة[١٠]، والمنبر وهو من الخشب ومتحرك ويدخل مقصورة خاصة قرب المحراب وأجمل المنابر وأقدمها هو منبر مسجد

(١) المرجع السابق ، نفس المكان

(٢) سورة التوبة آية ١٨.

(٣) سورة النور الآيتان ٣٦ ، ٣٧.

(٤) سورة التوبة آية ١٧.

(٥) سورة الجن آية ١٨.

(٦) عثمان الكعاك : الحضارة في حوض البحر المتوسط – ص ٥٧.

(٧) سعد زغلول عبد الحميد : العمارة والفنون في دولة الإسلام – ط الإسكندرية – منشأة المعارف ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ص ٢٤٦.

(٨) المرجع السابق – ص ٥٧ – مسكبة بلغة أهل المغرب لكلمة أسكوب بمعنى الممر الموازي أفقي أو عرضي في بيت الصلاة من جدار القبلة إلى العمق..

(٩) نفس المرجع – ص ٢٤٧. وانظر : محمد حمزة حداد – مرجع سابق – ص ٤١.

(١٠) مثل مسجد جامع القيروان ومسجد قرطبة الكبير وأنواع الزخارف كثيرة وقد تطورت على عهد الأغالبة والفاطميين والدولة الصنهاجية وقد انعكس هذا التطور فنجده في معمار صقلية وعمارات المرابطين والموحدين. وفي ما تقدم انظر :

- سيد عبد العزيز سالم : قرطبة ... ص ١١٧ وما يليها.
- سعد زغلول عبد الحميد – نفس المرجع – ص ٢٤٧.
- عبد السلام محمد نظيف : دراسات في العمارة الإسلامية – الهيئة العامة للكتاب ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م ص ٢٦ وما يليها.
- جورج مارسيه : بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى – ترجمة محمد عبد الصمد هيكل – ط إسكندرية – ١٤١١ هـ / ١٩٩١م.

ويدخل مقصورة خاصة قرب المحراب وأجمل المنابر وأقدمها هو منبر مسجد القيروان وأحيانا في الحواضر تكون موجودة مقصورة خاصة بالخليفة.

صحن الجامع وهو أكبر من بيت الصلاة كما في مسجد احمد بن طولون – جامع الكوفة – جامع القيروان وجامع قرطبة.

المآذن – مفردها مئذنة – مشتق من آذن يؤذن للصلاة وهي تعنى المكان الذي ينطلق منه صوت المؤذن وهو ينادي إلى الصلاة – وقد بحث كريزويل أوجه الشبه بين مئذنة جامع القيروان وبين برج الشيخ على كاسون بالقرب من حماة سوريا[1]، ويذكر د/ أحمد فكري[2]، أن هذه المئذنة قد اتخذت نموذجا لمآذن المغرب والأندلس. لكن د. سيد عبد العزيز سالم[3]، يرجح أن عبد الرحمن الداخل الذي أسس دولة بني أمية بالأندلس هو أول من أدخل المآذن السورية في المساجد الأندلسية أي ذات الأبدان المربعة[4]، وانتشر بعد ذلك هذا الطراز المربع في المغرب والأندلس وتطورت عمارته وزخرفته وقد ساد في كل أنحاء المغرب والأندلس فيما عدا مئذنتين واحدة مثمنة في جامع برقة[5]، والأخرى في طرابلس[6].

ويداخل المدينة مسجدها الجامع "وهو مسجد متسع له منار مرتفع قد مال وخرج عن الوزن إلا أنه لصحة موضعه لا يخشى من وقوعه[7]، والمسجد الجامع يعتبر من أهم المنشآت العامة في المدينة الإسلامية ومن تكويناتها المعمارية الأساسية ، واقتضت وظائفه الدينية والتعليمية.والسياسية أن يكون موضعه وسط المدينة ليكون قريبا من كل موضع فيها[8]، والمسجد الجامع في قابس وصفه التجاني[9]، بأنه متسع كي يسع كل السكان عندما ينادي للصلاة، خاصة صلاة الجمعة حيث يجتمع أغلب سكان المدينة وقد وصفه البكري[10]، أنه جامع (سرى)، وكان اختيار موضع المسجد الجامع ودار الإمارة في وسط المدينة كان انعكاسا صادقا لحياة المجتمع الإسلامي في داخل المدينة[11]، وفي مكان حي الجارة الآن – توجد عدة مساجد كبيرة أهمها مساجد سيدي دريس[12]، أو إدريس ، وسيدي الحاج عمر وسيدي ابن عيسى نسبة

– فون شاك : الفن العربي في أسبانيا وصقلية – ترجمة الطاهر أحمد بكر – ط القاهرة – دار المعارف – ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م ص ٧٣.

- George Marcais L'architecture musulanne d' la l'occident P. 82 P.

(1) انظر : Greswell : Early Muslim Architecture P. 316.

(2) أحمد فكري : المسجد الجامع بالقيروان – القاهرة – ١٣٥٦ – ١٢٧٦ – ط١ ص ١١١.

(3) سيد عبد العزيز سالم : تطور المآذن المصرية–ط الإسكندرية – ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧م ص ٢٣.

(4) سيأتي الحديث بالتفصيل في جزء المنار.

(5) البكري : المسالك والممالك– ج ٢ – ص ٦٣٠.

(6) التجاني : رحلة التجاني – ص ٨٦ – ٩٣.

(7) يستدل من ذلك على متانة بناء وعلو المنارة ليراها كل الناس وبخاصة أنه بالتأكيد في وسط المدينة ، انظر : المصدر السابق ، ص ٩٤.

(8) محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص ١٧٥.

(9) نفس المصدر والصفحة ، ومن وصفه هو وغيره من الرحالة ، يتضح لي أن في داخل مدينة قابس مساجد كثيرة لكن يوجد مسجد جامع واحد.

(10) المسالك والممالك ، ص ٦٦٧.وكلمة سري من التسرية أو يسري عن النفوس التي تفرح بالصلاة فيه

(11) محمد عبد الستار عثمان : المدينة الإسلامية ، ص ٤٩٠ وانظر عثمان الكعاك : الحضارة في حوض البحر المتوسط ، ص ٥٧.

(12) هكذا أخبرنا جورج مارسيه في مؤلفه عن العمارة الإسلامية.

Gorges Marcais : L'achticture Masulmannc .. P. 78 – 79.

إلى أمراء أسرة بنى جامع[1]، ويوجد بجامع سيدي دريس بعض الأساطين والتيجان من بقايا الآثار الرومانية في المنطقة ، والتي استخدمها السكان في معمار هذا المسجد ، كذلك في مقام سيدي أبى لبابة[2].

أما بناء جامع سيدي دريس فقد أخبرنا عنه جورج مارسيه[3]، أنه كان على غرار جامع القيروان لكنه أصغر في المساحة[4]،ومن المرجح أن هذا المسجد الجامع كان يوجد في حي المنزل القديم[5]،وقد ذكر التجاني[6]، أن هذا المسجد الجامع كان قريبا من قصر العروسين وأن القصر كان بجانب البطحاء وقد تمكن المرزوقي[7]، من معرفة أن مكان البطحاء هو سوق المنزل الآن ، وهو بجانب الجامع[8]، بعد ذلك أنه في نفس رسم وتخطيط مسجد عقبة في مدينة القيروان لكنه أصغر في المساحة[9]، وبنفس الزخارف والممرات والمبنى والقبة البديعة المزخرفة وبيت الصلاة إلى آخره التفاصيل التي تبين روعته.

يعتبر المسجد الجامع الذي أقامه عقبه بن نافع بعد أن أستقر في القيروان أبا المساجد الجناح الغربي لمملكة الإسلام[10]، أما تخطيطه : يقسم مسجد القيروان على سطح الأرض على شكل مستطيل غير متساوي الأضلاع ، عرضه سبعة وسبعون مترا وطوله ستة وعشرون ومائة متر ، وفيه بهو فسيح يقرب طوله من سبعة وستين مترا وعرضه ستة وخمسون مترا ، ولهذا البهو مجنبات يبلغ عرض كل منها حوالي ستة أمتار وعرضه سبعة وثلاثون مترا ، أما المحراب فلا يقع في منتصف ضلع المسجد تماما ، إذ يحيد يسرة في الوسط مقدار مترين[11]، ونصف ، ويقع في نصف دائرة قطرها متران ، أما المئذنة فتقع في منتصف الضلع المستطيل الشمالي لكنها لا تقع بالضبط في محوره[12]، وهي عبارة عن مربع ، طول كل ضلع من أضلاعه عشرة أمتار ونصف وقد أكدت أبحاث العلماء المسلمين [13]، أن محراب مسجد عقبة ابن نافع بالقيروان الذي ركز في موضعه في عام ٥٠ هـ مازال باقيا للوقت الحاضر ، وزاد عليه الأمير الأغلبي زيادة الله عام ٢٢١ هـ / ٨٣٩م كسوة من الرخام المخرم المحلي بزخارف

---

[1] انظر الهادي روجية إدريس : تاريخ إفريقية في عهد بنى زيري ، بيروت ، دار الغرب الإسلامي ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢م ، ج٢ ، ص ١٣ ، وقد حدثت ترميمات بصفة عامة في العهد الخاص وهناك احتمال تسميته جامع إدريس نسبة لأبي العلي إدريس بن يوسف بن عبد المؤمن الذي ولاه المستنصر.

[2] دائرة المعارف التونسية : كراس٤ ص ١٠١.

[3] المرجع السابق ، نفس الصفحة ، وانظر أيضا أدريس ، المرجع السابق نفس الصفحات.

[4] نفس المرجع ، نفس الصفحات.

[5] نفس المرجع – ص ٢٤٧. وانظر : محمد حمزة حداد – مرجع سابق – ص ٤١.

[6] انظر : رحلة التجاني ، ص ٨٩.

[7] انظر : قابس جنة الدنيا ، ص ٧٢.

[8] نفس المرجع السابق والصفحة.

[9] Marçais: architecture musulmanne : P. 79.

وقد ذكر مارسيه أن بني جامع قد بنوا قصورا ومساجد في مكان حي الجارة.

[10] حسين مؤنس : المساجد في الإسلام – سلسلة عالم المعرفة ط الكويت ص ٤٨.

[11] انظر أحمد فكري : المدخل المدارس القاهرة ومساجدها ط. دون بوسكو ، ص ٢٣٣ ، وما يليها.

[12] انظر : عبد العزيز اللميلم رسالة المسجد في الإسلام ، ص ٢٧٦.

وانظر : فون شاك : الفن العربي في أسبانيا وصقلية ، ص ٦١.

[13] أحمد فكري : ص ٢٠ / ٢١ ، ط ٢.

ملونة بديعة أضفت بجمالها على منظر المحراب العتيق[1]، كان عهد المعزبن باديس سخيا بما فعل من اصلاحات وتحسينات في جميع أنحاء البلاد ، فقد أضاف للمسجد الجامع بالقيروان الإضافات والتوسعات والزخارف البديعة[2]، هذا إلى جانب الزخارف التي تكسو جوف المحراب على هيئة طبقة أو قشرة رقيقة من الرخام نقشت منها زخارف نباتية مخرمة ليتسرب الضوء من بين خرومها،وتصطف هذه اللوحات الرخامية صفوفا أربعة في كل صف سبع حشوات. وقبة المحراب أقامها زيادة الله الأغلبي ، وقد أودع في بنائها روائع الفن المغربي من زخارف ونقوش وأوجه [3] أنتشر نظام القيروان في المغرب والأندلس وصقلية[4]، لقد كان الفن المعماري الإسلامي يرتكز في أول نشأته على العناصر المعمارية والزخرفية التي تتفق وروحانياته فخرجت منجزاته تكاد تشبه بعضها البعض في سائر البلاد الإسلامية مع شئ من التباين اليسير الذي تختص به كل بيئة[5]، وتميل اليه مواهب أهلها المرونة إنشاء وعمارة تقاليد وزخرفة وعلى ذلك فإن العمارة في بلاد المغرب والأندلس تشترك في كثير من صفات تشكيل الفراغ وتصميم الأعمدة والتركيب وزخارف الجص المفرغ[6]، وعلى الرغم من وجود شيء من الاختلاف البسيط في بعض العناصر المعمارية الإنشائية مثل القباب وتكويناتها المعمارية وزخارفها التي أصبحت تقليدا متفقا في كل أنحاء البلاد شرقا وغربا في أغلب تكويناته الأساسية[7]، فلقد لاحظ مارسيه Marcai[8]، أن منارة مسجد عقبة بن نافع بالقيروان التي بناها الأغالبة تماثل منارة المسجد الأموي في دمشق وأن بعض أجزائه تشبه في تكويناتها بعض أجزاء مسجد عمرو بن العاص بالقاهرة (منطقة مصر القديمة) وكذلك مساجد بغداد ، وهذا قد بين لنا شيئين غاية في الأهمية أولهما أن العمارة الإسلامية واحدة في العالم مشرقه ومغربه ، وإن تنوعت في بعض تكويناتها ، وثانيهما أنه إذا كان التأثر قليلا بالفنون البيزنطية المعمارية كالبازيليكا[9]، فقد كان التأثير العربي هو الأشمل ، فقد انتقل منار الإسكندرية على المغرب والأندلس بصفة عامة ، أما بصفة خاصة ، فقد ظهر هذا التأثير بوضوح على مئذنة القيروان وصفاقس هذا في مجال الشكل العام للمنارة حيث تتألف من ثلاثة طوابق مربعة الشكل ومتراصة تميل جدرانها من جهاتها الأربع ميلا خفيفا نحو الداخل كلما ارتفعت بحيث يتسع عرضها كلما اقتربت من سطح الأرض

(1) أنظر : عبد العزيز اللميلم : ص ١٦ – ٢١.

(2) .G. Maxcais: P. D 4 - 117.

(3) سيد سالم : بحوث إسلامية- في تاريخ الإسلام وحضارته ط إسكندرية – ص ٤٢٨، من بحث تأثير منار إسكندرية في عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس.

(4) انتقلت الزخارف لصقلية وبخاصة الزخارف الصنهاجية التي استعملت فيها مواد متعددة مثل الرخام والحجر وقطع الرخام الملون أو المخرم التونسي في تونس المرمر والخشب الملون انظر رشيد بوربية تأثيرات الصنهاجين على العمارة في صقلية ، مجلة الجزائر مجلد ١٩٧٧ ص ص ٢٨ – ٣٨.

(5) انظر سيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب الإسلامي ط إسكندرية ط ٢ ص ٣٤٥.

(6) المرجع السابق ص ٣٤٦ – ٣٤٧.

(7) انظر بحث سعد زغلول من المؤثرات الإسلامية على الفن الرومانسكي في أوربا الغربية ضمن أبحاثه الحضارة الإسلامية بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لرحيل احمد فكري كلية الآداب – جامعة الإسكندرية (١٣٩٦ هـ – ١٩٧٦م).

(8) Archūeiture Muslmanne.., PP. 29 - 82.

(9) نفس المرجع نفس الصفحات.

(10) انظر سيد عبد العزيز سالم الاسكندرية بحوث أخلاقية في التاريخ والحضارة والآثار بحث تأثير منارة الإسكندرية في عمارة بعض مآذن المغرب والأندلس ص ٤١٧– ٤٣٥ وبحث التأثيرات المتبادلة بين مصر والمغرب الإسلامي في مجال فنون العمارة والزخرفة ص ٤٣١– ٤٤٢

على نحو يبرز قوة اتزان بنيانها ، وكانت مئذنتا القيروان وصفاقس المثل الذي احتذى به ليس فقط في افريقية بل في المغرب والاندلس فقد تأثرت مئذنة جامع الكتبية بمراكش ومئذنة جامع قصبة الموحدين ومئذنة جامع حسان بالرباط ومئذنة جامع أشبيلية بالأندلس [١٠] وقد حدث ذلك بسبب استقرار جماعات الإسكندرية بإفريقية أواخر القرن الأول من الهجرة[١]، وكذلك القباب التي كانت تأثيراتها مشرقية[٢]، ثم انتقلت تلك التأثيرات والزخارف إلى صقلية[٣].

مساجد الأضرحة :

اشتهرت قابس شهرة واسعة لوجود أضرحة كثيرة بها مما أعطاها شهرة دينية خاصة لوجود ضريح سيدي أبي لبابه الأنصاري الصحابي الجليل المدفون في جنوب قابس وهو أحد نقباء النبي (ص) ويقول المطرف بن عميرة[٤]، عن ترابها أنه مستأثر بسيد من سادات الصحابة وقد وجدت بقابس مساجد لأضرحة أخرى كثيرة نذكر منها في جنوبي قبر أبي لبابه الأنصاري يوجد سيدي أحمد بن عبيده وسيدي البوهالي يتيليو وحول ضريح أبى لبابه[٥]، يوجد سيدي بشار وسيد هريش للغرب بالقرب من شتي سيدي على البهلول وفقها على الخريطة[٦]، سيدي عبد الظاهر (غالبا عبد الظاهر) وعند قرية بوشمة سيدي على الشطوى وشرقا سيدي مروان بو عبد الله وسيدي عبد المالك في الجهة الشرقية وينعلها إلى الجارة الشرقية (على الخريطة) نجد سيدي عبد السلام وسيدي مشرقي وسيدي عبد المالك وذلك نذكر سيدي المشيرفي[٧].

هناك جزء هام في بناء المسجد في منطقة قابس هو عمارة مساجد الصحراء والجبال وجنوب قابس أو بمعنى أوضح الجنوب الشرقي من إفريقية في تلك المناطق المستوطنة من البربر[٨]، ذوي الشكيمة القوية والتعبير عن الحياة الصعبة فهم السكان الأصليون في تلك المنطقة والذين صمدوا من الأزل ضد الفينيقيين والرومان والبيزنطيين كما كانوا يشكلون خطرا على الدولة البيزنطية وما قبلها كانوا من ضمن الأسباب الرئيسية في تحصينات قابس الصلبة وأسوارها المنيعة[٩]، لقد كان لهم أسلوب خاص في عمارة قلاعهم ومساكنهم وحين جاء الغزو الهلالي ذكرهم ابن خلدون[١٠]، أنهم اعتصموا بالجبال أو سكنوا الجبال وخاصة على المسطحات الموجودة بها. لقد شاع بناء المسيد بمعنى المسجد باللهجة البربرية في المناطق الجبلية

---

(١) كما لا ننسى أن الإسكندرية كانت القاعدة الرئيسية في مصر لتوجيه الحملات العباسية إلى إفريقية حكم اتصالــها بــالطرق المؤدية لإفريقية ، كذلك استخدم حسان بن النعمان ألف قبطي بأهلهم لإنشاء دار الصناعة بتونس لشهرة الأقباط مــن أهــل الإسكندرية في صناعة السفن ، المرجع السابق ج٢، ص ٤٣٠- سليمان زبيس القبة التونسية، ط ١ تونس ص ٩٣.

(٢) زبيس القبة التونسية ص ٩٣.

(٣) بوربيه تأثيرات.. ص ٢٨.

(٤) المطرف بن عميرة كان قاضي قابس أيام الحفصيين.الغبريني : أبو العباس أحمد بن أحمــد (٦٤٤- ٧١٤هــ)عنــوان الدراسة?????????????????????? في المائة السابعة ببجاية ط بيروت ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م ص ٢٩٨ انظر محمد بـن ??????? أبو المطرف بن عميرة حياته وآثاره ط الرباط ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ ص ١١٢

(٥) .انظر التجاني في أماكن متفرقة.

(٦) انظر المرزوقي ص ٧٣ - ٧٧ - انظر الخريطة.

(٧) انظر خريطة gabe's et ses enrions.

(٨) البربر موجودين في تلك المناطق من قبل الميلاد وقبل مجئ الفينيقيين إليها وهم في عمومهم يرجعون لقبائل يمنيــة عاربــة قحطانية قد نزحوا من الجزيرة العربية إلى السودان والمغرب والأندلس وجزائر البحر المتوسط وهي أول أمة قامت بأول فتح للمغرب ونشرت العمران بالدم العربي ويوجد بينهم لسابون مثل لسابو العرب مثل سابق المطماطي.

(٩) انظر عثمان الكعاك محاضرتين فيمركز الثقافة في المغرب ط ١ ص ٦.

Diehl – 1 Afrique by zan tine P. 327

(١٠) العبر : ج ٦ ص ١٦٠..

الصحراوية من قابس إلى حدود طرابلس وهذه الكلمات تدل على محل الصلاة وتدل كلمة مسيد أيضا على محل التعليم بالنسبة للأطفال في القرى أو المدارس الجبلية أو الصحراوية وقد يسمى أيضا للدلالة على تعليم اللغة العربية والأدب إلى جانب القرآن المجيد[1]، وقد وجدنا نوعين من المسيد:

أولهما المسيد الصحراوي[2]، وغالبا ما يكون ملحقا بمركز القوافل أو التكنة[3]، العسكرية على ملتقى الطرق للحراسة والتزود بالماء فيها مثل تكنة سيدي أبي لبابه[4]، بقرب الربوة (خزنة للماء)[5]، عند البطحاء[6]، الواسعة والمجاورة لأنحاء مطماطة[7]، جنوب قابس ويكون المسيد الصحراوي مبنى من أحجار صلبة[8]، وتتبع أسلوبه في البناء أسلوب التكنة نفسها فقد تكون في أغلب الأحيان الليمس الروماني[9]، ثم طوره الأغالبة وبنوا فيه المسيد ودعموا تحصيناته كما أوضح ابن خلدون[10].

وثانيهما المسيد الجبلي مثلما فوق جبل مطماطة على سبيل المثال[11]، ويتكون من الأحجار الجبلية وجذوع الأشجار مثل الزيتون أو الخروع وملحق به كتاب الأطفال ومسجد صغير أو مكان للصلاة يتعلم فيه الأطفال الصلاة وأركانها وساحة صغيرة بها بستان صغير من الأشجار والأزهار ويلعب فيه الأطفال وقت الراحة أو يتدربون على الفلاحة ثم الطابق الثاني والذي بنى على هيئة غرفة عالية السقف يصعد إليه بدرج[12]، ثم انفصل هذا البناء عن المسيد (الكيار) وأصبح زاوية[13]، أو زوايا على الجبال أو الطرق الصحراوية والمسيد هو الأساس في تعليم البربر الإسلام واللغة العربية وتعاليم الدين الحنيف.

---

(١) عثمان الكعاك محاضرات ص ٦٦-٨٦.

(٢) المرجع السابق نفس الصفحات.

(٣) التكنة هي المعسكر أو الفسطاط أو القيروان والتكنة تدل على محل اجتماع الجيش أو الشاتية أو المشتى ، انظر نفس المرجع.

(٤) يقصد المنطقة التي يوجد بها ضريح أو لبابه الأنصاري الجليل في شرق قابس انظر المرزوقي قابس ص ٦٠.

(٥) مكان تخزين المياه أو مخزن أو صهريج المياه انظر الكعاك الحضارة نفس الصفحة.

(٦) البطحاء قيل بطحاء الوادي تراب لين مما خزنته السيول وقيل أيضا فيه تعاقد الحصن انظر ابن منظور لسان العرب ج ١ ص ٢٩٩.

(٧) مطماطة اسم لمنطقة سهول وجبال واسم مطماطة هو اسم لقبيلة كبيرة تناثرت في هذه المنطقة واستوطنت السهول في حامة مطماطة وهم من البربر الرحل الذين سعوا إلى أرض أمنه وبرع منهم النسابة سابق بن مطماط وقد برعوا في صنع الخبز الجيد ولهم شهرة في ذلك لأن وحامة قابس قامت فيه واقعة الحامة أيام قراقوش الأرمني والميور في زمن المنصور بن يعقوب انظر التجاني الرحلة ص ١٠٨ – ١١٤ – ١٣٥. – وانظر مجلد العربي في استطلاعها عن تونس العدد ٤٤٨ – مارس ١٩٩٦م.

(٨) يقصد أحجار من الجبل بنفس أسلوب بناء التكنة نفسها أيام الرومانيين.

(٩) الليمس هو التكنه العسكرية الرومانية على طرق الصحراء وكان أشهر ليمس lims الفرقة الثالثة أوغسطا جنوب قابس طريق الصحراء انظر تاريخ أفريقيا العام ، المجلد الثاني بعنوان حضارات أفريقيا القديمة ص ٤٥٤ – ٤٥٥ ط وإصدار اليونسكو بإشراف جمال ممتاز.

(١٠) طور الأغالبة جميع الحصون القديمة ودعموها ببني الرباط على طول الساحل من طرابلس إلى المغرب الأوسط انظر ابن خلدون ج ٦ ص ١٣٠.

(١١) وتجد ذلك أيضا على جبل نفوسة الممتد من قابس إلى طرابلس ، انظر عثمان الكعاك ، محاضرات في ص ٦٧ – ٦٨.

(١٢) المرجع السابق ص ٥٢.

(١٣) الزاوية بناء بسيط يشبه الخانقاه الشرقية للصلاة والتعليم إما أن تكون تابعة لمعسكر أو سنة أو لضريح أوقفها بعض الأهليين للصلاة والتعاليم الإسلامية نفس المرجع ، ص ٥٢-٥٣.

وجدت أنواع أخرى من المساجد بمسميات مختلفة مثل :

المصلي : كبراح كبير في خارج المدينة غالبا أو في مكان فسيح وأغلب الأحيان يكون غير مسقوف أو مسقوفا ببعض الأخشاب أو جذوع الأشجار وتصلى به صلاة الاستسقاء أو الأعياد[1].

كما تقام فيه حلقات التدارس للمالكية والإباضية وتسمى الحلقة[2]. ففي جربة - وهي على الجزء الجنوبي من خليج قابس - كان هناك موضع لها اسمه اتيجان بجانب شجرة الخروب القبلية كذلك كانوا يذهبون إلى المسجد الكبير[3].

مسجد الخمس : لتأدية الصلوات الخمس دون الجمعة.

الخلوة : وهي موجودة بوفرة في جنوب قابس وفي جبال مطماطة وجبال الظاهر وجبال طباقا[4]

الغار : وجمعها غيران منها ما بين جبل نفوسه وفي جنوب قابس على جبال مطماطة وسهولها وقد ذكر الوسياني[5]، الكثير منها.

قصر العروسين :

يعتبر قصر العروسين من أبرز المنشآت في قابس وأوضح المعالم المعمارية فيها.

ذكر ابن خلدون[6]أن مؤسس هذا القصر هو الأمير رافع بن مكي بن كامل بن جامع الرياحي ثاني أمراء بنى جامع الذين حكموا قابس(٤٨٩هـ - ٥٥٥هـ) ، ثم ذكر في موضع آخر أن مؤسسه هو رشيد بن كامل ، ويتفق معه التجاني[7]، في ذلك حيث قال "وأهل قابس ينسبون بناءه لرشيد بن مدافع فرافع بن جامع أحق من تملكها منهم".

يقصد مدينة قابس ، وقد قرأ التجاني[8]، نقشا على أحد أبواب هذا القصر موضوعا على حجر يقول "أمر بفعل هذا الباب الأمير الشهم رافع ابن أمير الأمراء مكي بن جامع ، في رجب سنة ٥٠٠" فإن ما يذكره أهل قابس من أن رشيد هو الذي ابتناه صحيح فيكون هذا الباب خاصة هو الذي أمر ببنائه رافع بن مكي ، وأخبرني بعض الطلبة من أهلها[9]، أن وثقة لبعض المؤرخين على أن صنهاجة هم الذين ابتدأوا ببنيانه وانتهوا به لقدر ثلثيه فأتمه بنو جامع الهلاليون[10]، لقد ضنت علينا المصادر بذكر تكوينات هذا القصر المعمارية وتخطيطه وزخارفه فإن كان من المرجح أنه بدئ في بنايته على أيدي أحد الأمراء الصنهاجيين خاصة التجاني[11]، يلفت النظر إلى تشابه أيام هذا القصر وما حوله والمنار مع ما أنشأ بنو حماد في القلعة فإن ذلك يؤكد أنهم مكثوا في قابس حينا قبل انفصالهم وتكوينهم لدولة بني حماد وذلك قد يدل على أن

---

[1] عثمان الكعاك : الحضارة في حوض البحر المتوسط- ص ٥٦ - ط القاهرة - ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.

[2] الدرجيلي (أبو العباس أحمد بن سعيد بن سليمان بن علي بن تخلف - عاش في القرن السابع الهجري) : طبقات مشايخ المغرب - ج ١ - ص ٤.

[3] المصدر السابق - ج١ - ص ١٥.

[4] الوسياني : السير مخطوط ورقه ١٨ - ٤٧ وفي أماكن كثيرة.

[5] المصدر السابق نفس الصفحات.

[6] العبر : ج ٦ ص ١٥٩ ، ص ١٦٠.

[7] الرحلة ص ٤٩ ، ٩٥.

[8] المصدر السابق ، نفس الصفحة.

[9] نفس المصدر السابق ، نفس الصفحة.

[10] ابن خلدون ج ٦ ص ١٦١ هذا يؤكد أن القبائل الهلالية كان لها سلبيات وإيجابيات برغم كل ما ذكر عما أحدثته من الدمار للتجارة الرحلة ص ٩٤.

[11] انظر عبد الحليم عويس بنو حماد ط القاهرة ص ٣٩ وانظر المرزوقي ص ٧٦.

تكوينات قصر العروسين في قابس تتشابه مع قصور قلعة بني حماد[1]، ووصف على بن حماد الشاعر الصنهاجي في قصيدة رثاء معالم قلعة بني حماد معالمها فقال :

أين العروسان[2]، لا رسم ولا طلل[3]، وابن شابه منه القادة الأول
ومجلس القوم قد هب الزمان له بحادث قل فيه الحادث الجلل
وما رسوم (المنار) اليوم ماثله لكنها خبر يجري بها المثل

وفي قصيدة أخري:

وقد قام (المنار) على ذراها[4] كما قام (العروس) أو الأمير
بناء يزدري ايوان كسري لديه والخورنق والسدير[5]

يتضح من هذه الأبيات أن هذا القصر كان على درجة عاليه من الترف والزينة والبذخ وتحصينه كان شديدا ، وقد رآه التجاني[6]، في أوائل القرن الثامن الهجري وقد دبت فيه الشيخوخة أو يقول : "وبمقربة من هذا الجامع قصبة قابس ، وبها المبني المشتهر المعروف بالعروسين الذي لا يري ، وقد استولى الخراب في وقتنا هذا على القصبة وعليه" وعلى هذا الكلام من المرجح أن يكون موقع هذا القصر وقصبة قابس كانا بجانب سوق المنزل من الجهة المقابلة للمسجد الجامع[7]، الذي كان يطل على بطحاء وقابس التي تغنى بها الشعراء[8]، أي أنها كانت في سرة قابس مما يجعلنا نتخيل القصبة و قصر العروسين ، في مقابل المسجد الجامع يطلان على بطحاء واسعة في قلب المدينة وهذا من ناحية موضعه أي قلب مدينة قابس كما أشار التجاني[9]، لرياض هذا القصر المنسوب لأمراء بني جامع وقد نزل هو بثكنته أو محلته العسكرية التي جاء معها" ومنه يوم الأحد إلى قابس منزلنا برياضها المنسوب إلى عروسيها[10].

من حيث التخطيط فإن حديث ابن خلدون[11]، والتجاني[12] إلى جانب هذه الأبيات الشعرية التي ذكرت استقينا منها أنه كان قصرا فخما واسعا قوي التحصين يشبه قصور النعمان الأكبر وأنه كان يفوق إيوان كسري[13].

وقد قارنت الباحثة هذا الحديث مع ما أسفرت عنه الحفريات التي قام به الأثريون[1] في منطقة القلعة لمعرفة أثار قصورها التي تشبه قصور بني جامع الهلاليين في قابس. ومما يلفت النظر

---

(1) المصدر السابق نفس الصفحات.

(2) .العروسان أو العروس تعني الأمير وقد أقر الشاعر ذلك في بيت شعر لاحق.

(3) الرسم ما كان لاصقا بالأرض.وطلل الدار تقال موضع من صحنها لمجالس أهلها -انظر بن المنظور لسان العـرب ج٢ ص ٢٦٧٩.

(4) ذراها تعني ذروة وجمعها ذري وهي أعلى الشيء وهذا يعني علو المنار علوا شاهقا المصدر السابق نفس الجزء ص ٣٧٢٣.

(5) نفس المصدر والجزء.

(6) نفس المصدر والصفحة.

(7) اشار لذلك المرزوقي ص ٧٨ وكما ذكر سالفا.

(8) قال فيها ابو عبد الله محمد بن العطار القرطبي شعر :

لهـفي علـى طـيب ليالي خلت بجانب البطحاء من قابس.

انظر التجاني ص ١٧٦.

(9) المصدر السابق نفس الصفحة.

(10) نفس المصدر : وانظر بروتشفيك تاريخ أفريقية في العهد الحفصي ج ١ ص ٢٤٤.

(11) العبر : ج٦ ص ١٦٠-١٦١.

(12) الرحلة ص ١٠١ – ١٠٣.

(13) على حد وصفه الشاعر في هذه القصيده.

كلمة العروس أو العروسان بمعنى أمير أو أميران لم تكن مستعملة فقط في قصور قابس وقلعة بني حماد بل وجد في رقادة قصر العروس الذي بناه الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبي إلى جانب قصور أخري وجامع وأسواق وأجري لها المياه فبني صهريجا ضخما طوله خمسمائة ذراع في أربعمائة وأخري عليه ساقية وسماه البحر. وبني بالقرب منه قصرا سماه قصر العروس على أربع طبقات، وانفق عليه مائتي ألف دينار [٢]، وهذا القصر من أجمل ما بناه الأغالبة إلى جانب الأربطة.

ونستدل مما سبق أن كلمة قصر العروس أو الأمير كانت تدل على التحصين[٣]، والفخامة عن تحصين تلك القصور أي حصن العروسان أو حصن الأميران أو الأمراء.

لقد كان الفن المعماري أو الهندسة المعمارية أشهر ما عرف من نواحي التقدم في إفريقية، فعبر كثير من القصور والمساجد التي أبدعت الحضارة العربية في تشييدها ، أثبتت الحفريات التي قام بها "بلانش وبيليه وفولفان" ، مدى التقدم الذي أحرزه الحماديون في هذا الفن[٤].

وفضلا عن الشروط التي كان البربر يوفرونها في الموقع الذي يختارونه لبناء مدنهم ، من ضرورة توفر مياه الشرب ، وكثرة العيون الجارية ، وإشراف المدينة على منطقة واسعة لاكتشاف العدو من بعيد[٥]، ومراعاة أن يوفر المكان للعاصمة قدرا من الحماية الذاتية ... فضلا عن ذلك فقد كانوا يراعون في تخطيطاتهم للمدن أن تكون العيون داخل أسوار المدينة ، ويستحسن أن تكون العيون في الجهات العلوية من المدينة حتى يسهل بعد ذلك بناء السواقي وإدخال المياه إلى المنازل[٦].

ومن الملاحظ في تخطيطات الحماديين للمدن اهتمامهم بتخصيص أماكن للأسواق ، واهتمامهم بالبساتين المحيطة بالقصور ، والحدائق العامة[٧]، فضلا عن الجداول والأنهار التي

---

(١) Comme : De Beylier : Kalaa de benihammad : Alger, 1'edit, P.31
Golvin : le Maghreb Central à Lépoque des Zirides, Alger. 195 P 97.

(٢) وكان الخليفة عبيد الله بن المهدي بقوله رأيت عدة أشياء بأتي بقية لم أرها على المشرق منها هذه القصر
انظر حسن حسين عبد الوهاب لخلاصه تاريخ تونس ط الدار التونسية ١٤٠٣هـ ، ١٩٨٣م ص ٩٤.

(٣) ترجح الباحثة أن كلمة قصر هنا تدل على الدار أو سكنى الأمراء وتدل أيضا على التحصين بمعنى قلعة أو بناء عالي به أبـراج. في ذلك أنظر سيد عبد العزيز سالم القصور والمساجد في الأندلس ص ١٧٣ ، وفريد شافعي العمارة الإسلامية فـي مصـر ص ٣٧٥.

(٤) كان الكاتب الفرنسي Ferand الذي عرف بالدراسات التي تناول فيها عددا من مدن ولاية قسطيلة ، أول من وجه الاهتمام إلـى القيمة الأثرية لخرائب مدينة القلعة ، كما كان Blanchet أول من خطرت له فكرة التنقيب في آثار القلعة وقد قـام هـذا العـالم بعمليات للحفر استغرقت أسبوعا كانت موضع دراسة نشرها في مجلة جمعية الحفريات بقسطيلنة فـي سـنة ١٨٨٩ ، ص ٩٧. وكان بلا شك ينوي مواصلة التنقيب ولكن المنية عاجلته قبل أن ينفذ مشروعه. وبعد ذلك بخمس سنوات قام A. Tobert بنشـر وصف لآثار مدينة بني حماد المندثرة ، ثم قام الجنرال De Beylier في سنة ١٩٠٨ بمسـاعدة المستشـرق جـورج مارسـي G. Marçais بسلسلة من أعمال الحفر استغرقت حوالي ثلاثة أشهر كان يستخدم فيها ٨٠ عاملا. ولحن مدينون لـهذا المنقـب بكتاب:
La Kalaà des Beni Hammad, une capitale de l'Afrique du Nord du XI siécle
وفـي سـنة ١٩٥١ ، اسـتأنف Golvin أعمـال الحفـر وضمـن نتـائج اكتشـافاته كتابـه المعـروف : Le Maghreb central à l'époque des Zirides, Alger 1957. ولم يكتمل التنقيب بسبب اضطـراب الأمـن. انظـر : إسماعيل العربي عواصم بني زيري ط بيروت ١٤٠٤هـ ص ٣٠ وماليليها.

(٥) مجلة الأصالة ، عدد ذي الحجة ١٣٩١ ، مقال الأستاذ عبد القادر الحليمي بجامعة الجزائر عن "أثر التضاريس في تخطيط مدينة الجزائر" ص ٨٠.

(٦) المرجع السابق نفس الصفحات.

(٧) انظر الكيلاني موجز التاريخ العام للجزائر ط١- ص ٢٦٢.

كانت تخترق المدينة[1]، ويبدو أن أحياء أرستقراطية خاصة كانت تقام في داخل المدينة تسكنها الطبقة الحاكمة وأتباعها ، ويبدو كذلك أن أحياء خاصة كانت تقام للجاليات الأجنبية والمسيحية واليهودية ، كما أن مدنا من جهة بعيدة عن الشمال[2].

وفي الطرف الشرقي للمدينة ، على المنحدر الذي يشرف على وادي فرج تقع خرائب المنار. وفي الغرب كان يقوم قصر السلام ، وفي الشمال الغربي ، قصر الكوكب ، الذي سيحمل قصر آخر اسمه في بجاية ، وفي الشمال الشرقي كان يقف قصر الأمراء. وهذا القصر الأخير يشتمل على ثلاث قاعات يرجح أنها كانت تعلو كل واحدة منهما قبة : اثنتان منهما متوسطتا الاتساع وتفضيان إلى بلاط يقع في الجهة الغربية ، ويرجح أنهما كانتا مخصصتين للاستقبالات الرسمية وأما القاعة الثالثة التي تتوسطهما ، فهي فسيحة وتبلغ سعتها حوالي ١٩ مترا طولا ، في عرض ١٥ مترا ، ويري جورج مارسي أنها هي قاعة العرش[3].

ووجدوا العديد من الرواقات وقد امتلأ القصر بالرخام والفسيفساء البديعة وكذلك قصر العروسين ، فمن المؤكد أنه كان بهذا الوصف والزخارف المتعلقة به كالرسم والنحت والحفر والنقش[4] كما كان في المقدمة الشرقية "الحامية ومليت الحاجب ودار العدل أو القضاء ويوازيها بناية أخرى للاستقبالات الرسمية تشتمل على القاعات التي عليها قبب عديدة.

وهذا يفسر تشبيه الشاعر أنه كالسدير. وفي شمال بنايات القصر عدد من القاعات الصغيرة المفروشة بالآجر وتفضي إليها قنوات الماء. ويستنتج من وضعها أنها كانت حمامات الأمراء. أما القسم الذي يمتد من الجنوب إلى الجنوب الغربي من هذه المباني فهي مسقوفة بالقرميد ومحاطة بحدائق واسعة تخترقها ممرات عديدة.

والملاحظ من الوجهة التاريخية أن دار البحر ، وهو من أهم قصور بني حماد ، قد بني في فترة بين سر من رأي وقصر الحمراء الأندلس. وهو إذ يختلف عن هذين القصرين في طرازه المعماري ، فإنه يشبههما في التصميم العام من حيث إنه يحتوي على مجموعة من البنايات التي تضم مختلف المصالح ، وعلى الحدائق والصهاريج التي كانت دائما تلعب دورا هاما في القصور الإسلامية. وكل من القصور الثلاثة تحتوي على قاعات فسيحة تسود فنها المعماري مظاهر الأبهة والترف الزخرفي ، كما تحتوي على غرف ضيقة للاستعمال الشخصي. ودار البحر ، مثل الحمراء ، يشتمل على حمامات تابعة لمساكن الأمراء.

وقد قام جورج مارسي بدراسة بعض النماذج الفنية لآثار دار البحر ضمنها كتابه عن تاريخ الفن الإسلامي وخرج من هذه الدراسة القيمة بالنتيجة التالية :

"ليس من التكرار أن نقول أن الجزائر تملك بدار البحر وتوابعه واحدا من القصور الإسلامية الكاملة وواحدا من القصور التي عرف تاريخها جيدا ، وواحدا من القصور التي أدخل عليها الأقل من الإصلاحات"[5].

وأما قصر المنار الذي لا يزال قبوه الهائل يمثل لنا عظمة هذه الآثار وجلالها ، فقد عثر من بين أنقاضه على نموذج من التنميق المعروف باسم "خلايا النحل" وهو عبارة عن قطعة من

---

(1) لا زال هذا الطابع موجودا ، ارتفاعا ، وتوفيرا للبساتين ، والجداول الصغرى.

(2) انظر إسماعيل العربي : عواصم بني زيري ص ٣٥.

وانظر سيد عبد العزيز سالم : روائع الآثار الإسلامية بجمهورية الجزائر المجلة عدد (٢٩) ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م.

(3) أنظر أبحاث: دبيليه De Bélier عن قلعة بني حماد وانظر إسماعيل العربي:عواصم بني زيري ص٣٥.

(4) انظر كتالوج بجاية صفحات ٢٢ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٥١ (نماذج من فن الزخرفه والتصوير والرسم والنحت)، وانظر La Kalaa Des Beni Hammad, P: After 86.

(5) راجع : إسماعيل العربي عواصم بني زيري ص ٣٥ وما يليها
Et, G. Marçais, Manuel de l'art musulman, P. 124.

الحجر طولها ١ متر في عرض ٦٠ سنتيمترا ، والمعروف أن أقدم أثر يمثل هذا الزخرف في الفن الإسلامي ، هو قطعة صغيرة وجدت بجامع الأقمر في القاهرة. ولما كان تاريخ هذا المسجد يرجع إلى سنة ٥١٩ هـ. فإن ظهور هذا الزخرف في قصور القلعة التي بنيت في أواخر القرن الرابع ، حدث ذو أهمية بالغة في تاريخ الفن المعماري الإسلامي.

ومن الثابت أيضا أن الأقواس النصفية ، والزخرف ذا البريق المعدني والصيني الأزرق والأبيض المنمق بالصليب والنجوم ذوات ثمانية أضلاع ، والمرمر المنحوت والمصبوغ ، كلها كانت موجودة في قصور القلعة عدة قرون قبل أن تظهر في قصور الحمراء بالأندلس.

أن قصر العروسين الذي نسب بناؤه إلى بني جامع إلى جانب مقولة سمعها التجاني[١]، من أهل قابس أن صنهاجة هم أول من بناه وأكمله بنو جامع وأن المتشابهات التي بين هذا القصر وبين قصور بني حماد في القلعة لتدل على وحدة الفن الإسلامي في تلك الفترة ويدل على ذلك وجود نفس هذا الفن الإسلامي في قصور صقلية[٢].

إن هذا الأثر ملحوظ في مواد البناء وفي تصميم القصور وفي دعامات البناء وفي الزخرفة وكذلك في الأهمية الكبرى التي منحها نورمانيو صقلية وصنهاجيو المغرب للحدائق الغناء والمياه الجارية. وكذلك في البناء بالأحجار ومن حيث التصميم والأبواب النائية والقاعات المربعة والمستطيلة وجذوع الأعمدة وتيجانها والأقواس والغاب الكثيرة المتواصلة أما من حيث الزخرفة فكانت مثل زخرفة قصور بني حماد التي هي مثل قصر العروسين بقابس فاستعملوا فيها الرخام والحجر والآجر والبلاطات الخزفية ومعجون المرمر والجبس المنقوشين وكانت الأشكال الزخرفية على هيئة أقواس متشابكة وأخرى نصف دائرية وقباب ذات خروم .. واستعملوا الزخرفة النباتية على هيئة ساق ملتف حولها غصون وزخرفه على هيئة زهور وفواكه كذلك استعملوا الزخرفة[٣]، الهندسية كالدوائر والأشكال المتعددة الأضلاع وغيرها.

ساحة القصر :

ذكر البكري[٤]، قصة الطائر الغريب الذي لا يحترق في النار وجعل له مشعل نار في ساحة القصر والطائر يتحرك في النار دون أن يتأثر وهذه الساحة كانت متسعة ورحيبة وقد اتسعت لمن حضر من العرب والبربر وغيرهم ليشاهدوا هذا الطائر الغريب ، والساحة كعنصر معماري يعتبر عنصرا قديما[٥].

رياض القصر :

أشار التجاني لرياض القصر المنسوب لأمراء بني جامع وقد نزل فيها هو وثكنته أو محلته العسكرية التي جاء معها بأكملها ، ومن يوم الأحد إلى قابس تنزلنا بأنها المنسوب إلى عروسها مما يدل على اتساعها ومساحتها الشاسعة وذكر ابن شاهنشاه[٦] بساتين الحمامة[١]

---

(١) الرحلة ص ٩٦.

(٢) النورمانديون استوطنوا صقلية والتي استعادوها من يد المسلمين مدينة سين في عام ١٠٦١م ، ثم استولوا على باليرمو ثم تعبر عشرون عاما على كل صقلية وقد عاملوا المسلمين بالحسنى واقتبسوا منها الكثير من التقاليد والعادات وبنوا قصور القبة وقصر العزيزة وقصر المنار على نمط قصور القلعة وقابس.

(٣) تفاصيل أكثر انظر رشيد بوروبية : أثر الفن المعماري الصنهاجي في بناء النورمانديين بصقلية ترجمة حنفي بن عيسى ط الجزائر.

وانظر L. Marçais l'archdeclure musulman d'occident PP. 118 - 127.

(٤) البكري : الممالك ج ٢ ص ٦٦٧.

(٥) لقد حفلت القصور القديمة بالساحة أو الصحن أو الحوش مثل قصور امنحتب الثالث ثم قصور الأمويين بالشام وقصور أشور الفارسية.

انظر : مجلة عالم البناء – التطور التاريخي لقاهرة الحوش في العمار، عدد ١٠، ١٩٩٩م ص ١٨.

(٦) محمد بن تقي الدين بن عمر ابن شاهنشاه الأيوبي زين : مضمار الحقائق وسر الخلائق : تحقيق حسن حبشي ط القاهرة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م ص ١٦٦.

المجاورة للقصر والقصبة وقد وصفها الشاعر بأنها الروضات الزاهرات الخمائل وأنه كان يسمع الطيور وهي تغدو تجاوب في الغصون الموائل. وأنه كان بها عين السلام قاعات القصر. من المخطط الذي رسمه الأثريين يتضح أنه كان للقصر بهو واسع أو قاعة كبيرة اسمها قاعة العرش ووجدت قاعات على يسارها ويمينها وكلها عليها قباب تشرف عليها ويقول الشاعر وهو يري القصر من بعد ، القباب المشرقات بأفقه كالنجوم التي بدت في سعود المنازل بمعني القصور[٢].

وقد بني بنو مكى في القرن الثامن من الهجرة (عندما حكموا قابس) في قلب المدينة ، قصرهم المجاور للجامع الكبير ذي المنارة العالية والشديدة الانحناء وسط الساحة الشهيرة والفسيحة المعروفة باسم البطحاء[٣]، ويخبرنا التجاني[٤]، "ثم توجهنا إلى قابس وهذه خطوتنا الثانية إليها. منزل الجيش بخارجها ودخلنا نحن مع مخدومنا[٥]، إلى داخل البلد بالدار الكبري[٦]، التي اعتني ببنائها الشيخ ، الفقيه أبو مروان وابن مكي رحمه الله[٧]، وهي في غاية الفخامة والاحتفال وغير قليل ما انفق عليها من الأموال[٨]، فهي للاجتماع وفيها محل يتسع اتساعا كبيرا وله قبة ضخمة تعلوه ، ومن وصف التجاني يتضح لنا أنها كانت مبنية من الأحجار الضخمة بحيث أنها بقيت صامدة عندما ضربت بالمنجنيق فقد رأي التجاني[٩]، آثاره على هيئة طرق متسع في وسط الحائط الذي في فنيينها الكبري ، ويبدو أن هذه الدار الجديدة كانت بعدما اصبح قصرا لعروسين متروكا وعنوانا لعهد مضي[١٠].

القصبة :

والقصبة حصن حصين كما أوضح البكري[١١]، والقصبة اسم مفرد لكلمة قصاب بمعنى الديار وفي كتب الرحالة نجدها تستعمل مكان القلعة : والقلعة هي الحصن الممتنع في جبل . وربما كانت كالمسجد الجامع ومثل الدار ومثل البيت منفردة صعبة لا ترتقي[١٢]، ويوجد معنى أخر يعطي أهمية سياسية لكلمة قصبة – فخلال العصر الأغلبى أصبحت قابس المنطقة ومقرا للولاية[١٣].

---

(١) انظر معجم البلدان : الحمامه كانت فيما سلف ماء لبن سليم وقد تكون ذلك إشارة إلى أن البساتين ملك لبني جامع وهم من بني سليم. ياقوت ج ٢ ص ٢٩٩.

(٢) انظر إسماعيل العربي : عواصم ص ٤٥.

(٣) التجاني ص ١٧٨ ، وانظر برونشفيك : تاريخ إفريقية في العهد الحفصي ، ج١ ، ص ٣٤٤.

(٤) رحلة : ص ٨٨.

(٥) ويقصد الخليفة الحفصي وفرقته العسكرية الذي كان التجاني ضمنها.

(٦) دور : جمع دار اسم جمع لموضع بناء ، وكل موضوع حل به قوم فهو دارهم والحديث " ألا أنبئكم بخير دور الأنصار؟ دور بني النجار ثم دور بني الأشهل ، وفي كل دور الأنصار خير والدور جمع دار وهي المنازل المسكونة. انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، مصدر سابق ، ج ٢ ، ص ١٤٥٢.

(٧) الوالي الحفصي على قابس / التجاني : نفس الصفحة.

(٨) التجاني ، ص ١٧٨.

(٩) نفس المصدر والصفحة.

(١٠) انظر براشنيك ، نفس الجزء والصفحة.

(١١) المسالك ج ٢ ص ٦٦٧ و منطقة قابس قديمة في التحصين لقد ذكر ديل Diehl عن قلعة به علـى ملتقـى ثـلاث طـرق L'afrique Byzntince P. 297.

(١٢) ابن منظور : لسان العرب – ج ٥ – ص ٣٦٤١ ، ص ٣٧٢٣ – القاهرة – ط ٢.

(١٣) دائرة المعارف الإسلامية الفرنسية : Encyclopedia de L'islam–V. IV. P 1976 – Kabis - 1978.

(وكلمة قصبة قديمة في منطقة قابس فقد وجدت لوحة تشير القصبات بالقرب من قابس وبها زنجيان يركبان جمليهما[١]).

والقصبة تعتبر مدينة قوية محكمة فيها الإدارة لأن قصر العروسين كان لبني جامع الذين حكموا قابس فيما بين أعوام بعد ٤٨٠ هـ إلى ٥٥٥ هـ وكانت أيامهم مزدهرة وخصبة[٢]، وجاء وصف عن مكانها وهذه القلعة بالقرب من جهة مطماطة ومن نفزاوه[٣].

الحصن من حولها بالجبل أو الحصن المنيع وقد شبه قراقوش الأرمني الجبل الذي بقرب القلعة بالمنار أو بالحصن المنيع[٤].

والقصبة هي نواة المدينة أي أنها الجزء المركزي فيها ، وفيها تدار المدينة لذلك كان فيها دار الإمارة أو مقر الحاكم ثم أعدوا لتحصينها تحصينا خاصا ، لتكون المعقل الأخير للحاكم ، وقد أشار التجاني[٥]، إلى أن القصبة وقصر العروسين يتشابهان مع مباني قلعة بني حماد ، أو أنه وجد أنها يحملان نفس الملامح والأسماء مما يدل على أن قصبة قابس كانت مثل قلعة بني حماد قلعة محكمة متكاملة من حيث منشآتها وتحصيناتها وقد احتوت على الكثير من الأبراج واتبعت الأشكال الهندسية القديمة[٦]، ومن الجائز أنها قد ضمنت معقلا لإيواء الخاصة وبرجا محصنا ومنارا عاليا ودارا لسك النقود[٧]، وكل ما يمكن أن يكون في قلعة بني حماد وكان لقصر العروسين دور تاريخي هام ، فقد كان في العصر الإسلامي معقلا لكل من تملك قابس كأبنائي المعز بن باديس[٨]، ثم بني جامع ، ثم طردهم الموحدون ، والرسالة رقم ثلاثين[٩]، من رسائلهم تصف قلعة القصر ، (أو قصبته) عندما هاجموا قراقوش الأرمني وجيشه وبنيه وأهله المعتصمين بها ، فتحصنوا بقصبة به (أي قابس) منيعة الجوانب[١٠]، سامية المراقب[١١]، مستعصية على المنازل لها والمحارب ، واجمعوا على الاستماتة فيها ، فاحاطت بهم أجناد الله من جميع جهاتها ونواحيها ، واستنزلوا منها.

ليس لدينا تفصيلات واضحة عن بناء تخطيط القلعة والقصر في قابس لكنه منذ العصر الأموي والعصر العباس الأول كان لكلمة قصر حصن الحصن أو المكان الحصين وقد ظلت كلمة قصر تحمل معنى الحصن أو القلعة[١٢]، في كل العصور التي قلت بعد ذلك وفي كل

---

[١] المنجي النيفر : الحضارة التونسية من خلال الفسيفساء – ص ٤٢ – الشركة التونسية للتوزيع – ط١.

[٢] المصدر السابق نفس الصفحات ، المرزوقي قابس .. ص٤١ – ٨١.

[٣] ابن شاهنشاه : مضمار الحقائق ... ص ١٦٧.

[٤] لما أعياه الاستيلاء على قابس لمناعتها وتحصنها فكر مع جيشه في عمل كمين ليغزوها مستخدما الجبل والحصن. وقراقوش هو مملوك تقي ابن الدين ابن آخي صلاح الدين الأيوبي .
انظر المصدر السابق ص ١٦٥-١٦٦.

[٥] الرحلة ص ١٧٦.

[٦] البيزنطية حيث كما هو مذكور سابقا أن كلها وريثة التحصينات الرومانية البيزنطية مع التطور على النمط الإسلامي أو التونسي. انظر سالم بحوث.. ج ٢ ص ٦٠١.

[٧] لقد صورت الباحثة دنانير ذهبية مسكوكة في قابس للأمير رشيد من جامع وهي من العملات النادرة في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

[٨] هناك احتمال أنه هم الذين بدأوا بناءه لأن التجاني قال : إن صنهاجة بدأت الميناء وأكمله بنو جامع.

[٩] رسائل موحدية ص ١٨٩.

[١٠] أي ذات حصن حصين ولها جدران سميكة مرتفعة.

[١١] سامية المراقب أي لها أبراج للمراقبة بأعلاها وهذه العبارات تدل على متانة البناء والتحصين.

[١٢] فريد شافعي : العمارة العربية ط الهيئة المصرية التأليف والنشر ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠م ص ٥١٨ – ٦١٢.

الأقطار الإسلامية مثل كل الحصون التي شيدها الأغالبة على السواحل في إفريقية مثل قصر منسيتر وقصر سوسه وغيرهما[1]، وخاصة على خليج قابس ثم جاء الفاطميون فكان مدينتهم المهدية ومقرها أعظم مثل في التحصين في إفريقية ، كالإحاطة بالجدران القوية المدعمة بالأبراج العظيمة وقد زودت هذه الجدران بأنواع البدع المعمارية للدفاع مثل الشرفات والمزاغل والسقاطات وغيرها[2].

كذلك في الأندلس وحصونها وتتميز أغلب المدن التي شيدها المسلمون فيها بصفات حربية بحتة مما يدل على أنها أسست للدفاع عن المناطق المحيطة بها ومما يعبر عن ذلك أنها عملت أسماء تدل على هذه الصفات مثل قلعة جابر والعليعة وقلعة ايوم وغيرها [3].

ومن أهم القلاع في العصر الإسلامي قلعة دمشق وقلعة الجبل التي شيدها صلاح الدين الأيوبي[4].

الأسواق:

لما كانت قابس مدينة صحراوية تجارية يفضل موقعها الممتاز لذا كثرت أسواقهاأسواقها العامرة الكثيرة فمن ناحية الساحل وجدنا أسواقا كثيرة وحركة صادرات وواردات بالمعنى الحديث من ناحية الميناء وفي الأرباض خارج المدينة فقط قيل عنها "جل أسواقها في أرباضها[5]، كذلك وجدت أسواق من ناحية الصحراء حيث إنها مركز للقوافل على جانب الطريق الموصل إلى المشرق وكذلك المغرب مثل أسواق المغرب الأدنى فقد سادت حركة التجارة فيها مثل غيرها فهناك أسواق للأسماك المشهور بها خليجها[6]، وأسواق لزيت الزيتون الموجود بكثرة في غاباتها ويعمل منها زيت كثير يجهز بسائر النواحي كذلك التمر الذي لا يشبهه شيء على علوكته

وحلاوة مذاقه[7]، كذلك اشتهرت قابس بتجارة الحناء[8]، تنصب أسواق قابس بصفة تفاضلية بمختلف أنواعها بالقرب من المسجد الجامع[9].

---

(1) التجاني : المرحلة ص ٧٥ – ٩٥

(2) سعد زغلول عبد الحميد : العمارة والفنون في دولة الإسلام ط الإسكندرية منشاة المعارف ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م ج ١ ص ٣٦٦.

(3) سيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور ط الإسكندرية مؤسسة شباب الجامعة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ط ١ ص ١٥٥ – ١٥٦.

(4) تتألف هذه القلعة من قسمين أساسين : القسم الشمالي الشرقي وهو الحصن الحربي على شكل مستطيل مزود بأبراج بارزة ، والقسم الجنوبي الغربي وبه الملحقات من القصور والمساجد والإسطبلات، وقد أحاط صلاح الدين القلعة بسور ضخم يبلغ سمكه ثلاثة أمتار ويزيد ارتفاعه من الداخل في المتوسط على عشرة أمتار كما يزيد ارتفاع الأبراج على عشرين مترا. وبعض هذه الأبراج له مسقط دائري والبعض الأخر يأخذ مسقطه شكل ثلاثة أرباع دائرة. وهذا النوع الأخير يقع في نواصي جدران القلعة وقد زودت هذه الأبراج بحجرات داخلية بها فتحات للسهام. إن وصف هذه القلعة بهذا الشكل يعطينا انطباعا بأن قلعة قابس أو قصبتها لا تبعد عن هذه التفاصيل كثيرا ، وهذا من المرجح.
انظر مجلة البناء عدد ١٠ ص ٢٠ القاهرة.

(5) الإدريسي : ج ٢ ص ٢٨٩.

(6) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(7) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(8) القلقشندي : أسمه أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الشهاب الشافعي البجري: ٨٢١هـ – ١٤١٨م ممثلة المأثورات العبية عدد ٣٥ صبح الأعش في صناعة الانشا ط القاهرة ط١ ج٥ ص ١٦١.

(9) الناصر البقلوطي : العمارة التقليدية في الجنوب التونسي مجلة المؤثرات الشعبية عدد ٣٥ ص ٢٦.

تنصب سوق الحيوان في ساحة كبرى في قابس يجتمع فيها بائعو الإبل والأغنام وذوات الحوافر وقد أشار الوسياني[١]، إلى أسواق كثيرة وتجارة رابحة ذات أهمية كبري في سوق الجمال في جنوب قابس عند مراكز القوافل حيث تباع وتشتري أجود أنواع الجمال التي تشتهر بها قابس وما حولها بتهجينها وبيعها وهي سوق رائجة نظرا لأن قابس مركز قوافل صحراوي ويستعان بهذه الجمال لقوافل الحج والتجارة وكذلك أشار التجاني[٢] إلى سوق كبيرة للحرير في قصر سجة وأسواق الميناء أو المرفأ حيث الصادرات والواردات [٣] وفي الأسواق الرئيسية في أرباض قابس وخارجها "جل أسواقها في أرباضها [٤].

كذلك توجد أسواق قبلي قابس في تبلبو وزريق [٥] والحامة وهي من الجهة الغربية من قابس[٦] أو حامة مطماطة. السوق هو موضع البياعات والجمع أسواق وفي التنزيل إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وفي حديث الجمعة إذا جاءت سويق أي تجارة وتصير في السوق سميت بها لأنها جلبت إليها وبدأت فكرة تحديد موقع محدد للسوق عندما اختار النبي عليه الصلاة والسلام منطقة ربع الزبير الغربية من مسجد المدينة لتكون له مقرا حيث روى أنه قال: هذا سوقكم ليس له أن يبنى أو يملك ، ولا ضرائب تجبي عليه [٧].

ثم تغير موقع السوق إلي هو معروف اليوم بالمتاجر وقال الخليفة عمر بن الخطاب الأسواق على المساجد: من سبق إلى مقعده فليقعد حتى يقوم إلى بيته أو يفرغ من بيعه[٨]. والأسواق لها مصطلحات كثيرة منها القيسارية أو السوق المغطي ولعلها محرفة عن الكلمة اللاتينية Caesera حيث كان الرومان يقيمونها في المدن كمستودع لبضائعهم وتكثر حجراتها[٩] يروي البكري [١٠] أن القيروان كانت بها سوق مسقوفة وأن الخليفة هشام بن عبد الملك قد أمر بترميمها وتأسيسها عام ١٠٥هـ ٧٢٤م ، وكان سطحها متصلا فيه جميع المتاجر والصناعات ونظمه يزيد بن حاتم إذ كانت مقرا لكل أهل الحرف [١١]. أما في باقي إفريقية فقد كانت الأسواق منسقة متشابهة فقد صممت الدكاكين بنفس الأسلوب.

في القيروان كان عبارة عن صف متصل على الجانبين ، يصل بينهما ممر معقود السقف بالآجر أو الحجارة ، وتوجد مصطبة ممتدة على كل رصيف يجلس عليه المشترون. انقسمت تلك الأسواق إلى قسمين – أحدهما للصناعات اليدوية يعمل أصحابها بتحويل الخام إلى مصنوعات. والآخر على هيئة أسواق للبيع وعرض المصنوعات والسلع المتعددة سواء من دور

---

(١) السير مخطوط ورق ٤٨ وانظر المرزوقي ص ٩٥.

(٢) الرحلة ص ٨٧ وما يليها.

(٣) المصدران السابقان نفس الصفحات.

(٤) البكري ج ٢ص ٦٦٧ التجاني : الرحلة ص ٨٧ وما يليها والإدريسي ج٢ ص٢٨٩.

(٥) أنظر المرزوقي في قابس ص ٩٩ وهما قرى في أحواز قابس.

(٦) التجاني نفس الصفحات.

(٧) ابن منظور : لسان العرب ج ٣ ص ٢١٥٤.

(٨) محمد عبد الستار عثمان المدينة الإسلامية ص ٢٥٣.

(٩) صالح الهذلول : التحكم في استعملات الأراضي في المدينة العربية من ندوة أنقر لعنوان : الإسكان في المدينة الإسلامية ط ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م ص ١٨٩ وما يليها.

(١٠) المسالك: ج ١ ص ٦٧٧.

(١١) الهزلود مرجع السابق ص ١٨٣ وما يليها.

الصناعة القريبة أو المجلوبة من الخارج[١]. كذلك وجد نوع من القيسارية اسمه الطباق (مفرده طبقة)، عبارة عن حجرة نوم ملحق بها مرحاض ليسكن بها من يحتاجها وكانت هذه الطباقات تدر دخلا إضافيا على مالك القيسارية[٢].

ولا ننسى الخان :
كلمة خان تعود بجذورها التاريخية إلى الأصل الآرامي ، وتعني بالتركية دار العمل والتجارة وجمعها خانات ، وتعني بالفارسية الحانوت أو الدكان وقد أضيف لها حرف الهاء فأصبحت خانة، وذكر منزل تساوي في المعنى المخازن الكبرى حيث كانت ترد جميع أصناف الفاكهة وغيرها من البضائع. وكان الخان يبنى خارج المدينة أو داخلها وفي خارجها ، يكون على هيئة مربع أو مستطيل مدعم بأبراج نصف دائرية في الأضلاع ويكون له مدخل واحد لحماية التجار وسلعهم.
يتألف المبنى في داخله من عدة طوابق [٣] تلتف حول صحن مكشوف في الوسط أما الطابق الأرضي فيتكون من فواصل أو مخازن لحفظ البضاعة ، بينما تعد الطوابق العليا لسكن التجار ، وقد يلحق في وسط الصحن مسجد للصلاة أو مصلى.

وخارج المدينة استعملت الخانات كمحطات استراحة للقوافل التجارية والبريد وقت السلم، كما استعملت كربط للإنذار المبكر للمدينة عند هجوم عدو.

أما الخانات داخل المدينة فقد أوجدتها الضرورة جنبا إلى جنب مع المنشآت التجارية الأخرى. ومن المتعارف عليه أن الخانات كانت لسكن التجار الأجانب وممارسة حياتهم الخاصة.
ويرى المبشر إيفالد أثناء رحلته[٤] من أفريقية أن سكان الجارة والمترل وهما الحيان الرئيسيان بقابس الآن أن هذه المناطق فيما سلف مخصصة للأسواق المختلفة لبيع منتجات قابس وأحيانا كان البيع بالمقايضات. إن هذا يدل على سعة أسواق قابس وسعة حجمها ومثل أغلب المدن الإسلامية الإفريقية كانت أقرب الأسواق قرب المسجد الجامع. وكانت ذات حجرات طويلة من الأجر فوق أعمدة خفيفة متوازية[٥].

الوكالة :

وهي مكان التقاء التجار ومركز تجاري وفندق والوكالة تكون على سور المدينة أما الخان فيكون خارج المدينة والوكالة للإقامة الطويلة.

الربع :

وهو عبارة عن مبنى من عدة أدوار تخصص أصلا للصناع وأصحاب الحرف وكان الدور الأرضي يحتوى على ورش أو محلات والمرافق والخدمات اللازمة والطابقان العلويان

---

(١) عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى- ط القاهرة ملكية الإنجلو المصرية ط ١٤٠٤هـ ١٩٨٦م ص ١٠٣ والسوق القابسية هي القدروم في العصر الروماني حيث كان المركز يحتوي لنشاط السكان حيث يحتوي على ساحة متسعة.

(٢) رلعت موسى: الوكالات والبيوت الإسلامية مجلة الاجتهاد (لبنان) مجلد ٩ عدد ٣٤ إلى ٣٩ ١٤١٧هـ ١٩٩٧م ص ٤٤٦ – ٤٦٣.

(٣) المرجع السابق نفس المكان.

(٤) المبشر إيفالد : رحلة إلى تونس (خلال النصف الثاني للقرن الثاني ١٩م)ص ٧٥.

(٥) أرنست كونل : الفن الإسلامي ترجمة أحمد موسى ط بيروت ١٣٨٦هـ ص ١٢٨.

يحتويان على مجموعات مستقلة عن بعضها مكونة كل مجموعة من غرفة إلى اثنتين ودورة مياه ومكان للطعام أو الفسح وتشبه الوكالات إلى حد كبير ويؤدي إليها عادة ممر متصل في أحدها بسلم وآخر يؤدي إلى الشارع وفي أغلب الأحيان كان يحيط بهذا المبنى كله سور متين يفصله عما حوله[١] وكان الحرفيون يقيمون فيه وقد لا يرجعون إلى منازلهم إلا في الليل [٢] وكان للمرأة الأفريقية دور كبير في تلك الأمكنة في دور الصناعة أو الربع [٣] حيث تشترك فيها كل تلك الأنواع التي ذكرت سالفا وتعتبر وريثة الأسواق المغطاة والبيزنطية على جوانب الساحة Forum مع اختصاص كل سوق بسلعة معينة سواء من حيث البيع والتصنيع مثل سوق الأقمشة Basilicae, Vesliva Lesmarchanls des etoffesعلى سبيل المثال [٤] وبعد دخول الإسلام أصبح المسجد هو منطقة التحول في دراسة الطبوغرافية التاريخية للمدن الإسلامية [٥].

ذلك هو المركز الديني للمدينة والذي يعتبر القلب من جسدها المسيطر على حياته الاقتصادية والاجتماعية فقد كانت الحركة التجارية بالقرب منها فأصبحت الساحة أو حول الفضاء بجوار الجامع هي المركز الرئيسي للتجارة في قابس الإسلامية وإلى جانب ما ذكر من أنواع الأسواق كانت توجد الحوانيت التي تغلق بألواح متحركة تربطها مزاليج محكمة وكان يعلوها ظلة مائلة من الخشب أو الحصيرة تقي البائع من حرارة الشمس وما تزال شوارع ودروب قابس تزخر بمثل هذه الحوانيت [٦] مثلها مثل القيروان وتونس [٧].

وتحدث ابن خلدون [٨] عن أنواع من الأسواق موجودة في كل أنحاء المغرب وهي أسواق تقام على حافة الجبال وعلى الطرق الكبيرة عندها وبخاصة عند أشجار الزيتون وهي عبارة عن سوق للمبادلات التجارية بين الجبل والسهل.

هذه الأسواق غالبا ما تكون محاطة بسور قوي وتشتمل على كثير من الدكاكين المقسمة إلى أحياء في وسطها رحبة تدور حولها مخازن وغرف تستعمل كحوانيت ومسجد وهي عبارة عن قبيلة صغيرة تقوم بمقام الشرطة والمحتسب في الوقت نفسه وتقام معرض كبير في الربيع والخريف بجانب الأضرحة التي تجذب أغلب السكان من القبائل الكائنة بالقرب منها ويسمى على اسم كل صاحب ضريح.مثل موجاز سيدي(....)

الحمامات :

ذكر البكري [٩] أن قابس ذات حمامات كثيرة وتبعه ياقوت[١٠] لما كانت قابس مدينة تجارية من الدرجة الأولى ومركز القوافل فقد تميزت بكثرة حماماتها. والحمامات دائما تكون بالقرب من المسجد الجامع – والأسواق أما في قابس ففي داخل المدينة وخارجها في الأرباض

(١) مثل وكالة الغوري بالقاهرة أنظر توفيق عبد الجواد تاريخ العمارة ط مكتبة الإنجلو بالقاهرة ط ١ ص ٢.

(٢) حسن حسني عبد الوهاب : ورقات ط ص ٥٨.

(٣) لم تستعمل هذه الكلمة في أفريقية رغم وجود هذا النوع من المصانع والأسواق.

(4) Fernand L'afrique Mediterraneenne P. 21 - 29

(٥) سيد عبد العزيز سالم : التخطيط ومظاهر العمران .. ص ٥٤-٥٦.

(٦) المرجع السابق نفس الصفحات ، وانظر المرزوقي قابس .. ص ٢٤ وما يليها.

(7) Revauft-J: L'arrtradilionnelen Tunis P. 175 1'edid.

(٨) المقدمة ص ٤٢٤ وأنظر الحسن السائح الحضارة الإسلامية في المغرب دار الثقافة بالدار البيضاء ١٤٠٦هـ ط ، ص ٢٨٥ – ٢٨٧.

(٩) المسالك والممالك ج٢ ص ٦٦٦

(١٠) المعجم ج٤ ص ٢٨٩ ولم يذكر البكري وكذلك ياقوت اسم أي حمام في قابس

وفي مركز القوافل وفي كل مكان : منذ وصف سترابون لها أنها سوق [١] كبيرة. كان الحمام دائما مركزا للاجتماعات والمرح وفرصة لاجتماع الشعراء للمساجلات الشعرية [٢].

لقد كانت عادة الاستحمام والطهارة للوضوء قبل كل صلاة ومن العادات المتأصلة بعمق في الإسلام وقد خضعت الحمامات للمحتسب لضمان النظافة التامة والطهارة والماء ومنع المنكرات [٣].

كان الحمام عبارة عن مبنى مربع يشيد من الأحجار الصلبة وله باب يقفز إلى داخله أما خلفه فتوجد مزيلة تستخدم في إيقاد النار التي تسخن المياه في الحمام وغالبا ما تكون تلك المياه مستخرجه من بئر قريب من الحمام أو من عين جارية (وقابس مليئة بالعيون والآبار) [٤] وفي داخل الحمام يوجد المدخل الذي يؤدي إلى ممر ينتهي بالمشلح أو موضع خلع الثياب وحفظها [٥] ثم يتصل المشلح بالحجرة الأولى من الحمام أو قاعة تسمى الحجرة الباردة ومزود بأحواض الماء أو الهواء الساخن عبر أنابيب فخارية في الحوائط آتية من المستوقد وتتصل هذه الحجرة بحجرة أخرى هي بيت الحرارة أو الحجرة الساخنة وهي مزودة بمغطس يبلغ فيه الماء أقصى درجة يتحملها الجسم وأرضيات القاعات مفروشة كلها بالرخام لتسهيل تنظيفها كما أن الحجر معقود سقفها بها فتحات تغطيها قطع الزجاج التي تسمح بمرور الضوء الطبيعي دون الهواء ، يوجد المستوقد خلف الحمام بجوار (المزبلة) حيث يتم تسخين المياه في قدور نحاسية كبيرة ثم يملأ الماء عبر أنابيب فخارية ويكون لهذا المستوقد باب خلفي لتزويده بالوقود من حطب وغيره ، استوجب تصميم أحواض الماء والأنابيب والقنوات بطريقة معينة تكفل طهارة الماء[٦].

الأحياء:

في أيام الدولة الحفصية وربما من قبلها أصبح في قابس حيان رئيسيان هما حي الجارة وحي المنزل وعلى حسب الينابيع والعيون المائية هذان الحيان كانا نوعين من القرى أو الوحدات الصغيرة المنضمة إلى بعضها إلى جانب واحة شنني وبذلك كانت الأحياء الرئيسية التي يتضمنها هيكل المدينة ويقع حي الجارة شمال شرق المنزل متصلة بأحد أذرع أو جوانب وادي قابس [٧] وسهل مرتفع في وسطه طابية أو قلعة صغيرة قديمة وقد ذكر مارسيه وجيرين [٨] أن أغلب أبنية بني جامع الهلاليين كانت في منطقة جارة. ومنطقة جارة أكبر قليلا من المنزل وهما الاثنتان[٩] كانت كل الأبنية فيهما مستخدما فيها الكثير من الأحجار الأثرية وتمتد الجارة والمنزل[١] كمستطيل أصبح شريطيا (كالشريط بعد توسعاتهم في عصر بني مكي) [٢]

---

(1) Gzell : L' Abricpie romaine, P2.

(٢) فون شاك : الفن الإسلامي العربي، ترجمة مكي ط دار المعارف ط ١ ص ١٨.

(٣) كانت الحمامات قديمة في قابس منذ أيام الرومانية وكان من أشهر حماماتهم حمام هارديات كان على نسق حمامات روما. أنظر البرغوثي : تاريخ ليبيا – ص ٥٥١.

(٤) الرحلة ص ٩٦.

(٥) نص المحتسب على أن يكون له خلوتان أو أكثر ويضم عدة أو أفرين لكل منها حوض ضخم ، انظر محمد عبد الستار عثمان المدينة الإسلامية ص ٢٤٦ و ٢٤٧ وانظر سعيد عاشور وآخرين دراسات في تاريخ الحضارة ص ٢٩٦.

(٦) ابن خلدون المقدمة ص ٤٢٤.

(٧) تنقسم وادي قابس فعلان لصيب في البحر شمالا ويمينا إلى ذراعين وعدة قنوات تغذي كل منها بدورها مئات مصارف التي تروي الكثير من المزارع الخصبة والحدائق الغناء التي تتميز بها قابس وأحيانا يحدث له فيضان. وأنظر Encyclopedia de l'islam Paris 1998, tome (v) 350-355.

(8) Guerine : Voyage archealogique dans la régence de tiuns

(9) Marcais. G. : Archtecture musulmanne P. 78-79 Gueren: Voyage... P. 189.

والمنزل[1] كمستطيل أصبح شريطيا (كالشريط بعد توسعاتهم في عصر بني مكي) [2] كذلك توجد شنني ومساحتها أكبر من المنزل والجارة كما يضم هيكل المدينة منطقة زواوه (التي بها قبر الصحابي الجليل أبي لبابة) في الجنوب من قابس [3] كما أصبحت منارة قابس المشهورة التي (قال عنها التجاني [4] أنها سقطت. وأصبح مكانها منطقة سكنية تسمى حي المنارة إذ إن قابس كانت تضم تجمعات متقاربة من الأحياء المذكورة سلفا.

تصطف أحياء قابس السكنية على منوال المدينة الإسلامية على جوانب الأسواق في نسيج مستقر وكثيف ، مبنى على التجاور [5] يأتي على شكل وحدات ملتصقة بعضها ببعض تطورت هذه الأحياء أو القرى أو الواحات نظرا لطبيعة وضع قابس كواحة كبيرة وسط أودية أنهار وجداول فنجد أن حي الجارة أصبح فيها منطقة تسمى البلد. ومنطقة الثنيه ورفعة الضعفاء ووشاح وجنان بين شرود ، والمنزل به رقعة حومه الطلعة وحومة الجزيرة وجنان صلالات ورقعة براتو وجنان وحومة الأربعين أما شنني فيها النوايل وغابة دواما وجنان الطلعة والطباري كذلك غابة منطقة نيفات والرازيقة وهذا على سبيل المثال لا الحصر وقد حدث كل هذا التطور العمراني إلى أن سجلته وثيقة وقفيات محمد باي المرادي في نهاية القرن السابع عشر الميلادي [6].

الشوارع :

كانت المدن الرومانية التي فتحها العرب ذات شوارع واسعة مستقيمة وكان يخترقها عادة شارعان رئيسيان يؤلفان محوري المدينة أحدهما الطريق العظمى Cards Masumus والثاني يعرف باسم Dacumanos المتعامد عليه [7].

ويذكر ديل [8] Diehl أن مدينة قابس في العصر البيزنطي كان لها ثلاثة شوارع رئيسية تبدأ من أمام كل باب من أبواب قلعتها وكانت هناك طرق فرعية من هذه الشوارع إلى داخل أفريقية غربا إلى قفصة ثم إلى قرطاج وشرقا نحو طرابلس كما كان هناك شارع يؤدي إلى الطريق الساحلي إلى قابس يربط الساحل عند خليج قابس (أو سرت الصغير إلى خليج سرت الكبير) وليصل إلى طرابلس [9] أما الشارع الجنوبي فكان يتصل بالطريق الجبلي العسكر الذي يسير فيه خط توزيع المياه على طول الجبل من قابس إلى لبده [10] وقد ذكر ابن فضل العمري :

---

(1) Faivre du Paigre : L'rnnigation Traditionnelle en Gabes .CT. P. 31.

(2) التجاني ص ٩٦.

(3) Guerine : les mme P.

(4) المصدر السابق نفس الصفحة.

(5) قد تقوم أحيانا بعض المنازعات بسبب الأسواق مثل المنازعات بين المنزل والجارة على حق استغلال السوق حتى وقتنا الحالي لكن هذا لا يمنع صفة التجاور بينها أنظر المرزوقي قابس ص ٨ وأنظر ناصر بقلوطي : العمارة السكنية والسكن التقليدي بالجنوب التونسي مجلة المأثورات الشعبية السنة التاسعة العدد ٣٥ ١٤١٥هـ ١٩٩٤ ص ٢٤ – ٣٨ – وتنتمي تلك العمارة التخطيطية التي تتميز بها جنوب أفريقية إلى هند ظهرت منذ آلاف السنين : ٢٠٠٠ ق.م ببلاد الرافدين ثم انتشر على ضفاف البحر المتوسط عند الإغريق والرومان انظر المرجع السابق ص ٢٧

(6) د. مبروك البالي ملاحظات حول واحة قابس المجلة المغاربية عدد ١٥ ص ٦٢

(7) Diehl : L'Afrique Byzonline P. 227

(8) Ibid.

(9) وقد وجد أثار هذا الطريق من بعض الحجارة في مدينة طرابلس وكان هذا الطريق يصل ما بين إسكندرية وقرطاج.

(10) وقد اكتشفت بعد أحجار هذا الطريق الأثري. أنظر البرغوتي تاريخ ليبيا القديم ص ٥٩١.

تم تقسيم الطريق من قابس ، فطريق جنوبي على الجريد وطرق شمالية على الساحل وقد ذكر القبائل العربية والبربرية المشرفة على تلك الطرق الرئيسية(١)
هذا بالنسبة للشوارع الرئيسية وقد تطورت وأصبحت الشوارع كثيرة ومتسعة بعد الفتح الإسلامي فأصبحت شوارع في الغابة والمزارع والأرباض وتلك الطرق الرئيسية. في خارج قابس حدثنا التجاني (٢) أن الوادي يسقي البساتين والمزارع ويخترق كثيرا من مواضع الغابة وشوارعها (٣).

كانت الشوارع مبلطة ممتدة أفقية وعليها الساباط للحماية من الشمس وقد وصف لنا القاضي ابن عميرة (٤) في القرن السابع من الهجرة أنها سكك مأجورة وجنة من جنات الأرض بجمالها الأندلسي. وبعد أن تزايد السكان أصبحت الشوارع ضيقة متعرجة في سيرها مثلها مثل كل المدن الأخرى وكان منفذ الشارع بابا يقفل أثناء الليل تأمينا للسكان كانت تربط بين الشوارع الرئيسية في المدينة بعضها ببعض حارات ضيقة متداخلة وتؤدي هذه الحارات إلى أزقة ودروب وزنقات بعضها مغلق وبعضها نافذ (٥) وكان هناك حراس يقومون بحراسة هذه الشوارع والدروب ووصف ابن سعيد المغربي ذلك ، أما خطة الطواف بالليل وما يقابل من المغرب أصحاب الأرباع في المشرق (٦) ويصف الأثري
جيرين (٧) Gueren شوارع قابس في مطلع القرن التاسع عشر من المجري أنها ضيقة ومنحنية وبيوتها ذات سقوف منخفضة يقضي إلى جميع أحياء وأنحاء قابس وهذه الأنهج والأزقة الضيقة الملتوية تساعد على استغلال أقصى للفضاء ومن وظائفها تلطيف الهواء من تأثير الرياح كما تعدل درجات الحرارة وما توفره من ظلال ، وتؤمن تزاوجا مستحبا من الفضاءات العامة والفضاءات الخاصة بالمنازل مما يحمي خصوصية المساكن (٨).
وإذا رجعنا إلى المضمون الإسلامي في الشوارع والحارات نجد إنها اكتسبت أهمية خاصة من المنظور المعماري الاجتماعي والاقتصادي كأحد التكوينات الأصلية في المدن التراثية، وليس المقصود هو الشكل والملامح التراثية لها ، ولكن المضمون المتمثل في الخصائص التي بنيت على أساسها الحارة أو الشارع ، مع التأكيد على العوامل التي أدت التي تكوينها في المدينة الإسلامية بصفة عامة ، وذلك كوحدة جوار في العمارة الإسلامية ففكرة الشوارع ذات النهايات المقفلة (٩) تساعد على خلق روابط يومية بين أفراد المجتمع كذلك قسمت الشوارع إلى مقاطع ذات محاور متكررة تتم فيها تغيير الاتجاهات مما يضفي صورة متجددة دائما وأصبح ذلك نمطا سائدا.

---

(١) أنظر : شهاب الدين ابن العباس أحمد بن ملجي ابن فضل الله العمري (٧٠٠ – ٧٤١هـ) (١٣٠١ –١٣٤٩م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار – دراسة وتحقيق دوروتيا كرافولسكي ط بيروت ١٤٠٦هـ ١٩٨٨م ص ١٨٢ – ١٨٤.

(٢) الرحلة ص ٩٧ من الحجر ممتد بعرض الشارع فيحمي من الشمس ويكون كالممر من منازل الجانب الأيمن من الشارع إلى الجانب الأيسر.

(٣) أنفي محمد بن شريف : القاضي بن عمرة حياته وآثاره ص١١٢-١١٦.

(٤) المرجع السابق نفس الصفحات.

(٥) سيد عبد العزيز سالم التخطيط والعمران في المدينة الإسلامية عام ١٩٥٧ شهر ٩ص ٥٩.

(٦) نقلا عن المرجع السابق نفس المكان.

(٧) رحلة أثرية ص ١٨٧ وهذه هي وجهة نظره.

(٨) ناصر البقلوطي : مرجع سابق نفس المكان.

(٩) سيد عبد العزيز سالم: التخطيط العمراني ...... ص ......

أما الحارة فهي أصغر وحدة عمرانية اجتماعية تتكون منها المنطقة السكنية ، تشتمل على مجموعة من السكان المتقاربين في العادات والتقاليد والذين تجمعهم عقيدة الإسلام ليشكلوا أصغر تجمع بشري حضري في المجتمع الإسلامي، ويمكن أن يمثل النواة العمرانية المكونة للمنطقة السكنية، ويتمثل المضمون فيها في الآتي :

- تكوين عمراني تفتح عليه مجموعة من البيوت تساعد على توثيق روابط اجتماعية يومية لسكانها.
- لكل حارة طابعها المميز لها، والمرتبط في بعض الأحيان بنوع النشاط الذي يمارسه سكانها. أو بالنشاط التجاري الموجود بها (النحاسين – العطارين – الصاغة ..إلخ) مثل قابس القاهرة القيروان وتونس حيث كانت الحارة مكانا للسكن والعمل واللقاءات، لأن مسكن العاملين بها غالبا ما كان فوق محلاتهم مثل أسواق أفريقية كلها [١].
- تفتح جميع مداخل البيوت على الحارة، وأحيانا تتجمع عدة منازل ضمن تجمع كبير
- يفتح على مجاز للوصول إلى دور السكني [٢].
- كانت معظم الحارات ضيقة ومتعرجة لتوفير الخصوصية ، وقد أدى ذلك إلى استخدام الأفنية الداخلية ، حيث كان لا يزيد عرض الحارة على سبعة أذرع. كذلك وجدت الساباط [٣] أو بمعنى جسر من المنزل يمينا إلى المنزل الآخر يسارا ثم ترك فراغ لتظلل حركة الظل والنور فكان ذلك ملمحا منها.

لذلك فإن مضمون الحارة الإسلامية قد ظهر في معظم المدن الإسلامية: فالحارة في القاهرة مثل الحارة في تونس ولها نفس الطابع في حارة مدينة قابس لأن مضمون وجود الحارة المبنى على العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع الإسلامي موحد ، فأوجد بدوره طابعا مميزا [٤].

عمارة الدور والمنازل في قابس :

أن هذا الجانب من العمارة لم ينل حظا كافيا من الدراسة بالنسبة للمدينة الإسلامية بصفة عامة : وتخبرنا الحفريات عن نوعية هذه الدور [٥] أن منطقة قابس وما حولها نجد أنواعا متعددة من الدور والمنازل من القصور المرفهة الفاخرة إلى المترل البسيط البربري في الجبل في الجنوب ووجد في قرى قابس البسيطة عمارة المداشر [٦] يقيم فيه بعض البربر إلى جانب

---

(١) عثمان الكعاك الحضارة في حوض البحر المتوسط ص ٦٠ وما يليها. حسن حسني عبد الوهاب : ورقات في الحضارة ج٢ ص ١٨٢

(٢) هناء شكري: مجتمع الحارة كأساس لتصميم المدينة المعاصرة. رسالة ماجستير – هندسة القاهر عام ١٩٨٧ ص.ط. وأنظـــر إيمان عطية : المضمون الإسلامي في العمارة الإسلامية. رسالة دكتوراه هندسة القاهرة ١٩٩٦ ص ١٦٤.

(٣) موسوعة تاريخنا ج٤ ص ١٧٢.

(٤) هناء شكري : مجتمع ...... ص ١٥.

(٥) ثروت عكاشة: القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ط ١ ص ٨٩.

(٦) جمع مدش عبارة عن بيوت من طين كمجموعة في ناحية ولكنها بدون لجد أو سوق / أنظر ابن خلـــدون المقدمـــة ص ٣٢٢.

سكناهم للجبال (الغيران) [1] والسبب في ذلك كما أخبرنا ابن خلدون أن هذه الأقطار كانت للبربر منذ آلاف السنين قبل الإسلام وكان عمرانها كله بدوياً فلذلك كان عمران أفريقية والمغرب كله أو أكثره بدوياً مثل خيام طواعن وقياطن ولكن في الجبال.

في قابس نجد منذ القدم أنواعاً متعددة من الدور والمساكن حسب الحالة الاجتماعية لأصحابها. لقد وجدت فسيفساء في أنقاض تينية Thainee وفي جنوبها أيضا تدل مجموعها على العقارات والمساكن العجيبة التي يرجع عهدها ما بين القرن الأول والرابع الميلادي [2] وكانت هناك في وسط قصور صغيرة وفيلات كانت المساكن دائماً في شكل حصون وسط حدائق كبيرة محاطة ببعض البناءات الأخرى.

كالأصطبل ومخزن المؤونة [3] كما كانت هناك بيوت الفلاحين البسيطة من الطين كذلك الصيادين كما أشار ابن خلدون[4] وجدت في برج أننه أو Tainme شمال قابس مما يجعل على الاعتقاد بوجود قوافل الترحال عند تغيير الطقس تسمى العمارة السكنية بمنطقة قابس وما حولها مثل قفصه وتورز وقبلي وغيرها من مدن الجريد وهذا النمط ظهر منذ ألاف السنين ٢٠٠٠ق.م [5] أو أكثر في بلاد الرافدين ثم انتشرت على ضفاف البحر الأبيض المتوسط وتتمثل في البيت ذي الحوش المركزي كما امتازت العمارة الإفريقية وفي جنوب قابس بالأخص بالعمارة البربرية الجبلية مثل جبل مطماطة ودمر حيث توجد العديد من القبائل البربرية التي ترعى الماشية وتزرع الزيتون وتنحت مساكنها في حجار الجبال وهي القرى التي تحدث عنها ابن خلدون [6] وهي تجمع بين البناء والحفر أو النحت في الجبل أو النقر بمعنى أدق على هيئة غرف مجازا أو عدة غرف للنوم والجلوس وخزن الأدوات وفوقها الأهراء وهو لخزن المحصول ثم تلي ذلك غرفة أو غرفتان منحوتتان في طبقة الجبل والأدوات اليومية تسمى الخزنة تغطي سقفية تلك الغيران أو البيوت إلى فناء واسع مكشوف فيه مطبخ ومرحاض[7] وبالقرب من ذلك كله كان هناك تحصينات بربرية عسكرية.

المنزل البسيط الذي يسكنه العامة في قابس ويمثل الغالبية العظمى من منازل منطقة قابس التي تخص الطبقة المتوسطة ، يختلف في طرازه وأسلوب بنائه عن باقي المنازل التي تبنى في مدن إفريقية الأخرى ، فغالبا ما يتكون من طابقين أو ثلاثة على الأكثر ، ومدخل المنزل القابسي يتكون من سقفية بسيطة أما الحجرات فكل واحدة تسمى دارا ، وتفتح جميعها على حوش رئيسي أو فناء يسمى وسط الحوش ، عن طريق باب يسمى سطوان هذا عن الدور الأول أو السفلي ، كما يوجد درجات لسلم يؤدي إلى الطابق الثاني المكون من عدة حجرات اثنتين أو أكثر تسمى الواحدة منها غرفة وهي للسكنى وعادة ما تكون فوق حجرات الدور ، وغالباً ما تكون ناحية الشرق أو الجنوب. وبداخل الغرف تكون مبنية فيها نوع من المصطبة أو الكنبة فسيحة تعد ذلك للنوم وتسمى الواحدة منها الدكانة وتوجد أخرى من الخشب تسمى السدة وتستعمل إما للراحة أو لوضع الحاجيات[8].

---

(١) جمع غار عبارة عن فجوة منحوتة أو منقورة في الجبل ، المصدر السابق ٤/٣٢٤/نفس المصدر والمكان.

(٢) المنجي النيفر الحضارة التونسية من خلال الفسيفاء ص ٣٠.

(٣) المرجع السابق

(٤) المقدمة ص ٤٣٤.

(٥) المرجع السابق

(٦) المصدر السابق

(٧) لناصر المنفلوطي للعمارة السكنية في الجنوب التونسي– تحت ضوء مجلة المأثورات الشعبية السنة التاسعة العدد ٣٥ سنة ١٤١٥هـ ١٩٩٤م ص٢٤ وما يليها.

(٨) Nasser Bakhouti: La maison traditionnelle a gabes P.

وهذه الحجرات العلوية مخصصة للراحة والمعيشة. أما الحجرات السفلية فتكون للطعام ومطبخا وهناك حجر خارجية للزوار في وسط الحوش ، يلعب الحوش دوراً كبيراً في المنزل القابسي فهو مصدر الضوء ، وحرارة الشمس للمنزل ، ومجلس العائلة حول فسقية أحياناً في وسطه وحولها مجموعة من الزهور والنباتات[١] (على حسب ذوق الساكنين فيه) وفي أغلب الأحيان تكون فيه أماكن عديدة مخصصة لتجفيف أوراق الحنة[٢] وسحقها. وعمل العجوة وتجفيف سعف النحيل وبعض الخضراوات مثل الفلفل الأخضر ، أو تعبئة التمر وحفظه في آنية من الفخار هذا للمنزل القابسي يعتبر مثلاً للسكن والراحة ، ونفس الوقت وحدة اقتصادية في ماديات ساكنيه وأحيانا هذا الحوش يبنى فيه أعمدة على الطريقة الرومانية اثنان أو أكثر ، وعندما توجد تكون من الأحجار العيساوي[٣] (معروفة في قابس) المطلية بطبقة رقيقة من الجير أو الجبس لتحمل بينها عوارض من جذوع النخيل إن الحوش أو الفناء هو الحلقة الرابطة المميزة لكل العمائر المدنية في قابس مثل أي مدينة إسلامية وهنا يظهر تساؤل هل تبني فكرة الفناء من السلم نابعة من ظروف مناخية أو اجتماعية مكتسبة من الحضارات القديمة أم إن هناك ظروفاً أدت إلى حدث ذلك.

لقد استمر استعمال هذا النمط المعماري وتطويره وإضافة عناصر أخرى ليلبي الاحتياجات الجديدة التي نشأت مع الإسلام لكي يتوافق هذا النمط مع مبادئ الدين الحنيف.

لقد حاول المهندس فتحي [٤] توضيح ذلك بقوله من الأسباب التي جعلت البدوي يعمل الصحن الذي يتوسط الدار عندما استقر واستوطن المدينة حرصه على دوام الاتصال بالسماء كما تعود عندما يعيش في الصحراء وقد أشار المستشرقون إلى أن المغرب أخذوا فكرة الفناء من الحضارات السابقة.

في الحقيقة لقد تناسى الجميع أن القرآن الكريم والسنة النبوية هي مصادر التشريع والإلهام والعطاء الفكري ومن البحث في هذه المصادر والإطلاع عليها لجأ البعض في النظر في الربط بين الحضارات القديمة والإسلام إن الإسلام قد مهد للمسلم طريقة سليمة للسلوك والعلاقات الاجتماعية وتلك أثرت دون شك على تصميم مسكنه فعندما نتأمل حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن أبي سعيد الخدري إياكم والجلوس في الطرقات فقالوا يا رسول الله ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها فقال صلى الله عليه وسلم إذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله قال غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٥] معنى ذلك بطريقة مباشرة أن للطريق خارج المنزل حقه وبطريق غير مباشر أنه يستحسن أن يكون هناك مجالس للتحدث بحرية وراحة إذا هي في المنزل أكثر أمنا لقد التقط المسلمون بالفعل بعض عناصر الحضارات السابقة لكنهم نظموها في إطار جديد يعبر عن الشخصية الإسلامية والسلوك الإنساني القويم وتمتاز مساكن قابس بنسيجها العربي الإسلامي واختفى منها الطابع السابق سواء الفينيقي أو الروماني فنجد سقيفة للمنزل متعرجة تمنع المارة من النظر داخل المنزل[٦] من منطلق لا ضرر ولا ضرار

---

(١) Ibid.

(٢) تستعمل الحنة وهي نبات مخصوص تختص به قابس في أغراض الخضاب للمرأة والرجال وبخاصة العروسان تسمى ليلة الحنة قبل زواجهم وهذه الليلة مخصوصة للخضاب وهي عادة معروف في جميع الدولة العربية.

(٣) •Baklouti jes mames pages

(٤) انظر حسن فتحي : العمارة البيئية في المدينة الإسلامية ص ٣٩.

(٥) انظر أحاديث الرسول في موطأ مالك.

(٦) البقلوطي La mais on traditionel, a le Gobes. P. 355. وبنفس الملف ، انظر البحث : العمارة السكنية في الجنوب التونسي ، جملة المأثور الشعبي ، السنة التاسعة ، عدد ٣٥ ، محرم ١٤١٥هـ ١٩٩٤م ، ص٢٥ ومايليها.

وبالتالي غض البصر والسقيفة هي التحتنوش باللغة القابسية أو السقيفة[1] وهو مكان مخصص لاستقبال الزوار العاديين بالطابق الأرضي بالقرب من الباب الخارجي للمنزل والحوش لأهل المنزل وأقربائهم وهو فضاء يوفر النور والتهوية ومن ناحية أخرى بجانب الود والزيارة يسمح القيام بأشغال هامة مثل تجفيف ورق الحناء أو ضفر الخوص أو بعض الصناعات المنزلية الخفيفة مثل حفظ التمر ، تجفيف الخضروات والفاكهة كما ذكرنا... إلخ كما يوجد بالحوش رواق اسمه في قابس (سطوان) وهو فضاء وسيط بين الحوش والغرف[2].

اختص المنزل القابسي بوجود المرحاض ويسمى حفرة الغبار وتستخدم الفضلات عندما تمتلئ الحفرة وترتفع بطريقة مخصوصة لتذهب لتسميد الحقول والبساتين وهي العادة التي ذكرها ، بعض الرحالة[3].

يستخدم في قابس نوعان من الحجارة في البناء الأول قطع الحجر العيساوي (المذكور سابقا) ومستخرج من مكان قابس القديمة وهو الحي المسمى بالمدينة ويقع بالقرب من ضريح أبي لبابة الأنصاري – ويصنع من هذا الحجر تكوينات قوائم الأبواب وغطاؤها مثل حجر المائة ويقطع من الجبال جنوب قابس والأودية وخارجها إلى قطع صغيرة ويحمل على عربات تجر باليد ويباع بالمئات لصنع جدران المنازل وهنا اكتسب اسمه حجر المائة (عدده بالمئات).

يبدأ البناء بحفر بئر لجلب المياه اللازمة أما في قابس فنجد أن مشكلة المياه غير الموجودة حيث يتم تحميل الدواب بجرار المياه ومن أي عين أو نهر قريب في قابس ليبدأ البناء والجدران في المنزل القابسي تكون سميكة دائماً وتستخدم حجر المائة في بنائها ايضاً ويستخدم طين الفخار المشهور في قابس والجبس الموجود في المدينة والذي يوضع في أكياس مصنوعة من نبات بري مثل الحلفا يبلل ويغزل في قرية غنوش بجوار قابس وصناعته معروفة في هذا المكان يسمى الجديم اما الجير فيستقدم من مكان المنارة الذي توجد فيه منارة قابس في شرقها وحولها محجر يستخرج منه الجير أو من ميدون وهي قرية يسكنهان أفارقة سود البشرة والجير يخلط برمال قابس من الجنوب الغربي لمطرش لكون سواحلها تمتلئ بالرمال الناعمة الصالحة للبناء[4] والخشب من أشجار النخيل والزيتون والبرقوق القابسية.

من بحث د. بقلوطي [5] يتضح لنا أن كل مواد البناء والمنشآت في قابس لها نظام خاص بها وتكون تكويناتها من المواد المحلية الموجودة مثل الأحجار المذكورة – وخشب النخيل والزيتون والبرقوق والجير والجبس والرمل وأساس البناء في قابس يختلف عمقه من منطقة إلى أخرى لتفادي النشع لقرب المياه في كل مكان – ويخبرنا بقلوطي [6] أيضاً بأنه وجدت أنواع من الأسقف مثل السقف القابسي الخاص وهو من بلدة الحامة وعلى طريقة أهلها وتكون فيه الأعمدة الخشبية مجوفة بطريقة معينة لتلتصق ببعضها أما السقف النفزاوي على طريقة أهل نفزاوة تدخل فيه جذوع النخيل وفي خلالها السقف بطريقة معينة – كما يخبرنا أن طريقة البناء المعتمدة على الخامات البيئية المحلية تستخدم في جميع منشآت قابس الدينية والاجتماعية والعسكرية والتجارية [7].

---

(1) المرجع السابق ، نفس المكان

(2) صالح لمعي: مرجع سابق ، بنفس المكان. وأنظر : ثروت عكاشة ، نفس الصفحات.

(3) انظر مثلا البكري ج٢ ص ٦٦ والإدريسي ج٢ ص ٢٨٩ والتجاني ص ٩٠.

(4) انظر بحث البقلوطي بالفرنسية عن المنزل العادي بقابس.

(5) المرجع السابق.

(6) نفس المرجع.

(7) Baklouti : P. 552-552

منشآت قابس الصناعية :

من وصف الإدريسي[1] للصناعة في قابس فالقول" وكان بها فيما سلف طرز أي دور طراز تابعة للدولة يعمل بها الحرير الحسن" تستنبط من هذا القول أهمية كبرى لهذه المدينة هي شهرتها في إنتاج الحرير الرقيق الجيد الصنع ، فإنه تبعا لذلك كانت فيها مصانع ودور لصنع الطراز الخاص بالخلفاء ولا تخبرنا المصادر عن مكان تلك الدور والمصانع لكن الإدريسي [2] في حديثه يخبرنا أن قصر سجه التي بينها وبين قابس) سوق وباعة حريريون كثيرون[3] بعمومية فقد يعني بصفة عامة التاجر الذي يتاجر في الحرير وتعني أيضا الحريري الذي يعمل بصنع الحرير ، وإعداده لصنع طرز الخلفاء.

من ناحية أخرى فمصانع الحرير كمنشأة وإنه لابد أن تكون بالقرب من البساتين التي ترعرعت فيها أشجار التوت وانها مثل أي مصنع حرير قديم حيث تتم تربية دود القز وتغذيتها على أوراق التوت ثم تنتقل إلى مبنى آخر مجهز أو قاعة أخرى مستطيلة مجهزة بطاولات مستطيلة مجزأة طوليا بتجاويف لرعاية النمو في السقي والشرانق والفقس ثم تنتقل إلى طاولات أخرى في قاعات أخرى مستطيلة لتتم عملية الغزل بعد مرور مراحل نمو الدودة إلى أن تصبح شرنقة مغزولة بالحرير من حولها[4] إلى جانب مصانع حفظ الأسماك وغيرها.

الأسقفية :

كانت قابس مقرا للأسقفية في العصر المسيحي فأين كانت تلك الأسقفية ؟

لقد كانت تلك الأسقفية في بلدة (المحرس الآن) على ساحل خليج قابس في أقصى الجنوب من صفاقس وفي الشمال من قابس [5] والأسقفية في تخطيطها تشبه القلعة أو القصبة مما يؤكد وجودها في شمال قابس ووجدت شواهد قبور وبقايا توابيت كذلك مخطط لثلاث بلاطات رمزا للكنيسة الأم[6] كما وجدت أسقفية في قابس المدينة على الأرجح والمصادر لا تدلنا عن مكانها بالتحديد.

البيعة اليهودية :

يقول المرزوقي [7] إنه كانت هناك بيعة يهودية قديمة كانت مزارا مقدسا ليهود قابس ويؤكد قيم تلك البيعة الموجودة في بلدة أو في جارة القديمة أقدم وجودا من البيعة الموجودة بحي أو قرية المنزل وكان هناك سيناجوج (المعبد اليهودي) في قابس في شارع يحمل اسمه واصبح بعد ذلك شارع فرجاني منجا وقد أورد د/ناصر البقلوطي على الخريطة المرفقة ببحثه الذي يبين وصف الموقع لمنزل تقليدي في مدينة قابس وقد أوضح عليها موقع الجامع الكبير في قابس وساحات السوق بجواره ثم مجموعة سكنية ثم المعبد اليهودي أو السيناجوج (أو الأكاديمية اليهودية بالقرب منها هذا المنزل الذي كان ملكا لعائلة يهودية من قبل). [8] هذه

---

(1) نزهة المشتاق ......ج1 ص 279-281.

(2) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(3) نفس المصدر وانظر موسوعة المعرفة ط بيروت- وسويسرا سنة 1311هـ 1971 ط1 وانظر ص 8 ص 1414.
Jacques revault: Arts Tradilonnels en Tunisie P. 128-120-126-110-117.

(4) المعرفة نفس المجلد والصفحات.

(5) حفريات جيرين نفس المرجع.

(6) انظر المنجي النيق : الحضارة التونسية ص 107-108 وانظر المرجع نفس المكان.

(7) قابس جنة ... ص 39.

(8) وهذا المنزل اسمه حوش كرايف أو حرايف
Vilahiotion Trodinnefautour de la me di'treande houch kharsaif.

الأكاديمية أو المعبد كانت بمثابة جامعة لليهود وكان لها اتصال بمثيلتها في القيروان وعندما زار العالم اليهودي إبراهيم بن عزرا قابس أقام بها فترة [1].

المقابر :

كانت هناك مقبرة قديمة مشهورة باسم مقبرة سيدي مرزوق وتقع شرق بلدة المترل القديمة ومن طرقها الغربي يطل عليها مسجد سيدي أبي علي وهي من القبلة تمتد لمساحة كبيرة وكانت تلك هي أقدم مقبرة بدليل أنها تحتمل أمرها طمست آثار قبورها وسويت لتعطي حياتها وفتحت فيها طرقات جديدة ترتبط بها جهات بلدة المترل المتناثرة وقد اطلع المرزوقي على شواهد قبورها فلم يستطع إلى معرفة [2] بعض سطور رخامها مكتوبة من القرن السابع الهجري وبعضها محفوظاً بجامع المترل وبعضها في منزل شيخ أو (محافظ) المترل ويقول الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب أنه رأى سنة ١٩١٢ بسور حديقة المراقبة المدنية وخامات أو شواهد قبور كتب عليها بالخط الكوفي تدل على أنها كانت على قبور بعض أمراء بني جامع الذين بقابس ولا شك أن هذه الشواهد منقولة من المقبرة المذكورة (مقبرة سيدي مرزوق).

وقد كشفت حفريات الأثري جيرين [3] عن وجود شواهد رخامية بمقابر المسلمين في الجهة القبلية من منطقة thainee كذلك عثر على حطام لوحات رخامية عليها بداية الصيغة المقدسة التي تسبق النقوش للرومان [4].

السجن :

كان يسمى قديماً الحبس كان موجوداً في حي البلد الموجود في حي أو قرية الجارة من الجهة الشرقية لدار قديمة (فيقول السكان إنها دار الوالي) [5] وكان هناك سجن آخر ويبدو أنه كان تخصصا للخارجين على السلطة في البرج الذي يحرس الميناء كما كان هناك مثله في برج جرجيسي بجانب جزيرة جربة على خليج قابس وظل حتى القرن التاسع عشر الميلادي [6].

السور والخندق :

وهو من أمثلة تحصينات قابس القديمة ، فالسور من بناء الأول كذلك وجود قصبة بها وقد ذكرها الرحالة أنها ذات حصن حصين وسور وخندق يحيط بها ، وغالبا كان من بناء البيزنطيين [7] وقد بقي هذا السور إلى القرن العاشر من الهجرة ، السادس عشر من الميلاد [8].

أما السور فاصبح مكانه في ذلك الوقت يسمى خندق نشع ، وقد ورد هذا الاسم وتكرر في وثائق البيع والوقف التي وجدت في الأرشيف الوطني في تونس [9] ونظرا لأهمية مدينة

---

(1) من بحثه مع أخرين في مجموعة أبحاث عن الإسكان التقليدي حول البحر L'hiabitation Traditionnellle

(2) انظر الرزوقي في قابس ص ٨٠.

(3) انظر رحلة أثرية الفصل السابع عشر ..

(4) المرجع السابق نفس المكان.

(5) Encyclopedia yndiciuca : anticll gabis – cend ben Izra.

(6) المرزوقي : حلة ص ٣٨ وانظر المجلة المغربية مجلد ١٣-١٧ الأمجد أبو زيد للسجن والساجين بجهة الأعراض ص ١٤-١٥.

(7) Naser Baklouti: la naison traditionenell a le gabes p 515-568.

(8) دائرة المعرف التونسية ص ١٣٠ وانظر دائرة المعارف الإسلامية ط ٢ ج٤ ص ٣٢٧.

(9) انظر مبروك الباهي ملاحظات حول واحة قابس في نهاية القرن ١٧م من خلال وثيقة وفيات محمد البادي المرادي المجلة التاريخية ش ٢٥ عدد (٨٩) سنة ١٩٩٨م ص ٢٦٣ وما يليها.

قابس[1] فقد زاد الاهتمام بتحصينها فكانت تضم منشآت حربية ذات أهمية دفاعية جعلت منها حصناً حصيناً[2] كما أحيطت بسور منيع [3] كان من بنيان الأول ، ومن شدة أهميته لحمايتها أنه بنى بالصخر الجليل[4] وليس هذا فقط ، فقد حرص الأقدمون من حماة قابس على ألا تكون له إلا ثلاثة أبواب كما يخبرنا ياقوت[5] كما أن الوزير السراج يخبرنا أنه قد أضيف لها باب رابع وأن قلة تعدد الأبواب التي تفتح في السور تساعد على إحكام الغلق ومراقبة الفتح والتحكم في الدخول والخروج[6].

ولا تفيدنا المصادر المختلفة عما إذا كان سور قابس المنيع هذا جداراً سميكاً ضخم الأحجار أم هو سور مزدوج كالأسوار البيزنطية التي أنشئت في أنحاء أفريقية [7] أتبع نظام الأسوار البيزنطية والرومانية في أنحاء المغرب الأندلس فكان السور عريضاً في أعلاه ليصلح ممشى للجنود ويسمى أحياناً (ممشى السور) وأحياناً يوجد سور مزدوج داخلي أعلى من الأول ، ليكون التحصن أشد منعه – وقد حدث تدعيم وترميم لهذا السور في عصر الأغالبة ، وهذه الأسوار الأساسية تسمى الستارة [8] التي ذكرها التجاني في رحلته [9].

ويصل ارتفاع الستارة إلى أكثر من عشرة أمتار[10] وبها حواجز محصنة بمتاريس ذات مزاغل[11] ويصل متوسط عرض الجدار تقريباً إلى ثلاثة أمتار ليصلح ممشى للجنود عند اللزوم[12] وتقام الأبراج بجوار جدران الستارة بحيث يكون بين كل برج والآخر مسافة لرمي السهام تصل لعشرين متراً وغالباً ما تكون شكلاً شبه دائري مساحته من خمسة إلى ستة أمتار[13] تقام أعلى الجانب الخارجي من السور. أما الأركان فهي عبارة عن أبراج مصمتة

---

(1) الحصن Forte fication في اللغة كل مكان محرز لا يوصل لجوفه في الحرب عبارة عن مكان بمبان وكام معداً لدفع الحملات والهجمات وقد تكون الحصانة طبيعية كالأجسام والأنهار (مثل الغابة حول قابس والأنهار) أو صناعية كالأسوار والمتاريس الحجرية أو الترابية مثل حفر الخنادق وملأها بالمياه عند اللزوم وتنقسم الحصون تاريخياً لثلاثة أقسام كبرى وهي الحصون القديمة الأولية مثل سور قابس أو حصون القرون الوسطى مثل تجديدها أو بناء حصون جديدة (مثل زيادة ال)له دعم كل حصون الساحل في أفريقية وبين المتحدث فيها ومن المؤكد كان منها حصون قابس من ضمنها والحصون الحديثة والقديمة ممكن أن تكون على هيئة صفين أو صفوف أو أشجار كبيرة مستقيمة بتركيز بعضها قرب بعض فتكون كالسور ويعتقد أن هذا كان فكرة الغابة حول قابس في البدء فقابس إذا محصنة طبيعياً وصناعياً منذ نشأتها.

(2) انظر دائرة المعارف البستاني مادة (حصن) ط القاهرة (1) الإدريس ج(3) ص ٢٧٩.

(3) البكري ، ج ٢ ص ٦٦٦ والمرجع السابق نفس الجزء والصفحة / التجاني : الرحلة ٨٦.

(4) معجم البلدان ، ج ٤ ص ٢٨٦ الحلل السندسي ج ١ ص ٣٣٤.

(5) دائرة المعارف البستاني ج ٣ ص ٦٢.

(6) دائرة المعرف الإسلامية : ط دار الشعب ١٣٨٩هـ ١٩٦٦م ج٧ ص ٨-٢٠.

(7) حسن حسني عبد الوهاب خلاصة تاريخ تونس ط الدار التونسية ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ص ٦٢-٩٢.

(8) سيد عبد العزيز سالم بحوث يفي تاريخ الإسلام في التاريخ والحضارة والآثار ط دار الغرب الإسلامية ١٤٨٠هـ ١٩٩٢م القسم الثاني ص ٥٩٥-٥٩٣ وأنظر عبد الستار عثمان المدينة الإسلامية سلسلة عالم المعرفة ١٤٠٨هـ ١٨٨م ص ١٤٠-١٤٣.

(9) أنظر رحلة التجاني ص ٢٤٠-٢٤٥ وأنظر دائرة المعارف الإسلامية ص ٧-٨-١١.

(10) دائرة المعارف الإسلامية ج٧ ص ٧-٩ ماجة برج التجاني الذي ذكره لنا السور الستارة بدون إي إشارة إلى بنائه.

(11) سعد زغلول عبد الحميد العمارة والفنون في دولة الإسلام ط إسكندرية منشأة المعارف ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ص ٣٨٧-٣٩٠.

(12) مثلما هو موجود في تحصينات مدينة بغداد أنظر كريزويل Early Muslim Mutin Architecture P. 355.

(13) سيد عبد العزيز سالم ج٢ ص ٦٠٠-٦٠١ وأنظر محمد عبد الستار عثمان المدينة الإسلامية ص ١٤٣-١٤٥.

القواعد ، على هيئة طواب كبيرة ، بكل منها غرفة أو غرفتان للدفاع ، وتعلو الأركان على جدار الستارة بطابق واحد [١].

هذا ولم تظهر المصادر ما إذا كانت هناك ابتكارات أو تطورات قد تمت في هذه الأسوار أو الستارة أم لا كما فعل الفاطميون بأسوار القاهرة. كالفتحات الدفاعية المتزايدة أو المداخل المزورة[٢] وكانت الأسوار تحيط بالمدينة من جميع جهاتها لترد عنها هجمات الأعداء وكانت تبنى بالأحجار ، واعتدال الخطوط ، مما كفل لها الاستمرارية عبر قرون كثيرة [٣] أما السور الداخلي الكبير فهو أكبر الخطوط الدفاعية قوة ، إذ إنه عادة ما يكون سميكا [٤] ومن المؤكد أنه كان مزوداً بأبراج مراقبة ، كما كانت الأبواب مزودة بسلالم يصعد منها إلى مجلس يعلو كل باب ، يمكن مشاهدة المنطقة خارج المدينة ، ومراقبتها باعتبار ارتفاعه وإشرافه على الساحات خارج المدينة [٥]. ويخبرنا ابن أبي زرع [٦] أن الخليفة المنصور الموحدي قد ضبط الثغور ، وحصن البلاد وبنى المساجد والمدارس في بلاد أفريقية والمغرب والأندلس ، وبنى

الصوامع والقناطر وعلى هذا فإن قابس قد نالها من التحصين – وبخاصة بعد القضاء على ثورات ابن عانية وقراقوش الأرمني في قابس وما حولها من خلال السور الأمامي وسمي في زمن الموحدين (الحزام البراني أو البريخانة) وهو غالباً أقل ارتفاعاً من السور الأساسي أو الستارة [٧] ، وهذا السور الأمامي يحيط به خندق كبير كما حدثنا عنه أغلب الرحالة الذين زاروا قابس [٨] فقال لنا البكري " وقد أحاط بجميعها خندق كبير يحجزون إليه الماء عند الحاجة فيكون أمنع شئ ". وقد حدثنا عنها التجاني [٩] عندما زار مدينة قابس.

وقد بقيت آثار هذا السور الضخم المنيع إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حين زارها العلم الأثري Guerin في بعثته الأثرية ، فلاحظ أن آثار الحائط غليظة جداً وقوية البناء مما يدل على أنه كان جدار السور الأصلي الذي كان يحيط بالمدينة ، وعلى الرغم من أنه تلاشي قبل ذلك إلا أن هذه البعثة الأثرية استطاعت أن تتبع آثاره عن طريق نتوءات صغيرة مازالت موجودة في مسافات متناسبة مكنتها من معرفة أن هذا الجدار أو السور لم يكن يقل محيطه عن ثلاثة كيلو مترات مما أعطانا فكرة عن مساحة المدينة (على الأقل أوائل القرن السابع من الهجرة) [١٠] كما لاحظ نتوءات وآثار حائط غليظ في شمال قابس في منطقة

---

(١) نفس المرجع والصفحات ولا تفيدنا المصادر والمراجع السابقة عن تميزها عن نوعية التحصينات في المغرب عموماً.

(٢) انظر التجاني ص ٨٧ والمراجع السابقة نفس الصفحات.

(٣) سيد عبد العزيز سالم بحوث ج٢ ص ٥٩٦.

(٤) نفس المراجع والصفحات.

(٥) عثمان نفس المرجع والصفحة ويخبرنا ابن عذاري أنه في أواخر القرن السادس من الهجرة ظلت قابس ذات منعة شديدة بسبب تحصينها وانظر : أبو العباس أحمد بن الله عذاري المراكشي من رجال القرن السابع من الهجرة – الثالث عشر ميلاديا – البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرف ط بيروت ط١ ج٣ ص ٦٧-١٦٢.

(٦) ابن أبي زرع أبو الحسن بن عبد الله القابسي (٧٢٩هـ ١٣٢٢هـ) روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة قابس ط لورنترج ط ١ ص ٩٥.

(٧) مصدر سبق ذكره ، ج٢ ص ٦٦٦.

(٨) انظر الناصري أحمد بن محمد الاستقصاء في معرفة المغرب الأقصى ط١ ص ١٨١ وانظر رسائل موحدية تحقيق يفي بي وللصال الرسالة الثلاثون التي تليها ط تونس ١٣٦٢هـ ١٩٤١م ط١ بحوث ج٢ ص ٥٩٧.

(٩) الرحلة: Guerin voyage dans la regions de tunis, Paris, P. 187.

(١٠) انظر المرزوقي ص ٧٢-٧٣.

تينيه Thenaeورغم أنه تلاشى إلا أنه تتبع ضخامته عن طريق تلك النتوءات المذكورة وقدر المساحة من ذلك لنحو ثلاثة كيلو مترات كمحيط لذلك الحائط[١].

ومن الطبيعي أن الخندق الذي أحاط بهذا السور قد محيت آثاره قبل ذلك بسبب امتداد أرباض المدينة[٢] للخارج ، تبعا للتطور العمراني ، ويخبرنا المرزوقي[٣] الذي زار قابس بعده[٤] بمائة عام أن ماء الخندق مجلوب من وادي السيل ووادي قابس.

لقد تم حفر خندق من حول قابس لا نستطيع تحديد متى ؟ قد يكون من أيام الرومان وتحصيناتهم أو البيزنطيين نحو فهم القبائل البربرية خاصة قبائل الأشوريين[٥]. والطبيعي أن يكون أمام كل باب من أبواب المدينة من الخارج قنطرة لإمكانية عبور الخندق والدخول للمدينة وتوضع بطريقة معينة لترتفع وقت الخطر فتصبح المدينة معزولة تماما لا يصل إليها أحد إلا عن طريق هذا الخندق الذي يكون مملوءا بالمياه وقت المطر [٦].

من الطبيعي أن يوجد في جانب الخندق القريب من السور الخارجي مسناة [٧] بمعنى بناء حول المدينة تأخذ أقواس كل منها على هيئة ربع دائرة تصل بين كل باب وآخر وجوانب تلك المسناة مبينة بمواد متينة وصلبة كما توجد مسناة أخرى خارجية تقع في الجانب الخارجي الملاصق للأرض خارج المدينة مما يلي الخندق من الخارج وكانت وظيفة المسناة الأولى (الداخلية) حماية السور وجدران المدينة من تسرب مياه الخندق إليها التي قد يسبب بمرور السنين تآكلا في الأجزاء القريبة من الخندق ، أما المسناة الثانية (الخارجية) فهي لحماية جدران الخندق نفسه من التآكل.

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يلقى المياه التي قد تتسرب من أي جانب من الجوانب كانت المسناة الداخلية تحيط بالسور والجدران التي تحيط بالمدينة وكذلك الخارجية تحيط بالخندق كله من الخارج[٨] وجدت صخور في موقع في الجنوب الغربي لقابس من منطقة سيدي المشيرقي تدل على أن هذا المكان كان منتج الخندق عند الحاجة كما ذكر البكري. [٩]

ومكانه بين الغرب والجوف حيث مجرى الوادي لأن أما جزؤه القبلي فيمتد مع منطقة وادي بوشاعة الآن. ويتصل بوادي السيل شمالي قصر أولاد الجبالي مارا بين منطقتي المنزل والجارة إلا أن هذا الخندق لم نر له ذكرا في الكتب بعد كتاب البكري – والظاهر أنه عطل وانطمس منذ القرن السادس الهجري بسبب امتداد أرباض المدينة.

---

(١) وقد يعطينا هذا الحديث فكرة أن المدينة القديمة كانت في هذا المكان.

(٢) المرجع السابق ص ١٨١.

(٣) قابس جنة الدنيا ص ٧٣.

(٤) قابس جنة الدنيا ص ٧٣.

(5) Encyclopedia de L'islam, Tome IV- J350 – J355- Daris- nouvell établi 1978. Charles, Diehl: L'afrique Byyasstine – J 331 – Jaris 1896.

(٦) الهرثمي : مختصر سياسة الحروب – ص ٥٧ – ٦٢ط القاهرة – ط١ عبد الرؤوف عون : الفن الحربي في صدر الإسلام ط مصر دار المعارف – ط١ ص ١٥٨. عبد العال الشامي : جغرافية العمران عند ابن خلدون – ط جامعة الكويت – ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م. ص ١٨٣.

(٧) المسناة : بمعنى بناء متين السمك يبنى بالأحجار ويكون وظيفته حماية الجدران والأسوار من التآكل.

(٨) انظر : الخطيب البغدادي الحافظ أبو بكر أحمد بن علي (٤٦٣هـ ١٠٨٥م) : تاريخ بغداد ط الخانجي ط ٢ ص ٧٣ – ١٤٤. أجد وصف المسناة بتفاصيلها عن قابس بالتحديد فأخذت بغداد كمثال لأنها قديمة أيضا وقد أخذ كثير من خططها من الرمان والأشوريين وقد رآها بطريق رماني لبري خططها وهي نسبة القسطنطينية في أحوال كثيرة من حيث البناء – إذا اعتمدت في بحثي على وجود أطلال تدل على شئ ذكري الأثريون الذين ينقبون في آثار قابس ثم وصفت لأقرب شئ إلى الحقيقة التي استنتجتها ولله المعين.

(٩) المسالك والممالك مرجع سابق ج٢ ص ٣٣١.

أبواب قابس :

لم يرد في المصادر أي شئ عن أسماء أبواب قابس أو مكانها المضبوط في أسوارها وهل كانت أبوابا ذات مداخل مفردة مثل أبواب بغداد ، أم مزدوجة ، داخلية وخارجية أي باب في السور الخارجي ثم رحبة واسعة ثم باب آخر ،فلم تفدنا المصادر بمعلومات وافية سوى أن قابس كان لها ثلاثة أبواب[١] ويحدثنا صاحب الحلل السندسية[٢] أنه زيد لها باب رابع ، وقلة الأبواب من زيادة التحصين للمدينة ثم يخبرنا مصدر متأخر وهو الورثيلاني [٣] عن الباب الشرقي لقابس ، ومن البديهي أن يكون قباله باب يسمى الباب الغربي ، ثم باب البحر ، وهو الذي تطور بعد ذلك ليصبح حياً قائماً بذاته ويحمل نفس الاسم. [٤]

وقد درج اسم باب خوخة في العمارة الإفريقية وهو باب صغير يعمل في محيط الباب الكبير ونجده في الأسوار وفي معظم الأبنية العظيمة التي يقام لها سور حول حديقة [٥] وكانت هندسة الباب منذ أيام الأغالبة ثم الفاطميين على هيئة أقواس متتابعة [٦] ثم تطورت هذه الأبواب ذات المرافق وتعتبر هذه الأبواب من الأمثلة المبتكرة التي أبدعها المرابطون ، فقد اختلفت الأبواب البيزنطية ذات العقدين المتقابلين اللذين يفتح أحدهما إلى داخل المدينة والآخر إلى خارجها ، فالابتكار جعل الممر الموصل بين فتحتي الباب فتحتين بزاوية منكسرة قائمة على شكل مرفق ، وهذا التخطيط يمتاز بأنه يضع العراقيل والعقبات وراء انحناء الممر ، أمام المهاجمين [٧] ثم طور الموحدون تلك الأبواب بأن جعلوا لها مرفقين ثم ثلاثة مرافق [٨].

لقد ذكر الورثيلاني [٩] في رحلته للحج ، الباب الشرقي الذي أقيمت عنده ساحة كبيرة ، قد أشار التجاني [١٠] أن أسماء المنشآت في قابس كانت لها نفس أسماء منشآت بني حماد في القلعة ، وقد نقلت هذه الأسماء عندما أسسوا حاضرة ثانية ، وباب الفوقة وهو الذي أسماه الحماديون باب البنود وكان من داخله ساحة قصر السلطان وكان مخصصاً لدخول القوافل والوفود إلى الساحة الخارجية للقصر الخلفي ، وكانت توجد أبراج عالية ، يحمل على قمتها جهاز الإنذار بالمرايا. ومكان النيران لسرعة الاتصالات وكذلك للرؤية من خلال المرايا التي تظهر المقبل عن بعد [١١].

---

(١) انظر : نفس المصادر السابقة ونفس الصفحات.

(٢) الوزير السراج ، ج١ ، ص ٣٣.

(٣) رحلة الورثيلاني المسماة نزهة الأنظار وفي فضل علم التاريخ والأخبار ط بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م ، ص ٣٣٥ وأنظر دائرة المعارف التونسية ص ١٠٠.

(٤) دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الإنجليزية سنة ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ط٢ ج٤ ص ٣٣٤-٣٤٠ وانظر دائرة المعارف التونسية ص ١٠٠.

(٥) رياض النفوس ص ٢٦٧.

(٦) هناك مثل شائع يقال عن أبواب المنيستر يدخلك من باب ويطلعك من خوضة الذي وجد ضمن أبواب المنستير أنظر إبراهيم شبوح رباط هرثمة رسالة ماجيستير مقدمة لقسم الآثار بأداب القاهرة سنة ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م. وانظر نشرة الآثار الإسلامية بتونس ص ١٥٩.

(٧) انظر كمال الدين سامح : العمارة في صدر الإسلام الهيئة العامة للكتاب ط١ ، ص ٧٤.

(٨) سعد زغلول : العمارة والفنون في الإسلام ص ١١. محمد عبد الستار عثمان المدينة الإسلامية ص ١٤٤ والمرجع السابق نفس الصفحة.

(٩) الرحلة الورثلانية ص ٦٢٦.

(١٠) محاضرات مذاعة لد. حسني مؤنس والطاهر مكي على القناة الفضائية وقد ذكر الحسن الوزان هذا القصر في وصفة للتجارة أنظر ليو الأفريقي وصف في أفريقيا بيروت ط٢ ص ٦٣.

(١١) مارسيه الفن الإسلامي وقد ذكر هذا في وصف المنستير.

وكان التجار يدخلون وتفوح رائحة الطيب وتوابل الشرق من أحمالهم ، والصناديق المزخرفة وتزفهم دقات الطبول والمزامير المشهورة بإفريقية وبخاصة قابس [١]

الأرباض :

احتوى تخطيط قابس على مناطق سكنية وتجارية خارجها عرفت باسم الارباض حيث اشتملت على الدور والأسواق والملحقات التي تخدمها فنادق وحمامات وحوانيت وغيرها ولا نستطيع الوقوف على سعة هذه الأرباض أو معرفة مساحتها أو أسمائها فالبكري [٢] يذكر : " بشرقيها وقبليها أرباضها " ويقول التجاني [٣] " أن جل أسواقها في أرباضها وكلمة جل تدل على السعة والمساحة العظيمة وهذا يعطينا فكرة أن هذه الأرباض كانت شاسعة وبها أسواق واسعة. ولا شك أن الربض القبلي أو الجنوبي كان في منطقة سيدي أبي لبابه [٤] وربما قرب عين سلام أما الشرقي فربما كان عند المنارة من ناحية البحر وفي حي الجارة وسوق الجارة سوق عظيم ومازال حتى وقتنا الحاضر [٥] وعند المنارة كان الحداة وقوافلهم لا يستخرجون إلا عندما يصلون إليها [٦] وترجع الباحثة من شعر الحداة الوصول والراحة له لابد أنه كان هناك سوق كبيرة لتصريف ما يحملونه من بضائع كذلك وجد نزل لراحتهم ومسجد للصلاة ورباط للهجوم والدفاع عند اللزوم [٧].

الساحات :

قال الورثيلاني [٨] فنزلنا قابس عند الباب الشرقي في فسحة عظيمة وتجاه أبي لبابه بعيدا منه من جهة البحر " يستدل من حديث الورثيلاني [٩] أنه نزل بساحة مكان فسيح خارج الباب الشرقي ، وقد جاء في قافلة حج فلابد أن يحتاج أولا إلى مكان فسيح يؤوي الجميع، وثانيا لابد من أن يكون كل هذا خارج المدينة لتأمين تحصينها وحمايتها [١٠] وثالثا لتأمين الطرق الرئيسية التي تمر القوافل سواء قوافل الحج أو قوافل التجارة إلى جانب الساحات الأخرى خارج المدينة وهي المصارة. كما يطلقون عليها هذا الاسم في مدن الشمال الأفريقي والأندلسي [١١].

"والمصارة" اختلف العلماء في تحديد معناها أو أصلها ، وقد أطلقت بمدن المغرب والأندلس على الفناء الفسيح المجاور للمدن الكبرى وعادة ما كانت تقام فيه ألعاب الفروسية واستعراض الجند ، كما كانت تقام فيه الصلوات العامة ، مثل صلاة العيدين وصلاة الاستسقاء ، لهذا أطلق الأمويون في الأندلس اسم المصارة والمصلى لانها كانت في مكان واحد ، وقد انتقلت هذه الكلمة إلى اللغة الأسبانية باسم Ahmuzara ، وهناك تفسير آخر يرى أنها جاءت

---

(١) اشتهرت قابس بالمطور والحناء والفرق الموسيقية في الأفراح انظر ج. بوريس العادات والتقاليد التونسية ط تونس ، ط ١ ص ٦٠-٨٥.

(٢) المسالك .. ج٢ ص ٧٦٦.

(٣) الرحلة ص ٩٦.

(٤) المرزوقي : قابس ص ٧٠

(٥) المرجع السابق نفس الصفحة.

(٦) كان لهم بيت شعر : لا نوم لا لوم ولا قرارا حتى نصل قابس والمنارا

(٧) هذا استنتاجات مبنية على ما تحتوية منارات الأربطة والمساجد على شاطئ مثل مسجد الصهريج وغيره. انظر : التجاني الرحلة ص ٧٥ – ٩٧ ، وكذلك على أن بحثه guisin وجدت أحجار ضخمة كثيرة في هذه المنطقة.

(٨) الورثيلاني : الرحلة الورثانية ص ٦٦١.

(٩) المصدر السابق نفس الصفحات.

(١٠) محمد عبد الستار عثمان: المدينة الإسلامية ط. الكويت ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ، ص ٦٠.

(١١) نفس المرجع ص ٦٠ وانظر سيد عبد العزيز سالم بحوث ص ٥٦٦.

من مصر الخيل ، أي استخراج حربها ، ويقال للموضع الذي يمصر فيه الخيل المصارة [١]. مما يعطينا هذا المعنى وبخاصة أن المصلى كان بالقرب من ساحة المبنى بين المدينة والبحر وأخبرنا ابن الحاج التميري [٢] إنه كان يسكن المصارة دائما وجهاء الدولة ووجوه الخدام ذوو المراتب المخصوصين بالبر والإكرام وقواد الاجناد الذين عمروا مقامات الأبراج والألجام.

يبدو مما سبق أن المصارة سكنها قوم عسكريون ممن عهد إليهم بالخيل (الألجام) وأبراج المراقبة لذا وجب وجودهم خارج المدينة للحراسة والمراقبة من ناحية أسوار المدينة وأبوابها [٣] هذا إلى جانب حصن المدينة الطبيعي ، وهو الغابة المليئة بالبساتين والثمار والأشجار المتشابكة أغصانها ، وقد تحدث الرحالة[٤] والشعراء ، واصفين الساحات والعيون الموجودة بها ، ومن أهم ما ذكروا أن هناك ساحة عنبر وساحة الرحا وابن السلام وابن الأمير هنا من اهم العيون بها كما يخبرنا التجاني [٥].

إن أكثر جناتها فيما بين المدينة والبحر ، وفيها الساحة المعروفة بساحة عنبر وقد ذكرها الشاعر أبو الفضل محمد بن علي التجاني[٦]. وتوجد ساحة أخرى في هذه البساتين المسماة بالغابة هي ساحة الرحا وساحة الشراسارة وهي فيها شاليه يحمل اسمها وقد ذكرنا تلك الساحات وهي تعتبر متنزهات وهي تختلف عن المصارة.

منارة قابس :

وبشرقي قابس موضع يعرف بالمنارة ، كان به منارة مرتفعة يراه المقبل من جهة الشرق قبل وصوله إلى البلد بمسافة بعيدة وقد ذكر أن حداة الإبل يحدون عند قدومهم من مصر إلى إفريقية ويقولون : لا نوم ولا قرارا حتى أرى قابس والمنارا [٧].

وفيما يبدو أن منار [١] قابس الشاهق كان بالشرق ، بالقرب من البحر حتى يراها كل من يدخل قابس من البحر والبر [٢] سواء ضمن العمارة الحربية على طول أسوار الحصون

---

(١) أمين الحاج التميري فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى القسطنطينية والتراب دراسة أحمد الطوخي ورضوان البارودي ص ٥٧ مخطوط طبع على هيئة مذكرات بعد في كتاب وتوجد منه نسخة واحدة محفوظة في مكتبة د. جمال سرور المهداة إلى مركز الدراسات الشرقية بأداب القاهرة. وقد ساق لنا التجانيقصيدة لأبي الفضل التجاني.

ملنا بمنعرج المصلى نحوه   حضر الرقيب وليتهم لم يحضر

وجرى لنا فيه حديث كله   لقد حضرنا منه أطيب بحضر

هذه الكلمة تدل على وجود مراقبة على هذا المكان مما يؤكد المعنى.

(٢) فيض العتاب ص ٥٩.

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٤) على سبيل المثال وابن عميرة ، انظر رحلة التجانيص ٨٧-٨٩ وقد تغني الشاعر أبو الفضل التجانيابن عم صاحب الرحالة.

(٥) نفس المصدر والصفحة.

(٦) على حسب تحديد التجانس كانت تقع في الشمال الشرقي من المدينة وأهل قابس يعرفون هذا الاسم ويطلقون عليه سانيه عنبر وقد تقع على حسب تحديد المدينة في الجهة الغربية منها ، ويقول المرزوقي ان سانية المعروفة الآن (زار قابس ١٩٥٩م) تقع في الجهة الغربية من المدينة وهي نفس سانية عنبر القديمة انظر قابس جنة الدنيا مرجع سابق ص ٢٧. وقول الشاعر أبو الفضل :

اذكر عيشتنا بساحة عنبر   والجو يتحفنا بنكهة عنبر*

حيث النخيل عرائس المحيا بسطا لأنها من أخضر وأصفر

* نفس المصدر ص ٩٠.

(٧) انظر اندريه لوبي Le Sud Tunision P. 27.

والمدن كما كانت توجد منفردة على طول الطرق الاستراتيجية والتجارية ، وذلك للأغراض الحربية كالتحذير من اقتراب العدو ، او لتأمين الطرق إلى جانب إرشاد السابلة[٣] أما في عالم البحر المتوسط فقد وجدت الأبراج والمنارات المربعة. وبالنسبة لقابس كانت توجد أبراج منها منهدم تماما[٤] إلى جانب منارات الأربطة الموجودة بالساحل على طول خليج سرت الصغير مثل المنارة التي توجد بعد جزيرة شريك (قرب قابس حاليا) [٥].

لقد كانت منارة الإسكندرية أشهر نموذج للمنارات التي يصفها صاحب الاستبصار[٦] وكانت بديعة وقد بنيت على طرف اللسان الداخل في البحر من البر ، وإنه جعل على كرسي من زجاج على هيئة السرطان في جوف البحر وجعل طوله في الهواء ألف ذراع وجعلت في أعلاه المرآة [٧] ثم يصف لنا على أيامه ويقول : هي اليوم ثلاثة أحزمة الحزام الأول : فهو مربع البناء وقد عمل أحسن عمل بحجارة مربعة قد خفي التصاقها حتى صارت كالحجر الواحد لم يغيره الزمان وارتفاعه ٣٢٠ ذراعا ، ثم ترك أعلاه قدر غلظ الحائط ، وهو ٨ أصابع، وتحده ١٠ أذرع سوى هذا الغلظ [٨] ثم أقيم عليه بناء مربع الشكل ارتفاعه ٥٠ ذراعا ونحوها، وفي أعلى ذلك مسجد محكم البناء ويقال إنه مسجد سليمان وباب المنارة من حديد ويرقي إلى الباب من أسفل المنارة [٩] كما يخبرنا التجاني [١٠] أن المنار الموجود في شرق قابس الذي تغنى له الحداة قد سقط في زمنه ولم يبق له أثر وأصبحت منطقته تسمى باسمه ، ولكن بعثة الأثري Guerine [١١] وجدت أحجارا ضخمة قبل هذه المنطقة التي تسمى بمنطقة أو حي المنارة والقصور الأغلبية والمحارس الإفريقية كانت تعرف بمنارتها المرتفعة ، ويقول أبو زكريا [١٢] إذا نظروا في مرآة المنارة ، ورأوا قلاع العدو أن يبنى فيبصر نارهم من كان قريبا من القصور ، فيبتعدوا أيضا ، فكل من رأى من أهل القصور نار القصر الذي يليه ، فتسير أيضا فتتصل نيرانهم حتى تبلغ في ليلة واحدة إلى ستة ، وكما أورد التجاني [١٣] وهي متصلة فيما بين الإسكندرية إلى بحر الزقاق بالمغرب الأقصى ، وقد تكون منارة قابس

---

(١) التجاني: مرجع سابق ص ٩٤.

(٢) المنار وجمعها المنائر أو المناور : هي موضع النور أيا كان ، وفي الاصطلاح تطلق على أبراج ساحلية شاهقة البنيان يعلوها نور ساطع يهتدي البحار ليلا فيجنحوا إليها انظر مجلة المشرق مجلد ١١ ص ١٠٤٣ والعامة يسمونها فنار.

هذا الجانب منارا ت لمرفأ على الساحب في مدينة قابس يقول د. سعد زغلول أنه إذا كانت الكنائس والأديرة المسيحية قد استعملت تلك الأبراج من أجل رفع الناقوس أو استخدامها كخلوة للعباد من الرهبان فالمشير أن يكون هذا في الشكل المعماري لكن الوظيفة هي الأهم وهكذا نجد برج المئذنة يتطور إلى عمارة قيامها بوظيفة الإرشاد إلى جانب الأذان وهذا الاسم مازال مستخدما في المغرب الأندلس انظر العمارة والفنون ص ٢١٦.

(٣) سعد زغلول نفس المرجع والصفحة

(٤) Gurini Voyage Arucheolaguie duns la ence deu tuniseie theednt, T219

(٥) ذكرها لنا في رحلته عددا منها فمثلا واحد منها بين بناء الأغالبة هو المذكور في الملي ويقع في منطقة الفلاحين وهي آخر أرمن الجزيرة من نصوص الحجارة المربعة ص ٢٣.

(٦) مجهول ، مصدر سابقة ص ٩٤.

(٧) نفس المصدر والصفحة.

(٨) نفس المصدر والصفحة.

(٩) نفس المصدر.

(١٠) الرحلة ص ٩٢٣.

(١١) معجم البلدان ج٤ ص ١٨٨ ولنظر سيد سالم بحوث» ج٢ص٤٧ Royage Atchcogiqve P. 18.

(١٢) السير ص ١٦٠.

(١٣) الرحلة ص ١٦٠.

الشاهقة في ناحية الشرق تظهر بوضوح للقوافل الآتية من المشرق كما قال الشاعر – في وصف التجاني [١] يتضح لنا أن هذه المنارة كانت ناحية الشرق من حدود المدينة في المنطقة المسماة (البلد) وهي أحد أجزاء المكان القديم للمدينة الإسلامية (أي مدينة قابس قديما) لأنه بعد ذلك يذكر منشآت داخل المدينة [٢].

المرفأ (الميناء):

يقع المرفأ على خليج سرت الصغير أو خليج قابس وكان في الأصل عبارة عن مصب لأودية قابس وعيونها التي تأتيها من الجبل في جنوبها [٣] وهو مثل كل المرافئ في العصر الروماني حولت ضفاف المصب إلى أرصفة ، بعد حين وصل بين حواجز المرفأ الخارجية ببناء حجري لحماية المرفأ من مروج البحر [٤] ويبين أن شكل المرفأ عبارة عن شكل متعدد الأضلاع وغير منتظم وله ثغر ضيق ووادي قابس يرمي في البحر على مساحة كيلو متر بين شمال شرق حي المترل ، وفي أوقات الجزر تنخفض مياهه أقل من مترين وبعلامات ثابتة وهي أن تمرق متضخمة بواسطة أمواج البحر فتتحول ثانية رفيعة وقليلة العمق وفوهة هذا النهر كانت تستخدم منذ قرنين كمرفأ للوادي أما مرفأ مكاباس القديم فقد غطته الرمال منذ مئات السنين [٥] كانت توجد منارة لإرساء السفن – كما يوجد برج دفاعي بالقرب منه وتوجد منذ عصر الحماية طابية تسمى البرج الجديد .
يخبرنا البكري : [٦] " وساحل مدينة قابس مرفأ للسفن من كل مكان أما الإدريسي [٧] فيقول أنه يستوعب السفن المتوسطة والقوارب ترسو بواديها وهو ليس بكثير السعة .
كان لمرفأ قابس عدة مراس لكن الحفريات لم تعط سوى اثنتين:
طرف الماء بعد وادي العكاريت شمال قابس، أي في الطريق الأتي من صفاقس على الساحل كما كان في طرف الماء مرفأ صغير مازال المراكب الصغيرة تتعامل معه إلى وقت رحلة جيرين [٨]
ومرسى بالماء وهي المراسي القديمة التي أرساها الفينيقيون.

---

(١) الرحلة ص ٢٣.

(٢) نفس المصدر والصفحة. ومن المحتمل أن تكون المنارة رباط صحراوي يحتوي على مسجد وبيت صحراوي لإيـواء رجال القوافل ودوابهم ومن المحتل أيضا أن يكون قريبا من الباب الشرقي الذي ذكره الوريثلاني في رحلته فيما بعـد أو تاليا أمام مترل القوافل فهو جزء هام في المدينة الإسلامية وهو ما يجوز أن تطلق عليه اسم العمارة التجارية التي تمت وتطورت في العصور الإسلامية بعد أن شارك فيها الأفراد.

(٣) البرغوثي تاريخ ليبيا ص ٥٥٦-٥٥٧.

(٤) جيرين : رحلة أثرية ص ١٧٩.

(5) Elkaium ,Karim La riseslouce de gabies calers de lunise v. amme 1974 t 154.

(٦) المسالك ج٢ ص ١٦٦

(٧) نزهة المشتاق ص ٢٧٩.

(٨) انظر الرحلة ...الفصل ١٨

الفنادق :

ويقول ابن منظور أن كلمة فندق فارسية وبلغة أهل الشام تعني الخان[١]، وهي كلمة أصلها يوناني Fondaque مركبة من لفظين Fon = كل وdaque = قبل، أي استوعب كل شئ ، وهو مرادف لكلمة نزل أو منزل[٢]، وبهذا تدل الوظيفة التي يؤديها المبنى المخصص وللكلمة المرادفة لها في المشرق ، مثل (خان ، كرافان، سراي ، نزل وكالة [٣]).

ولا يفرق المقريزي[٤] في خططه بين القيسارية الوكالة والخان والفندق لتشابهها في نظره. أما قابس فقد ذكرت المصادر كثرة فنادقها وذلك لأنها كانت مركزا تجاريا للتبادلات التجارية من ناحية البحر والصحراء وعلى طريق رئيسي يؤدي لغيرها من المدن الساحلية الصحراوية.

وتقع الفنادق بصفة عامة خارج قابس وتتجمع فيما يشبه مدينة صغيرة مغلقة ، أو مكان خاص بالتجار الغرباء عن المدينة ، وعلى مقربة من مرفأ قابس توجد فنادق للتجار الإيطاليين خاصة (البيشائيين أو البيازنة).

ويبدو أنهم كانوا يسمون كل فندق باسم طائفة من التجار النازلة. وقد جاء في كتاب – Demas Latri[٥] معاهدة تجارية برقم ٧٩٣ ذكرة المدن خاصة قابس التي أقامت فندقا خاصا بالتجار الإيطاليين حتى لا يشاركهم فيه أحد من النصارى. ويبدو أن هذا الفندق كان على بعد ميل واحد من المرفأ كما هو في تونس[٦]. والفندق يضم عددا من المنشآت المتعددة منها منشأة سكنية من عدة طوابق لإقامة التجار ، وأخرى لتخزين السلع ومكاتب شئون تنظيم الحالية التي يتبعها التجار (بيازنه ، جنويين) وأحيانا كنيسة لأداء صلواتهم[٧].

كما يوجد بها فرن ومطبخ لإعداد الخبز والطعام ومحل لتقديم الطلبات الضرورية لهم وسوق جامعة لمنتجاتهم [٨] وحمام ، ومن الجائز أن يكون هناك مكان لتنفيذ أي عقاب للخارجين عن القانون واللوائح ، يشرف علي ذلك قنصل مهمته تنفيذ أحكام القضاء فيها والإشراف على هذه المنشأة أو الفندق [٩].

---

(١) لسان من العرب مادة فندق

(٢) طوبيا العنتبلي: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة مع ذكر أصلها ، ط القاهرة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ١٧٠ وأنظر عبد الجبار ناصر العلاقات الاقتصادية للدولة الحفصية – رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ١٩٩٢م.

(٣) خان أو نزل أو وكالة تعطيها معنى مؤسسات تجارية ، وأماكن لراحة التجار في نفس الوقت وهي كلمات مشرقية ، أما كرفان سراي ، فهي كلمة تركية من كلمة كرفان : القافلة. ثروت عكاشة القيم الجمالية في العمارة الإسلامية القاهرة ط١ ص ١٧٨.

(٤) المقريزي : نصر الدين أحمد بن علي بن تقي الدين (٨٤٥هـ – ١٣٧٧م) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية ط بيروت – ج٢ ، ص ٢٤٠.

اليعقوبي والبكري والإدريسي وغيرهم من مصادر سبق ذكرها وأنظر : نعيم زكي فهمي طرق التجارة الدولية ومحطاتها ط. الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩٣ / ١٩٧٣م ، ص ٢٨٦ – ٢٨٧.

(5) Traite de Paix et de commerce edit 1898 P. 169

(٦) انظر المرجع السابق ، نفس الصفحة وما يليها.

(٧) نفس المرجع والصفحات أنظر صبحي لبيب ، الفندق ظاهرة سياسية اقتصادية بحث في ندوة مصر والبحر المتوسط ، ص ٢٨٥ ، ط القاهرة ص ٢٨٥ وما يليها.

(٨) كما جاء في بحث صبحي الليبي المرجع السابق نفس الصفحات وكذلك المعاهدة رقم ٧١٣.

(٩) أنظر رحلة المبشر إيفالد : ١٤١١هـ – ١٩٩١م ، ٦٨ – ٨٥. وهو تيسيس ألماني ذهب لتونس وزار مدن الساحل وخليج قابس ونزل بفندق متوسط الحال بقابس ثم جربه ، وقابس بها حمامات كثيرة إلى جانب الفنادق والأسواق ، الوزير السراج ، الحلل :ج٢ ، ص ٢٨٩

وكانت هذه الأبنية التي تتكون منها منشأة الفندق عبارة عن بناية كبيرة مربعة الشكل مكونة عن عدة طوابق شكلها الخارجي كالقصر للحصين ، وبداخلها فناء واسع تجري فيه عملية تفريغ البضائع أو إعدادها للشحن من فك وربط ولصق أوراق عليها لتوضيح بيانات. ويتضمن الطابق الأرضي حوانيت مخازن ذات قباب ، والأدوار العليا كانت مخصصة لسكن التجار ونومهم فيها وكانوا يعلقون غرفهم بأقفال رومية[1]، ويحيط بها من الخارج أشجار غالبا ما تكون مجلوبة من بلاد هؤلاء التجار [1].
وكذلك توجد كنيسة أو معبد تناسب ديانة التجار. وكل أدوار مبنى الفندق تكون سهلة المراقبة والتهوية وتخضع لإشراف الإدارة حكومية من قبل الخلافة في ذلك الوقت. وتعطي امتيازا لإقامة الكنائس ودور العبادة [2].
يتميز الفندق بأنه يقبل التجار من ذوي الجنسية الواحدة أما الوكالة الإسلامية فتتكون من فناء محاط بحجرات كثيرة من الحجر تستخدم كمخازن ، من فوقها طابق يشتمل على حجرات تتم فيها المقايضة بين التجار الغرباء والمحليين ، تعلوها وحدات سكنية كل منها ذات طوابق ثلاثة قائمة بذاتها أعد الطابق العلوي لكل منها للنوم وبه المشربيات التي تطل على الصحن المكشوف [3] وحراسة التجار والبضائع ومكفولة لهم وهي مؤسسة مكتملة المرافق [4] لكل ما يلزم التجار وكذلك يوجد بها مسجد أو زاوية للصلاة ، وهذه هي المسافر خان في الشرق أو الكرفان سراي.

الرباطات :

تعني كلمة الرباط مصدرا للفعل رابط ويقال رابط الشخص إذا لازم الثغر ، وهو يخشى من هجوم العدو وعلى هذا فالمرابطة هي ملازمة الثغور استعدادا لملاقاة العدو، أو أن يربط كل من الفريقين جنودا لهم في ثغره [5].

وقد عرف المسلمون الأوائل معنى الرباط والمرابطة كنوع من الجهاد لنشر الدين والدفاع عن الإسلام ، **" يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"[6] " واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم"[7].**

لقد كانت روح الجهاد والحماس للغزو ولنشر الدين لدى مسلمي المغرب بجانب الرغبة في الزهد والتقشف مما كان له الأثر في انتشار الأربطة (الرباطات) على ساحل إفريقية كما في ساحل المغرب الإسلامي بطوله مما عمل على حماية الجناح الغربي الإسلامي [8] وربما في اختيار القيروان [9] التي لا تبعد عن البحر ولحصنها ، واعتبار أهلها مرابطين

---

(١) عطية القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الدولة العباسية ط القاهرة دار النهضة العربية ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م ص ١٩٩

(٢) في ذلك أنظر هايد تاريخ التجارة في الشرق الأدنى ت / أحمد رضا محمد رضا ، ط القاهرة ١٤١٤/١٩٩٤ ، ج (٣) ، ص ٣٢-٣٣ ، وأنظر : صبحي لبيب الفندق ظاهرة سياسية ص ٢٨٧.

(٣) ثروة عكاشة : القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، ط القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ص ٧٠ وما يليها.

(٤) سعيد عاشور ، سعد زغلول – مختار العبادي ، في دراسات تاريخ الحضارة الإسلامية العربية ، ط إسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ١٤١٦هـ ١٩٩٦م ص ٣٠٠ – ٣٠٣. والمصدر السابق نفس الصفحة وما يليها.

(٥) المرجع السابق ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٦) محمد توفيق بليغ ، نشأة الرباط وتطوره ، ط. جمعية الآثار ، الإسكندرية ص ٢٨-٢٩.
سيد عبد العزيز سالم : الرباط والمرابطة مجلة دراسات أندلسية عدد يناير ١٩٩٥، نقلا عن ابن منظور لسان العرب : ربط.

(٧) سورة آل عمران الآية رقم (٢٠٠)

(٨) سورة الأنفال الآية رقم (٦)

(٩) ابن الأثير : الكامل ج١ ص ٣٢٠ ج٤ ص ٧٤-١٣٧.

يؤيدون نشأة الرباطات منذ الفتح الإسلامي التي يصلي فيها العباد والمرابطون ، متدربين عسكريا ومستعدين لملاقاة العدو [١] ومن الرباطات ما كان على ساحل قابس وما جاورها مثل قصر (ابن عيشون ، قصر زجونة) [٢] ورباط البحر الذي ذكره الغبريني [٣] المعروف بمسجد الصهريج التي لم يبق له أثر ويعتقد بعض الباحثين أنه ربما كان بمكان زاوية سيدي اسحاق بظهرة قراوش شرقي سوق الجارة الآن نظرا لأن ابن اسحاق نفسه كان يتعبد في هذا المسجد [٤] ولكننا نستبعد ذلك لوجود بساتين النخيل بين الزاوية والبحر ، والمعروف أن الرباطات تجعل لحراسة الشواطئ لا يفصلها عن البحر شئ ، يوجد قصر سجة على غدير واد يغذي قابس وقصر سجة بينه وبين قابس ثلاثة أميال [٥] وقد وجدت أحجار مبعثرة ربما كانت هذه الأحجار بقايا بناء قديم اضمحل[٦].

ورباط الحامة على خليج قابس قرب صفاقس وقص قابس وهناك الربط التي أقامها الأفراد مساهمة منهم في الجهاد وتحصين السواحل على خليج قابس ومن أشهر تلك الربط "قصر طبنة" و"قصر نقطة" اللذان زارهما التجاني ووصفهما بأنهما "قصران عامران[٧]، إلى جانب "محرس بطوية" الذي كان يتميز بوجود منارة عالية يصعد إليها عبر برج من مائة وست وستين درجة[٨] ، ومحرس جبلة ، ومحارس أبي الغصن ، ومنه اللوزة والريحانة[٩]. وعلى مقربة من قابس توجد أنقاض أحد المحارس القديمة وهو يعرف ببرج خديجة[١٠] وله منار عال[١١]، وبقرب قابس كان هناك " قصر قابس [١٢].

(قصر – حصن – رباط – محرس – مسلح) كلها كلمات تندرج تحت بند المصطلحات الخاصة بالعمارة الحربية[١٣] وتضاف لها كلمة (مرقب) بنفس المعنى زعم عرب الجنوب (في قابس أن إبل الهلاليين كانت ترتاد (أم الشياه) وهو جبل بالظاهر يقع في منتصف الطريق بين دوز (غرب قابس) من جهة ومن جهة أخرى بين دوز ومطماطة (جنوب قابس) وأن (دياب بني غانم) من فرسان قبيلة زغبة الهلالية كان يحميها وسمى مكانه مرقب دياب. الأربطة أو رباطات الأغالبة ذات الطابع العسكري الديني ، إما مساجد ونكر ما فيها من مرابطين أي الوظيفة الدينية وتخللها بعد ذلك المرابطة وبطول الساحل مساجد كثيرة وهي مساكن للصالحين

---

(١٠)بليغ – ص ٢٧ ونزهة المشتاق

(٢) الإدريسي نزهة المشتاق ج٢ ، ص ٣٠٥ وانظر محمد عبد الهادي شعيرة الرباطات الساحلية الليبية بحث من مؤتمـــو تاريخ ليبيا القديم والحديث ط بنغازي ط١ ص ٣٣٦

(٣) علوان الدراسة ، ط بيروت ، بدون ص ١٣٩.

(٤) الغبريني ص ٢٣٩.

(٥) الإدريسي ج٢ ص ٢٧٩.

(٦) المرزوقي ص ٨٥.

(٧) التجاني : الرحلة ، ص ٨٤

(٨) عن محارس صفاقس : انظر ابن حوقل : صورة الأرض ص ٧٠ ، البكري : المغرب ص ٢٠ ، الإدريسي : نزهـــة المشتاق ج٢ ، ص٢٨٠.

(٩) هي خديجة بنت أحمد بن كلثوم المعافري ، وكانت شاعرة مشهورة ، وذكرها ابن رشيق في كتابة الأنمـــوذج ، وقـــد ذاعت شهرتها في القرن الرابع الهجري بسبب أشعارها في بيت لها يدعى أبا مروان عبد الملك بن زيادة الله ، وقـــد رفض أهلها زواجها من حبيبها. أنظر: حسن حسني : شهيرات التونسيات ، ص ٥٣.

(١٠) يرجح حسن حسني عبد الوهاب أن يكون سبب تسمية هذا الحصن راجعة لهذه الشاعرة حيث يرجح أن يكون أهلها قد سكنوا المنطقة المجاورة للحصن وعندما ذاعت شهرة خديجة أطلق عليها اسمها على الحصن – حسن حسني: المرجع السابق ، ص ٥٤.

(١١) البكري : المصدر السابق ، الإدريسي : المصدر السابق ، ج١ ، ص ٢٧٩ ، ياقوت : معجم البلدان، ج٤ ، ص ٢٨٠.

(١٢) البكري : المغرب ، ص ٢٠.

(١٣) محمد حمزة الحداد المدخل إلى دراسة المصطلحات الفنية للعمارة الإسلامية في ضوء كتابـــات الرحلـــة المسلمين ومقارنتـــها بـــالنصوص الأثريـــة والوثائقيـــة والتاريخيـــة ، ط القـــاهرة دار النهضـــة الشـــرق سنة ١٤١٦هـــ ط١ ص ١٨.

، وهي شهيرة يزورها الناس وهي أحسن المساكن لمن يريد الإنفراد للعبادة ومساكن تجمع بين الاحتراس ومجانبة الناس وبجوار قرية مارث [١] (في قابس) وصل التجاني [٢] لقرية آجاس العامرة ورأى مسجدها وأخبره أهلها أن الدعاء فيه مستجاب ، وأن فيها بعض الزهاد والمرابطين على المذهب السني الذي كان غالبا من قابس لطرابلس وكذلك في قابس مسجد الوهيبة [٣] .

والأربطة (الرباطات) تكنة محصنة عسكرية أولا ، وبها مسجد أو أكثر ، وكان أشهرها (سوسة) ، (المنستير) [٤] على أقصى الشمال على خليج قابس[٥] .

وتشابه الأربطة في التخطيط ، فقد كانت مستطيلة المسقط مسورة مزودة بأبراج [٦] ، إن القصر عبارة عن حصن متوسط المساحة ، وقد يكون كبيرا وقد يبني بجانبه حصن آخر ، وعادة مايشبه قصر المنسيتر وهو عبارة عن عبارة عن بناء من طابقين محصن، وعلى هذا الحصن تشرف حجرات الدور الثاني على شكل شرفة ويحتوي القصر عادة على مسجد [٧] حتى تتكامل وظائف الرباط من الناحية الدينية والعسكرية. وقد لاحظت الباحثة من خلال رحلة التجاني [٨] أنه تحدث عن نوعين من الرباطات:

رباط له مسجد يقوم بعمل الرباط مثل مسجد أجاص المذكور على طول الساحل ومسجد يقوم بعمل الرباط ، وقد أورد اليعقوبي[٩] والإدريسي[١٠] الكثير من الرباطات على طول خليج قابس وخلجان إفريقية كلها[١١] وقد أورد ابن عذابي[١٢] أن هذا التحصينات الساحلية كانت منتظمة على مسافات مدروسة فيما بين الإسكندرية حيث كان الخبر يصل في ليلة واحدة عن طريق النيران والإشارات الضوئية المنبعثة منها ، .اشهر هذه الرباطات بناها الأغالبة وأولهم أو إبراهيم بن أحمد الأغلبي (٢٤٢-٢٤٩هـ) [١٣].

وقد كانت الرباطات في الشرق أيام هارون الرشيد والخليفة المأمون تسمى محارس أو مسالح[١٤] وقد اقتبس الأغالبة الكثير من أصولها وطبقوها في إفريقية[١٥] وقد جاء في كتاب الإدريسي[١] أسماء قصور على هذه الرباطات وحصون أو حصن على طول الساحل..

---

(١) نفس المصدر نفس الصفحة.

(٢) انظر الشماخي احمد بن سعيد بن عبد الواحد (٩٢٨هـ ١٥٢٢م) السير ط عمان ١٤٠هـ ١٩٨٢م ج٢ ص١٢٨. حيث أورد قصة بين قائد المعز حول اغتصاب بستان أحد الشيوخ فدعا عليه في مسجد الوهيبة.

(٣) سور مدينة أولية القدم فيها آثار للأول وهي على ساحل البحر وبالقرب منها محرس المنسير وهو صحن عالي البناء متقن العمل فيه جماعة من الصالحين الذين حبوا أنفسهم فيه منفردين عن الأهل والعشائر وبقرية عدة محارس متقنة البناء معمورة بالصالحين.

(٤) الجون: استدارة الخليج للداخل انظر الإدريسي ج١ ص ٣٠٢ ، ٣٠٣.

(٥) انظر علوان الدراسة ص ٢٤٠.

(٦) انظر عبد الرحيم غالب ، موسوعة العمارة الإسلامي ط جروس برس ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨م انظر محمد عبد الهادي شعيرة الرباطات الساحلية الليبية الإسلامية ص ٢٣٧.

(٧) انظر الرحلة ص ٢٣.

(٨) يقول عنها أنها قرية حقيرة انظر المصدر السابق ص ١٨١.

(٩) البلدان ص ٣٥٣ج ٢ ص ٢٨٩.

(١٠) نزهة المشتاق ج١ ص ٢٨٠ وما يليها.

(١١) المصادر السابقة نفس الصفحات.

(١٢) البيان المغرب ج١ ص ١٩١.

(١٣) ابن عذاري نفس الصفحات Charles Anulien Julien, lepase de lalfrique du Nord sj 83

(١٤) أورد ابو الهلال العسكري أن الخليفة المأمون أول من أطلق اسم مصالح على مسالح الأوائل ط بيروت بدون ٤٣.

(١٥) دائرة المعارف الإسلامية ط القاهرة دار الشعب ط (١) ج١٥ ص ٨٢-٨٣.

وهذه الحصون المحتوية على مساجد تشبه القلاع أو المعاقل الدفاعية التي ينطلق منها المجاهدون لدرء أي عدوان خارجي ، وهذا الحصن مربع الشكل وغالبا ما يحيط به سور غليظ خارجي وفي أركانه أبراج المراقبة ، وترتكز عليه منارة شاهقة الارتفاع ذات وظيفة مزدوجة وهي : المراقبة والأذان في مواعيد الصلاة(٢) وبداخله صحن أو فناء مستطيل في وسط الرباط وتحيط بالجوانب أروقة ، وفي الجوانب درجات للصعود لطابقين بأعلى فيها غرف للمراقبة ، وهي على جوانب الصحن من أعلى من كل جهة وتشتمل كل جهة على ثمان غرف ، أما جهة الداخل فمن المرجح أنها اتخذت إسطبلات للخيل والمجموعة التي في الأركان وفيها غرفتان كانتا مخصصتين كمستودع للأعلاف وأغراض القصر(٣) وغرفتا الركنين الشمالي والغربي والغرفتان المتصلتان بهما كانتا مراحيض وميضة حيث وجد فيها مجاري من الفخار تتصرف فيها المياه خارج القصر أو الحصن ، كما توجد غرفة كبيرة خصصت للمكتبة وقاعة للاطلاع فيها مصاطب يجلس عليها المطلعون ، والمكتبة عبارة عن تجاويف في الحائط لوضع الكتب وبين الحائط القبلي والسور كان يوجد فناء فيه أضرحة للشخصيات الهامة (٤) أما من حيث الواجهة الخارجية فقط شبهه مارسيه Marais بأنها تشبه الحصن البيزنطي(٥).

أسس البربر الرابطة وهي رباط أو أربطة له حصن على الجبل تجمع فيه القبيلة مدخراتها ، ويتولى البعض حمايتها ، وأسس المنسيتر على الساحل للعبادة كما توجد في الشرق صروح الأنوار وهي ربط عليها منائر تضئ الطرق خصوصا على حدود العراق للحماية من الغارات المفاجئة (٦).

والرباط (في جنوب قابس) هو اللبماس العسكري للحراسة الساحلية أو الصحراوية ورابطة لجمع الزاد الجماعي وحمايته وبه منارة تبين السبيل للقادم ، إلى جانب مركز للحمام الزاجل الذي يحمل الزاجل الذي يحمل الأخبار(٧) وقد أدرك المسلمون خطورة هجمات البيزنطيين على السواحل وفي الجبال والصحراء التي جهزت فيها غرف للمسافرين ، وعلى الرباط منارة عالية للإرشاد ، وكان الحداة يقولون : لا نوم ولا قرار حتى أرى قابس والمنارا(٨).

الرباط البربري حول قابس يسمى تاشرافت وتعزيمت وصارت هذه الأربطة كثيرة ومتعددة (٩) الأول التاشرافت ، وهي أي مرقب مشرف به رباط ، وذلك منذ القرن الثاني للهجرة، ويوافقه كلمة السروات في بلاد اليمن ، وتاشرافت تماثلها ولكن في إفريقية تطلق على الجبال المشرفة بالمراقبة (١٠) أما بتغرمت هي الدار المحصنة وهي دار مربعة في أركانها أبراج وفي سورها مدخل واحد يتصل بغرفة تجانبها ثلاث غرف ، وفي باقي الواجهات الداخلية وفي زاوية من زوايا هذه الغرف يوجد درج يؤدي للطابق الأول الذي هو صورة طبق الأصل

(١) نزهة المشتاق ج ٢ ص ٢٨٢ وما بعدها.

(٢) انظر المرجع السابق ص ٢٨-٣٨.

(٣) نفس المرجع ص ١٠٧،١٠٨.

هذا رأيه لكن الحقيقة لعمارة المسلمين نمط خاص وإن كان بها لقطة من العمارات الأسبق.

(4) lvoin & archilectus Musulmame j 118.

(٥) مؤتمر تاريخ الآثار الإسلامية الأول بالمغرب عن الفن المعماري عبد العزيز عبد الله البريري هندسة الحصـــون ص ١٥١ ، ١٥٨.

(٦) عثمان الكعاك ، الحضارة ، ص ٨٠. والربط في المشرق والمغرب على نظام واحد وإن اختلفت المصطلحات.

(٧) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ط القاهرة ١٤١٤هـ ١٩٩٤ ص ٢٨٢

(٨) التجاني ص ١٥٤ – ١٥٨.

(٩) عبد العزيز عبد الله نفس الصفحة.

(١٠) نفس المرجع والصفحات ص ١٥٦.

زوايا هذه الغرف يوجد درج يؤدي للطابق الأول الذي هو صورة طبق الأصل للطابق السفلي حيث الخدم والحاشية ، أما الحصون الركنية فتستعمل كمخازن للمؤن وتؤدي إليها ممرات ضيقة ويحيط بالساحة سقف جانبي من الخشب ، والطابق الثاني لا يحتوي على غرف بل هو امتداد للسور مجهز بثقوب للحراسة ويوجد أيضا عند البربر ما يسمى بالمخازن المحصنة التي تسمى بالبربرية "إيغرام" وهي عبارة عن أجنحة منفصلة تنفتح في ساحة داخلية وتقوم البناية كلها على ارتفاع شاهق في نقطة استراتيجية لذلك تستخدم كمستودع للمؤن وكقلعة يلجأ إليها الناس عند الخطر[١].

وتبني كبرى حصون البربر بالطابية وأحجار الجبل وجذوع الأشجار ، وتبنى قاعة دائرية كبيرة فيها و تخصص لكبار القادة وتحاط بسور قوي والحصون والقلاع تشرف على المدشر [٢] أو القرية الصغيرة المحاذية لها (أجادير) وهي نوع من الجور المحصنة للمستودعات وغالبا ما تحتوي على مسجد ومخازن ودار ندوة للأعيان وفي وسطها صهريج مياه .

ومن اقوى تلك الحصون البربرية هي تحصينات مطماطة التي تقع جنوب قابس لأنها مركز البربر الأمازيغ وهم السكان الأصليون للجنوب من إفريقية بصفة عامة[٣].
فهذه الحصون هي تاريخ صمود رجال البربر أمام الطبيعة القاسية ضد كل معتد. لقد نقشوا على الصخر تاريخ هذا الصمود وتتراءى لنا تلك القرى على الهلال الحجري لجبال مطماطة وتطاوين.

ترى على قمم تلك الجبال حيث الطبيعة القاسية واستمرارية الأصالة لهؤلاء البربر على مر العصور في هذه المساحات الشاسعة الممتدة في الجنوب الشرقي بين والبحر والصحراء حيث حفرت الأيدي مساجد ومساكن معاقل بين طيات الجبال ومنعطفات المنحيات ونجد القصر عند أهل الجنوب الشرقي في أعلى المرتفعات عادة وهو مخزن المؤن والمعقل الذي يلجأون إليه عند أي هجوم يحتمون به زمن الحرب. يعرف القصر بأنه المكان المشترك والمغلق والمقسم داخليا. تحرسه مجموعة من جنود لأن فيه أفراد قبيلتهم و ممتلكاتهم.
والقصور جمع أقصر (بلغة قابس) وهي تمتد من التراب الطرابلسي حتى يصل إلى قمم جبال الأطلسي في أقصى الغرب كنظام بربري واحد سواء في الجبال أو الوهاد (مفردها وهد ويقع بين جبلين) [٤] يتميز القصر بخاصتين أولاهما الموقع: الذي يكون أما على قمة جبل أو في الوهد (كما ذكرنا) وذلك لضرورة حربية حيث التحصين ومراقبة الأعداء في نفس الوقت.
ثانيتهما:التخطيط المعماري: ويكون متماثلا في جميع القصور على مر العصور والذي يتكون من:

١-السقيفة : وهي المدخل الوحيد له.

٢-الصحن : حيث تقام فيها الاجتماعات والحفلات

الغرف أو المنازل وتكون للخزين وتكون مغطاة بالملاط ومزخرفة بزخارف بربرية خاصة ويوجد بجوارها برج للمراقبة ومعاصر الزيتون ومطحنة للحبوب وهي تكون دائما فوق القرية البربرية.هناك اختلاف بين لنا انها تطورت إلى حد ما ففي العصور القديمة من حياة البربر

---

(١) نفس المرجع والصفحة.

(٢) المدشر عبارة عن تجمعات مساكن للفرحين ليس لها سوق أو مسجد جامع انظر بن خلدون ج١ ص.

(٣) مازلت تراهم محتفظة بهذا الطابع البربري في عمارتها للآن

Voir: André louis, le sud tunisien P.45-75.

(٤) لقد أصبح هذا الطابع يشد السائحين لمشاهدتها ويشد الأجانب لاستكشافها مثل أندرية لويس الذي مكث بينهم أياما طويلة.

- كان الصحن مربعا أما خلال العصر الإسلامي أصبح الصحن مستديرا مما يدل على تأثر البربرية بالإسلام .

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني

الحياة السياسية

١- تمهيد : قابس منذ الفتح الاسلامي حتى الغزوة الهلالية .

٢- الغزوة الهلالية

٣- إمارة بني جامع في قابس.

٤- علاقات قابس السياسية مع نواحي إفريقية :

مثل : صفاقس ، قفصة ، بلاد الجريد ......

٥- علاقات قابس السياسية:

١. مع بني زيري ، وبني حماد.
٢. مع المرابطين.
٣. مع مصر
٤. مع الأندلس
٥. مع الموحدين
٦. علاقات قابس مع النورمان في صقلية
٧. مع السودان

قابس منذ الفتح الإسلامي حتى الغزوة الهلالية

لم يذكر المؤرخون تاريخاً محدداً لفتح قابس ، ولكن بعضهم أشار إلى أن عبد الله بن سعد بن ابي السرح عليها عام ٢٧ هـ ، ثم انصرف عنها لئلا ينشغل بها عن فتح إفريقية ، وبذلك لم تفتح عام ٢٧ هـ ، كما ذهب ياقوت الحموي[١]، ويذكر النويري[٢]، عن جيش المسلمين بقيادة عبد الله بن سعد بن أبي السرح[٣]:

" ... فجمع عبد الله بن سعد جيشاً عرمرماً ..." [٤]، فتح بها طرابلس وغنم منها ، ثم يقول :- "... ومعنى حتى نزل بمدينة قابس فأشار عليه أن الصحابة أن لا يشتغل بها عن إفريقية ، فسار وبث كل السرايا في كل وجه..." [٥]، ولم يرد اسمها بالتحديد في فتح العرب للمغرب ككل[٦].

اختلفت روايات الفتح الإسلامي لقابس ، لكنها اتفقت على أن عبد الله بن أبي السرح حاصر قابس في طريقه ثم استصوب أن ينصرف عنها كسباً للوقت لأنها كانت محصنة، وقد التقى حاكم إفريقية البيزنطي جريجوريوس[٧]، وجنده بمكان قريب من سبيطلة [٨]، يسمى عقوبا [٩]، حيث دارت معركة انتصر فيها العرب ، وتسمى معركة سبيطلة، وبذلك وصل إلى سهل تونس[١٠].

---

(١) معجم البلدان : جـ ٤ ؛ ص ٢٧٩ ، مادة قابس مع ملاحظة أن في هذا الوقت ٢٧هـ ، لم تكن القيروان قد بنيت.

(٢) هو شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري : ٧٣٢هـ – ١٣٦٤م. نهاية الأرب في فنون الأدب ، جـ ٢٤ ؛ تحقيق حسين نصار ، ط . القاهرة. الهيئة العامة للكتاب سنة ١٤٠٣هـ ، ص ١٠ ، ١١.

(٣) فاسمه عبد الله ابن سعد بن ابي السرح بن حبيب بن حذيفة ، المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(٤) عرمرم بمعنى : الجيش العرمرم الكثير ، انظر المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية جـ ٢ ، ص ٣١ ؛ وانظر : المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة.

(٥) ابن عبد الحكم : نفس المصدر والجزء والصفحات ، أبي القاسم عبد القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم بن اعين القرشي توفى ٢٥٧هـ – ٨٧١م – فتوح مصر وأخبارها د/ عبد المنعم عامر ، ط . القاهرة ١٣٨١هـ – ١٩٩١م ، ط ١ ، ص ١٩٢ – ١٩٣.

(٦) المصدر السابق نفس الصفحة ، وانظر نفس المصدر والجزء و الصفحات.

(٧) يسميه العرب : جرجير ، انظر النويري ، ج ٢٤ ؛ صـ ١١ ، الذي يقول "وسلطان من طرابلس إلى طنجة وولايته من قبل هرقل".

(٨) هي مدينة لمودة غير بعيدة عن قابس على مسافة يومين من القيروان ، وهو بلد واسع فيه مدن وحصون وهي كانت مدينة جرجير ومستقرة ، وكانت عاصمة إفريقية بدلا من قرطاجنة، ودخلها المسلمون في جيش عبد الله بن سعد ابن أبي سرح في صدر الاسلام ، حسين مؤنس ، فتح العرب للمغرب ط. القاهرة ص ٥ ؛ وسبيطلة هي Saffetula ؛ المصدر السابق ، جـ ٢٤ ، صـ ١١، – وانظر : Dichl = L'afrique Byzantine. P.227.

(٩) عقوبا ، ويسميها النويري : لحص عقوبا ، والفحص هو المتسع من الأرض ، انظر : نفس المصدر والجزء والصفحة.

(١٠) لقد كان جرجير يستطيع أن يسد على المسلمين الطريق الضيق الذي يؤدي من طرابلس إلى إفريقية ، وهو طريق قابس وشط الجريد، لكنه فضل الانتظار في مكان تسميته الروايات العربية عقوبة ، لقد كانت معركة سبيطلة أو واقعة سبيطلة من المعارك الحاسمة في تاريخ الفتح الإسلامي للمغرب "كانت في ذلك الوقت دارا للملك، يقول د/ مؤنس (ب): أن جرجيرا فضل أن ينتظر المسلمون الفاتحون في عقوبا، وقد كانت بينهما مفاوضات طويلة قبلها لحثة على الاسلام أو للجزية ويكون تحت سيادة الاسلام وانه أساسا اتخذ سبيطلة دارا لملكة خشية هجوم العرب عليه بعد اخذهم طرابلس وبرقة .

اما د/ سعد زغلول عبد الحميد (ج): فمن رأيه أن الاقرب إلى الصواب أن جرجيرا اتخذ سبيطلة خشية هجوم البيزنطيين عليه ، وأن جرجيرا لو علم أن جيش ابن أبي السرح سار إلى سبيطلة أو إلى عقوبا فسيكون اكثر قبولا ، كذلك لو علم بخطة سير جيش ابن أبي السرح لانتظره في منطقة قابس الاستراتيجية (د): فهي اشبه بعلق الزجاجة (كما يقول العسكريون حديثا) لأنها منطقة عبور من طرابلس لإفريقيا ، أما د/ سيد سالم فيذكر أن (س): وكان جرجير حصن المدن الشرقية مثل قابس وصفاقس مكونا خطا دفاعيا أماميا له ضد الغزو من الشرق لذا كان مطمئنا لمناعة تحصين قابس وأنها ستكون عائقا وترى الباحثة في هذا الموضوع أن خطط ابن أبي السرح كانت تكتنفها السرية لذلك (ط): لذلك لم ينتبه جرجير ولم يعقلها جيدا لأنه كان يعتقد أن قابس منيعة التحصين (ص): وأن العرب لنا يستطيعوا فتحها ، لذا ترجح الباحثة أنها فتحت قبيل معركة سبيطلة ، وإلا كانت شوكة في ظهر الجيش =الإسلامي ، ومما يدل على ذلك ، ما جاء في الحلل السندسية، وان معاوية بن أبي سفيان عزل معاوية بن حديج عن مصر سنة ٥٠هـ كلمة توليته قابس بقوله:- " انه ولاه قابس وأعمالها ، فإنها الباب الذي تسال منه من رام المسير من المغرب إلى المشرق أو من المشرق للمغرب وليس له سلوك إلا منها ولا عبور إلا عليها.." وهذا يدل على أنها فتحت قبل ذلك أي قبل سنة ٥٠ هـ بكثير (س): لأنها ادرجت هي وأعمالها في سجلات ولايات المغرب ، كعمل من الأعمال، أ – ابن الاثير (محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بأنه الاثني والملقب بعز الدين [٦٣٠ هـ – ١٢٥٢م]) الكامل في التاريخ حوادث عام ٢٦هـ

ب – تاريخ فتح العرب للمغرب ، ص ١٥٢

جـ – تاريخ المغرب العربي ، ط. اسكندرية ، سنة ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ص ١٥٢-

وقد قيل أن الصحابي الجليل ابا لبابة الانصاري المتوفي نحوعام ٤٠هـ مدفون في قـــابس[1]، مما يؤكد فتحها قبل هذا التاريخ بفترة زمنية.وعندما استقر القائد البربري كسـيلة[2]، بـالقيروان بعد انتصاره علي عقبة نافع وموته بتهودة (٦٤هـ -٦٨٤م) - بسـط نفـوذه علـي المنـاطق المجاورة ومنها منطقة (باب قابس)[3] ومن باب قابس قامت جيوش الكاهنة (حوالي ٧٤هـــ-٦٩٣/٦٩٤م) بطرد حسان بن النعمان خارج البلاد التي جاء بنية استرجاعها . لكنه عاد فدخـل هذه البلاد بعد مرور عدة سنوات وسلم له هذا الباب (أي منطقة باب قابس)[4]، وخرج إليه أهلـها وكانوا قبل ذلك يتحصنون[5]، وعلي يدى حسان بن النعمـان تأسـس النظـام الجديـد لولايـة إفريقية[6]. لم تكن قابس بعيدة عن أحداث عصر الولاة في إفريقية فكانت مركزاً لثورات بعــض الخوارج مثل أبي ايوب عكاشة الغزاري الصفري الذي استقر بقابس وهدد منـــها القـيروان[7]، حتى استطاع يزيد بن حاتم المهلبي دخول قابس ووضع حداً للتهديد الخارجي الذي يـــأتي مـن ناحيتها[8]. في خلال العصر الاغلبي أصبحت قابس قصبة لولاية وعملاً من أعمالـــهم وتشـير بعض المصادر[9]، أنها أصبحت تابعة للدولة الرستميه المواكبة للدولة الاغلبية لكن يبـدو أنـها كان بها جابي يجمع الصدقات للاباضية ثم تنقل إلي مركزهم في تاهرت حـاضرة بنـي رسـتم[10]، لأن قابس انتسبت لسلطة القيروان حتى أواخر القرن الثاني من الهجرة ، وأيـــام الاغالبـة تبعتهم وكان عامل قابس يمتد إلي طرابلس[11].

- د - بمعلى عسكرية

س - تاريخ المغرب في العصر الإسلامي

ط - قواعد إدارة الجيش لهذا الصحابي الجليل هي :- الاتقان وحشد القوى ، وإعداد خطة بديلة الاستعلام والاستطلاع ، المناورة ، إرسال العيون والارصاد للتزود باخبار العدو ولو لوضع خطة مثلى تؤمن النصـر ، انظـر: محمد شيت خطاب: قادة الفتح ببلاد المغرب، و(١) ، صـ ٦١ وما يليها، انظر علي محمد الصلاجي : صفحات من تاريخ ليبيا ، ص ٢١٩-٢٢١-٢٢٢.

ص - انظر: الفصل الأول من هذه الرسالة ص قابس ، انظر : الوزير السراج جـ (١)، ص ٣٣٣

ى - الحلل السندسية : نفس الجزء والصفحة ، ومن المؤكد أن العرب لمسوا تحصينها كذلك لم يخفى عليهم أنها منطقة عسكرية محمية بقلاع كثيرة ، وأن لها طريق حربي قديم يربطها بقابس (قفصة في بلاد الجريد) ومن الناحيـــة الأخرى بطريق بأمايدرا (سوسة) حيث كان يربط الفيلق الثالث أو غطسا (أو الفرقة الثالثة أو غطسا) دائرة المعـــارف التونسـية كراسي ٤ ، صـ ١٠٠ ومايليها.

[1] هوثير يشيرعبد المنذر الأنصاري الأوسي وهو من بني عمرو بن عوف من بني أميه بن زيد وقيل أن اسمه رفاعه لكنه بكنيتـــه أشهر وتواتر أهل قابس بذلك ، وقد يكون اتى ضمن جيش الفتح أو في بعض الجراثد (الكتائب) التي كانت ترسل لإفريقية وانظـر شرحه وترجمته في الفصل السادس من هذه الرسالة ، انظر : الكلبي : أبي المنذر هشام بن محمد بن الشافعي الكلبي ٢٠٤هـ - ٨٢٦م جمهرة النسب ط. بيروت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م ص ٦٢٤.

[2] هو كسيلة بن ليون الاوربي من قبيلة أوربة البربرية ، انظر الرقيق القيرواني : ابو اسحق إبراهيم بن القاسم (بعـد ٤١٧ هـــ - ١٠١٩م) قطعة من تاريخ إفريقية تحقيق عبد الله العلي وعز الدين عمر ط بيروت توزيع دار الشروق ١٤١٠هـ - ١٩٩١م صـ ٣٩-٤١

أ - ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم القرشي المصري) فتوح مصر وأخبارها - سلسلة تاريخ المصريـــين ط١ القاهرة ١٤١١هـ / ١٩٩١م ص ١٩٨

[3] دائرة المعارف التونسية كراس ٤ ص ١٠٠

[4] ابن عبد الحكم : فتوح مصر وأخبارها صـ ١٩٨

[5] الرقيق القيرواني . تاريخ إفريقية والمغرب ص ص ٣٠-٣١

[6] المصدر السابق ص ٣٤

[7] المرجع السابق نفس الصفحة

[8] الرقيق القيروان : تاريخ إفريقية صـ ٣٤

[9] الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية صـ ٣٥ ودائرة المعارف التونسية جـ ٤ ص ١٠١.

[10] المصدر والمرجع السابقين ، نفس المكان

[11] اليعقوبي في البلدان ص ٣٥٥، وانظر : مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته جـ ١ ، ص٢٠٤

ولما قامت الدولة الفاطمية أصبحت قابس مع بقية المدن تابعة لها، عهد الفاطميون – وهم شيعة – إلي بني لقمان الكتاميين بولاية قابس[1]، وقد مدح الشعراء بعظمة قوادهم ومدحوا كرمهم وشجاعتهم ، وإذ قال شاعر منهم :–

" لولا ابن لقمان حليف الندى. سل علي قابس سيف الردي[2]"

فلما انتقل الفاطميون إلى مصر وبعد نحو عشر سنوات صارت قابس مع طرابلس تابعة لبني زيري الصنهاجيين الذين عهد إليهم الفاطميون بولاية إفريقية[3].

في ذلك يقول التجاني[4]، والاقوام التابعة لبني زيري " فوليها في أول الامر بنو عامر ، ثم وليها ابراهيم بن يوسف بن زيري ، وهو أخو باديس ثم منصورين ماوات ثم توالت في أقوام من برغواطة ولاهم المعزبن باديس.

يذكر النويري[5]، أنه في عام ٤٠٧هـ – ١٠٢٩"ولي[6]، محمد بن الحسن أمور المعز وجيوشه وكان قبل ذلك علي طرابلس وأضيفت إليه قابس ونفراوه وقصطيلية وقفصه ، فبعث عماله إليها ، وقد قتل محمد بن الحسن في عام ٤١٣هـ– ١٠٣٦) لأنه منذ فوضت له أمور الدولة جبي الأموال ولم يورد لخزينة الدولة شيئا منها ، وبني الكثير من القصور ... " وانتهت حاله إلي أن أخذ مالا من الذخيرة ولم يرد عوضه .. وضاقت الدولة واتسعت أحواله ... . وهادى الأكابر بمصر حتى وصل إليه سجل من الحضرة فضاق منه المعز ... فدس إليه من قتله ، وصودرت ضياعه وأمواله "[7]، ويبدو من ذلك أن الفاطميين في مصر حاولوا تأكيد سلطاتهم على قابس لكن مقتل محمد بن الحسن أجهض هذه المحاولة وظلت قابس خاضعة للمعز بن باديس

وقد ذكر الوسياني[8]، في سيرة بعض أسماء لقواد هذه المنطقة منهم :–

(ابن قطلو قائد عسكر المعز ، يوسف بن حلفون من بني ساغيد [9]) كما ذكر لنا قوادا أخرين مثل (ابراهيم بن ونمو المزاتي من مزاته القيروان وكان عاتيا [والوسياني لا يلتزم بالتواريخ [10]] لكنه أورد انه في عام ٤٣٠هـ ارسله إلي ابراهيم ابي الشيخ أبي زكريا برسالة قبيل دخوله بجيشه إلي جربه [11]، جاء فيها بسم الله الرحمن الرحيم .

من ابراهيم بن ونمو قائد القيادة إلي فصيل البراسني ، أما بعد فإن زواغة قد أكثروا الفساد ، وأطالوا العناد ، فاعتزل بمن معك[12].

---

[1] التجاني ، الرحلة ص–ص ٩٦–٩٧

[2] المصدر السابق نفس الصفحة

[3] البكري : المسالك ... صـ ٦٦٧

[4] الرحلة صـ ٩٦–٩٧–٩٨ : نفس المصدر والصفحة وانظر السراج : الحلل : ط صـ ٣٣٤ . – لقد كانت طرابلس وقابس تابعتين للقاهرة مباشرة فترة قبل أن تصبح في حوزة بني زيري.

[5] نهاية الارب . ص٢٤–٢٠٤

[6] ولي هنا : فعل ماضي مبني للمجهول ، محمد بن الحسن هنا نائب فاعل ، وهذا يؤكد أن محمد بن الحسن تولي أمور المعز وجيوشه المعز بن باديس ونتيجة للاضطرابات والحروب في ذلك الوقت ، ويبدو أن الفاعل يعود علي عمه بن المنصور الوصي عليه . انظر المصدر السابق جـ (٢٤)، ص ٢٠٣

[7] نفس المصدر والجزء ، ص٢٠٧

[8] أبو الربيع سليمان بن عبد السلام: السير : مخطوط ورقة ١٩٦

[9] المصدر السابق ورقة ٦٠

[10] نفس المصدر ورقة ٢٨ – سعد زغلول عبد الحميد هامش على سير الإباضية: إشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب ط. تونس ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م ط١١ ص ٨٥.

[11] انظر : فرحات الجعبري :– نظام العزابة عند الاباضية الوهبية في جربه ، ط . تونس ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م، ط (١) ص ٢٩٨

[12] نفس المصدر ورقم الورقة والمرجع السابق نفس الصفحة.

تولي قابس بعد ذلك محمد بن ولمويه الصنهاجي ، كما تولي أخواه قيادة الأعنة للمعز بن باديس ، وهما ابراهيم وقاضي[1].

الغزوة الهلالية :-

شهدت إفريقية أواخر النصف الأول من القرن الخامس من الهجرة ، منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ، حدثا بارزا كثير العمق ، وعميق الأثر من أحداثها التاريخية وهو الغزوة الهلالية أو تغريبة [2]، بني هلال وسليم التي اجتاحت إفريقية ، وكان لها بصمات واضحة ظلت باقية عقودا من الزمان ، ولم تمح لها آثار[3].

كان سبب ذلك أن المستنصر أبو محمد (٤٢٧-٤٨٧ هـ - ١٠٣٥-١٠٩٤م) لما ولي الخلافة بمصر بعد الظاهر بن الحاكم خطب المعز ابن باديس[4]، محاولاً الاستقلال بأفريقية في أيامه للقائم بأمر الله العباسي (أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله (٤٢٢-٤٦٧هـ - ١٠٣٠-١٠٧٩)، فكتب إليه وهو يرغبه ويرهبه، ويقول :- هلا اقتفيت آثار من سلف من أبائك في الطاعة والولاء[5]، فلم يذعن المعز بن باديس لوعيد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ، ولم يرهبه تهديد المستنصر بإرسال الجيوش لتأديبه ، فكتب المعز إليه " أن أبائي وأجدادي كانوا ملوك المغرب قبل أن تملكه أسلافك"[6].

اهتدى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله لوسيلة عجيبة في الانتقام من المعز بن باديس - بإيعاز من وزيره البازوري[7]، وهي ارسال القبائل العربية من معاقلها بالصعيد باتجاه الغرب ، وقال الخليفة في رسالة للمعز بن باديس :- " أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولا فحولا ، وحملنا عليها رجالا كهولا ، ليقضي الله أمرا كان مفعولا " [8]، وكان المستنصر يهدف إلى تقويض سلطان المعز بن باديس بواسطة هذه القبائل .

وقد اتفق معهم علي أن يذهبوا جماعات وأفراداً إلي إفريقية.

---

[1] انظر التجاني ص-ص ٩٦-١٠٣ ، تستدل من ذلك أن من يتولي قابس لابد أن يكون قائدا أعلي لقواد الجيش أو متولي الجيش وذلك لموقعها الحيوي الهام .

[2] جاءت قبائل كثيرة منها هربا من الجدب في نجد والحجاز عن طريق حورس القديم عبر سيناء ولكثرة مشاكلهم أسكنهم الخليفة الفاطمي علي ضفة النيل الشرقية ، ثم بأمر من المستنصر بالله انطلقت تلك القبائل من صحراء صعيد مصر الشرقية بعبور النيل نحو الغرب أنظر عبد الحليم عويس وآخرون : بني هلال ص ١٦.

[3] وهي الرحلة التي نسجت حولها القصص والأساطير الشعبية التعريبية الهلالية. انظر : سعد زغلول ج (٣) ص ٤١٧ ، وانظر عبد الحميد يونس : الهلالية في الأدب والتاريخ ج (٨) ص ٥١ وما يليها ، وانظر الظاهر ليقه من اقاصيص بني هلال ط الدار التونسية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م ص ٨ - ٢٤.

[4] هو حفيد بلتن أول ملوك بني زيري وهو - أبو الفتوح يوسف بن زيري الذي ولاه المعز لدين الله الفاطمي على أفريقية مثل رحيله واستقراره بمصر. النويري: نهاية الأدب ج ٢٤ ؛ ص ١٦٩ ، محمد البيلي : صفحات من تاريخ المغرب والأندلس ط جامعة القاهرة ١٩٩٩ ص ١٩٠-١٩١.

[5] النويري : نهاية الأرب جـ (٢٤)، ص ٢٠٩

[6] المصدر السابق : نفس الجزء ، ص ٢١٠

[7] الحسين بن علي بن عبد الرحمن ابو محمد البازوري الوزير الاجل الاوحد المكين سيد الوزراء وتاج الاصفياء قاضي القضاة وداعي الدعاة - علم المجد أمير المؤمنين الناصر للدين دخل في خدمة أم المستنصر وارتفع شأنه عندما قبوله خطة القضاء بنصيحة من مولاته أم المستنصر في الثاني من المحرم سنة ٤٤١هـ - وقرئ سجله في الديوان :
ثم ارتقى للوزارة وقرئ سجله ولقب بالوزير الأجل الاوحد المكين سيد الوزراء وتاج الاصفياء وقاضي القضاء وداعي الدعاة - علم المجد أمير المؤمنين وخلع عليه في اليوم السابع من المحرم فنظر في الوزارة
المقريزي : كتاب المقفي الكبير تحقيق محمد اليعلاوي ط بيروت دار الغرب الإسلامي ١٤١١هـ - ١٩٩١م لاط ١ صـ ٣ صـ ٣٦٦ ترجمة البازوري: (قتل ٤٥٠ هـ)

[8] ابن الاثير : الكامل ، جـ(٨)، ص ٢٩٥ ، وما يليها ، التجاني الرحلة ص ١٩ وابن خلدون : العبر ، جـ (٦)، ص١٤وما يليها

فتوافدوا على المعز بن باديس الذي حاول إقناعهم بالدخول في خدمته وضمهم إلى جيشه لكن مقدمهم مؤنس بن يحيى الذي أجابه أنهم لن يستطيعوا أن يكونوا في جيش المعز[1]، فعمل المعز على مهادنتهم وصاهر منهم ثلاثا من (بناته) فأصبحوا فيما بعد ذوى نسب مع المعز بن باديس ليأمن عائلتهم[2]،
لقد جاءوا للتمتع بالسلطة لا ليكونوا في خدمة الغير وهذا يوضحه قول المستنصر لهم " وقال لهم: – قد أعطيتكم المغرب ، وملك المعز بن بلكين الصنهاجي العبد الابق ، فلا تفتقرون "[3]، وتتابعت القبائل الكثيرة الوافدة إلي المغرب[4]، مثل :– سليم [5]، وهلال [6]، وبطونهم رياح[7] والاتبع[8]، وبني قرة [9]، وهذا علي سبيل المثال لا الحصر ، فلما دخلوا بأرض برقة[10]، وما ولاها وجدوا بلاد كثيرة المرعى ، خالية من الأهل لأن زنانة كانوا أهلها فأبادهم المعز .
وقد ملكت العرب مدينة طرابلس[11]، بعد برقه[12]، ويوضح الأدريسى[13]، المدن التي أبادوها

---

[1] انظر المصادر السابقة ، نفس المكان.

[2] النويري : نهاية الأدب ج٢٤ ص ٢٠٦.

[3] مكث هؤلاء العرب دهرا لا يملكون قوتهم لجفاف أرض نجد والحجاز وباتوا يحلمون بالرخاء والخصب والمراعي ، وكان رأس مالهم الوحيد إجادتهم الشعر والملاحم والوفاء الناشئ لقواعد قبلية مضبوطة ، من إطاعة الاب والشيخ والاخ ، وهذا هو ما أكسبهم القوة الهجومية والدفاعية ، تلك التي استفاد منها الفاطميون . انظر : السيرة الهلالية ، ط القاهرة ، ط ١١ ٤ ص–ص ٩٧–١٠٩، عبد الله العروي : مجمل تاريخ المغرب ، ط. ١٤١٣/١٩٩٢، ط. ١ ، جـ ٢ ص ١٠٢

[4] ابن خلدون: العبر ، ج٦ ص ١٤.

[5] تنتسب قبيلة بني سليم إلي بني عيلان من العبرانية بقرب : بني سليم بن عكرمة بن حفص بن قيس بن عيلان بن معز بن نزار بن معد بن عدنان ، انظر : القلقشندى ، أبو العباس احمد بن علي صبح الاعشي ، ٨٢١هـ – ١٤١٨م ، في صناعة الانشا ط القاهرة المطبعة الاميرية ، ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م ط (١) ، ص ٣٤٥
السويدي : الشيخ أبو الفوز محمد أمين البغدادي الشهير بالسويدي سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب (ط. بيروت) ، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م ص ١٣٦ – ١٣٧.

[6] وتنتسب بنو هلال قبل التغريبة إلي هلال إلي بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن معز .
ابن حزم : ابو محمد على بن سعيد ٤٥٦هـ – ١٠٧٨م جمهرة انساب العرب د/ عبد السلام هارون ط القاهرة ط٣ ١٣٩١هـ – ١٩٧١م جمهرة انساب العرب ص ٢٧٢ – ٢٧٣

[7] رياح : من أعز قبائل هلال وأكثرهم . جمعا عند دخول إفريقية وكانت رئاستهم لمؤنر ابن يحيي بن رياح ، انظر بن خلدون : العبر ، جـ (٦) ، ص–ص ٣١–٣٤ ، وانظر : عبد الحليم عويس : بنو هلال ، ط(١) ، ص–ص ١٧–١٨

[8] ومنهم الأثبج : أولاد ابن أبي ربيعة من الهلاليين ، لهم بطون كثيرة ، منها دريد وكرمة وعباص ... إلخ ، جـ(٦)، ص٢٢ومن الهلاليين ايضا زغبة وهم رياح أبناء أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر ومن بطونهم يزيد وحصين ومالك وعامر المصدر السابق مجـ (٦)، ص٢٢

[9] بني قرة : بطن من بطون هلال بن عامر بن صعصعة ، انظر : المقريزي : البيان والأعراب مما جمل بمصر أعراب (ط. القاهرة) ط(١)، ص–ص ٢٣–٢٦

[10] برقة قصبة جليلة عامرة ذات مزارع علي نصف مرحلة من البحر وهى ثغر وقد أحاطت بها تربة حمراء وهي بني غازي أو قار يونس في الحاضر

[11] ويقال : أطرابلس ، بالرومية والاغريقية ثلاث مدن ، وعلي مدينة طرابلس ومبني جامعها أحسن مبني ، وبها أسواق حافلة يعرف بمسجد الشعاب جـ(٤)، ص٢٥ / يقول عنها الادريسي : إن العرب اضرت بها وما حولها نزهة المشتاق ط صـ ٢٧٦.

[12] برقة قصبة جليلة عامرة ذات مزارع علي نصف مرحلة من البحر وهى ثغر وقد أحاطت بها تربة حمراء، وهى علي حادة مصر ، انظر المقدس أحسن التقاسيم ص ٢٣٤

والمدن التي لم يفسدوا فيها ومنها مدينة قابس[1].

وصفت المصادر التاريخية المتنوعة الحروب التي قامت واستعد لها المعز بجيوشه وعبيده. ولكن الهزائم توالت عليه، ففي معركة (يوم العين)[2]، ألتحم القتال واشتدت الحرب وركزوا الطعنات في عيون جيش المعز التي كانت قد تحصنت بالكزاغندات[3]، والمجافر إلى غير ذلك من المعارك التي دارت بالقرب من جبل الحيدران أو الجندران[4] ، بالقرب من قابس شرق قرية المطوية شمال قابس[5]، إلى أن حاصرت العرب القيروان وملك مؤنس بن يحيي باجة[6]، وأثار المعز على الناس بالرغبة في الانتقال إلى المعمديه لعجزه عن حمايتهم من العرب، وشرعت العرب في هدم الحصون وغيرها، وأقام المعز والناس ينتقلون إلى المهدية إلى سنة ٤٤٩ هـ ومنها أنتقل المعز إلى المهدية حيث استقبله ابنه أحسن استقبال[7].

كانت الخلافة الفاطمية في القاهرة على علم بما يحدث في إفريقيا أولا بأول ، وذلك عن طريق البريد وطرقه المتقدمة في ذلك الوقت مثل الحمام الزاجل المدرب وإشارات النار وغيرها[8].

---

[12] يشير الادريسي إلي أن العرب أفسدوا أرياض في مدينة باغاي ، أي خارج المدينة – ومدينة البيلقان التي يقول عنها ، أفسدتها العرب واستولت علي منابعها وعلي أرضها ومياهها كذلك مدينة لبدة ومدينة سبيطلة والمنازل التي علي طريق قابس وطرابلس– – أما القيروان لقد توالت الحوائج عليها حتى لم يبقى منها إلا أطلال بائسة وأثار وهو يقيضون ما يتوفر من مجلاتها كذلك تحدث عن صبيرة وتونس العرب تجاورها وتمدها بالعسل والحبوب وكل معاملاتها مع ثقات العرب : انظر نزهة المشتاق جـ (١) ص ٢٧٦وما يليها ،إن أنحاء إفريقية التي أشار الادريسي إلي أن العرب افسدتها صغير إذا قسناه بعدد قرى المغرب ومدنه التي قامت الكاهنة البربرية بتدميرها ، لقد أفسدت مناطق واسعة من المغرب ككل أيام الفتح الاسلامي له ، ولم يتحدث المستشرقون عن ذلك باستفاضة مثلما بالتوالي تقدير تخريب العرب لنواحي أفريقيا ، وإن تخريب عرب الهلاليين – إذا اعتبرناه خسائر من أثر الحروب امتدت زمنا طويلا – يعتبر كما ليس كبيرا من حديث الادريسي عن مدينة بيلقان ، إن العرب استولت عليها وهذا يعني أنهم استولوا عليها ، والاستيلاء غير التدمير ، إلي جانب أن حولها قري عامرة متجاورة لم تضار أي منهم ، إلي جانب تونس التي يحكى عن عمرانها ، وأن جل معاملاتها مع ثقات العرب الذين يمدونها في نفس الوقت بالحبوب والعسل والسمن وهذا يوضح أن الادريس يصف بعمومية .

[1] لقد أخطأ المعز بن باديس حين عزم علي خلع طاعة الفاطميين ، ثم لم يقدر خطرا لهذه القبائل وحاول استمالتها ، ولم يستعد لمجابهتها حتى أنه لم يستوعب حقيقة طبيعة جغرافية عن الأرض الممتدة من أول برقة حتى إفريقية وقابس وليس فيها أي حاجز يمنع احتياجهم لها ، فلم يحذر ذلك ولم يحتاط ، إن ما حدث في دنيا السياسة والصراع والمنافسة يعتبر أقرب شئ للوضع الطبيعي لذلك .

[2] كان مؤنس بن يحيي مقدم العرب قد عرفهم مواطن ضعف خصومهم الذين يلبسون ثيابا ثقيلة ، أن يطعنوهم في أعينهم – كما فعل عبد الله بن سعد بن أبي السرح في حرب النوبة جنوب مصر – الأمر الذي أدى إلي إطلاق اسم (يوم العين) علي تلك المعركة ، وقد انهزم جيش المعز لذلك ، ولسبب قوى أخر هو انخذال صنهاجة أثناء الحرب وتقاعسهم عن الوقوف بجانب جيش المعز ، فلولا ذلك لفاز

انظر : ابن خلدون : العبر . ص ١٦، انظر سعد زغلول : تاريخ المغرب جـ (٣) ص ٤٣٠.

[3] أردية محشوة من القطن والحرير يتدرع بها في الحرب ، انظر النويري ، جـ(٢٤) ، ص ٢١٥

[4] ابن الاثير : الكامل ، جـ ٨ ، ص ٢٩٦.

[5] نشرة مؤتمر تاريخ واحات تونس الأول. جزء : من مدخلات المؤتمر بعنوان لمحة تاريخية عن واحة قابس، ص٦ : نشر تونس ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٦م.

[6] المصدر السابق النويري ج٢٤ ص ٩١.

[7] نفس المصدر السابق نفس الجزء والصفحة ، وانظر ابن خلدون: جـ٦ ، ص ١٨

[8] انظر : القلقشندى : جـ ٢ ، ص-ص ٦٠-٩٧، جـ١٤ ، ص ٣٩١، وانظر أمين الطبي دراسات في تاريخ الحضارة ج٢ص ١١١.

كانت أحوال المعز بن باديس بعد هزائمه المنكرة وانحساره حتى المهدية .مثلما جاء وصفه في السجل رقم ٥ من السجلات المستنصرية

كانت كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا[١]، وأن الخليفة المستنصر بالله قد رماه بنبال أصابت مقاتله وضربه بنصال بتت مفاصله، ورمى به في لأسر حصار لا يكاد يكون منه طليقا وملك جميع دياره ونال منه كل النيل ....هذه الجمل المسجوعة وغيرها مما حفل به السجل رقم ٥ ، ١ من السجلات المستنصريه مبلغ إعداد هذه القبائل التي توالت في أوقات متتابعة لدرجه تملكها ديار المعز وجعله منفياً لا يملك سوى المهدية وأسوارها[٢].

الغزوه الهلاليه على قابس:-

ويبدو أن قابس لم يلحقها ضرر كثير بسبب العزوة الهلالية .

يشير الإدريسى[٣]، مثال أن قابس تضررت من الزحف الهلالى عليها، ولم يحدث بها إلا أقل الضرر بالنسبة لبقية مناطق أفريقية .

لقد كان مرور هذه القبائل العربيه الهلاليه على قابس-بطريقه محدودة لأنهم لم يمروا بالمدينة وبالغابات الآهلة ، بل كان مرورهم بالطريق القديم طريق الحامة بالقرب من سهول (أم الشياه) قريبا من جبل الظاهر[٤]، وكان دياب بن غانم[٥]، يحمي الابل من (المرقب) الذي يسمي الآن مرقب دياب[٦]، كما أن إبل وجمال تلك القبائل لا تحتاج إلي اشجار الغابة ومنتجاتها ، فقد وجدوا مرعاهم في منطقة (أم الشياه) وهي السهول الغربية لقابس تغطيها.المروج الخضراء التي تغطيها النباتات الصالحة للرعي بالقرب من الصحراء الواسعة التي ترتع فيها الابل .بعد مرور أكثر من عشر سنوات علي الزحف الهلالي علي إفريقية وقابس كانت هذه القبائل قد استقرت واتخذت لها أمكنة خاصة لكل منها ، فقبائل هلال – مرداس ورياح قد استقرت ما بين قابس وطرابلس وكلها انقسمت إلي بطون وعائلات[٧].لقد كان للقبائل العربية دوران :-

أولهما :- في الفتح الإسلامي لإفريقية الذي تم علي مراحل عديدة خلال القرن الأول من الهجرة – القرن السابع الميلادي كان دورهم وهدفهم الرئيسي نشر الاسلام ، وكان أثرهم واضحا في نشر تعاليم الدين الحنيف والتمدن الإسلامي .

وثانيهما :- هو دور قبائل هذه الغزوة الهلالية وباقي القبائل معها ، فقد حولوا إفريقيا وقابس بالطبع إلي بربر عرب فأصبح أثرهم واضحا في التمدن والدم المشترك ، فلقد تصاهروا وانصهروا ، فأصبحت اللغة العربية هي اللغة الأولي علي المدى البعيد إلي جانب أثرهم الفعال في الزراعة وتربية الخيول الاصيلة ... ولا يخفي جهادهم ضد الروم[٨]، وجهادهم ضد الصليبين في عهد الموحدين[٩].

---

(١) لقد ساق لنا القرآن الكريم قصة المرأة التي كانت تنقض غزلها من بعد أن تتمه وتقويه ، والقصد من ذلك المعنى هو الانكاث أي نقض العهد بعد الاهتداء ، انظر : حسين مخلوف : التفسير الموجز ، ص٣٨٨

(٢) السجلات المستنصرية صـ ٤٣

(٣) نزهة المشتاق جـ (١) صـ ٢٧٦ – وانظر لمحة تاريخية صـ ٦.

(٤) انظر الخريطة ، وهو جبل يقع في منتصف الطريق بين قابس ومطماق وبين قابس وبين دوز ، وانظر المرجع السابق صـ ٧.

(٥) من أشجع فرسان قبيلة زغبة الهلالية وقد نسجت حوله الاساطير حكايات كثيرة، انظر شعر السيرة الهلالية أعمال الندوة العالمية الأولي حول السيرة الهلالية بالحمامات ط. تونس ط١ ص ٤١ ١٤١٥هـ – ١٩٩٠م.

(٦) ربوة صغيرة مرتفعة تقع عربي جبل أم الشياة ، وقد وجدت بها آثار أبنية رومانية محفولة تحت الرمال ، انظر المرزوقي ، قابس ص٤١. ابن فضل الله العمري – شهاب الدين أبي العباس أحمد بن يحي ٧٤٩هـ – ١٣٤٩م مسالك الأبصار في ممالك الأمصار تح ذكرونيا فوسكي والسويدي سبائك الذهب ص ١٣٦.

(٧) للاستزادة ، انظر ابن خلدون : العبر ، جـ(٦) ص-ص -ص١٢-١٨-٥٦ ولماكن متفرقة .

(٨) انظر : ابن الاثير جـ (٩) ، ص٢٢٢-٤٥٥.

(٩) المصدر السابق نفس الجزء ص ٤٣١ – ٤٣٢.

لكن هناك سؤالا يفرض نفسه علينا ، هل أصبحت تلك الغزوة مخيبة لأهداف الخلافة الفاطمية في استرداد إفريقية زمنا طويلا ، وجعل هؤلاء العرب نوابا لهم في حكمها ونشر الدعوة الشيعية بها والتغلب المذهب المالكي ومذاهب الاباضية والخوارج المنتشرة في قابس وإفريقية ، من الواضح أن هناك اتصالا وتواصلا بين مؤنس بن يحيي مقدمهم ، وبين الخلافة في القاهرة [1]، وأن هذه الغزوة تمت علي مراحل ، وأن هذه القبائل وإن كانت غير نظامية إلا أن الخلافة قد ارسلتها بقصد الغزو المنظم وزودت جنودها بالسلاح والعتاد والمال[2]، ويتضح هذا من السجل رقم (٥) ، وأن أمين الدولة[3]، ومكينها الأمير الحسن بن علي بن ملهم العقيلي سوى وأصلح الخلافات بين كافة أفراد تلك القبائل ودفع ديات القتلي في مختلف الانحاء .

ويذكر السجل أنه ذهب لهم علي هيئة جيش شعبي منظم تظلله بنود[4]، ورايات الفاطميين وسار الجيش برا وبحرا بقيادة مكين الدولة [5]، وهذا اللقب يدل علي خطورة وظيفته وعظم المهمات الملقاه علي عاتقه في الاصلاح والمراقبة في أمور إفريقية ، ويظهر ذلك من سيطرته التامة علي الموقف بدليل أن أصناف تلك القبائل دانت له بدين الأمم إلي ربها[6] ... إلخ ، كما يظهر أيضا من فتحه لحصن قابس وتفريقه للسكة المستنصرية بعد هذا الفتح ، وقد اتخذ الامير الحسن بن علي بن الملهم قابس مقرا له وجعلها مستقرا للخلافة الفاطمية في المغرب[7]؛ والمسألة لم تقف عند حد إعادة فتح المغرب عن طريق قابس أو إصدار عملات مستنصرية فيها ، بل تبع ذلك إرسال سفارة تشمل مشايخ المدينة وكبار رجال المنطقة وما جاورها للمثول أمام الخليفة في القاهرة حيث توجد المراسم لاستقبالهم ، وكان من ولائهم أنهم – كما يقول السجل – أرادوا في مصر البديل بدليل استخدام لفظ الهجرة إلي الحضرة[8]، لقد كان فتح قابس فرصة طيبة لفتح الحجيج حيث كانت قابس علي جادة الطريق إلي مصر[9]، وكانت مصر بالنسبة للمغاربة نقطة التقاء لهم بمكان يسمى بركة الحجيج[10].

– البيان المغرب ص ١٤٨.

(1) التجاني : الرحلة ، ص١٠٢

(2) النويري : جـ(٢٤)، ص-ص ٢١٠-٢١١

(3) نشأت هذه الوظيفة (أمين الدولة) في عصر الحاكم بأمر الله الذي ولاها للحسن بن عمار ويتضح لنا من أعماله وأعمال بن الملهم أن متوليها لابد أن يكون سياسيا محنكا إلي جانب القيادة والكفاءة العسكرية ، ويذكر بن ميس والمقريزي عن مهام ابن الملهم واسمه الحسن بن علي بن دينار العقيلي ، فقد تسلم حلب وجاهد في اللاذقية وفي بلاد الروم ومما يلاحظ أنه في عام ٤٥٤هـ أعطى ولاية عكا وطبرية إلي جانب الوساطة لبني سليم وقرارة ، وهم جزء من بني قرة وهذا يوضح أنه سافر لإفريقية بعد هذا التاريخ ليصلح بين القبائل المتنافرة لأن تاريخ السجل ٤٥٥هـ أي بعد حوالي اثني عشر عاما من بدء الغزوة ليفتح حصن قابس ، انظر ابن المقريزي المقفى الكبير جـ ٣ صـ ٤٢٤

(4) من إشارات الفاطميين في الموكب عبد المنعم ماجد نعم الفاطميين ورسومهم جـ ٢ صـ ٣١.

(5) انظر السجلات المستنصرية ص-ص ٤٢-٤٣، قابس مدينة بحرية صحراوية يمكن أن يأتيها الجيش من ناحية البحر ، ومن ناحية البر .

(6) المصدر السابق ، نفس الصفحات.

(7) لقد ساعد موقع قابس الجغرافي وقربها من مصر – نوعا ما– علي ذلك ، وكما يتضح من كلمة فتح حصن قابس الواردة في السجل ، نفس المصدر ، نفس المكان

(8) السجلات ... ص٤٣.

(9) ابن حوقل : ص٧٠ وانظر موقع قابس : الفصل الأول من هذه الرسالة.

(10) مكان بالقرب من القاهرة وعرف بذلك الاسم ، وكانت قوافل الحجاج لا تسير إلا بحضرة الخليفة الذي يتجه إلي المكان في زيه الرسمي زمعمما بسة مرصعة بالجواهر ، والمظلة وهي شعار الائمة ، فيجلس الخليفة علي دكة تسمى (دكة الوقار) لتوديع الحجاج (بعد تزويدهم بالماء والزواد) وتتجه بهم قوافلهم في الطريق الذي يصل إلي مكة بعد ذلك بخمسة وعشرين يوما . انظر السجلات ص ٤٣ ، وانظر عبد المنعم ماجد : المستنصر بالله ط القاهرة ، مكتبة الانجلو ، ط (١) ، ص١١٨/ رسوم الفاطميين جـ (٢) ، ص ٧٢وما يليها .

كان ابن يلمو أو محمد بن ولموية الصنهاجي يتولي قابس وقتها ، وابن حماد الــذي هـو صاحب قلعة كيانه[1]، يطلبون الأمان من القائد الحسن بن الملهم والعفو من أمـير المؤمنيـن ، وعلي بابه جاءت الرسل من صنهاجة طالبين العفو والسماح لهم وللمعز بن باديس .

لقد ظلت قابس مستقرا لمؤنس بن يحيي ومقرا للقيادة بدليل تملك العرب لها[2]، وفيما بعـد قامت فيها دويلة صغيرة هي إمارة بني جامع[3].

التي حكمت قابس أكثر من ستين عاما حتىعام الاخماس (٥٥٥هـ) [4].

وعلى المستوى الحضاري كان للغزوة الهلالية آثار عديدة :-

شهدت قابس وإفريقية الصراعات القبلية بين القبائل وبعضـها ، وبينـها وبيـن الدولـة الصنهاجية ، وأصبحت مسرحا للفتن والاضطرابات[5]، مما أدى إلي تمركز تلك القبائل وانفـرد مشايخها في معظم دول إفريقية بالسلطة والنفوذ ، تقلص دور حكومة المعز بن زيري من ناحيـة النفوذ فأصبحت الزعامة في إفريقية اسمية لبني باديس (بني زيري) وانحصر ملكهم في شـريط ساحلي ضيق ، وأصبحت الوحدات القبلية هي التي تهيمن علي الشئون السياسـية بعـد انقسـام المناطق فيما بينها ، فقامت عدة دويلات محلية مثل بني جامع بقابس[6]وبني جليل بصفـاقس[7]، وبني الرند بقفصة[8]، وبني خراسان بتونس وغيرهم[9].

وإلتجاء بني باديس إلي تقوية نشاطهم البحري نحو جنوب إيطاليا وصقلية مما ترتب عليـه اصطدامات بالنورمان الذين احتلوا صقلية وطردوا المسلمين منها[10]، ثم هجوم الروم البـيزيين علي زويلة ، فأبلي العرب فيها أحسن بلاء[11]،فتحت قابس – كما ذكر السـجل رقـم (٥) [12]، وأصبحت مركزا أساسيا للقبائل الهلالية من زغبة ورياح ومرداس وسليم وغيرها ، وأقام فيـها مقدمهم مؤنس بن يحيي[13]، وكبار المشايخ وابن يلمو ومقدم قومه كان يتولي قابس وقتـها[14]، كذلك سارع صاحب قلعة (ابن حماد) في طلب العفو ومعه رسل صنهاجه[15]، وبذلك كان لذلـك تأثيره علي القيروان ، وقد أصبحت قابس مركزا بعد نكبة القيروان إلي جانب أنه حتى لـو لـم تدمر القيروان فإن من يتمركز في قابس عند نفوذه للقيروان والعكس – كما ذكرنا سابقا – كذلـك كانت سببا في قيام وسقوط دول .

من الآثار النافعة لتلك القبائل أنها نقلت إلي إفريقية السلالات الجديدة مـن الخيـول إلـي جانب الخبرة في تربيتها وتنمية الثروة الحيوانية، من قابس إلي برقة ، ومن برقـة إلـي قـرب الإسكندرية ، وأن برقة وبلاد إفريقية معروفة بالخيول ذات السلالات الاصيلة[16]، إلـي جـانب

---

[1] هي قلعة بني حماد الذين استقلوا بالمغرب الأوسط ، ابن خلدون . جـ (٦) ، ص ١٥٨ والسجلات نفس الصفحات.

[2] التجاني ، ص ٩٦ ، وما يليها حيث يقول أن أول تملك العرب كان ٤٥٦هـ.

[3] المصدر السابق نفس الصفحات.

[4] ابن الأثير ج٩ ص ٤٢٨ وما يليها وابن خلدون ج٦ ص ١٥٤.

[5] التجاني : ص ٩٦ وما يليها – عهد زعيم من المغربيا بالقراهات: ابن الأثير ج٨ ص ٤٣١ – ٤٨٨ و ج٩ ص ٢٨ كاملة.

[6] التجاني : ص ٩٦ – ١١٠.

[7] ابن الأثير ج٨ ص ٤٥٣.

[8] ابن خلدون ج٦ ص ١٦٥ – ابن الأثير ج٩ ص ٤٥٥.

[9] ابن الاثير : نفس الجزء ص ٣٧٦.

[10] نفس المصدر والجزء ص ٤٧١.

[11] ابن الاثير : ج٩ ص ١٦٩.

[12] السجلات ص ٤٢ – ٤٣.

[13] التجاني : ص ٩٦ – ١٠٣.

[14] هو محمد بن ولمون الصنهاجي والي قابس وقتها ، لكن السجل اسماه (ابن يلمو) المصدر السابق ص ٤٣.

[15] نفس السجل ، ونفس الصفحات.

[16] ابن سعيد ، بسط الأرض في الطول والعرض ص ٧٨، وانظر مصطفى أبو ضيف : القبائل العربية ص–ص ٣٣٨

تحسين الزراعة والمحاصيل ، وإدخال أصناف جديدة كذلك سيطرة القبائل العربية علي طرق التجارة الداخلية كما توسعوا في احتكار تموين بعض المدن مثل التمر والملح ، وتحكموا في التجارة الخارجية ، وبخاصة من بلاد السودان ومصر وغيرهم واشتهروا بتصدير الخيول والاغنام والملح وغيرها[١]، تميزت قابس بأنها كانت لها تجارة خارجية وداخلية منذ عهد الفينيقيين وطرق علي جادة الطريق ، كذلك طرق إلي القيروان وباقي مند المغرب العربي[٢]، وضربت عملات فاطمية بمناسبة افتتاح قابس ، وأعيدت في دور السكة ضرب الدنانير الفاطمية لأن مصر كانت قد فقدت مصدرا فعالا لامدادها بالدنانير المضروبة في دور الضرب الإفريقية ، إذ كانت أخر إصدارتها في دار ضرب المنصورية سنة ٤٣٨هـ[٣]، فاعيد ذلك بدليل وجود دنانير فاطمية سكت في المهدية من عام ٤٥٥هـ مثل التي فرقت في فتح قابس وظلت عام ٤٥٩هـ[٤].

وكانت للقبائل العربية آثار بعيدة المدى في تعريب إفريقية والغرب العربي كله لسانيا وعرقيا ، فقد طغت اللغة العربية على اللغة البربرية واختلطت الدماء العربية بالدماء البربرية حتي تعريب بلاد المغرب لسانيا وعرقيا[٥]، ويمكن القول بأن القبائل الهلالية قد غيرت مجرى الحياة الإفريقية من كل محاورها[٦]، لقد تغلغلوا في المدن وفي الجبال وفي الصحاري وفي الأرياف[٧]، واحتكوا بكل نوعيات سكان المغرب من القبائل البربرية كهوارة وغيرها[٨]، وهكذا كان للقبائل العربية حينذاك في التاريخ الإسلامي في بلاد المغرب دوران ، دورها في الفتح الإسلامي لإفريقية الذي تم علي مراحل متعددة خلال القرن الأول من الهجرة[٩]، القرن السابع الميلادي – كان دورهم وهدفهم الرئيسي نشر الاسلام ، وكان أثرهم واضحا في نشر تعاليم الدين الحنيف والتمدن الإسلامي والدور الثاني هو دور قبائل الغزوة الهلالية وبقية القبائل معها بعد مرور اكثر من عشر سنوات على الزحف الهلالي على إفريقية وقابس[١٠] .

كانت هذه القبائل قد استقرت واتخذت لها امكنة خاصة لكل منها ، فقبائل هلال – مرداس ورياح ، قد استقرت ما بين قابس وطرابلس ، وكلها انقسمت إلى بطون وعائلات[١١]، وتحولت إفريقية وقابس بالطبع إلى بربر عرب فأصبح أثرهم واضحا في التمدن والدم المشترك ، فلقد تصاهروا وانصهروا وأصبحت اللغة العربية هي اللغة الأولي على المدى البعيد إلى جانب أثرهم الفعال في الزراعة وتربية الخيول العربية الاصيلة[١٢]، لما ذكرنا سالفا.

---

[١] مصطفي أبو ضيف : اثر القبائل العربية ص٣٣٩

[٢] انظر : البكري : المسالك ، جـ (٢)، ص١٢ وما يليها

[3] Milers : (B)Fatimides Coins (1Edit) P. 50

[٤] انظر سهام المهدي : دار ضرب الإسكندرية في العصر الإسلامي : رسالة دكتوراه بكلية الاثار جامعة القاهرة سنة ١٩٨٦م ، ص١٢ والهامش رقم (٤) . ومن رأى دكتورة سهام أن الموجود في متحف الفن الإسلامي ليس كل شئ ، بل أنه من المحتمل وجود عملات في بعض أماكن أخرى من العالم – فاطمية مسكوكة في إفريقية بعد هذا التاريخ لاثبات رجوعها في حوزتهم وقد تكتشف فيما بعد.

[٥] رابح بونار : المغرب العربي ، ص ١٧٥ وما يليها

سيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب العربي ، جـ (٢)

سعد زغلول : المغرب العربي ، جـ (٣)

[٦] حمادي الساحلي : فصول من التاريخ والحضارة ، ص ٣٥-٣٦.

[٧] إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ ، صـ ٣٨

[٨] ابن خلدون : العبر ، جـ (٦) ، ص ١٣ – ١٤١ – ١٤٢

[٩] انظر : ابن الاثير : حوادث القرن الأول الهجري ، ما يخص فتح إفريقية

[١٠] للاستزادة : انظر : ابن خلدون : العبر ، جـ (٦) ، ص ١٢-١٨-٥٦ وأماكن متفرقة .

[١١] المصدر السابق : نفس الجزء – وانظر : العمري : مسالك الأبصار ص ١٨٢ – ١٨٤.

[١٢] انظر : مصطفى ابوضيف : اثر القبائل العربية في المغرب ص ١٤٥ – ٢٣٣

كذلك جهادهم ضد الروم[١].

إمارة بني جامع في قابس :-

من أهم النتائج السياسية لقدوم القبائل الهلالية إلي قابس أنه قد تمكن فرع منهم من توطيد نفوذه فيها ، فتحول هذا النفوذ إلي شكل سياسي متطور وصل إلي أن أقيمت دويلة محلية صغيرة – أو بمعنى أدق – إمارة عربية ، هي إمارة بني جامع[٢]، الهلاليين بقابس – أظهر بنو جامع نوعا راقيا من الحضارة وكان لهم النصيب الأكبر في شتى النواحي السياسية والثقافية والعمرانية والاقتصادية – فازدهرت قابس طوال عهدهم وكان نظامهم السياسي هو نظام الإمارات العربية فالأمير يتولي الوزارة بمعاونة حجاب يرتقون لمنصب وزير أو تابع للامير ، كذلك وجدت عندهم وظائف كتابية وبريد ، ومن الناحية العمرانية ، أقاموا قصر العروسين بقابس[٣]، وقد استكمل وأزيد عليه بعد ذلك – أثناء حكم الامير مدافع بن رشيد ، وسكوا عملة باسمهم[٤]، ونظموا التجارات الخارجية والداخلية ، كذلك كان لهم نشاط ثقافي وافر كالأدب والشعر .

لقد شجع الأمير مدافع كثير من أمراء بني جامع ، حتى أنهم كانوا يختارون الوزير الشاعر مثل سلام بن أبي بكر بن فرحان[٥]، وكذلك كان أبو ساكن عامر الهلالي من شعرائهم الموهوبين وأبو عامر ساكن بن عامر الهلالي .

ذكر صاحب الجريدة[٦]، أبا ساكن أنه " كان بدويا وأميرا سويا ولما فارق قابس بعد أن أخذها الموحدون عام الاخماس ، كان يعبر عن الامه بالشعر كما كان ابن حمديس[٧]، يمدحهم في أشعاره وهؤلاء الشعراء وغيرهم من بني جامع يدلون علي مدي ثقافتهم علي طريقة أهل إفريقية كما يذكر ابن خلدون[٨]، وكان بلاطهم في قصر العروسين يزخر بمجالس الادب والشعر[٩].

... إلى جانب الثقافة اعتنى بنو جامع بان يكون أسطولا تجاريا وحربيا بعد ان جهزوا التجارة واشرفوا على طرقها صحراويا وبين المدن الإفريقية وتوجوا اهتمامهم ببناء السفن لتدعيم أسطول حربى وتجارى خاص بهم[١٠].

---

(١) ابن الاثير : جـ ٩ ، ص ٢٢٢

(٢) هم أولاد مكن بن كامل بن دهمان من بلي علي – إحدى بطون رياح الهلالية . انظر ابن خلدون ، جـ(٦)ص-ص ١٥٩-١٦٠

(٣) التجاني ، ص٩٧، وعن وصفه ، انظر الفصل الأول من هذه الرسالة

(٤) وجد دينار أطلق عليه رشيدي نسبة إلي رشيد بن يكن بن جامع ، انظر : سهام المهدى : دينار رشيدي نادر ، مجلة المؤرخ العربي ، جـ(٣) ، ص١٦٢ وما يليها وقد صورت الباحثة هذا الدينار النادر ومرفق بالملاحق

(٥) التجاني ، ص ١٠.

(٦) هو عماد الدين الأصفهاني : أبو عبد الله محمد بن أبي الرجاء ٥٩٧هـ – ١٢٠١م. ، جريدة العصر ، جريدة العصر قسم شعراء المغرب ، وذكره ايضا التجاني ص-ص ١٠٠-١٠١

(٧) الصقلي : منها هذا البيت : أفلا يحالفني الرشاد وهمتي جهد بعزم للامير الرشيد انظر حسن حسنى عبد الوهاب مجمل الأدب لشعار بن حمد ملسي – ذكره ايضا التجاني ص ٩٥.

(٨) العبر ، جـ (٦) ، ص٤٧٣.

(٩) يذكر التجاني أن أحد الطلبة لخبره أن هذا القصر قد بدأت صنهاجة في بنائه ، وأنها أكملت جدرانه إلي ثلثي الارتفاع ، وأن دور بني جامع انحصر في إكماله ، وهذه الاخبارية في صالح العرب الهلاليين ... وهم بنو جامع) ، وهذا معنه أنهم لما وجدوا بناء أكملوه ولم يدمروه – كما اشيع عن هذه القبائل من تخريبهم .... إلي أخر هذه التهم ، وجدير بالذكر في هذا المقام أن حضارة العرب وانجازاتهم لم تظهر واضحة منذ بدء دخولهم ، بل توالت بعد أن استقروا ... انظر : الرحلة ، ١٠٣- وانظر : الفصل الأول من هذه الرسالة وصف هذا العصر.

(١٠) المصدر السابق – التجاني ، ص-ص ٩٧-١٠٠

لما تولى الأمير الهلالى رافع بن مكى او مكن – كان ذلك او اخر عهد تميم بن المعز بن باديس الذى توفى ورافع متولى قابس[1]، ثم تولى يحيى بن تميم فهادن رافع طوال عهده حتى انه قدم له الخشب والحديد اللازمين لبناء مركب " وقصد اجراءه فى البحر اخر ايام يحيى فلم ينكر ذلك واعانة بالخشب والحديد وتوفى يحيى قبل اكمالة فلما ولى على انف من ذلك "[2].

لقد ضاق الامير على بن يحيى من وجود اسطول اخر فى خليج قابس قد يكون سبب هذا الضيق المنافسة التجارية او يكون السبب عسكرى خوفا من نفوذ بنى جامع وسيطرتهم التجارية[3].

وبذلك التجانى[4]، عن على ابن يحيى " وكره ان يقاومه احد من اهل إفريقية فى اجراء السفن فى البحر فانفذ اسطولا الى ساحل قابس لمنع السفينة من الاقلاع واخذها ان اقلعت[5].

ولما كان رافع سياسيا محنكا فقد استعان بروجار صاحب صقلية (وهو روجار الثاني وكان معاصرا لعلي بن يحيي)، وأرسل له رسالة بينا فيها " يسأله الاعانة علي الأمير علي ، ويخبر أنه انما أنشأ تلك السفينة لبعث هدية يحب أن يهديها إليه "[6]، فما كان من روجار إلا أن بعث لأعانته أسطولا ليأخذ المركب ، وقد رأها فرصة عظيمة للتفرقة بينهم والكيد لهم ، وهذه المعونة ما هى إلا تمهيد لبسط نفوذ النورمان مستقبلا ، وكان روجار قد وضع لنفسه هدفا أساسيا منذ أن احتل صقلية وهو اتخاذها بداية انطلاق نحو شواطئ إفريقية لاستيلاء عليها وتحقيق هدفه الاقتصادي التجاري المنشود[7].

تولي الامير رشيد قابس ، بعد وفاة رافع والتى تنسب إليه السكة الرشيدية والعمران والازدهار ، وكانت وفاة الامير رشيد سنة ٥٤٢هـ / سنة ١١٤٧م.

اختلف المؤرخون في الأحداث التي ألمت بقابس بعد وفاته ، فلا تسعفنا التواريخ في تسجيلها بصورة دقيقة ، فقد ذكر كل من ابن خلدون[8]، والتجاني[9]، أن الذي تولي قابس بعد الأمير رشيد هو الأمير محمد ابنه الذي كان صغيرا – نوعا ما – وغير مؤهل لاعتلاء عرش الامارة ، وكان له مولي خاص اسمه يوسف ، استبد بالحكم مستغلا صغر سنه وضعفه ، وحدث أن خرج الامير محمد لخارج قابس لامر من الأمور وترك ابنه الطفل نائبا ، فكانت هذه هى الفرصة الذهبية للمولي يوسف ، فاستولي علي زمام الحكم وأصبحت كل أمور قابس في يده ،

---

(1) نفس المصدر ، ص ٩٨

(2) النويري ، جـ (٢٤) ، ص ٢٤٣

(3) لقد كان صاحب إفريقية صاحب الحق الوحيد الذي يتخذ الاساطيل ويجريها في البحر ، وقد أورد النويري أن دار الصناعة المهدية من أيام الفاطميين ، فبنو جامع أول من صنع الاساطيل غير ولاة إفريقية. لذا ضاق الأمير على بن يحي ذلك – انظر ابن الاثير : الكامل جـ٩ صـ ١٦٩ – وانظر التجاني الرحلة صـ ٩٦-٢٤٠-٣٤٢

(4) الرحلة : ص ٩٨

(5) ابن خلدون : العبر ج٦ ص ٣٢٩ ، ونفس المصدر السابق ، نفس الصفحة ، وانظر : النويري ، جـ ٢٤، ص ٢٤٣

(6) نفس المصدر ، والجزء والصفحة.

(7) حامد زيان : الاسلام والمسلمون في صقلية في ظل الحكم النورمندى – – مجلة كلية الأداب وانظر : راضى عبد الله عبد الحليم : التدخل النورمندي في بلاد المغرب ، مجلة المؤرخ المصري مجلة (٣) يناير ١٩٨٩ ، ص٢١١ وما يليها .

وصقلية Sicile بثلاث كسرات مع تشديد اللام والياء ، جزيرة في البحر المتوسط ، قاعدتها بالرمر ، احتلها الفينيقيون واليونان واسسوا فيها طرقا تجارية ، ثم فتحها العرب سنة ٢١٢هـ / سنة ٨٢٧م ، في عهد زياد الله الأغلبي ، ثم غزاها النورمان سنة ٤٨٥هـ – سنة ١٠٩٢م انظر ياقوت – جـ (٣) ، ص ٤٧٣ ، وابن الخطيب : أعمال الاعلام ، جـ(٣) ، ص ٢٠٦.

(8) العبر : جـ (٦) ، ص١٦٣

(9) التجاني ، ص-ص ٩٧–١٠٠ لم يذكر الامير رشيد إذ قال إنه بعد وفاة رافع تولي محمد بن رشيد .

وفوق ذلك أعلن الطاعة – وهو في ذلك زوجر[1]، وزعم أن له أخا اسمه عيسى قد فر إلي صقلية مستنصرا بطاغيتها[2]،

وكان هذا التصرف الاهوج من قبل المولي يوسف قد صادف هوى في نفوس النورمان[3]،فإلي جانب أن المغرب الأوسط وإفريقية كان موزعا علي دويلات الطوائف مثل بني الرند في قفصة وبني جليل بصفاقس ، وبني خراسان في تونس[4]، ٤٥٨هـ ولم يبق لبني زيري سوى المهدية حتى خصصت للنورمان سنة ٥٤٣ هـ إلي جانب بداية ضعف بني حماد بالمغرب الأوسط ، وكان المغرب الاقصى في حالة خطيرة إذ تتصارع علي السلطة فيه الدولتان المرابطية[5]، والموحدية[6]، (٥١٠-٥٤١هـ/١١١٦-١١٤٦م) يذكر ابن الاثير[7]، أن المولي يوسف قد استبد بالحكم بعد وفاة الامير رشيد أكبر ابنائه من الاخذ بالولاية من بعده ، ويسمى الامير معمر واختار لولايته طفلا صغيرا وهو محمد – حتى يستطيع أن يستبد بأمور قابس ثم يعلن الطاعة للنورمان في صقلية[8]، لكن الامير معمر لم يرض بذلك الوضع وطلب من الامير الزيري في ذلك الوقت .الحسن بن يحيي[9]، الذي كان مقره المهدية – المعونة والتشجيع علي مهاجمة يوسف الذي ثار سكان قابس عليه يطالبون بخلعه من الحكم إلي جانب أن الامير الحسن بن يحيي أرسل جيشا وقوادا ودخل المدينة بمساعدة أهلها ، وتم القبض علي يوسف وقتله[10]، وبمساعدة الامير العربي محرز بن زياد الذي اشترك في الهجوم لاستعادة قابس بعدها ، استطاع معمر بن رشيد أن يعتلي عرش ولاية قابس[11].

اتفقت بعض المصادر ، مثل التجاني[12]، وابن خلدون[13]، علي أن الذي أمسك بزمام الامور في قابس بعد مقتل المولي يوسف هو الامير مدافع بن رشيد ، وهذا يختلف مع ما ذكره ابن الاثير[14]، في أن ابنه معمر الذي تولي حكم قابس ، لكن من المؤكد أن ثورة قابس والاستعانة بقوى خارجية مثل الامير الحسن في المهدية مما سبب قلاقل وفتنة في أنحاء قابس ،، فمن المحتمل أن يكون قد قضى نحبه أثناء تلك الفتنة أو تنازل لاخيه عن ولاية قابس ، ومن المرجح أن رشيد قد عين أبنه الصغير محمد علي الولاية دون أخيه الكبير مدافع ، وهذا ما أعطى الفرصة ليوسف للاستبداد ، فلجأ مدافع للاستنجاد بالامير الحسن وبالامراء العرب مثل محرز بن زياد[15]، وسوف نرى أن استبداد المولي يوسف واستعانته بقوى النورمان كانت له

---

[1]المصدر السابق : ص١٠٠ ومما ساعده أن المولي بمعنى وزير هو دائما حامل أختام الملك لذا كانت فرصة له ذهبية.

[2]نفس المصدر والصفحة – انظر السراج : الحلل السندسية ج١ ص ٣٣٤.

[3]التجاني ص ١٠٠ – ١١٣، وانظر السراج الحلل السندسية ج١ ص ٢٣٤.

[4]ابن الاثير : الكامل – جـ ٨ صـ ٣٧٦

وانظر سيد عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب ...... صـ ٥٨٧

[5]ابن الخطيب : أعمال الإعلام جـ(٣) ص٢٥٥/٢٦٥.

وانظر حسن محمود : قيام دولة المرابطين ط القاهرة ط ٢ ، ٤.

[6]الكامل : جـ(٩) ص ٣٣٤ – ٣٧٢.

[7]ابن الأثير جـ(٦) ص٣٤٦ – ٣٤٧.

[8]هو الحسن بن علي بن يحيى أبن تميم حفيد المعز بن باديس تولى بعد وفاة ابيه يحيى بن تميم من عام ٥١٥ المصدر السابق جـ ٩ صـ ٢٠٧.

[9] نفس المصدر والجزء ص ٣٤٧ ، أبن أبي دينار : المؤنس ، ص١٩١

[10] نفس المصدر والجزء والصفحة.

[11] نفس المصادر الصفحات.

[12]الرحلة :ص١٠٠

[13]العبر جـ ٦ صـ ١٦٥

[14]الكامل :جـ(٩) ، ص٣٤٦ – ٣٤٧.

[15]المصدر السابق نفس الصفحة.

عواقب وخيمة في تاريخ قابس السياسي فقد ألب القوى الاسلامية في أفريقيا ضده ، وخارجيا أرسل روجار قوى بحرية لمحاصرتها (٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) إلي أن عجز عن فتحها[١].

ثم رجعت قابس بعد القلاقل السابقة للهدوء والاستقرار في عهد الامير مدافع بن رشيد ، وتوافد علي قصره شعراء وادباء عصره والذي كان من أبرزهم الشاعر سلام بن فرحان[٢]، أما مصير الامير بن محمد فلم تحدثنا المصادر عنه.

عن مصيره الغامض[٣] ظل حال قابس هكذا إلي عام الاخماس .

علاقات قابس :-

أ- مع الامارات أو النواحي الاسلامية بإفريقية في صفاقس :-

وأما صفاقس فكانت ولايتها أيام بني باديس من صنهاجة قبلهم إلي أن ولى المعز بن باديس عليها منصور البرغواطي من صنائعه فكان فارسا مقداما[٤]، لما تغلبت القبائل العربية علي إفريقية ، واستولت علي القيروان واضطر المعز بن باديس إلي الالتجاء إلي المهدية ، وانتهز منصور البرغواطي هذا الوقت للقيام بثورته علي المعز لكن هذه الثورة التي جنح إليها منصور البرغواطي لم تنجح ، إذ حدث انقلاب خطير عليه من قبل ابن عمه حمو بن مليل بمساعدة مجموعة كبيرة من قبائل زغبة ورياح وعدي والاثبج الذين كانوا بقابس وماحولها ، لذا استبد حمو بصفاقس[٥]، بعد أن غدر بابن عمه منصور وقتله في الحمام[٦].

ولم تتوقف أطماع حمو بعد استقلاله بصفاقس ، فقد طمع في الاستيلاء علي المهدية بعد وفاة المعز بن باديس ، وخاصة أنه كان قد وفق أوضاعه قبل أن يستولى علي صفاقس إلا بعد أن بذل لهم المال الوفير ، فظفر بصفاقس ، وخلا له الجو وأمن شرهم واجتماعهم عليه ، ثم استحوذ علي عدة قرى حول صفاقس[٧]، وبعد ذلك بفترة من الزمن – لما عزم علي غزوة المهدية جمع حوله حلفاءه من العرب من بطون زغبة ورياح ، ولما تناهى إلي علم تميم بن المعز ما عزم عليه حمو بن مليل حشد جيشه وحلفاءه هو ايضا من غريب زغبة ورياح ، والتقى بجيش حمو وحلفائه من العرب عند سلقطة[٨]، واشتد القتال بينهما عندها ، حتى انهزم حمو بن مليل ورجع إلي صفاقس فرارا من جيش تميم وحلفائه ، ولم ينس تميم محاولة حمو هذه وقام بعدة محاولات للاستيلاء علي مدينة صفاقس وإخضاع حمو بن مليل ، ففي عام ٤٧٤هـ/١٠٨١م ، حوصرت صفاقس وأفسدت غابتها[٩]، وهناك محاولة أخرى (٤٧٩هـ/١٠٨٦م)

---

[١]ابن الاثير جـ(٩) ، ص ٣٥٠ ابن خلدون جـ(٦) ص١٦٨، والتجاني : الرحلة ، ص١٠٠

[٢]اسلام بن فرحان الهلالي ، من بني هلال ، وعاش في بلاط بني جامع ، المرزوقي قابس ص ١٧٧.

[٣] ابن الأثير ج٩ ص ٣٤٧ ، وانظر المرزوقي ، قابس ، ص١٧٨

[٤]ابن خلدون : العبر ، جـ(٦)، ص١٦٨، أما اسم برغوطي فنسبة إلي براغوطة التي اختلف المؤورخون حولها ، فإن قد يكون لاخلاط من البربر اجتمعوا حول شخص يهودي اسمه صالح بن طريف بن شمعولن البرباطي نسبة لوادي البرباط في جنوب الاندلس BioBarbatK، فصارت تطلق هذه الكلمة علي كل من اعتنق ديانته ، ثم حرفت إلي برغواطة ، انظر : مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، ط إسكندرية ، ص ٣٠٠، لكن من الارجح أنها تنتمي لقبيلة مغمورة ، انظر ابن خلدون ، جـ (٦) ، ص٤٢٧، وانظر سحر سالم من جديد حول برغواطة طـ الاسكندرية سنة ١٩٩٣م ، ص-ص ٤-٥.

[٥]المصدر السابق ، نفس الصفحة .

[٦]السراج : الحلل السندسية : ط ٣٢٣-٣٣٤

[٧]المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة ، وانظر التجاني ، الرحلة ، ص ٧٩

[٨]ابن عذاري : البيان ط١ ، ص ٣٠١ يقول إنه كان ذلك الغزو عام ٤٥٦ بينما يذكر ابن الأثير أن غزو المهدية كان سنة ٤٥٥، انظر : الكامل ص ٣٥٤.

[٩]ابن عذاري ، ج (١) ص ٣٠٠، والمصدر السابق نفس الصفحة .

تمت فيها محاصرة المدينة مرة أخرى لكن تميم لم يستطع فتحها ، فعاد أدراجه[1]، ثم كانت المحاولة التي تمت في عام (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) وتم فيها إخضاع صفاقس ، لكننا نجد أن حمو بن مليل قد تمكن من الهرب والالتجاء إلي قابس طالبا الحماية ، فمكث عند صاحبها ، مكي بن كامل الرياحي من بني جامع إلي أن توفي[٢].

بعد استيلاء النورمان على قابس (سنة٥٤٣هـ/سنة ١١٤٧م) أرد روجار الثاني أن يستعمل علي حكمها أبا الحسن واليا من قبله فمكانته في أهلها كبيرة غير أن أبا الحسن كان شيخا كبيرا فأظهر العجز والضعف معتذرا لروجار ، فاستعمل ولده عمر بن الحسن الغرياني واليا علي صفاقس ثم أخذ أباه الشيخ أبا الحسن إلي صقلية رهينة ليضمن ولاء أهل صفاقس وطاعتهم للنورمان[٣]، وقبل أن يقاد أبو الحسن من صفاقس إلي صقلية ليقيم فيها عند روجر ، اسر إلي ابنه قولا :- (أنني كبير السن وقد قرب أجلي ، فمتى أمكنتك الفرصة في الخلافة علي العدو النورمان فافعل ولا تراقبهم ولا تنتظر أنني أقتل ، وأحسب انني قد مت[٤]، واستمع إلي نصح والده فلما علم بثورة أهل صقلية[٥]، واضطراب أحوال النورمان عقب وفاة روجر عام ١١٥٤م ، هم بالثورة علي الحامية النورمانية في صفاقس رغبة منه في تخليص أهل صفاقس مما يعانون من تسلط حامية النورمان عليهم ونهب أموالهم وهتك حرماتهم[٦]، ففي عام١١٥٦ دعا عمر أهل صفاقس إلي الثورة وخطط لهم كيفية التنفيذ فقال تطلع جماعة منكم إلي السور ، وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلهم ، فقالوا له :-

أن سيدنا الشيخ والدك نخاف عليه ، وقال هو أمرني بهذا ، وإذا قتل الشيخ ألوف من الاعداء فما مات[٥].

فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم وكان ذلك سنة ٥٥١هـ ثم انتقلت أحداث هذه الثورة من صفاقس إلي طرابلس فثار فيها عاملها أبو علي بن مطروح علي النورمان وكذلك اقتدى بهم محمد بن رشيد عامل قابس[٧]، وهكذا لم يكتف عمر بثورته علي صفاقس بل أخذ يشجع علي التمرد ضد النورمان فلبوا دعوته وأعلنوها ثورة شعواء ، فقتلوا من النورمان كل من عثروا عليه ، وفر من النورمان من استطاع منهم الفرار إلي صقلية .

ب - في سوسة [٨] : -

خالف أهل سوسة أيضا المعز بن باديس صاحب إفريقية سنة خمس وأربعين وأربعمائة ومنعوا ما كانوا يحملون إليه من المال[٩]، وتوفيت أخت المعز في سوسة فحملت أموالها لهم ، ولما قاتلهم المعز أعلنوا العصيان بحجة أنهم أولي بالمال للدفاع عن بلدهم[١٠]، وصار أهلها إلي

[١]نفس المصدر والصفحة ، وانظر : ابن الاثير : الكامل ، ج(٨) ، ص١٧٤، وابن خلدون : العبر : ج(٦) ، ص١٦٦، والسراج : الحلل ، جـ (١) ، ص٣١٦

[٢]ابن الاثير : الكامل ج ٩ صـ ٢٨

[٣]ابن خلدون : العبر ، جـ (٦) ، ص٣٤٤ وابو الحسن الغرياني كان شيخا كبيرا في السن ولذا عين ولده عمر واليا على صفاقس

[٤]ابن الاثير . أحداث ٥٠١هـ ، جـ (٢) ص٦١

[5]The Combridge Medieval history V. 5 ,P 192-195.

- ابن الاثير جـ (١١) ، ص٦١

[٦]ابن خلدون : العبر ، جـ(٦) ، ص٣٤٥

[٥] الكامل : جـ(٣) ، ٩٩/١١

[٧]الكامل جـ (١١) ، ص ٩١.

- Cambridge , V5 .P194

[٨]سوسة مدينة كبيرة علي سفح جبل عال ، وعليها سور منيع من الصخر ينتهي إليه البحر ويضرب فيه ، وبها آثار الأول ، وإليها تنسب الثياب السوسية ، التجاني : الرحلة ، ص-ص ٢٥-٢٦

[٩]المصدر السابق ، ص٢٨

[١٠] نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

الشورى في أمرهم[1]، ويعث المعز بن باديس إليهم من المهدية اسطولا ضخما ، فلما وصل إلي مرسي سوسة أحرق ما فيها من مراكب كثيرة أغلبها لأهل سوسة ، وانتقم أهل سوسة لذلك من أهل القيروان الموجودين بالمدينة ، فأخذوا أموالهم وأهانوهم أبشع إهانة[2].

وبعد ذلك " وجه المعز إليهم جيشا فيه مائة فارس وأمرهم أن يتضافروا مع الأسطول علي حصار سوسة ليأخذوا بخناقها برا وبحرا"[3]، فتصادف في نفس الوقت " أن اجتاز علي سوسة يوم خروج هذا الجيش أسطول من قبل صاحب صقلية ، فخافه اسطول المعز فانصرف راجعا إلي المهدية ولا علم عند المعز بذلك[4]، ثم وصل جيش المعز إلي سوسة للسؤال عن الأسطول الصقلي ، فأخبروه بإقلاعه .....

" فخرج أهل سوسة وزحف بها من الاعراب إليهم فأدخلوهم المدينة وأجالوا السيوف عليهم جميعا ونصبوا رمحهم علي الفور[5]، بعد وفاة المعز استطاع ابنه تميم أن يمتلكها وعفا عن أهلها[6]، ويبدو أن العرب الهلالية قد استولت على سوسة وانتزعتها من تميم لكن لم يحدد تاريخ لذلك[7]، لقد جمع شيخ من هذه القبائل أو امير من أمرائها - هو مالك بن علوى الصخري - بطونا كثيره من عشيرته من القبائل وسار في البدء وحاصر بهم المهدية فلم يظفر بها ثم رحل إلي القيروان الذي جرد إليه تميم جيشا كبيرا لمحاصرته بها[8]، فرأى مالك أنه لا طاقة له بهذا الجيش فخرج من القيروان معاهدا بتميم - واستولت عليها عسكر تميم فعادت إلي حوزته ، لكن لم تمض عدة سنوات لما حل عام ٤٨٢هـ[9]، نقد مالك العهد وسار بجماعة من بطون عشيرته ووصل سوسة فدخلها عنوة وجرى قتال عنيف كان من نتيجته أنه فارقها وتركها لقوات تميم . فخرج إلي حلفه من الصحراء بإفريقية[10]، (وكانت سوسة مأوى الرسول من قبل الخليفة العباسي إلي المعز بن باديس واسمه أبو الفضل بن محمد بن عبد الواحد الدارمي بعد رحيله من القيروان ، وكان ذلك بالتأكيد بعد عام ٤٤٦هـ[11]، وبعد وفاة تميم بن المعز تمكنت العرب الهلالية من إخضاع سوسة وظلت تحت حكمهم حتى وقعت[12]، في أيدى نصارى صقلية بعد وقوع المهدية[13]، حتى قدوم الموحدين فطلب شيوخ سوسة دخولها في طاعتهم وقدموا إلي عبد تامؤمن عهد الولاء والطاعة[14].

جـ- في تونس :-

عندما رحل المعز بن باديس عن القيروان والمنصورية متوجها إلي المهدية بعد الغزوة الهلالية وفتح قابس واتخاذها مركزا للعرب الهلالية علي يد مؤنس بن يحيي " استخلف المعز

---

(1) ابن خلدون : العبر ، جـ(٦) ، ص١٥٩.

(2) السراج : الحلل السندسية : جـ(١) ، ص٣٨٦

(3) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(4) الأندلس : الحلل : جـ(١) ، ص ٢٨٦

(5) المصدر السابق ، نفس المكان .

(6) ابن الأثير : الكامل : جـ(٨) ص٣٦٣ ، وانظر التجاني : الرحلة : ص٢٩، حيث ذكر أن تميم عفا وتملك عام ٤٥٦، أما ابن الأثير ، فيذكر أن ذلك كان عام ٤٥٥هـ .

(7) انظر المصادر السابقة ، نفس المكان .

(8) ابن الأثير ، الكامل ، جـ(٨) ، ص٤٣١.

(9) المصدر السابق نفس الجزء، ص٤٦٢.

(10) نفس المصدر نفس الجزء والصفحة .

(11) ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ج(١) ، قسم (١٣) ص-ص ٦٧-٦٨

(12) ابن الاثير ، جـ (٩) بص٣٥٦.

(13) نفس المصدر ، والجزء ، ص٤٣١

(14) نفس المصدر والجزء والصفحة

علي القيروان وعلي قابس ابن تيمون الصنهاجي[1] ، وأقام بها ثلاث سنين ثم غلبته قبيلة هـوارة فسلمها لهم وخرج ليمكث في المهدية ، لما تولي تميم بن المعز بعد أبيه رده عليها وأقام عليـها إلي عام ٤٥٨هـ[2]، ثم أظهر الخلاف علي تميم والتجأ إلي طاعة الحماديين ، " فسير إليه تميـم جيشا كثيفا أخاف قائد بن ميمون فترك القيروان ، وسار إلي الناصر الحمادي ، فسـار الجيـش إلي داخل القيروان وخرب دور القائد بن ميمون[3] - ثم سار بعد ذلك إلـي قـابس ويـها ابـن خرسان وحوصر بها سنة وشهرين[4]، ثم أطاع ابن خراسان تميما وصالحه ، أما قائد فإنه لجـأ إلي الناصر الحمادي ، وفي نفس الوقت ارسل إلي امراء العرب الذين كـانوا علـى القـيروان ليشترى منهم امارتها فاجابوه فعاد إليها وبنى سورها وحصنها[5]، ومن هـذه الروايـة نفـهم أن تونس في هذا الوقت من عام ٤٥٨ ه قد خضعت ليتميم بن المعز[6]، وذلك لفترة من الزمن بعـد أن عانت تونس فترة فبعد معركة الحيدران تغلب عليها الامير العربي عائد بن ابي الغيث فملكـها مما ساعده انه تزوج ابنة المعز بن باديس[7]، حيث لم يوضح لنا تاريخ هذا التغلب لكن ما لبثـت أن انشقت تونس عن طاعة الصنهاجيين واولت طاعتها إلي الحماديين بعد فترة عانت فيها مـن الانقسامات الداخلية والاضطراب السياسيمما جعل بني خراسان الذين تولوها ينحازون إلي بنى حماد بطاعتهم إلي أن داخلها الموحدين[8].

د- في قفصة وبلاد الجريد :-

لما تغلب العرب علي إفريقية وانحل نظام الدولة الصنهاجية وارتحل المعز من القـيروان إلي المهدية ، وكان بقفصة عامل لصنهاجة هو عبد الله بن محمد بن الرند وأصلـه مـن بنـي صغيان[9]، وعبد الله بن الرند ، ضبط أمور قفصة " وقطع عنها مادية الفساد وصـالح العـرب علي الاتاوة ، فصلحت واستقام الحال[10]وبعد معركة الحيدران اسـتقل ابـن الرنـد بقفصـة ، وبايعته توزر والحامة ونفزاوة وسائر العمال وعظم سلطانه رغم وجود عصبيات عربية قويـة ، وتوافد علي بلاطه الشعراء من العرب والبربر ثم هلك في عام ٤٦٥هـ وولي بعده ابنه المعـتز وكنيته أبو عمر[11]، الذي جبى الأموال وصطنع الرجال ، وظل الحال إلي أن فتـح الموحـدون قفصة فقام بني الرند بالولاء لهم .

كانت العرب من بني العابد من قبيلة بلي العربية من بطون سليم قد آلت إليهم أمور قفصـة قبيل دخول الموحدين ، وبعد أن تحول أمر المدينة إلي نظام الشورى ، وكانت بني العـابد مـن

---

[1] ابن الأثير : الكامل ، جـ(٨) ، ص٣٧٠، يبدو أنه كان هناك تعايش سياسي من بني هلال والصنهاجيين ، فكان فيه العرب وشيوخها إلي جانب قائدا أو والي صنهاجتي

[2] المصدر السابق – نفس الجزء والصفحات.

[3] نفس المصدر والجزء والصفحة.

[4] نفس المصدر والجزء والصفحةأن التاريخ مضطرب هنا ، هل ابن خراسان في قابس أم في تونس أغلب الظن أنه سار إلي تونس حيث أن ابن خراسان كان واليا عليها ، ويبدو أنه لجأ لقابس .

[5] ابن الأثير جـ(٨) ، ص٣٧٦، والنويري : نهاية الأرب ، جـ ٢٤، ص ٢٢٨

[6] المصادر السابقة ، نفس المكان .

[7] انظر ابن خلدون : العبر جـ (٦) ، ص-ص١٥-١٦ وانظر حسين مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته مجمل (١) ص٦٠٤

[8] المصادر السابقة ، نفس المكان ، وكذلك المرجع السابق ، وانظر :- حسن حسني عبد الوهاب مجلد تاريخ الأدب التونسي ، نشر تونس ، ط(١) ص١٥٧.

[9] ابن خلدون : العبر : ص١٦٥، وهو يقول حرمه ، لكني وجدت أل صغيان لهم أصول قديمة في جزيرة جربة ولهم فيها مساجد بأسمهم ، انظر فرحات الجعبيري : نظام العزابة عن الاباضية الوهبية في جربة ، ط . تونس ١٩٧٥م ، ط (١) ، ص-ص-ص ٢٠٦-٢١١-٢١٣ .

[10] المصدر السابق ، جـ(٦) ، ص١٦٦.

[11] نفس المصدر والمكان .

أقوى العصبيات الموجودة في مدينة قفصة لكن قدوم الموحدين جعلهم يفرون إلي قابس وتركوا أهل المدينة يعلنون الطاعة للموحدين بعد أن حشد عبد المؤمن بن علي جيش الموحدين ، والبالغ أكثر من ثلاثين ألف فارس وجندى[1].

علاقات قابس ببنى زيرى

ظهرت قابس فى عهد بني جامع فى مستوى حال من الحضارة وساهم بنو جامع بنصيب وافرفى الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية. فارتفع وضعها فى إفريقية لفترة غير قليلة من الزمن فكانت امارتهم لقابس لها شكل سياسى متطور من حيث كيان الحكم والادارة والسياسة الداخلية والخارجية لكننا لا نستطيع ان نحدد التاريخ الدقيق لتولى بنى جامع الحكم فى قابس هل هو بعد ٤٨٩ هـ ام قبلها اذ يذكر ابن الاثير[2]، عن جمع من الترك وصلوا بقيادة شاه ملك التركى الذى كان من اولاد بعض الامراء الترك ببلاد الشرق فوصلوا الى طرابلس[3]، واستولوا عليها فى الوقت الذى كان اهلها مستائين من واليها فارسل اليهم تميم بن المعز عساكر لمحاصرة طرابلس واخذوا شاه ملك ومن معه الى المهدية .

كان شاة ملك حنيثا اذ خرج يوما للصيد مع يحيي بن تميم ، فغدر بـه ، وقضى عليه وساريه ويمن معه إلي مدينة صفاقس وكان صاحبها حمو مخالفا لتميم ، فاعترف بالعبودية ليحيي الذي كان وليا للعهد ، وبعد ذلك لما أخذ من صفاقس أخا آخر له يسمي مثنى مما أخاف صاحب صفاقس مثنى ، مما أخاف صاحب صفاقس فأرسل إلي تميم في إنقاذ الاتراك وأولادهم ليرسل له ابنه يحيي ، فوافق بعد امتناع[4]، ثم جهز تميم جيشا وحاصر صفاقس برا وبحرا لمدة شهرين إلي أن استولي عليها ففارقها الاتراك إلي قابس[5]، ولما رضي تميم عن ابنه يحيي بعد فترة من الزمن أرجعه إلي ولاية العهد ، عظم ذلك في نفس أخيه المثني الذي أوقع بينه وبين أبيه تميم وأخيه يحيي الذي أمر أبوه باخراجه من المهدية ، فسار إلي صفاقس ، فلم يمكنه واليها من الدخول إليه " مدينة قابس " وبها أمير يقال له مكين – مكن أو مكي – بن كامل الدهماني فأنزله وأكرمه فحسن له مثني الخروج معه إلي صفاقس والمهدية وأطمعه فيهما مع إعطاء نفقات الجيش والعتاد لذلك[6].

فجمع مكن أو مكي من يمكنه جمعه وسار إلي صفاقس ومعها شاه ملك التركي وأصحابه فنزلوا علي صفاقس وقاتلوها ، وسمع تميم فجرد إليها جندا ، فلما علم المثنى ومن معه أنه لا طاقة لهم بها ساروا عنها إلي المهدية[7]... كان في المهدية يحيي بن تميم الذي قاتلهم بشجاعة وحسن تدبير حتى هزمهم فردهم خائبين[8]، هذه الرواية تبين لنا أن بني جامع كانوا أمراء قابس من قبل ٤٨٨هـ ، وكانت لهم سياستهم وجيوشهم كذلك أنه لما عظم شأن يحيي بن تميم بعد ذلك – إذ إنه تولي أمور إفريقية بعد أبيه (٥٠١هـ –٥٠٩هـ / ١١٠٧-١١١٥م)[9]، ثم تولي بعده ابنه الذي حاصر مدينة قابس من ناحية البحر وسبب ذلك أن رافع بن مكين الدهماني أنشأ مركبا

[1] عبد الفتاح مقلد : موسوعة المغرب العربي ، ط مكتبة مدبولي، ط(١) المجلد الثاني ، جـ (٤) ، ص

[2] الكامل : جـ(٨) ص٥٠٠، حوادث ص ٤٨٨هـ

[3] المصدر السابق ، نفس والجزء والصفحة.

[4] الكامل : جـ (٨) ، ص٥٠٠

[5] المصدر السابق .

[6] كانت الرغامة في كل هذه المناطق تابعة لبني مرداس وهم بطن من مبطون بني سليم الرياحيين ، نفس المصدر ، والجزء ، ص٥٠١

[7] ابن الاثير : الكامل ، ج(٨) ص٥٠١وانظر : النويري ، نهاية الأرب : جـ٢٤ ، ص٢٣٢.

[8] المصدر السابق : نفس والجزء والصفحة.

[9] النويري : نفس الجزء ، ص٢٣٧.

بساحلها وقصد إجراءه في البحر في أخر أيام يحيي ، فلم ينكر ذلك وأعانه بالخشب والحديد " كما ذكرنا سالفا[١].

يتضح من ذلك أن يحيي ابن تميم كان يهادن بني جامع وعاهدهم علي بناء اسطول لهم وأعانهم في ذلك لكن ابنه الأمير علي كره ذلك[٢]، وذلك لأنه خاف أن يكون ذلك عندما يقوى عليه ثم يهاجمه بهذا الاسطول . فأعد عساكر وقوى اسطوله وجيشه وانتفض لمهاجمة قابس الذي رأى رافع صاحبها الجد في الحرب فاستنجد بصاحب صقلية (الذي انتهز هذه الفرصة الذهبية ليوقع بين المسلمين وبسط نفوذه علي إفريقية) – استجمع رافع قواته كما حالف جميع قبائل العرب الذين ساندوا ، فساروا جميعا لحصار المهدية ، فخرجت عليهم عساكر علي بن يحيي فجرت الحرب التي كانت في غير صالح رافع ، فقد قتل الكثير من قواته ، فهرب ليلا إلي القيروان ، فداهمته قوات علي بن يحيي وانتصروا عليه فرجع إلي قابس[٣].

علاقات قابس مع بني حماد :-

وصلت إلي تميم بن المعز الاخبار بأن الناصر بن علناس (من الأسرة الحمادية التي استقلت بالمغرب الأوسط) قد حالف بعضا من صنهاجة وزناتة وقبائل بني هلال ليعينوه علي حصار المهدية فلما تأكد من هذه الاخبار أرسل إلي أمراء بني رياح فأحضرهم وأعلمهم بحصانة المهدية ومنعتها وأقنعهم أن الناصر يريد الفتك بهم فطلبوا من تميم المعونة ، فأمدهم بالمال ، ويقول ابن الاثير[٤]".... فأعطاهم المال والسلاح من الرماح والسيوف والدروع .... فجمعوا قومهم وتحالفوا واتفقوا علي لقاء الناصر ." ثم أرسلوا لمن معه من بني عمومتهم يخوفونهم منه وأنه عندما يقوى سيهلكهم بمن معه من زناته[٥]، واتفقوا علي خطة حربية معينة مع بعضهم ثم مع المعز بن زيري الزناتي الذي اتفق بدورة مع بعض زناتة الذين مع الناصر ، ودارت الحرب ، وكانت الدائرة علي الناصر الذي سلم هو واليسير من عسكره ، وقتل أخوه القاسم وانتصر العرب ، وغنموا جميع ما كان في معسكره وثم ولاهم ملك بلاد بني حماد ، وأرسلوا الألوية والطبول والغنائم إلي تميم فردها وقال :- يقبح بي أن أخذ سلب ابن عمي فأرضى العرب بذلك[٦].

---

[١] نفس المصدر والجزء ، ص٢٤٣

[٢] ابن خلدون : العبر ، جـ(٦) ، ص١٦١

[٣] النويري : جـ٢ ص-ص٢٤٣-٢٤٤.

[٤] الكامل :جـ(٨) ص-ص ٣٧٢-٣٧٣، حوادث عام ٤٥٧هـ.

[٥] المصدر السابق ، نفس والجزء والصفحة.

[٦] نفس المصدر ونفس والجزء والصفحة

مع المرابطين[1]: -

لم يكن بينهم وبين قابس علاقة مباشرة في البدء كان يوجد طوران من العلاقة الأول :-

في عام (٥١١هـ-١١١٧م) عند فشل الحملة البحرية التي جردها روجار والثاني لمساعدة رافع صاحب قابس عندما استعان به فقد قام الامير علي بن يحيي بالاتصال بعلي بن يوسف بن تاشفين لوضع الخطط المشتركة لصد هذا الهجوم النورماني ، من هنا أدرك المرابطون خطر النورمان كذلك حل النورمان في أنفسهم الضغينة نحو البربر المرابطين.

وجه المرابطون اسطولهم بقيادة عبد الله بن ميمون عام (٥١٦هـ/١١٢٢م) إلي جزيرة صقلية فافتتح منها نقوطرة وعاد منها بالغنائم[2]، ولما أيقن روجر أن غزوة المرابطين ما هي إلا بإيعاز من الحسن بن علي صاحب المهدية لذا قام بإعداد الاسطول والعتاد الضخم وتحركوا في نهاية عام ٥١٧هـ ، إلي ساحل إفريقية ، وبعد أن فتح النورمان جزيرة قوصرة[3]، وصدوا المهدية حيث تحققت لهم بعض الانتصارات البسيطة إلا أن الدائرة دارت عليهم بالهزيمة ، فلم يعد من صقلية إلا من سلم .

وبعد ذلك أصبحت دولة المرابطين غير قادرة علي تقديم العون ، وواصل النورمان تكرار هجومهم بعد ذلك حتى دخلوا حربه عام (٥٣٠هـ /١١٣٥م) والمهدية (٥٤٣هـ/١١٤٨م) [4].

الطور الثاني :-

من العلاقات مع المرابطين فيأتي عند خروج بني غانية للتغلب علي قابس وباقي أفريقيا وهم من قبيلة مسوفة ، ويذكر المراكشي[5].

"أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين وجه إلي الاندلس رجلين اسم أحدهما يحيي والاخر محمد ، وهما ابنا علي من قبيلة مسوفة ، يعرفان بابني غانيه وهي أمهما ، كان يحيي رجلا صالحا أصلح الله علي يديه كثيرا من جزيرة الاندلس .

وكان واليا علي بلنسية ثم قرطبة ، أما أخوه محمد الذي كان واليا من قبله علي قرطبة فلما مات ، أخذ يحيي يتجول حتى وصل إلي دانيا وميورقة ، وانتقل إليها بحرسه وحاشيته فتملكها بالجزيرتين اللتين حولها .

---

[1] هم من شعب صنهاجة الصحراء الملثمين في صحراء المغرب الأقصى وهم يتكون من أكثر من سبعين قبيلة من أشهرها جزالة ومسوفة وكزولة وعقولة وغيرها الكثير موطنها ما بين جنوب بلاد المغرب وبلاد السودان عرفوا بالملثمين لأنهم عرفوا بإرتداء اللثام علي خلاف قبائل البربر الأخرى "وانتشر فيهم المذهب المالكي" علي يد عبد الله بن ياسين الجازولي ويحيي بن إبراهيم الجدالي وجمع ياسين أكثر من ألف رجل منهم وأقام رباطا بعيدا ليعلمهم أصول الدين والزهد لذا سموا المرابطين الذين اتجه بهم ياسين لقتال ولإخضاع القبائل المتمردة ثم تزعمهم يوسف بن تاشفين الذي ذهب بجيوشه إلي المغرب الأقصى وتغلب عليهم وبني مراكش ."

- ابن أبي زرع الأنيس المطرب بروض قرطاس في أخبار ملوك المغرب ، الرباط (١٣٥٥هـ/ ١٩٩٦م) ط.(١)، جـ(٢)، ص٦ وانظر : حسن محمود : قيام دولة المرابطين ط. القاهرة ص٥٠-٥٣.
- النويري : نهاية الأرب جـ(٢٤) ، ص٢٥٥ .
- ابن الخطيب : أعمال الأعلان جـ(٢)ص ٢٢٧/٢٢٨.

مدينة عظيمة بالمغرب الأقصى في سفح جبل الأطلس الكبير بناها يوسف في صدر ٤٧٠هـ قبل ٤٥٩هـ انظر الحميري ، الروض المعطار ، ط. بيروت ص٥٤٠

[2] ابن الأثير ، جـ(٦) ، ص٢٢٢

[3] جزيرة صغيرة تقع بين صقلية وتونس .

[4] المصدر السابق لنفس الجزء ص-ص ٢٢٢-٢٨٦، وانظر سلامة الهرفي : دولة المرابطين ط. بيروت ط(١) ص١٦٧

[5] عبد الواحد المراكش : المعجب في تلخيص اخبار المغرب د/ محمد زينهم دار الفرجاني ١٤١٤ هـ ١٩٩٤م ص ٢٢٣-٢٢٩

في مصر :-

نجد في السجلات المستنصرية وبخاصة السجل رقم (٥) [1]، ورغم تفاصيله الموجزة الرد الرادع للمعز بن باديس وفتح الحسن بن الملهم أمين ومكين الدولة (مندوب الفاطميين) حصن قابس وفرقت السكة المستنصرية واتخذت قاعدة للفاطميين في إفريقية التي عادت بالتالي لحوزة الفاطميين وإلي جانب السكة التي صورتها الباحثة[2]، وجدت خطابات من الاندلس وعقد زواج في القيروان يدل علي استعادة الفاطميين إفريقية لحوزتهم ، أما الخطابات فهي عبارة عن رسالتين مرسلتين من علي بن مجاهد أمير جزيرة دانية والجزر الشرقية من الاندلس نري فيها ما يدل علي أن المعز بن باديس كان لا يزال في وقت ارسالها متمسكا بطاعة الفاطميين من انشاء أبو الاصبغ عبد العزيز بن أرقم النميرى الوادي الذي تتلمذ في قرطبة علي يد أبي القاسم من الاخليلي[3]، وأقام بداية سنوات في كنف إقبال الدولة علي بن مجاهد ، فأما كاتب الرسالة الثانية فهو أبو عامر علي بن سعيد التاكرني الذي عمل في بلاط علي بن مجاهد فترة من الزمن ثم انتقل إلي بلنسية حيث عمل بخدمة عبد العزيز المؤتمن بن عبد الرحمن بن المنصور العامري وتوفي (٤٥٢هـ - ١٠٦٠م) [4].

أما عقد النكاح فيوجد عقد مودع في محفوظات الجامع الاعظم في مدينة القيروان[5]، مؤرخ في غرة رمضان سنة ٤٤٦ ، وقد صدر " علي يد القاضي عبد الرحمن بن أحمد ، قاضي الامام القائم بأمر الله وواليه المعز لدين الله " تستدل مما سبق أنه حتى (غرة رمضان ٤٤٦هـ/ ٤/١٢/١٠٤٩م) يعترف بالخليفة القائم بأمر الله[6].وهناك واقعة يستدل منها أن تميم بن أبي تميم كان خائفا أن تصل أخبارها إلى الخليفة في مصر وهي:-

كان أبو علي حسن الاسكرى المصري من جلاس تميم بن أبي تميم ، فغنت له جارية بغدادية كان قد ابتاعها من هناك فأطربته ، وقال لها تمن علي ، فتمنت الغناء في بغداد ، فامتقع لون تميم وتغير وتكدر المجلس ثم انفض ، فأرسل تميم إلي نديمه الاسكرى ثم قال له " ويحك أرأيت ما امتحنتابه ، فقلت أى – الاسكري نعم أيها الامير، فقال لابد من الوفاء لها وأوثق في هذا بغيرك ، فتأهب لتحملها إلي بغداد" [7]، ثم نفذ الاسكرى تعليمات الامير تميم وحملها ضمن قافلة الحج مع ذلك العام ثم أكمل إلي منطقة الياسرية قبل بغداد حيث اختفت الجارية ولم يعثر لها علي أثر ... لم يرد في هذا النص أى إشارة لتاريخ زمني فهناك احتمالان:

إما أن يكون حدث أثناء إمارة تميم علي المهدية منذ عام ٤٤٥هـ إلي اخر عام ٤٥٤هـ ، وكان العرب الهلالية قد اجتاحوا إفريقية ،

والاحتمال الثاني أن يكون حدث بعد ذلك بسنوات بعد تولية الحكم وكان ابيه أي بعد ٤٥٤هـ ، وعندما تدقق في تاريخ ذهاب الحسن بن ملهم[8]، أمين الدولة ومكينها للمؤاخاة بين

---

(1) السجلات المستنصرية ص٤٣.

(2) انظر : الملحق.

(3) ابن الأبار . التكملة : ترجمة رقم (١٧٥٥) ، وانظر : محمد علي المكي : مظهر من مظاهر العلاقات بين مصر الفاطميين والأندلسيين خلال القرن ١١م تبعا لوثائق جديدة مخطوطة من أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة جـ(٣)

(4) ابن سعد : المغرب في حلي المغرب ، جـ (١) ص ٢٣٢، وابن الخطيب . أعمال الأعلام في مختار العبادي ص١٩٥، وانظر : محمود المكي : مظهر من مظاهر العلاقات بين مصر ... من أبحاث ندوة القاهرة الدولية جـ (٣) ص ١٢٦٢.

(5) صندوق رقم (٤١٧)

(6) هـ ر. إدريس : الدولة الصنهاجية جـ(١) ص٢٦٧، وهامش رقم ٩١.

(7) ابن عميرة الضبي : بغية الملتمس ، من المكتبة الأندلسية رقم (٦) ، ط دار الكاتب العربي ص١٠٧، ترجمة رقم ٢٠٨، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).

(8) هو الأمير الحسن بن علي بن ملهم ابن أبي دينار العقيلي ، الأمير مكين الدولة وأمينها أحد الأمراء في الأيام المستنصرية : المقريزي : كتاب المقفي الكبير ط بيروت / ج(٣)، ص ٤٢٤وما يليها ، يشير د. عبد المنعم ماجد أنه ذهب مرتين للعرب : المرة الأولي : في الصعيد يتفاهم معهم ، والمرة الثانية : لفتح حصن قابس – انظر : عبد المنعم ماجد : توثيق لاسترداد الفاطمين للمغرب من أبحاث مؤتمر اتحاد المؤرخين القاهرة ١٤١٨هـ ، ١٩٦٣م.

القبائل الهلالية وفتح قابس واتخاذها مقرا للفاطميين – لا تفيدنا المصادر في الزمن التي استمرت العلاقات فيه مفتوحة بين مصر وقابس بعد السجل ورسائل من القائد الاندلسي ، لكن التجاني[١]، يذكر أنه عندما عزل المعز بن باديس ابراهيم وقاضي قائدي الاعنة مخاطبين وذهبا حيث كان مؤنس بن يحيي الهلالي مقدم العرب " فأكرمهما وكساهما ثيابا وصلت إليه من مصر ، وسر بقدومها وانصرفا إلي والي قابس فاجتمعا بأخيهما فاتفقوا علي قطع اسم المعز بن باديس من الخطبة وصرف الطاعة لمؤنس[٢].

وكان نتيجة ذلك أن ابراهيم أصبح واليا علي قابس وهو في طاعة مؤنس[٣]، وعندما استولي العرب علي معسكر المعز بن باديس مثل ذلك أرسلت أشياء كثيرة منه للقاهرة .

لقد ظلت قابس جسر العلاقات بين إفريقية ومصر زمنا طويلا وقد ظلت الهدايا تصل من إفريقية للقاهرة فيذكي المقريزي[٤]، أنه في عام ٤٥٢هـ (٦٧٤م) "وفيها قدمت هدية المعز بن باديس فقومت بأربعين ألف دينار.وكانت تلك الهدية تتكون من أشياء قيمة منها درقة مرصعة بالجوهر كانت للمهدي ، وفي عام ٤٨٧هـ ١١٠٩م أرسل الأمير تميم بن المعز إلى المستعلي بالله الفاطمي بمناسبة توليه بعث إليه المستنصر بالله هدايا فاخرة ورسائل لطيفة مع الشاعر امية بن الصلت علي هيئة بعثة سياسية إلى مصر لتحسين العلاقات حدث أن شاهنشاه الأفضل من شاهنشاه متولي الأمور وبين امية بن الصلت وحشة محبة الأفضل ستة عشر عاماً في جزائه الكتب بالقاهرة هامش ٦ في حزائه الكتب بالقاهرة ، ففي عام ٥٠٢هـ كانت هناك واقعة حدثت في المهدية بين الامير يحيي بن تميم ورجال غرباء ادعوا أنهم يفهمون في الكيمياء وهم ينوون الغدر[٥]، فأخرج الامير أبا الفتوح وزوجته بلادة بنت القاسم بن تميم وهي ابنة عمه ، ووكل بها في قصر زياد بن المهدية وصفاقس فتبقي هناك إلي أن مات يحيي وملك بعده ابنه سنة تسع وخمسمائة ، فسير أبا الفتوح وزوجته لن إلي ديار مصر في البحر فوصلا إلي اسكندرية[٦]، وكان هذا أمانا لهما ، ويبدو أنهما استقر بهما الحال في الاسكندرية وتوفي الامير أبو الفتوح وتزوجت بلاده من بعده الامير ابن السلار[٧]، الذي كان مغاليا في المذهب السني .

كان ابن اسلار واليا بثغر الاسكندرية ، وكانت بلادة لها ابن اسمه أبو الفضل عباس ، كان طفلا عندما جاءت من إفريقية مع ابيه أبو الفتوح في أوائل القرن ٦هـ ، ويقول عنه ابن المقفع : " وكان أمير من جنس ملوك اللثمين بالغرب يسمى عباس من أولاد الامير تميم بن باديس واليا بالغربية وكانت امه اسمها بلورة توجه هذا علي ابن السلار[٨]، ويدل الكلام السابق علي أن ابن عباس هذا قد كبر وعين واليا علي الغربية وتزوج وأنجب ولدا أسماه نصر الدين تربى في كنف جدته في دار ابن السلار الذي حاطه برعايته[٩]، وأنفذ ابن السلار عباس علي رأس جيشه لمحاربة الصليبين في الشام[١٠]، وصاحبه اسامة بن منقذ لكن عباس كان متألما لمغادرته مصر ،

---

[١]الرحلة : ص١٠٤

[٢]المصدر السابق نفس الصفحة .

[٣]البقية التفاصيل ، وانظر : نفس المصدر والمكان ، ولنظر ص من هذا الفصل .

[٤]تقي الدين أحمد ٨٤٥هـ (١٣٧٧م): العاظ الخنفا لذكر الفاطميين الخلفائي محمد حلمي أحمد ط القاهرة ط٢ ١٤١٦هـ ١٩٩٦م ج٢ ص ٢٦١.

– انظر : عثمان الكتسان أبو الصلت (نشرة الجمعية الحلزونية علومث عدد ١٩٣٥)

[٥]ابن الأثير : الكامل ، جـ (٩)، ص١٩٤.

[٦]المصدر السابق نفس الصفحة .

[٧]ابن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث : ط. القاهرة (١٣٧٩هـ– ١٩٥٩م) ص ٤٣

[٨]تاريخ بطاركة ... ص ٤٣.

[٩]حسن إبراهيم : تابع الجولة الفاطمية ، ط. الهيئة المصرية بالقاهرة ، ط (٥) (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥) ص١٨٤.

[١٠]المرجع السابق ، نفس الصفحة .

ومن عبء الحياة العسكرية ، فأشار إليه ابن منقذ أن يتجنب كل هذا لو قتل بن السلار[١]، فاتفق علي أن يقوم نصر ابنه بتنفيذ هذا العمل الشائن ، وتمكن نصر من قتل ابن السلار وهو نائم في (٦من محرم ٥٤٨هـ /أبريل ١١٥٣م) وفيما بعد قتل الخليفة الظافر بنفس اليد الاثمة التي قتلت ابن السلار[٢]، لقد فتح حصن قابس لتكون مقراً للدعوة الشيعية الفاطمية ثانيا[٣] .

من بعد رحيل الفاطميين بسبب تغلغل المذهب السني في إفريقية ثم أصبحت قابس مركزاً يعود منه الحفيد (حفيد المعز بن باديس) لقتل حفيد المعز لدين الله ، وحفيد المستنصر الذي أرسل القبائل الهلالية لتنتقم له– وتقيم المذهب الشيعي ، فانتشر الدين الاسلامي والتعريب في جميع أنحاء إفريقية والمغرب العربي كله ، كذلك في مصر ما لبث بعد ذلك حتى أصبحت سنيه بعد دخول الايوبيين[٤]، حيث استمرت قابس مركزا لهم عندما استولي عليها قارقوش الارمني ، وخطب من علي منبرها لمولاة تقي الدين وصلاح الدين الايوبي[٥]،

ثم لخليفة بغداد العباسي ، ويبدو أن قراقوش الارمني ظل في مغامراته الجريئة إلي ما بعد رسالة صلاح الدين إلي الخليفة الموحدى ابن عبد المؤمن[٦]، فعندما نتتبع تاريخ الامير تقي الدين عمر ابن أخي صلاح الدين وتولي قراقوش أنه كان بارعا في الناحية العسكرية والسياسية[٧]، وكان له نصيب كبير بعد متجددات توزيع الاقطاعات[٨]، أقطاع اقليم الفيوم والبحيرة والاسكندرية والواحات[٩]، ليتضح لنا من ذلك أن تجهيز جيش من ممالك ورسالة إلي إفريقية ليس بالامر المتعذر وبخاصة إذا علمنا أن حملة قراقوش كانت برية صحراوية تسلك المسالك البعيدة نوعا ما في الصحراء وما بعد الواحات[١٠]، فوصل في محرم ٥٧١هـ إلي السلوم (وهي أخر نقطة في حدود مصر) ثم توغل جنوبا إلي سنترية (وهي واحة بسيوة وهي واحة منخفضة جنوب شرق السلوم بها رمال منها المتحرك تجعل السير فيها خطراً إلا في دروب بعينها) وخطب في سنتريه لصلاح الدين وكتب لمولاه تقي الدين بذلك ثم اتجه إلي جنوب برقة ودخل أوجله وأجدابيه (وجنوب برقة وهي واحات تحوطها سلاسل من الكثبان الرملية الوعرة وأوجلة لها مرسى على البحر كما هي محطة للقوافل).

وصالح صاحبها عشرين ألف دينار وما لبث أن عاد إليها بعد وفاة صاحبها وحاصرها حتى دخلها عنوة وقتل الكثير من أهلها وغنم منها الكثير ثم عاد إلى مصر بعد استخلف عليها ثانية.

وبعد ذلك في فتوحاته تجنب البحر وكانت الحملة تسير بعيدا عن البحر متوغلة في الصحراء عند المواقع المنعزلة السهلة الفتح حتى يفتحها فتصل أخبارها لما بعدها من المدن ، فقد فتح قبلها دويلة وأزال منها بني خطاب وهم بربر ، وبعد ذلك قويت شوكته في الهجوم علي

---

[١]المرجع السابق ، نفس الصفحة .

[٢]للتفاصيل ، انظر : حسن إبراهيم : تاريخ الدولة الفاطمية ص ١٨٥، نفس المرجع والمكان .

[٣]انظر : المصدر والمرجع السابقين ، نفس المكان .

[٤]انظر: رحلة التجاني ، ص–ص ٨٦–١٠٤.

[٥]التجاني: الرحلة : ص١١٨، وأبي شامة عيون الروضتين ، جـ(٢) ، ص٢٧ .

[٦]انظر : نص الرسالة الثانية في المصدر السابق ، نفس الجزء ص٢٢٢وما يليها أما نص الرسالة الأولي فانظر: القلقشندي : جـ(٦)، ص٢٦وما يليها .

[٧]بدليل تجهيزه لحملة قراقوش هذه ، ومده لسور الأسكندرية ، وجعله وصية علي ولي العهد العزيز عثمان وسعى إلي الشام بجيشه لمحاربة الصليبين في الشام .

[٨]ابن واصل للمدح الكروب جـ(٢) ، ص٥٢.

[٩]المقريزي : الخطط ، جـ(٢) ، ص٣٦٤ وما يليها ، وانظر : حسنين ربيع ، النظم المالية زمن الأيوبين ، ط(١) ، ص٢٨

[١٠]المصادر السابقة نفس الصفحة .

طرابلس واستغلال ظروفها الداخلية(بسبب موقف الاهالي اليائس من واليهم فاستفاد من ذلك واحتلها[1].

استمر قراقوش الارمني وتوغله الصحراوي في إفريقية سنين كثيرة تحالف مع العرب وبعض البربر واستولي علي الطرق التجارية وقد تتابع الذهاب إلى المغرب والعودة لمصر من طرف قراقوش للامداد والتموين وإعطاء آخر الأخبار ، بدليل أنه عاد بقوات ضخمة وسار معه ناصر الدين إبراهيم سلحدار مملوك تقي الدين عمر ، وهذا يدل على حصوله على تأييد وتشجيع ولاة أموره تقي الدين وصلاح الدين وان انضمام بعض القادة وإمداده بجيوش أخري يدل على أن ذلك لا يتم إلا برضاء واليه تقي وكذلك السلطان صلاح الدين. وربما كان السلطان صلاح الدين يفكر أنه بوضع يده على أفريقية واتخاذ قابس قاعدة مراكبه البحرية يمكن السيطرة على طريق إفريقيا والمغرب كله وبحرياً جعلها قاعدة مناوئة لصقلية التي جعلته يفكر جيداً في ذلك بخاصة بعد مؤامرتها هذه لتعويض حكمة وإرجاع النفوذ الفاطمي بالاتفاق مع أعدائه.

أورد ابن شاهنشاه في مضمار الحقائق أكثر من غيره حملات عديدة لقراقوش وفرايكين وشخص آخر اسمه بوزيا.

في أوائل عهد صلاح الدين الأيوبي في مصر وبعد سنتين على التحديد من زوال الدولة الفاطمية التام شمل جماعة من أنصار الفاطميين الذين فقدوا بسقوطهم نعمة كانت تصلهم على أيديهم وأرزاقا كانت تجري عليهم ومن الحانقين على صلاح الدين الأيوبي ومركزه الذي أندفع إليه ومكانته التي تبرأها وكان يرأس أولئك وهؤلاء أحد فحول الشعراء الفاطميين عمارة ابن حسن أبي الحسن اليمني[2]، وعبد الرحمن الكاتب والعوريسي القاضي وداعي الدعاة الفاطمي وغيرهم من جند المصريين والسودانيين وحاشية القصر الزائل وكان الغرض الأساسي من اجتماعاتهم السرية على الدولة الأيوبية وإعادة الدولة الفاطمية ولما كانت يد صلاح الدين قابضة على ناصية الأمور ، رأي المؤتمرون أن جهدهم الخاص سيقصر عن بلوغ اهدافهم وأنه لابد لهم من الاعتماد على مساعدات خارجية ورأوا في ذلك الاستعانة بالنورمنديين في صقلية[3]، ثم اخذوا يعدون الجبهق الداخليه بأن زينوا لصلاح الدين تولية اخيه توران شاه لقيادة الحملة على بلاد اليمن ... واتفقوا على إشعال نيران الثورة الداخلية أثناء تغيب صلاح الدين عن القاهرة لملاقاة النجدات الخارجية وإذا رأي صلاح الدين البقاء في القاهرة وأوفد نائبا عنه لملاقاة الأعداء ساروا به وأخذوه أخذاً باليد بعد أن ينفض عنه عسكره وأنصاره ثم رتبوا أمرهم في شغل المناصب الكبرى بالدولة الجديدة كالخلافة والوزارة والحجابه والقضاء وداعي الداعاة وبدأ بنو رزيك وبنو شاور يختصمون على الوزارة المرتقبة[4].

ولقد كانت الخطة بالخطورة بمكان على دولة صلاح الدين في مصر حيث احكمت حلقاتها في الداخل والخارج لولا أن قيد الله له أحد المؤتمرين وهو زين الدين على بن نجاه الواعظ المعروف بابن نجية الذي ذهب إلى صلاح الدين وأعلمه بخيوط هذه المؤامرة فأرضاه صلاح الدين "بملازمتهم ومخالطتهم ومواطأتهم على ما يريدون" ثم طلب إليه أن يحيطه أولا بأول بما ينتهي المؤتمرون وفي ذلك الوقت وصل صلاح الدين رسول من الصليبيين بالشام ظاهره الاتصال بصلاح الدين وباطنه معرفة مدي ما وصل إليه أصحاب المؤامرة وكانت وسيلة اتصاله بهم بعض نصارى مصر الذين كانوا ينقلون إلى الطرفين أنباء هذه المؤامرة ،وقد استطاع صلاح الدين أن يشتري بالمال بعض هؤلاء النصاري الذين دخلوا الرسول وفهموا منه حقيقة أمره والغرض من حضوره حتى إذا وضع صلاح الدين يده على جميع خطوط المؤامرة أصدر

---

[1] لتفاصيل هذه الحملات انظر : محمد بن تقي الدين شاهنشاه : مضمار الحقائق وسر الخلائق ، حسن حبشي ط. عالم الكتب (١٣٣٨هـ ـ١٩٦٨م) صفحات : (٢٣-٣٥-١٧٠-١٨٥)

[2] ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص ٥٢٥ ـ ٥٣٨.

[3] المقدسي : الروضتين ص ٢١٩.

[4] المكتبة العربية الصقلية : ج١ ص ٣٠٩.

أمراً بالقبض على جميع أفرادها[١]، واعدموا جميعاً وعلى رأسهم عمارة اليمني وعلى الرغم من اكتشاف المؤامرة والقبض على المتآمرين فقد وصل الجيش والأسطول النورمندي إلى الإسكندرية في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ٥٦٩هـ وكانت عدته مائتي شينس تحمل الرجاله وستة وثلاثين في طريدة تحمل الخيول وست مراكب كبيرة تحمل آلات الحرب والحصار وأربعين مركباً مملوءة بالزاد والطعام وكانت عدة المشاه في هذه الحملة خمسون ألفاً ومن الفرسان ألف ونصف وكان على رأس هذه القوات ابن عم الملك غليالم الثاني ملك النورمنديين[٢].

ولقد كانت الحملة من الخطورة بمكان على دولة صلاح الدين في مصر حيث أحكمت حلقاتها في الداخل والخارج لولا أن قيد الله له أحد المؤتمرين وهو زين الدين على بن نجا الواعظ المعروف بابن نجية الذي ذهب إلى صلاح الدين وأعلمه بخيوط هذه المؤامرة فأمره بملازمتهم ومخالطتهم ومواطأتهم على ما يريدون. ثم طلب إليه أن يظل يحيطه أولاً بأول بما ينتهي إليه المؤتمرون وفي ذلك الوقت وصل إلى صلاح الدين رسول من الصليبيين بالشام ظاهرة الاتصال بصلاح الدين وباطنه معرفة مدى ما وصل إليه أصحاب المؤامرة وكانت وسيلة اتصاله بهم بعض نصارى مصر الذين كانوا ينقلون إلى الطرفين أنباء هذه المؤامرة المنظمة. وقد استطاع صلاح الدين أن يشتري بالمال بعض هؤلاء النصارى الذين دخلوا الرسول وفهموا وعلموا منه حقيقة أمره والغرض من حضوره حتى إذا وضع صلاح الدين يده على جميع خطوط المؤامرة أصدر أمراً بالقبض على جميع أفراد واعدموا جميعا وعلى رأسهم عمارة اليمن. وعلى الرغم من اكتشاف المؤامرة والقبض على المتآمرين فقد وصل الجيش والأسطول الفورمندي إلى الإسكندرية في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ٥٦٩هـ وكانت مدته مائتي شنيه تحمل الرجالة وستة وثلاثين طريدة تحمل الخيل ومراكب كبيرة تحمل آلات الحرب والحصار وأربعين مركباً مملوءة بالزاد والطعام وكانت عدة المشاة في هذه الحملة خمسون ألفا ومن الفرسان ألف ونصف كان رأس هذه القوات ابن عم الملك غاليم الثاني ملك النورمنديين.

وإن دل هذا على شئ فأنه يدل على مدى ما يأمله ويهدفه النورماندبين من هذه الحملة وعلى صدق ما وصل إليه صلاح الدين في خطابه إلى نور الدين من أن الملك الصقلي كان يريد أن يظهر أمام العالم المسيحي بمظهر القادر على تحقيق ما عجز عنه الأباطرة والملوك الأروبيين.

وقد كانت مصر تعتبر في ذلك الوقت حجز الزاوية في المقاومة الإسلامية للحملات الصليبية على الأراضي المقدسة حتى إن كثيرا من الدول المسيحية رأت أنها لا يمكن أن تأمن على مشكلاتها في الأراضي المقدسة ما دامت مصر غير خاضعة لمسيحيين وكان من نتيجة ذلك أن بدأت الحملات الصليبية تتجه إلى مصر فيما بعد بدلا من الأراضي المقدسة ولا شك أن استيلاء النورمنديين عليها مع مالها من تلك المكانة العريقة يرد إليهم هيبتهم ويعلى من شأنهم ويقلل من حدة عداوة البابوية لهم هذا فوق ما يكسبونه من نفع مادي لسعة ثروتها وكسب تجاري لأهمية موقعها وقد كانت المنافسة التجارية على أشدها في ذلك الوقت بين كل من صقلية وجنوة والبندقية وهنا موقف أخر للملك الصقلي. [٣]

ولعل صلاح الدين الأيوبي قد بدأ يشعر بخطورة الحالة فكتب رسالة الديوان العزيز لنور الدين سمود يشرح له فيما الأعداء المحدثين بالديار المصرية منها قوله "ومن هؤلاء الكفار (الأعداء المحدقين بالبلاد) صاحب صقلية كان حين علم بأن صاحب الشام وصاحب القسطنطينية قد اجتمعا في نوبة دمياط فغلبا وكسرا وهزما وأراد أن يظهر قوته المستغلة فعمر أسطولا استوعب فيه ماله وزمانه له الآن خمس سنين يكثر عدده وينتخب".

[١] المكتبة العربية الصقلية : ج١ ص ٣٠٩ – ٣١٠.

[٢] ابن كثير : البداية والنهاية ج٢ ص ٢٧٤ – ٢٧٥.

[٣] المكتبة الصقلية ج١ ص ٣٤١

كل هذا جعل صلاح الدين يوجه كل اهتمامات وإمكانيات أن يبحر هؤلاء الأعداء الصليبيين المتربصين من كل جهة – لذا ترك أمر قراقوش جانباً مع معرفة أخباره كلما امكن [(١)].

لذا رأى الميدان الشامي اجدر باهتمامه أولا فإذا فرغ منه التفت إلى الميدان المغربي وذلك أن أمر قراقوش عندما وصل إلى مسامع صلاح الدين قال " لعمري أن فتح المغرب مهم ولكن فتح بيت المقدس أهم والفائدة به أتم والمصلحة منه أخص وأهم وإذا توجه إليه تقي اليدين واستصحب معه رجالنا المعروفة ذهب العمر في إفتاء الرجال وإذا فتحنا القدس والساحل وطوينا إلى تلك ممالك المراحل [(٢)] ثم أمر القاضي الفاضل أن يكتب إلى الملك المظفر تقي الدين عمر ابن أخيه وكان قد وجد للمغرب واستولى على بعض نواحيه بأمره بالعودة وترك هذا المشروع حقناً لدماء المسلمين[(٣)].

وإنه إذا انعم عليه بتقوية بلغ أغراضاً بعيدة وسير أموالاً عتيدة[(٤)].

ويبدو أن التقوية قد وصلت إلى قراقوش أكمل المسير إلى أن وصل إلى قابس وتم فتحها واتخذ القلعة مقراً له وسكن هو وأهله وعشيرته قصر العروسين وخطب على منبرها [(٥)] وناد بجمع الأموال الكثيرة ووضعها في قابس ، ولما أصبحت قابس مركزه زحف منها إلى قفصه وتونس وجزيرة باشو وغيرها [(٦)].

ولم تفدنا المصادر فيما بعد سنة ٥٨٦هـ بالعلاقات بصفة دقيقة ، فأصبحنا نري قراقوش مغامراً جرئ خاصة بعد رحيل تقي الدين المظفري إلى الشام كما ذكرنا وتوفى محاصراً ملاذكرد .[(٧)] في أرمينية في رمضان سنة ٥٨٧هـ .

وكان صاحب لحماة وخلفه ابنه كما توفى صلاح الدين الأيوبي في دمشق عام (٥٨٩هـ) [(٨)] وكان صلاح الدين مراسل الخليفة العباسي ومن حديثه عن ذلك لها ولنا في الغرب أثر أغرب .. ونحن بحمد الله قد تملكنا ما يجاورنا من بلاد تزيد مسافتها على شهر ، وسرنا إليها عسكراً بعد عسكر[(٩)] ، فرجع بنصر بعد نصر ومن البلاد المشاهير والأقاليم الجماهير : برقه ، قفصة ، قسطيلية ، توزر ، كل هذه لنا فيها الخطبة لمولانا المستضئ بالله [(١٠)] ونفهم من هذا الخطاب أن الخلافة كانت تتابع نشاط صلاح الدين في فتح البلاد ولإقامة الخطبة للعباسيين خاصة في أنحاء المغاربة فقد كان سقوط المرابطين الموالين للعباسيين قد سبب ألماً لهم وأن دولة الموحدين كانت قائمة بذاتها ولا تتبع أحداً مما أثر ذلك على العباسيين ، لذا كان لإرسال على بن غانية ثم القراقوش الأرمني بالطاعة للخليفة العباسي أثر طيب في نفوس العباسيين [(١١)] الذين كانوا وراء هذا النشاط في إفريقية لهدف في أنفسهم وهو تقويض خلافة الموحدين المنافسة لهم ولم يعترفوا للعباسيين عكس المرابط من خليفة بغداد وإعلان بتبعيتهم له [(١٢)].

---

(١) أبو شامة الروضتين ج١ ص ٣٢٦ – ٣٢٧ نص الخطاب

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ص ٤٣٠.

(٣) المقريزي : السلوك ج(١) ص ٦٠-٦٦ ، ومن المؤكد وصول هذا المال والرجال مصر لمساعدة في العمل العسكري والحملات لطرد الصليبين من الشام.

(٤) المصدر السابق ، نفس الجزء ص ٦٧ وإفريقية جزء من بلاد المغرب

(٥) شاهنشاه صاحب حماة : مضمار الحقائق ص ١٦٤ وما يليها.

(٦) لمزيد من التفاصيل ، انظر المصدر السابق ص ٢٢٩ وما يليها ، والتجاني : الرحلة : ١٠٥-١٠٨-١١١.

(٧) الأربلي المعروف بابن المستوفي : تاريخ اربل تح /فؤاد الصقار ، ط. بغداد (١٤٠٠هـ-١٩٨٠) القسم الثاني ، ص ٤٩٦ ، ورقة ١٧٢ب/٥.

(٨) أبو شامة الروضتين ، ج(٢) ص ٢٨١.

(٩) تستدل من ذلك أن الحملة أعقبها تعزيز أو حملات اخرى تلتها.

(١٠) الروضتين ج٢ ، ص ٢٨.

(١١) ابن الأثير : الكامل ، ص ١٠ وص ١٤٥.

(١٢) لقد كان مؤيداً ومغامرا فقد قاتل البربر ولم يحسن معاملة العرب لكنه غدر بهم وقتل ابنائهم ودفنهم في قابس فكرهوه. التجاني ص ١١٢ ، بن واصل مفرج الكروب ج٢ ص ٣٦١ – ٤٩٦.

لما كان بنو غانية يدينون بالولاء للخليفة العباسي وكانت تعليمات خليفة بغداد تقضي على صلاح الدين بالتحالف مع بني غانية لاسيما وان الموحدين يمثلون عدوا مشتركا للطرفين للحلف أنضم بعض العرب من رباح وجهم والأثيج وكاوا من المعارضين للموحدين بعكس رغبة البعض بني هلال الذين كانوا مع الموحدين [1] وتكون من هذا الحلف ذي الأطراف الثلاثة جيش كبير ولم تكن زعامة هذا الحلف لقراقوش ولكن لابن غانية أمير ميورقة لأصالته بعكس قراقوش الذي كان تابعاً لغيره وهو تقي الدين عمر.

وجعل قراقوش الخطبة للخليفة العباسي ولصلاح الدين ، وضرب نقوداً بذلك ، وتلقب بالمنظفري نسبة للملك تقي الدين وتلقب أيضاً بالناصري لتبعيته للناصر صلاح الدين وكان يوقع باسم (قراقوش الناصري ولي أمير المؤمنين[2])

وكان من قراقوش وابن غانية قد أقام مملكته على أراضي كانت للموحدين ، وكلاهما يطمع في إفريقية وهي أيضاً للموحدين ، ومن الطبيعي أن يعمل الموحدون على استرداد ممتلكاتهم منهم. امتلك قراقوش قابس[3] وجعلها مخزناً لماله وسلاحه وقاعدة لجيوشه [4] وامتلاكه لقابس كان وضعاً عسكرياً في بلاد الجريد ، ثم أنها يمكن أن يتخذها الموحدون قاعدة لتهديد قراقوش بالجريد ، أو لقطع مواصلاته ما بين طرابلس والجريد.

وبذلك تحددت مملكة قراقوش بالمنطقة الممتدة ما بين برقة شرقة حتى قابس الجريد غرباً ، وأصبح الفاصل بين منطقة نفوذه وبين ما يمتلكه ابن غانيه هو المنطقة القاحلة التي تصل ما بين الجريد وإفريقية.

وعلى ذلك فالتحالف الذي تم بين قراقوش وابن غانية كان تحالفا بين مملكتين ، وعلى أساس أن التعاون مع ابن غانية لا يعني أن مملكة قراقوش تصبح ملكا لبن غانية ، ويصبح قراقوش من رعاياه ، بل كان ذلك يعني ابن غانية أن يقوم بينهم تنسيق مشترك على أن يكون صاحب الكلمة العليا هو ابن غانية مع احتفاظ كل منهما بما تحيد به من بلاد.

مع الأندلس :

بعد أن استقر محمد بن علي بن غانية بفي الجزر الشرقية للأندلس ، وكان ذا حنكة وبراعة سياسية وأخذ يحكم قبضه على تلك الجزر ليحقق حلمه الكبير في جعلها نواة لدولته التي ستحمل اسمه وتستعيد مجد أهله من المرابطين [5] ، لذا كان يعمل على إيواء وفود المرابطين من الأندلس على جزره ، ويستقبلهم بحفاوة ويسبغ عليهم عطاياه في تلك الوقت كانت دولة الموحدين فتية ، دخلت مراكش عاصمة أجداده المرابطين مما أثار شجونة وعزم [6] على تقويض حكم الموحدين ورفض طاعتهم [7].

---

(1) ابن الأثير ج

(2) التجاني ص ١٠٥-١٠٧

(3) المصدر السابق نفس الصفحات

(4) نفس المصدر ص ١٠٧

(5) حيث ينتمي إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية الي فيها المرابطين.

(6) وانظر ابن خلدون العبر ج ٦ ص ١٦١ وما يليه. وأنظر مراجع عقيلة غناي : سقوط دولة الموحدين ، ط. ليبا (١٣٩٥هـ ١٩٧٥م) ط١ ص ١٧٢ هشام أبو رميله ، علاقات الموحدين ، ط الأردن (١٤٠٤هـ-١٩٩٤م) ط١ ص ١٤٦.

(7) كان بنو غانية يدعون لبني العباسي وتقام الخطبة للخليفة العباسي على منابرهم وأرسل الموحدين لهما لكتب تباعاً إلى اسحق بن محمد بن غانية " يدعونه إلى الدخول في قاعتهم والدعاء لهم على المنابر " ولكن اسحق تريث واستشار ثم أرجاء هذا الأمر إلى أن توفى وتولى ابنه محمد الذي عزل وتولى أخاه علياً بـدلاً منه وأرسله الموحودن له سفيراً هو ابن الربرتير مع جزء من الأسطول الذي سحبت قطعه إلى دار الصناعة بميورمه وفرضت عليها حراسة مشددة ثم حدث أن توفى الخليفة الموحدي يوسف بن عبد المؤمن في حصار شنترية ٥٨٠هـ فقبض على الربرتير (السفير) وهنا كانت الفرصة مواتية لبنو غانية لاستعادة تبعاد بعد اسلافهم على إفريقية وبلاد المغرب لذا كان قرارهم بغزو بجاية لعد أن أرسلوا من قبل أرصاد لتطلعهم على أحوالها الداخلية. من هنا بدأ هجوم بنو غانيـــة لتعويض الموحدين وحلفهم فيما بعد مع قراقوش الأرمني الذي استقر بقابس وسيطر على الجانب الشرقي لإفريقية كله ، ابن خلدون : العبر ج٦ ، ص ٦١.

وإعادة مجد المرابطين[١] فنفذ خطة أعدها في ذهنه وهو أن ينزل إلى بجاية ثم يهاجم إفريقية لأنها بعيدة عن المغرب الأقصى معقل الموحدين ولوجد قوة مناوئة لهم في إفريقية وهي قوة القبائل العربية [٢] استطاع ابن غانية الاسيلاء على بجاية بسهولة في اوائل شعبان من عام ٥٨٠هـ/١٢٠٢م وباتخاذ بجاية قاعدة لهم انطلق ابن غانية ومن معه إلى الاستيلاء على عدة مدن في المغرب لأوسط منها الجزائر ومليانة واشير والقلعة[٣] مما جعل الموقف في المغرب الأوسط خطراً فتصدى له المنصور الموحدي مما اضطر ابن غانية إلى اختراق الصحراء[٤] فوصل إلى بلاد الجريد وهذا هو الطور الصحرواي في ثورته أن يجعل حوله قبائل تلك المناطق متحالفين ضد الموحدين [٥] وهذا مما ساعد على خطورة ثورة ابن غانية وخصوصاً بعد قطع الخطبة للموحدين في البلاد التي استولى عليها وأمر بالدعاء للعباسين باسم الخليفة العباسي اهتز الخليفة المنصور الموحدي فجهز جيشاً كبيراً عدته عشرون ألف مقاتل وزوده بالعتاد والسلاح واسند القيادة إلى ابن عمه السيد ابن زيد بن أبي حنصى وفي نفس الوقت جهز اسطولاً كبيراً جداً واسند قيادته إلى ثلاث قواد ابن محمد بن اسحاق بن جامع وابي محمد عطولي الكومي وابن العباس الصقلي وسار الأسطول في البحر متوازياً مع الجيش البري حسب خطة عسكرية متوجهة براً وبحراً[٦] مع بعث الجواسيس والمراصد برسائل إلى أهل البلاد بالأمن والصفح ولتتبع تلك الحملة ويذكر ابن عذاري [٧] وكان أبو يوسف المنصور اتبع امراء الجيوش البرية والبحرية كتباً لأهل سائر البلاد ولما دنت الحملة من البلاد درسوا بالكتب جواسيس رحلوا بها ليلا إلى البلاد واجتمعوا بها مع من يوثق به للأمن لما وافقوا عليها ورأوا أنهم قد أمنوا غوائل العذاب [٨] وثبوا على من كان عندهم من الأعداء وأرصدوا من همَّ بالفرار منها وقبضوا على أكثرهم في ملجأهم بتلك المخانق وسبقت الأساطيل ففتحت الجزائر [٩] ثم فتحت بجاية بنفس الخطة العسكرية مع المراصد في ذلك الوقت استولى الموحدون على ميورقة وكتب عبد الله غانية من إفريقية إلى صقلية ليتعين منها على إمداد جيش بحري ليواجه به أموره إلى جانب أنه بعد خلعه على يد الموحدين من البلاد التي اقتطعها لاذ إلى نواحي طرابلس وما وراءها يالف لوجهاء العرب وأديائهم ويستميل لهم والعالة والمنصور بحضرته يستقرأ أخباره[١٠] وبدخول عام ٥٨٢هـ وصلت أخبار الميورقيين إلى الحضرة الموحدية بانهم ضيقوا على بلاد الجريد وتغلبوا على ما تطرف منها في الثغر الأقصى والشاو البعيد [١١] فخرج المنصور من مراكش لملاقاتهم لكن في عام ٥٨٣هـ كانت موقعة عمرة بالقرب من قفصة وقابس وانهزم فيها الموحدون على أثر خديعة غلبتهم من ابن غانية وحلفائه الذين استولوا على خيل وعتاد الموحدين[١٢] بنظرة ثاقبة إلى هذه الواقعة وانهزام الجيوش الموحدية رغم ما لها من عتاد وعساكر وخطط عسكرية نجد عدة زوايا مهمة في تاريخ المنطقة الوقعة ، فمنذ دخول ابن غانية إلى إفريقيا ساءت أحوالها فيخبرنا ابن شداد [١] "هلك العباد وخربت البلاد" وكان الشتاء

---

(١) ابن خلدون العبر ج٦ ص ٦١.

(٢) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ٢٣. وأنظر ابن خلدون ج٦ ص ١٦١ وما يليها.

(٣) المصادر السابقة.

(٤) نفس المصادر نفس الأجزاء والصفحات.

(٥) ابن عذاري : البيان ج٣ ، ص ١٤٨ ، إنه يذكر أنه وزع المال والمتاع والثياب التي استولى عليها من تلك المدن التي احتلها.

(٦) مراجع غناي : سقوط دولة الموحدين ص ١٨٠١ ، محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، المرابطين والموحدين ، ج٣ ص ١٥١.

(٧) المصدر السابق ، نفس الجزء ، وانظر العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٥٩.

(٨) نفس المصدر والصفحة.

(٩) نفس المصدر والصفحة.

(١٠) نفس المصدر والجزء ، ص ١٨٥.

(١١) ابن عذاري : ج٣ ص ١٨٥-٢٨١ ، للتفاصيل ، أنظر نفس المصدر والجزء ص ١٨٧.

(١٢) نقله التجاني ، انظر الرحلة ، ص ١٤.

فيخبرنا ابن شداد [1] "هلك العباد وخربت البلاد" وكان الشتاء قاسياً فهلك الناس ونهبوا من عسكر ابن غانية [2].

ومن زاوية أخرى أنه تحالف مع بعض القبائل العربية الموتورة وضمهم جنداً معه إلى جانب حفظهم لمغاور الصحراء والأطراف النائية التي يمكن التوغل فيها في الجبال أولا عند قفصة وجنده ثم إلى الواحات أو بلاد الجريد بمساعدتهم الكر والفر في حروبه واستغلاله اضطراب وقلاقل هؤلاء العرب خصوم الموحدين في منطقة إفريقية قبل ذلك بأعوام مثل ثورة بني الرند بقفصة ٥٧٦ التي أخذها الموحدون واسندت ولاية إفريقية للسيد على ابن الحسين[3] أخي الخليفة أبي يعقوب ، ثم قامت بعدها بفترة قصيرة ثورة بني سليم بأحواز قابس الذين السيد على أبي الحسن ومن معهم عند تصيدهم لبني سليم ، وكان ذلك على مقربة من قابس ، كل هذا وما شابهه من قلاقل ، كان المشجع الأول في اختيارهم قبائل العرب ومنطقة إفريقية فسرها لمناوأة الموحدين [4] وتملك إفريقية.

يتضح لنا مما سبق أن ابن غانية اختار تلك المناطق من إفريقية لا لعلم العرب بمغاوزها وأحوازها ، لكن من الأهم أيضاً أن الولاء فيها للموحدين غير ثابت ، وكان استيلاء بني غانية وتوغلهم فيها مسرحاً لمختلف الدسائس والتيارات المخالفة [5].إلى جانب زاوية أهم أيضاً ، هي بالإضافة إلى كل ذلك ،

كان هناك تحالف جبار بين بني غانية وقراقوش الأرمني المملوك الغزي التقوي [6] الذي توغل بجيوشه في هذه المنطقة أيضاً إلى جانب استيلائه على طرابلس وماعداها إلى قابس وتحالف الجانبين على قطع الخطبة للموحدين والدعوة لطاعة العباسين وكان الخليفة في ذلك الوقت الناصر لدين الله الذي طلبوا منه في رسالة الخلع والمراسيم والأعلام [7] ، فأرسل إليهم رسولا هو الفقيه أبو الفضل عبد المنعم بن عبد العزيز الإسكندراني [8].

فتلك الزوايا مجتمعة كانت من أهم القوى الرئيسية في هزيمة الموحدين في وقعة عمرة بالقرب من قابس في أحواز قفصة ، ورغم الإزعاج التي سببته تلك القوى الثلاثية المحورية للدولة فإنها استعادت انتصارها " فتحرك إليها المنصور بن يعقوب وكانت له عليها الواقعة المعروفة " بوقعة الحامة" وذلك في سنة ثلاث وثمانين [9] ، بعد أن توجه إلى قفصة " فحاصرها حصاراً شديداً إلى أن خرج أهلها راغبين في العفو فشارطهم على تأمين أهل البلد في انفسهم خاصة وتبقى أملاكهم بأيديهم على حكم المساقاه وجميع من عندهم من الجنود والغرباء يترلون على الحكم[10] لقد اندمج الزمان والمكان في تحالف ابن غانية وقراقوش والعرب لصنع حركة مناوئة ومحاولة تملك قابس وإفريقية لكن النصر كان للموحدين أخيراً ، بعد زمان طويل من الحروب والمعارك هذه الحروب والمعارك أهلكت قابس وجعلتها مسرحاً لهذه القوى المتصارعة في منطقتها إذ واصل يحيى بن غانية [11] حربه الشديدة ضد الموحدين بلا هوادة بالرغم من

---

(1) المصدر السابق نفس الصفحة.

(2) مراجع غناي ، سقوط دولة الموحدين ط١ ص ١٨٠ ، محمد عبد الله عنان : المرابطين والموحدين ج٣ ص ١٥١ ، أحمد إبراهيم : بنو غانية – رسالة دكتوراه – بآداب الإسكندرية كم تطبع.

(3) المراكشي : المعجب ، ص ٢٢٦ ، وانظر : محمد عبد الله عنان : دولة المسلمين في الأندلس ، العصر الثالث ، ج٢ ص ٨٤٩ – ١٥٥.

(4) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ص ١٨٨-١٨٩.

(5) عنان : نفس العصر والقسم ص ١٥٤-١٥٥.

(6) سيأتي ذكره إن شاء الله فيالجزء الخاص بالمماليك الغز.

(7) المرجع السابق ، ج٢ ص ١٤٩-١٥٠.

(8) ابن سعيد : الغصون اليانعة ، ذخائر العرب ، رقم ١٤ ، ط دار المعارف ص ١٧٩.

(9) التجاني : الرحلة : ص ١٠٣.

(10) المصدر السابق ، ص ١٣٨ ، وانظر رسائل موحدية ، الرسالة ٣٠/ الرسالة ٣١.

(11) لقد استمرت حروب بني غانية على التوالي ، نجد المصادر تتحدث عن استحقاق وعلى يحيى ، أي أن تلك الحروب كانوا يتناوبون عليها كأسرة لحنقهم على الوحدين الذين سلبوهم أمجاد المرابطين أجدادهم.

ظروف مواجهات الموحدين لقوات تلك الممالك المسيحية التي تكالبت في الأندلس على الثغور الإسلامية[1] لتحقيق حركة الاسترداد المسيحي Reconquista وظلت في عدوان متواصل ، كان على القوات الموحدية ضده والدفاع عن الجبهة الإسلامية ، فإلى جانب هذا كله كان على القوات الموحدية أن تواجه بني غانية وتخمد ثورات أخرى تظهر في إفريقية مثل ثورة الأثل الزاب وقلعة بني حماد[2] ، وثورة عبد الكريم الرجراجي للاستيلاء على تونس والمهدية والذي ما لبث أن اتجه نحو قابس حيث كانت حينئذ معقل يحيي بن غانية[3].

لكن الرجراجي ومن معه ذهلوا من الحصانة التي تتمتع بها ووفرة القوات العسكرية المحيطة بها ، فخاف أن يحاصرها فلا يستطيع الاستيلاء عليها ، ففضل أن يتوجه قفصة لبعدها عن ابن غانية ولاعتقاده أنها أقل حصانة من قابس ، لكن ابن غانية ظل يلاحق الرجراجي واتباعه حتى حصره في المهدية وتغلب عليه بحيله سياسية بارعه عندما اتحد مع أبي زيد بن الحفص وإلى إفريقية الموحدي لمساعدته في القضاء على الرجراجي ، فبعث إليه سفينتين وقعتا أمام المهدية لتشديد الحصار عليه ، واسقط في يد الرجراجي عندما رأى سفن الموحدين ففتح المهدية أمام ابن غانية وطلب المفاوضة فيه وتسليم المدينة مقابل الأمان لكن ابن غانية غدر به وبابنه[4].

لم يكتف يحيي بن غانية بفتح المهدية بل ظل يحاول في تحقيق انتصارات أخرى ضد الموحدين في نواحي إفريقية الأخرى ، مثل باجه التي قتل عاملها الموحدي وفرت قواتها الحامية إلى نواحي شقنبارية [5] والأربس ، ثم ظلت المطاردة تشمل نواحي قسطنطينه في المغرب الأوسط وقطع أيدي أهلها حتى خافت البلاد منه ، فنجد مدينة بونه (أو عنابة) تسلم له بالطاعة اتقاء لشروره ، ولكن مع ذلك لم تكن كل المدن تسلم ، فنجد مدينة طره تثور على ابن غانية ، وكذلك أهل الجامة وأهل قابس [6] فنالهم من الظلم والتنكيل الكثير من ابن غانية وقواته ، وهذا يدل على أن قابس كانت دائماً تواجه الظلم وترفض الاستلام بسهولة [7].

كان على القوات الموحدية أن تجابه شروراً ابن غانية وتغلبه من إفريقية وتنقذها من أثامة وعدوانه .. لذا كانت هناك خطة عسكرية موحدية هي مجابهة قوات بني غانية في جبل دمر جنوب قابس والمهدية في وقت واحد ، نزل السلطان الموحدي بقابس لتكون مركزا له فتناهت أخبار ابن غانيه أنه يعتصم في جبل دمر[8] الذي انتقل إليه قواته فاتجه الخليفة الموحدي مباشرة إلى المهدية وبعث الشيخ عبد الواحد بن حفص إلى مكان ابن غانية الذي يعتصم به مع قواته وأصحابه الذين حرضوه على التصدي والمواجهة مما جعله يلتقي بقوات ابن حفص في منطقة تاجر وهي منطقة جنوب قابس وأقصى جنوب إفريقية من ناحية الشرق ابن غانية بهزيمة منكرة واستولى الموحدون على أموالهم وسلاحهم وعسكر ابن غانية بمجموعة – أخلاقه كان لهذا النصر صدى كبير وفرح للموحدين سجله الشعراء [9] ومعرضين بخصومهم من جزر الأندلس أو الشرق من الغز ، كما كان فرصة عظيمة لظهور الدولة الحفصية فيما بعد[10] ومعركة تاجر تعتبر من المعارك الفاصلة بين الموحدين وبني غانية.

ابن عذاري : البيان .. ج٣ ص ١٤٨ -١٤٩ ، التجاني ص ١٠٤ – ١١٠ ص ٣٥-٣٠٤,

(1) المصادر السابقة ، نفس الأجزاء والصفحات.

(2) ابن خلدون ج٦ ، ص ٤١١ ، وابن عذاري ج٣ ص ١٩٣ ، والتجاني ص ١١٢.

(3) المراكشي : المعجب ، ص ٢٠٧ ، وابن عذاري ج٣ ص ١٨٩.

(4) التجاني : ص ٣٣٥.

(5) ابن خلدون : العبر ، ج٦ ص ٤٠١ وهي الكاف بعد ذلك الزمن (وفي الوقت الحاضر) انظر الخريطة في الملحق.

(6) رحلة التجاني : ص ١٤٧.

(7) المصدر السابق ، نفس الصفحة.

(8) التجاني : ص ٣٥٧ – ٣٥٨.

(9) ابن عذاري : ج٣ قسم الموحدين ص ٢٢١-٢٢٢.

(10) المصدر السابق نفس الجزء والصفحات.

لما تحرك الناصر الموحدي يحيى بن غانية تراجع الأخير عن كل إفريقية فيما عدا المهدية وعلى مقربة من قابس حيث تحصن عند جبل تاجرا [١] وكان يرافقه جموع العرب الذين كانوا في المهدية ولذا أرسل إليه الناصر قائده المحنك الشيخ عبد الواحد في أربعة آلاف من الجنود ، وأثر أن يبقى هو محاصراً للمهدية.

أدخل ابن غانية في قتال مرير كان فيه من الخدع التي لم يحفل بها خصمه القوي بها بل هجم عليهم بكل قوته والتحم معهم في قتال مرير لم يصمد معه ابن غانية ومن معه من العرب ففر إلى طرابلس تاركاً وراءه غنائم كثيرة هي حصيلة ما جمعه بنو غانية في عشرين عاماً من بجاية إلى طرابلس وعاد الشيخ عبد الواحد بالغنائم ، وعاد معه أعداد هائلة من أسرى الموحدين الذين احتفظ بهم ابن غانية.

ولقى جبارة أخو يحيى مصرعه في المعركة ، وكان من القتلى أيضاً علي بن اللمطي كاتب يحيى بن غانية وكذلك القائد الفتح بن محمد. ودخلت القوات الموحدية قابس[٢] التي عيَّن لها الناصر عسكراً لحمايتها من الأعداء. وعرضت غنائم تاجرا في معسكر الناصر بالمهدية أما الراية العباسية السوداء فقد نصبت في مكان بارز ليراها أهل المهدية [٣].

إن النصر الذي حققه الموحدين في تاجرا والنصر الذي حققوه من قبل في حامة مطماطة، وإن كانت موقعه مطماطة أشد ضراوة ، وكانت حشود الطرفين أضخم. من أكبر انتصارات الموحدين هي مطماطة لأن الخليفة يعقوب كان على رأس الجيش بنفسه ، أما تاجرا فقد قادها أحد قواد الناصر ابن الخليفة يعقوب.

إن معركة مطماطة وتاجرا من أهم المعارك الحربية في حلقات الصراع بين الموحدين وبني غانية. وبعد مطماطة هرب علي ابن الغانية إلى الجنوب حيث توفي [٤] ، أما بعد تاجرا فقد هرب يحيى ابن غانية إلى الشرق حيث واصل صراعه المرير.

وفرار يحيى ابن غانية اتجاه الشرق أطال أمد المقاومة وزاد في عمليات الكر و الفر على طول الساحل على خليج سرت توجد مناطق عامرة كما توجد فيها بعض القبائل العربية كانت عوناً لإبن غانية على أن يواصل صراعه مع قوة الموحدين[٥].

ولم يشأ الناصر أن يفعل مثلما فعل أبوه من قبل حينما رجع إلى المغرب عقب سقوط قابس وقفصة غرب قابس في قبضته معتقداً أن أمر بني غانية قد انتهى[٦] ، ثم وضحت له فيما بعد استمرار حركتهم وعودتهم لتهديد أمن الموحدين في إفريقية.

لذلك قرر الناصر الاستمرار في مطاردة ابن غانية حتى يقضي عليه نهائياً فهزيمتهم في تاجرا لا تمنعهم (بنو غانية) من العودة إلى إفريقية كما كانوا من قبل ولذلك أرسل الناصر أخاه أبا اسحاق ابن يعقوب في جيش لمطاردة يحيى وخرج القائد أبا اسحاق في سفر ٦٠٣هـ ـ ١٢٢٥م وقضى في طريقه على بنو دمر الذين كانوا يشجعون ابن غانية وهم كانوا يقطنون جنوب قابس على مقربة من مطماطة[٧].

ثم استمر الناصر في سيره حتى وصل إلى جبال نفوسه وأخضع البربر فيها بعد ما قتل منهم الكثير ، وظل أبو اسحاق يكتفي اثر يحيى ابن غانية ويطارده من مكان إلى آخر ويحيى

(١) تاجرا — جبل صغير قرب قابس ويعرف برأس تاجرا. التجاني — ص ١٢٠.

(٢) مجموع رسائل موحدية — رسالة ٣٧ ص ٢٥٥.

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٤ ص ٢٠٦ — ٢٠٨ وانظر المصدر السابقة رسالة رقم ٣٠-٣١.

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب .. ج٣ جزء الموحدين ص ١٧٩ - ١٨٥.

(٥) أنظر أحمد إبراهيم بني غانية .. رسالة دكتوراه بكلية الأداب جامعة الإسكندرية لم تطبع ، ص ٢٨٤.

(٦) رسائل موحدية رسالة رقم ٣٠ ورسالة رقم ٤٧ ص ١٤٥-٢١٢.

(٧) انظر الخريطة ، ملحق رقم

ابن غانية يواصل الهروب شرقاً ، فاكتسح الناصر الموحدي أرض سويقة بني مذكور[١] وواصل المسيرة حتى واصل بجيشه إلى ما وراء جبال سرت.

وعندئذ اعتقد أبو اسحاق أن دمر يحيى كاد أن ينتهي كما خشي من التوغل في صحراء برقة[٢] التي هي بعيداً عن قواعد الموحدين في إفريقية وفي نفس الوقت قد يتحرك يحيى ابن غانيه فيها لذا عاد إلى طرابلس وترك عليها عبد الله ابن إبراهيم ابن جامع [٣]

مع الموحدين :

لما استقر الحال بدولة الموحدين بدأت في دفع احتلال الفرنجة في الأندلس وإفريقية[٤]، وجعلهم تحت راية الإسلام وابتدأ هذا الجهاد المبارك في إفريقية والتحمت أساطيل الموحدين بأساطيل النصارى أصحاب صقلية حتى انتصر المسلمون وأخرجوهم وبذلك خرج الموحدون لفتح إفريقية والراب[٥] " وفي أثناء هذا ظهر في العرب بنو سليم القائمين بتعديهم على مدينة قابس مما أوجب استدعاءهم [٦] وكان ابو محمد بن عبد المؤمن قد خاطبهم أولاً بالشعر لاستدعائهم وصبير على الرد عليه من جانبهم " وقد كانوا تغلغلوا على مدينة قابس فجرد إليهم عسكراً وأقام هو على مدينة المهدية ، فما كانت إلا أيام ووصل خبر الفتح بهزائمهم وبقتلهم[٧] أرسل أهل قابس إلى محمد بن عبد المؤمن بالتوحيد من قبل ذلك[٨] وفتح الموحدون قابس وأصبحت مترل الموحدين – أعزهم الله – بظاهر قابس – حرسها الله –[٩].

قد عانت قابس من هجوم الميورقيين[١٠] وهجوم قراقوش الأرمني[١١] أمر المنصور أبو يوسف بالاستعداد الحربي وأعد السير إلى قابس لتخليصها ويذكر ابن عذاري[١٢] أن المنصور عشي الليل عليه ، وهو على مقربة من قابس ، فبات أهلها آمنين واثقين من انتصارهم علي يديه " وانفذ المنصور عند وصوله إلى قابس جملة خيل ورجال ورماة وأبطال يحرسون من فيها من الأعداء عن الفرار ويطوفون بها إلى حين اللحاق بالعساكر مع طلوع النهار[١٣] وبعد ذلك فتحت قابس وبلاد الجريد كلها[١٤]، في عام الأحماس ، لقد كان على مقدمة العسكر الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي حفص ، وانتصر في قابس وفتح حصنها وأبلى بلاء حسناً ، وكان هذا هو أول ظهور أبي حفص الهنتاني على مسرح الأحداث السياسية ، بعد ذلك سيظهر الموحدون

(١) تقع بين لبدا ومسراطة وهي قرية من البحر ناحية مسراطة وهي تتكون من قرى كثيرة عامرة منها قرية بني حسن.

(٢) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ج٣ ، ص ٣٠١.

(٣) ابن الأثير الكامل .. ج١٠ ص ١٨٩.وعن بني جامع هي أسرة نسبها إلى إبراهيم بن جامع وأصلهم من الأندلس استخدمهم في قيادة أســاطيلهم .
انتظر حمدي عبد المنعم بحث أسرة بني جامع ودورها في عصر الموحدين ط إسكندرية ص ١١

(٤) وضع محمد بن عبد الله بن تومرت* أسس دولة الموحدين وهو أيضاً مؤسس دعوته وهو ينحدر من أصدى قبائل المصامدة وهي قبيلة هرغة* مع أحــــر القرن الخامس ومطلع القرن السادس من الهجرة الثاني عشر من الميلاد سافر إلى الأندلس في بداية رحلته التعليمية إلى المشرق والتقى بشيوخ العالم وعاد بالورع والعلم الغزير عام ٥٠١-١١١٩ وتلك كانت بداية ثورته وتصميمه على إقامة دولته والتخلص من كل الانحلال الذي بدأ يستشري أواخر عهد المرابطين*

* المراكشي : المعجب ، ص ١١٨-١٨٧.

عز الدين عمر موسى : الموحدون في المغرب الإسلامي (ط. دار الغرب الإسلامي) ١٤١١هـ ، ط(١) ص ٣٥ وما يليها.

* المصدر والمرجع السابقين نفس الصفحات

(٥) ابن عذاري: البيان: ج٣ قسم الموحدين تح/ احسان عباس ، ط. بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ط٢، ٦٢.

(٦) نفس المصدر والمكان.

(٧) نفس المصدر ، ص ٦٣.

(٨) ابن عذاري : ج٣ ، ص٦٧.

(٩) مجموع رسائل موحدية ، لي لافي رقنصال ص ١٨٣ الرسالة رقم ٣ط. رباط الفتح (١٣٦١هـ/١٩٤١م)

(١٠) أصحاب ميورقة وجزر شرقي الأندلس وهم من بقايا دولة المرابطين.

(١١) مملوك من الغز الأرمني تابع لتقي الدين ابن أخي صلاح الدين الأيوبي.

(١٢) المصدر السابق ، ص ١٩٢

(١٣) نفس المصدر والمكان.

(١٤) رسالة موحدية : رسالة رقم (٣٠-٣١) ص-ص١٥٣-١٩٢.

أول ظهور أبي حفص الهنتاتي على مسرح الأحداث السياسية ، بعد ذلك سيظهر الموحدون على مسرح الأحداث في قابس ليجهزوا على حركة بني غانية وقراقوش الأرمني مملوك تقي الدين ابن أخي صلاح الدين الأيوبي[1].

زحف المنصور الموحدي على قابس ليخلصها من قراقوش واتباعه الذين لم يصمدوا طويلاً أمام جيوش المنصور ، فاستسلموا وغادروا قصر العروسين[2] ، ونزلوا إلى مكان المنصور ، فكان المنصور راغبين في الأمان ، فقبل المنصور ذلك منهم ، وبعث بهم بحراً إلى حاضرة تونس ثم توجهوا بعد ذلك إلى مراكش.

وتابع المنصور انتصاراته وقضى على مقاومة المتمردين وعادت إلى حوزته مدن وقرى الجنوب الغربي من إفريقية ، كتوزر ونفطة وحامة الجريد ثم اتجه بعد ذلك إلى قفصة التي تركها عمداً لتكون الجولة الحاسمة بينه وبين أعدائه بعد أن سد عليها منافذ الإمدادات ومسالك النجدات[3] وقد تحصن بها خصمان – يحيى بن غانية وقراقوش الأرمني واتباعهما، وقطعت غابة قفصة كإنذار لهم وحرباً نفسية لسكان المدينة ، وشيد الموحدون برجاً متحركاً من سبعة طوابق شحن بالرماة واقتربوا من الأسوار فأصبح في مستواها ، وبذلك تمكن الرماة من إصابة أهدافهم[4] وانتصروا عليهم ، كان من نتيجة تلك المعركة تخاذل قراقوش الأرمني عن ابن غانية، وأعرب عن خضوعه للمنصور الموحدي ، فأمنه المنصور ، كما أمن أهالي قفصة[5] لم يكن انتصار الموحدين بزعامة المنصور من تونس التي توجه إليها بعد معركة قفصة لينظم شئونها[6] ، هذا التحالف الذي كان تحالفاً وقتياً ، قصد به قراقوش مرة أخرى تهيئة الفرص لتحقيق أهدافه وطموحاته ، فبعد إقامته مدة عند والي تونس الموحدي الشيخ أبي زيد بن أبي حفص[7] ، انصرف هارباً إلى قابس حيث دخلها بالخديعة وقتل جماعة من سكانها واستدعى أشياخ العرب الدبابيين فقتل أعيانهم بقابس ، ومنهم محمد بن طوق الذي تنسب إليه المحاميد ، وحميد بن جارية وتنسب له الحواري في سبعين من كبارهم وذلك داخل قصر العروسين فصمم العرب على الانتقام منه فانحازوا لابن غانية[8].

يذكر التجاني[9] أن موضع قتلهم شيوخ قابس – بقي مشهوراً إلى وقت رحلته. بعد ذلك شعر بن غانية بخطر قراقوش الأرمني الذي رجع يحقق انتصاراته في قابس وأحوازها ، أي الجنوب الشرقي من إفريقية بينما ابن غانية قد استحوذ على مناطق بلاد الجريد وصحرائها في الجنوب الغربي من إفريقية. قرر ابن غانية أن يجد من نفوذ قراقوش الذي أحس بنية خصمه ، فخرج بعد أن ترك من طرابلس وقابس نائبه المسمى ياقوت الإفتخار ليلتقي بابن غانية عند منطقة محسن ناحية طرابلس ولم يثبت قراقوش أمام بن غانية وانصاره ففر هارباً في مفاوز جبل نفوسه[10] وثبت بن غانية حتى أنه طلب الإمداد من جزيرته ميورقة للمحاصرة براً وبحراً وبعد معارك وحصار استطاع ابن غانية أن يسيطر على قابس وطرابلس وبذلك أصبح ابن غانية مسيطراً على أغلب البلاد الإفريقية واستطاع أن يخرج قراقوش الأرمني وبطانته من العز الأتراك من قابس وطرابلس وبالتالي[11] مما يلفت النظر هو جبروت هؤلاء المغامرين، فقراقوش مثلاً

---

(1) انظر : الأجزاء القادمة من هذا الفصل.

(2) التجاني : ص- ص ١٠٥-١٠٨.

(3) المصدر السابق ، نفس المكان ، ومحمد العطوي ، السلطة الحفصية دار المغرب الإسلامي ، ص-ص ٣٦-٣٧.

(4) ابن عذاري : البيان ، ج٣ ص ١١٦.

(5) انظر : التجاني : ص-ص ١٠٤-١٠٦.

(6) المصدر السابق نفس المكان.

(7) المرزوقي : قابس ، ص ١٣٩ والعروس المطوي ، ص-ص ٤٨-٤٩.

(8) التجاني : ص ١١٠ ، والمراجع السابقة ، نفس الصفحات.

(9) الرحلة : ص ٢٤٢.

(10) المصدر السابق ، نفس المكان ، وأنظر: محمد العروس المطوي ، السلطنة الحفصية ص-ص ٤٩-٥٠.

(11) التجاني : الرحلة ص ٢٤٥.

يتخلى عن جبروته عندما يحس بإطلال الهزيمة فيسارع إلى الطاعة للموحدين[١] وهذا مرة بعد مرة ، فهل كان ذلك من باب الخديعة[٢] ؟

والمرة الثانية هل كان من باب أن ابن غانية هو الأقوى ؟ أم من باب المهادنة للمصالحة ، حيث أنه في عام ٥٨٦هـ كانت هناك سفارة على رأسها الأمير ابن منقذ موفدة من قبل صلاح الدين إلى الخليفة ابن يعقوب الموحدي الذي كان مشغولا في ذلك الوقت بمحاربة الصليبين وحماية الأندلس منهم، وكذلك صلاح الدين الذي استنجد بالخليفة الموحدي لإمداده ببعض السفن[٣] لمساعدة في منازلة الصليبيين المتربصين لعكا وطرابلس وصور[٤] أي أن الوضع في العالم الإسلامي كان مضطربا بسبب حركة الصليبيين المسماة في الأندلس بحركة الاسترداد Recome quista وفي الشرق كان الهدف والأمل في بيت المقدس[٥].

لذلك شعر صلاح الدين بحاجته إلى أسطول بحري قوي لأحكام حصار عكا بالشام ، ولذا فكر في الاستعانة ببحرية الموحدين لتحقيق هذا الهدف ولقطع الطريق البحري بين أوربا والشام ولحصار مواني صقلية النورمندية التي وضعت مقدراتها في خدمة الأهداف الصليبية الشام – وأرسل صلاح الدين رسولا إلى يعقوب المنصور هو شمس الدولة عبد الرحمن بن منقذ من بيت بني منقذ أصحاب شيزر بالشام – وأكرم يعقوب السفير وأرسل ١٨٠ قطعة بحرية للشام.

وقد تظهر وثائق في يوم ما تثبت ذلك أو تنفيه فبعض المؤرخين يتشكك في استجابة يعقوب ويهمنا من هذه الناحية أن صلاح الدين اعتقد أن يعقوب غاضب لأعمال قراقوش تابع صلاح الدين فخاف أن يدفعه غضبه إلى رفض إرسال المعونة البحرية إليه. لذلك أمر صلاح الدين رسوله بأن يرد – إذا سئل عن أعمال قراقوش – بقوله (وإن سأل عن المملوكين بوربا قراقوش وذكر ما فعلا في أطراف المغرب بمن معها من نفايات الرجال الذين نفتهم مقامات القتال فتعلمهم أن المملوكين ومن معهما ليس من وجوه المماليك من الأمراء ولا من المعدودين في الطواشية ومعاذ الله أن نأمر مفسداً بأن يفسد في الأرض[٦].

ولا شك أن هذه الإهانات التي لحقت بقراقوش كان لها أثرها العميق على سلوكه المتقلب عندما نكث تحالفه مع بني غانية وأرتمى في أحضان الموحدين ، وقد أثار ذلك حفيظة بني غانية عليه فاعتبروه ناكثا للعهد غادراً للوعد إذ لم يشاركهم المصير السيئ بعد سقوط قفصة ، ولم يحاول بنو غانية التماس العذر له ، وتقدير موقفه بعد أن تخلى صلاح الدين عنه ، هذا إلى أن بني غانية كانوا هم أيضاً في حالة سيئة يعانون الضياع والتشرد في صحاري الجنوب ، وقد دفعهم هذا الضيق والإرهاق بأن ينسبوا مسئولية ما حاق بهم إلى قراقوش ، فبينما هم في حالة تشرد كان قراقوش ينعم في تونس في حمى الموحدين ، وقد ردوا إليه حريمه وأولاده وأمواله التي كان أودعه في قابس بعد انصارهم وتمركزهم بقابس ، وكان قد خباها فيها ورغم ذلك فقد فضل قراقوش العودة إلى أسلوب المغامرات فترك تونس والتقى بجنده القدامى في بلاد الجريد على مقربه من قابس وقتل شيوخها من بني كعب ودياب.

ووصلت أخبار فرار قراقوش إلى مسامع يحيي بن غانية الذي تحرك على الفور لمطاردة غريمه وعاونه بنو دياب ابن غانية في المطارة ثأراً لقتلاهم.

وتراجع قراقوش عن الجريد إلى قابس وتحت ضغط المطاردة تراجع إلى طرابلس ولكنه فشل في الاحتفاظ بالمدينة فهرب إلى فزان ودخل في قتال مع بربر هوارة هناك وكانوا يكرهونه

(١) المصدر السابق ص ١٣٠-٣٥٣.

(٢) التجاني : ص-ص ١٠٤-٣١٠.

(٣) محمد العروس المطوي ؟؟؟ الحفصية ط. بيروت ط١ ص-ص ٤٩-٥٠.

(٤) ابن خلدون : ج٦ ، ص ٢٤٦.

(٥) ابن عذاري : ص-ص٣ -٨٣ وما يليها.

(٦) ابن واصل – مفرج الكروب – ج٢ ص ٣٦١ ، ٤٩٦ ، ٥٠٠. سعد زغلول – العلاقة بين صلاح الدين وأبي يعقوب ، ص ٤ ، ٧ ، ٨ ، ١٣ ، ١٤. العبادي : تاريخ البحرية ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩

وأنظر أحمد طه إبراهيم ، بنو غانية : رسالة دكتوراه لم تنشر ص ٢٦٩-٢٧٠.

لقسوته واستبداده وتخريبه الكثير من بلدانهم وكما سبق أن فعله مع ملوكهم من بني خطاب[1]، غير أنه كان هناك بعض قبائل العرب تسانده في التخريب والسلب فرصة للفوضى والتخريب.

وأخيراً استطاع بني غانية ومعه بنو دياب العرب أن يحصروا قراقوش في ودان بفزان حتى نفذت الأدوات لدي قراقوش ورأي الاستسلام وقرر ابن غانية وبنو دياب قتل قراقوش هو وولده ، وطلب منهم قراقوش أن يقتلوه قبل ولده فوافقوه وصلبوه هو وولده بظاهر ودان وكان ذلك في ٦٠٩هـ[2].

مع النورمان في صقلية :

استولي النورمان[3]، في سنة (٤٨٤هـ / سنة ١٠٩١م) على صقلية وطردوا العرب منها بعد سلسلة من الحروب واستقروا بها لتكون قاعدتهم في محاولاتهم للاستيلاء على مدن أفريقيا وغيرها من مدن الشمال الأفريقي بحكم موقع جزيرة صقلية الجغرافي[4]، وذلك في عهد روجار الأول[5]،

إلى جانب أنه اتخذ قائداً محنكاً داهية لأسطوله هو جورج الأنطاكي[6]، الذي كان يخدم بني زيري في المهدية فعرف جغرافية مدن ساحل أفريقية جيداً مما زاد الحالة سوءاً أن رافع بن مكن الدهماني استجار بروجار ضد حكام أفريقية من بني زيري (على والحسن) تمكن لنفسه وإعلاءاً لشأن قابس وبني جامع فيها ، فكانت تلك هي الفرصة الذهبية التي امتصها روجار الثاني ببراعة لما تولي على ابن يحي بن تميم بعد وفاة أبيه من ٥٠٩هـ زاد في عهده اضطراب العلاقة بينه وبين النورمان في صقلية فلقد كان يحي يريد سياسة أكثر قوة فيستعيد السيطرة الإسلامية في حوض المتوسط بحرياً خارجياً ، أما برياً وداخلياً فقد رأي أن يبدأ بالسيطرة على مدن أفريقيا وفرض هيمنة بني زيري عليها وهذا هو السبب الذي جعله يقاوم رغبة رافع ابن مكي صاحب قابس في أن يجري السفينة التي بناها رغم مداراة أبيه يحيي لذلك لدرجة أنه ساعد في بناءها بالخشب والحديد[7]، لكن عليا أعد عدته وتسلح لقتال رافع فعمر ست طرادات وأربع شواني[8]، وخرج ليقاتل رافع الذي استنجد بدوره بروجار صاحب صقلية الذي قدم له كل عون ومساعدة من أجل تقوية نفوذ قابس[9]، كانت هذه المساعدة ظاهرية لكن باطنها أن جعل مدن شواطئ خليج أفريقية خاضعة له[10]، ويذكر النويري[11]، أن السفن لما اجتازت المهدية أخرج على قطع أسطوله من الحربيات والشواني لتتبعه فالتقوا بها لكن أسطول روجار رجع إلى صقلية بعد أن عرف أنه لا قبل له بمحاربة على فكان لنصر المسلمين صدي كبير ،

---

(1) التجاني ص ١١٢.

(2) التجاني ص ١١٠ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ – الزاوي ص ٢٢٢ – ابن غلبون – ص ٦٤.

(3) النور منديين Noramands شعب من أصل جرماني ، والكلمة نصفها الأول Nord أي الشمال الأوربي (السويد والدنمارك) وكانت لهم مقاطعة باسمها في جنوب فرنسا أو نورمنديا.

(4) لأنها تقع في نقطة التقاء القارات الثلاث ومنها انتشرت الحضارات المختلفة قديماً مثل الفنيقيين والرومان ، انظر: محمد توفيق المدني ، المسلمون في جزيرة صقلية ، ص ٨ ، وعن الجرمان انظر : محمد الشيخ ، المماليك الجرمانية ، ط. إسكندرية (١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م) ط. (١) ، ص ٢١١.

(5) من أسرة هوتفل النورمانديين انظر : أماري المكتبة الصقلية ، ط. بيروت ص ٢٧٣ وما يليها.

(6) وهو نصراني من المشرق ، تعلم العربية والحساب في انطاكية ثم إلتحق بتميم فحظي عنده ثم كان ابنه يحيى ، يشاوره ، وبعد وفاته إلتحق بخدمة روجار الثاني بصقلية والذي عينة قائدا لاسطوله.

(7) وهذا يوضح أن سياسة على هي فرض القوي عكس سياسة بن يحي في المهادنة والمبادرة ، انظر ابن خلدون ص ٦ وص ١٦١ والتجاني : ص ٩٧ ، النويري ص ٢٤ وص ٢٤٧.

(8) نوعان من قطع الأسطول الحربي سيأتي ذكرها في الفصل القادم : انظر سالم والعبادي : تاريخ البحرية الإسلامية.

(9) النويري : ص ١٣٢ ، ١٣٣ ، مصدر سابق ج (٢٤٧).

(10) حامد زبان : الإسلام والمسلمون في صقلية ، مجلة كلية الأداب ، بجامعة القاهرة لعام ١٩٧٥ ، ص ١٢٤.

(11) نهاية الأرب : ج (٢٤) ، ص ٢٤٩ مثل الشاعر الصقلي (ابن حمديس).

ونظم الشعراء فيه القصائد[1]، وبعد ذلك كانت هناك وحشة كبير بين روجار وعلى بن يحي وبين الحسن من بعده حتى أدت إلى تغلب الروم على المهدية ولقد تسبب فيه رافع عندما أرسل لروجار الأعانة على علي بن يحي فبعث له اسطولا ضخما لنصرته على الأمير علي ، ويذكر التجاني أنه لما وصل اسطول الأمير علي إلى قابس (فوجد الروم قد الروم قد نزل من قطعهم لضيافة أعدها رافع لهم) فلم يراعه وصول الأسطول فبادروا إلى قطعهم فغلبهم المسلمون على أكثرها[2]، ولما تم هذا الفتح لعلي دون قبائل العرب أعد الأساطيل لمحاربة قابس وذلك في سنة إحدى عشر وخمسمائة فلما بلغ رافعا أرسل جماعة من وجوه قومه راغباً في المصالحة[3]، ولما لم يستجب له على ارتاي رافع أن يصل القيروان ، لأن ولاءها من بني عمومته من العرب فسهلوا له مهمته.

تولي قابس بعد دخوله رافع إلى القيروان رشيد بن بني جامع الذي نعمت قابس بالرخاء في عهد ثم أوصى بالعهد إلى أكبر أولاده لكن غلب على دولته مولاه يوسف[4]، الذي انتهز فرصة خروج محمد بن رشيد –الذي تولي بدلاً من الأبن الأكبر من قابس لأمر ما وترك أحد أولاده نائباً له في قابس فطرده يوسف واستولي على قابس وأعلن الطاعة لروجار[5]، وكان روجار قد استولي على جزيرة جربة على خليج قابس لتكون خط الهجوم الأول له[6]، (وكان أهلها من البربر العرب يهاجمون كل سفينة تمر بهم) ، فكانت هذه الفرصة لروجار للاستيلاء عليها بحجة التخلص من تلك القرصنة[7].

وكان ذلك في عام ٥٢٩هـ وانطلقوا منها للاستيلاء شرقاً وغرباً على مدن أفريقيا فاستولوا على برشك وطرابلس[8]، ثم انطلق إلى باقي المدن مثل صفاقس وسوسة والمهدية وسلك جورج الانطاكي سياسة اللين والمهادنة وكان من عادة روجر كتابة الأمان[9]، عند استعمال الولاة المسلمون على البلاد الخاضعة ليعاونوه وكانت سياسة التسامح التي اتبعها روجر دعت إلى التجاء الكثير من العرب إليه إلى جانب تطور الأحداث في أفريقية لصالح النورمان عقب استيلائهم على طرابلس الأمر الذي أدي إلى استيلائهم على المهدية في عام ٥٤٣هـ – ١١٤٣م وسقوط الدولة الزيرية في أفريقية[10].

كانت قابس في عام ٥٤٢هـ – ١١٤٢م قد نشبت بها ثورة أهلية على أثر فتنة حدثت عقب وفاة أميرها – رشيد بن كامل ابن جامع – الذي كان له عدة أولاد أكبرهم معمر وأصغرهم محمد[11].

انتهز المولى – يوسف – هذه الفرصة فنقل ولاية العهد مختطيا الابن الأكبر – معمر – إلى الابن الأصغر –محمد – وذلك تمهيداً لنفسه ليتصرف في شئون الدولة منفرداً.

---

(1) المصدر السابق ، نفس المكان ، وانظر التجاني : ص ٩٩ يقول الكاتب محمد بن عبد الله يمدح على بن يحي تعدي على الأعلاج في بحر قابس : وسار إليهم في الخميس العرمرم مولو على الأدبار كلا واحفلوا : بنات نيا عنهم وطقس مقلم.

(2) التجاني : ص ٩٨.

(3) المصدر السابق نفس المكان.

(4) نفس المصدر ص ١٠٠.

(5) ابن أبي دينار – ص ١١٤.

(6) ابن أبي دينار المؤنس ، ط. بيروت ، (٣) ، ص ١١٤ .

(7) النويري : ج (٢٤) ، ص ٢٤٥.

(8) ابن الأثير : ج (١٠) ، ص ١١٤ والنويري : نفس الجزء ، ص ٢٤٦ ، وابن دينار ص ١١٤.

(9) التجاني : ص ١٠٠.

(10) ابن عذاري: البيان ج٣ : ٣٢٥ – ياقوت الحموي : فتوح البلدان : ٢٠٨.

- ابن خلدون : العبر ج٦ : ٣٤٠ – ياقوت : معجم البلدان م : ٧ ، ٢ ، ٤

The cambridge Med, Hist, V. 5 P. 190.

- ابن خلدون : المقدمة : ٢٥٤ – ٢٥٥.

(11) ابن الأثير : الكامل ج ١١ : ٥٤.

لجأ معمر (وبرفقته أخواله من بني هلال وسليم) إلى الأمير الحسن ابن باديس فشكا إليه ما فعل يوسف.

كان الأمير الحسن بن باديس متيقناً من قوة بني هلال وبنس سليم وأنهما يستطيعان أن يثيرا الشغب والفوضى في قابس الأمر الذي يؤدي إلى حرابها إذا تتحقق مطالبهم في رد الأمر إلى نصابه بتولي معمر السلطة على نحو ما قرر أبوه قبل وفاته ولإقرار العدالة بين أبناء الأمير الأسبق – رشيد بن كامل – لذا أرسل الأمير الحسن – إلى يوسف بأن يكف عما يفعل وأن تكون الأمارة للابن الأكبر معمر بحسب وصية والدة[1].

ضاق يوسف بمكاتبة الحسن وقال : لمن كان حاضراً عنده "أن لم يكف الحسن عني سلمت قابس إلى صاحب صقلية[2]، وما لبث أن وصل هذا القول للأمير الحسن صاحب البلاد الشرعي فكرر مكاتبته ليوسف مرة ثانية ، فلما لم يستجب يوسف اعتبر الحسن هذا خروجاً على الطاعة ، فجهز جيشاً وسار إلى قابس لتأديب يوسف بأن الأمير الحسن في الطريق إليه أرسل إلى روجر الثاني ملك صقلية قائلاً "أريد منك خلعة وعهداً بولاية قابس ، وأكون نائباً عنك كما فعلت مع بني مطروح أصحاب طرابلس[3].

وبذلك أصبحت الفرصة مهيأة للنورمان لاحتلال قابس وفرض السيطرة عليها. الأمر الذي كان ينتظره النورمان ومنذ زمن ولاسيما أنهم كانوا ينظرون إلى أحداثها بعين الترقب والسرور ، ويعدون العدة لاحتلال قابس.

استجاب روجر إلى طلب يوسف ففرض عليه الحماية وأرسل إليه الخلعة والعهد[4]، فليس يوسف الخلعة وقرئ العهد في بيان رسمي أمام الناس ليعلمهم أن قابس أصبحت قلعة للنورمان وأنه أي سوف أصبح عاملهم عليها.

ويذكر ابن الأثير[5]، فسار أهل البلد بيوسف لما اعتقهم من طاعة الفرنج وسلموا البلد إلى عسكر الحسن ويذكر أيضاً[6]، أن يوسف تحصن في القصر فقاتلوه حتى أسروه وسلموه إلى بني قره ومعمر بن رشيدة وتولي قابس بعد ذلك الحوادث معمر بن رشيد فكان أخوه محمد بن رشيد وكان يوسف هذا قد أرسل رسولاً من قبله (عندما كان يحكم قابس) إلى روجر صاحب صقلية فاجتمع برسول الحسن صاحب المهدية عنده فجري بينها حوار ثم فيه رسول يوسف الأمير صاحب المهدية وينال منه[7]، فلما عادا في وقت واحد وركبا البحر ، كل منهما في مركبه فأرسل رسول الحسن رفعة على جناح طائر يخبره بما كان من رسول يوسف ، سير الحسن جماعة من أصحابه في البحر ، فأخذوا رسول يوسف وأحضروه إلى مجلس الحسن الذي سبه[8]، وقال ملكت الفرنج بلاد الإسلام ، وطولت لسانك بذمي ، ثم اركبه جملاً وعلى رأسه جلاجل وطيف به في البلد ونودي عليه هذا جزاء من سعى أن يملك الفرنج بلاد المسلمين[9]، ولما وصل إلى الساحة الرئيسية التي في وسط مدينة المهدية كان غضب العامة وثورتهم وقد

(1) ابن الأثير : الكامل ج ١١ : ٥٤.
- ابن خلدون : العبر ج٦ : ٣٤٠ – ٣٤٣
- د. عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ؟؟؟ ٦٨١.

(2) ابن الأثير : الكامل ج ١١ : ٥٤.

(3) Setton: A history of the crusades. P. 23 – 24.

(4) أماري: المكتبة العربية الصقلية : ٢٩٠ نقلاً عن ابن الأثير : الكامل في التاريخ الباب ٣٥
- ابن خلدون : العبر ج ٦ : ٣٤٠ – ٣٤٣

Setton: A history of the crusades. P. 24.

(5) ابن الأثير: الكامل ، ج ٦ ، ص ٣٤٧.

(6) المصدر السابق ، نفس الجزء والصفحة.

(7) نفس المصدر نفس الجزء والصفحة.

(8) نفس المصدر نفس الجزء والصفحة.

(9) ابن الأثير ، ج٣ ، ص ٣٤٧ / (٢) التجاني : ص ٣٤٢ / ٣٣١.

إلى الساحة الرئيسية التي في وسط مدينة المهدية كان غضب العامة وثورتهم وقد وصل زورته فقذفوه بالحجارة حتى هلك ،

من هذا نستدل أن الشعور العام كان حماسياً متأججا بالغضب من تملك الفرنج أو حتى الاتصال بهم سوأ في قابس أو المهدية من العرب والبربر لقد كان دورهم بارزا في الدفاع عن أفريقية وأنبههم رغم الأضرار التي لحقت بها من جراء الغزوة الهلالية أول مجيئهم إلى أفريقية لكن بعد ذلك اتضح دورهم الفعال في صد هجوم الفرنجة سواء من المدن الإيطالية أو النورمان[1]. لم يستطع روجر أن يرسل نجده كبيرة لحماية عميله يوسف والدفاع عن قابس وذلك لانشغاله بحرب الدولة البيزنطية ، وبذلك اكتفي بإرسال عدة مراكب صغيرة لم تستطع الدفاع عن قابس[2]، وبذلك أعاد الأمير الحسن ولاية العهد إلى الابن الأكبر معمر وأن يكون محمد من بعده. أما أولاد يوسف وأخوه عيسى فاتجهوا إلى صقلية قاصدين روجر الثاني فأخبروه بما فعل الأمير الحسن في قابس[3].

اعتبر روجر هذا العمل من جانب الأمير الحسن نقضاً للصلح والمعاهدة المبرمة بينهما منذ عام ٥٢٤هـ – ١١٤٦م[4].

أعد روجر أسطول يشمل ٢٥٠ سفينة تحمل الفرسان والمعدات التي تمكنه من استعادة نفوذه في قابس والاستيلاء على المهدية وتأديب الأمير الحسن بن باديس.

وأبحر هذا الأسطول بقيادة جرجي الأنطاكي من ميناء صقلية في الثاني والعشرين من يوليو قاصداً المهدية[5]، توقف الأسطول في جزيرة قوصرة التي كانت بمثابة محطة انتظار للأسطول النورماني ، وسرعان ما وصلت أنباء هذه الحملة إلى المهدية ، فأرسل الأمير الحسن زورقاً صغيراً بها بعض عيون له ليتحسسوا أخبار النورمان ، وشاءت الأقدار أن يصل هذا الزورق إلى جزيرة قوصرة وكان بصحبتهم قفص حمام للمراسلة إلى المهدية ، فوقعوا في قبضة رجال الأسطول النورماني فأمروهم جميعاً ، ولم يكتف النورمان بأسرهم بل أمر جرجي الأنطاكي – مقدم الأسطول – أن يكتبوا إلى المهدية بما يفيد أن الأسطول النورماني قد رحل إلى القسطنطينية[6].

وصلت هذه الرسالة على جناح الطائر إلى الأمير الحسن في المهدية فاستبشر خيرا وأخبر الناس فأقيمت الأفراح وترك أمر الاستعداد للدفاع عن المهدية. أما عن جرجي – قائد الأسطول النورماني – فقد أراد بهذا العمل الخبيث أن يفاجئ المسلمين وقت السحر وهم نائمون ليتجنب شدة المقاومة[7].

---

(1) من الطيبي بنو هلال ودورهم في الجهاد في أفريقيا والأندلس ، مجلة البحوث التاريخية ، العدد الأول ليبيا ١٩٨٥م ص ٩٧ – ١٠١ ويورد قصيدة إيطاليا يشيد بدور القبائل العربية في الدفاع رغم نصر الايزيين.

(2) Setton: A history of crusades 1° adit P. 16 – 25.
Smith: Werat were crusades London 1° edit P. 18 – 21.

- ابن خلدون : العبر ج ٦ ص ١٦٥ – ١٦٩.

(3) ابن خلدون : العبر ج٦ : ٣٤٢.
- ابن الأثير : الكامل ج١١ : ٥٤.

(4) ابن الأثير : الكامل ج ١١ : ٥٦.

(5) Setton: A history of the Crusades P. 24.

- ابن عذاري : البيان : ج١ : ٣٢٢ – ٣٢٣.
- ياقوت الحموي : فتوح البلدان : ٢٠٨.
- أبو الفداء : المختصر ج٣ : ١٩ "يذكر أن هذا الغزو كان في الثاني من صفر".

(6) ابن الأثير : الكامل في التاريخ : ج١١ : ٥٦ – ٥٧.
Setton: A history of the Crusades: P. 24.
- يذكر أنه قفص الحمام هذا كان مع أسطول النورمان وذلك لإيهام الأمير الحسن أنهم قدموا إلى القسطنطينة وليس للمغرب وذلك لوجـــود معـــاهدة الصداقة المنعقدة بينهما ، ولكننا نؤيد رأي ابن الأثير.

(7) ابن الأثير : الكامل ج١١ : ٥٦ – ٥٧.

ولكن القدر لعب دوره لصالح المسلمين فهبت على الأسطول ريح عاتية معاكسة في البحر فتأخر وصوله حتى أشرق الصباح ، فرآهم الناس وهم قادمون في البحر قاصدين المدينة[1]. فلما رأي روجر أن حيلته قد انكشفت وأن خطته باءت بالفشل ، فأرسل إلى الأمير الحسن رسولاً من قبله يقول له : "إنما جئت بهذا الأسطول طالباً بثأر محمد بن رشيد صاحب قابس ، ورده إليها ، وأما أنت فبيننا عهد وميثاق ، وإنما نريد منك عسكراً ليكون معنا"[2].

جمع الأمير الحسن خواصه ومستشاريه ليعرض عليهم الأمر فأشاروا عليه بالحرب[3]، ولكن الأمير الحسن الذي كان يقدر الأمور تقديرا سياسياً خاف عواقب الحرب فرد عليهم قائلا: "أني أخاف أن ينزل العدو إلى البر ، ويحاصرنا براً وبحراً ويحول بيننا وبين المسير ، وليس عندنا ما يقوتنا شهراً ، فنؤخذ قهراً ، وأنا أري سلامة المسلمين من الأسر والقتل خير من الملك"[4].

وبذلك قرر الأمير الحسن الخروج من المهدية بمن تبعه ودخل النورمان المهدية يوم الاثنين الثاني من صفر عام ٥٤٣ هـ أواخر يوليو ١١٤٨م[5]. فأسرع قائد النورمان بدخول قصر الإمارة فوجده كما هو بكل ما فيه من ذخائر الملوك فلم يأخذ الحسن منه إلا ما خف وزنه[6]، وبسقوط المهدية سقطت دولة بني زيري الصنهاجية بهذه الصورة غير المتوقعة[7].

بعد استيلاء النورمان اتخذ روجار الثاني قاعدة لتحركاتهم الحربية في شمالي إفريقية ، وشن الغارات على ما يليها من البلاد ، فبعد مدة قصيرة من استقرار روجر الثاني في المهدية سير أسطوليين أحدهما إلى مدينة سوسة التي استولى عليها في الثاني من شهر صفر عام ٥٤٣هـ / ١١٤٨م بدون مقاومة أما الأخر فسار به نحو مدينة صفاقس ، التي استولى عليها هي الأخرى بعد مقاومة عنيفة من جانب أهلها وحلفائهم العرب وذلك في الثالث والعشرين من شهر صفر عام ٥٤٣ هـ / ١١٤٨م[8].

وهكذا سيطر روجر الثاني على جميع سواحل إفريقية الممتدة من طرابلس حتى ضواحي تونس ، فكان على الموحدين تخليص هذه البلاد من قبضة النورمان وتوحيد المغرب الإسلامي تحت رايتهم. ودخل عبد المؤمن المهدية وأقام بها عشرين يوماً ورتب أمورها وبنى أسوارها وأمن النورمنديين على أنفسهم حتى عودتهم لبلادهم وقد تحقق ذلك في عام الأحماس أو عام ٥٥٥هـ وكان للأساطيل الموحديه وأساطيل غزاة البحر بسواحل المغرب وإفريقية الفضل في المساندة الغير مباشرة لمسلمي مصر والشام في جهادهم ضد الغزاة الصليبيين وخاصة بالنسبة لصقلية المجاورة لثغور أفريقية والمغرب الأوسط ، التي كانت آنذاك هي القوة البحرية الرئيسية

---

[1] ابن الثير : الكامل ج١١ : ٥٦ — ٥٧.
- أماري : المكتبة العربية الصقلية : ٥٠٠ — ٥٠١ نقلاً عن ابن خلدون : العبر ج٦ : ٣٣٠ — ٣٣٣.
- انظر مصطفي عبد الخالق : القوى الصليبية في غرب البحر المتوسط : رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ص ٢٥ — ٢٩.

[2] ابن الأثير : الكامل ج١١ ٥٦ — ٥٧.

[3] ابن الأثير : الكامل : ج١١ : ٥٧ — أبو الفداء : المختصر ج٣ : ١٩.

[4] ابن الأثير : الكامل ج١١ : ٥٧.
- أماري : المكتبة العربية الصقلية : ٥٠٠ — ٥٠١ نقلاً عن ابن خلدون : العبر ٦: ٣٣٠ — ٣٣٣.

[5] ابن العذارى : البيان ج١ : ٣٢٢ — ٣٢٣.
- Setton: A history of the Crusades P. 24.

[6] ابن الخطيب : الحلل : ١١٧ — نفسه : أعمال الإعلام ج٣ : ٨٢.
- ابن أبي زرع : الأنيس المطرب : ١٣٩ — ١٤٠.
- ابن خلدون : العبر ج٦ : ٣٣٢.
- السلاوى : الاستقصا ج ١ : ١٥٤.
- أبو الفداء : المختصر ج٣ : ١٩.

[7] تولت دولة بني زيري الزيرية منذ رحيل الفاطميين للقاهرة سنة ٣٦١ هـ إلى أن سقطت عام ٥٤٣هـ ، توالى على أفريقية تسعة من أمرائها : أنظر الملحق.

[8] ابن الأثير : ج١١ ص ١٢٨ ، النويري :ج٢٤ ص ٢٤٩، الهادي إدريس : ج٢ ص ٤١٦.

التي تقدم العون والإسناد للصليبيين في ثغور الشام كما كانت تساند القوات البرية الصليبية في محاولة الاستيلاء على مصر[١]، و مما يدل دلالة واضحة على دور الأساطيل الموحدية الهام والخطير في قطع الطريق على أساطيل صقلية ، ومنعها من التوجه إلى سواحل الشام ومصر ومطاردتها وإغراقها والإغارة على قواعدها البحرية في صقلية وفلورية هو سعى ملك صقلية آنذاك[٢]، عليا لم أو وليم الثاني ٦٣٠ ، ٥٨٥هـ - ١١٦٦ - ١١٨٩م (وهو آخر ملوك أسرة هونفيل النرمندية) إلى طلب الصلح من الخليفة الموحدى يوسف بن عبد المؤمن ويقول صاحب المعجب[٣]، في هذا الصدد ما يلي لها ... "في عام ٥٧٥ هـ - ١١٧٩م" ، أرسل ملك صقلية (غليام) إلى الخليفة يوسف بن عبد المؤمن أثناء وجوده في أفريقية لإخضاع بني الرند ، الثائرين في قفصة يناشده أن يقبل عقد الصلح" وأرسل إليه الإثارة بعد أن خافه خوفاً شديداً فقبل من ما وجه له إليه وهادنه على أن يحمل إليه كل سنة مالا اتفقا عليه[٤].

ومن عهد غليا لم الأول كانت الدولة النورمندية بدأت تفقد مستعمراتها على سواحل

أفريقية لقد كان النورمنديون يريدون التعويض عما أصابهم من نقص شديد لهيبتهم في العالمين الإسلامي والمسيحي بطرد عبد المؤمن لهم من المهدية وهزيمتهم[٥]، المنكرة من عام الأخماس[٦]، بعد ذلك إذ ضاعت أمالهم في اتحاد سواحل إفريقية مثل قابس وطرابلس طريقاً برياً وبحرياً إلى الأراضي المقدسة لذا اتجهت أقطارهم رأياً ناحية الشرق للاستيلاء أغلى جوهرة في الشرق : مصر ولكنهم فشلوا.

مع بلاد السودان :

تقع السودان في أقصى الجنوب من بلاد أفريقيا ، العلاقات مع بلاد السودان متصلة منذ القدم لقد كان السودان الأفارقة السود في جيوش الزيريين والمرابطيين والحمدانيين وقال اليعقوبي[٧]، عن قابس إنها بلد الأفارقة والعجم وهناك عدد غير قليل من الولاة والثوار في الشمال الأفريقي أمهاتهم سودانيات مثل أبي يزيد الخارجي الذي قاد ثورة ضد الفاطميين وسك نقوداً باسمه عام ٣٣٣هـ[٨]، وكانت القوافل تجوب بين الشمال والجنوب من أفريقية وعن طريقها انتشر الإسلام وكذلك الأربطة الدينية وتوغل في بلاد السودان وما حولها وانتشرت المذاهب الخارجية أيضاً مثل الأباضيية[٩]، والمذاهب الأخرى للخوارج عن طريق الطرق التجارية للقوافل بين أقصى المغرب إلى أفريقية وطرابلس[١٠]، لكن المذهب المالكي استطاع أن يكتسح كل الأقطار السودانية.

ونجد بلدة ميدون التي في إحراز قابس أغلب سكانها من السود ، وهم يشتغلون في تقطيع الأخشاب وأعمال البناء[١١]، منذ كانت الدولة الرستمية وعلاقات قابس والجنوب التونسي حتى قبل النفودي وطيدة ببلاد السودان لقد قام المستشرق البولندي T. Lawicki بدراسة قيمة أوضح

---

[١] الباروكمبايني : تخطيط تاريخ الجزر البليار ص ١٤٠ نقلاً عن عصام سالم: جزر الأندلس المنسية ط. بيروت ١٣٠٤هـ - ١٩٨٤م ص ٣٤٠.

[٢] المرجع السابق نفس الصفحة.

[٣] عبد الواحد المراكشي : ص ٣٢٥ - ٣٢٦

- انظر : عبد الهادي التازي : الدبلوماسية المغربية ط. الرباط ط١ حيث أورد قطعة مصورة من هذا الخطاب في فصل الموحدين.

[٤] المراكشي : المعجب ... ص ٣٢٥ - ٣٢٦.

[٥] ابن الأثير : حوادث ٥٥٥ هـ.

[٦] اليعقوبي : البلدان ص ٣٥٤ (٣١٣) البكري ، المسالك ص ٣ ، ص ٦٦٦.

[٧] وجدت عملات باسمه في متحف الفن الإسلامي لكنها ناقصة في وزنها وسكت عام ٣٣٢ - ٣٣٣.

[٨] نشرة مؤتمر القوافل ودورها الحضاري ط١ ص ١٨ وما يليها.

[٩] ذكر ابن بطوطة في رحلته أنه وجد قوماً أباضيين في صحراء مالي شمالاً انظر ص ١٩٦.

[١٠] انظر : إبراهيم حركات: دور الصحراء الأفريقية ، مجلة البحوث التاريخية العدد الأول ، ١٩٨١م.

[١١] ناصر باقلوطي : العمارة التقليدية في الجنوب التونسي. ص ٧٦ وما يليها.

فيها أنه قد وجدت علاقات سياسية واقتصادية بين الدولة الرستمية وبلاد السودان[1]، وإننا لنجد في بعض المصادر الأباضية كالدرجين والشماخي ومخطوط الوسياني[2]، مما ينبئ عن وجود قوافل بين جنوب أفريقيا وبلاد السودان ، وكان الأباضية همزة الوصل بين الأغالبة وبلاد السودان أيضاً وأن تجار تاهرت وبلاد الجريد وجبل نفوسة كانوا مهيمنين على القوافل بينهما ، وقد دعم هذا القول د/ F. Shacht ، في دراساته عن المعمار[3]، الإسلامي من أن طراز بناء المنارة في غرب أفريقيا كان يتأثر بطراز مناورات جنوب أفريقيا – أي قابس. وأن محاريم المساجد في غرب أفريقيا محاريب ميزاب[4]، في وقت حملة قراقوش الأرمني ، وفي عام ٥٧٣هـ ، يذكر عند المقريزي[5]، (سارت البث من عند قراقوش إلى بلاد السودان فغنموا غنيمة عظيمة) ولما توفى قراقوش قتل هو وولده كان له ولد اشتهر أمره بعد مدة وعمل فترة في القاهرة ضمن جيوش المستنصر الذي قدمه على طائفة من الجيش فحدثته نفسه بأن يسر على منوال أبيه فهرب بجمع من أصحابة (ولحق ببلاد ودان حيث قتل أبوه وأشعل تلك البلاد نارا فأنفذ إليه ملك الكانم من قتله .. وحمل أسد إلى بلاده مطعوناً فيها وذلك في سنة ستمائة وخمسين) [6].

---

[1] تحدث عنه أحمد الفيتوري في بحثه عن الجاليات العربية ، مجلة البحوث التاريخية ٣ ، عدد ٢ ١٩٨١م ، ص ٢٤٥ وما يليها.

[2] انظر الوسياني : السير ورقات ٤٨ – ٥٤ وأماكن متفرقة.

[3] البحث السابق ، نفس الصفحات.

[4] أحمد الفيتوري البحث السابق ، نفس الصفحات.

[5] السلوك ، جزء ١ ص ٦٦.

[6] التيجاني : الرحلة ، ص ١١.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث:

نظم الحكم والإدارة

١- الوضعية الإدارية لقابس:

أ) فى عهد الفاطميين.

ب) فى عهد بنى زيرى

ج) فى عهد بنى جامع

د) تحت حكم النورمان.

هـ) تحت حكم الموحدين

و) تحت حكم بنى غانية قراقوش الأرمنى.

٢- النظام الإدارى

أ-الوالى – الأمير

ب- الدواوين

جـ-التقسيمات الإدارية

٢- النظام القضائى

أ-القضاء

ب-الحسبة

جـ-المظالم

٣- الجيش والأسطول

الوضعية السياسية لقابس :

تفاوتت الوضعية السياسية لقابس من عهد إلى آخر ، ففي عهد بني زيرى كانت قابس تابعة -رأساً- للخلافة الفاطمية في القاهرة ثم تحولت تبعيتها إلى بني زيرى ثم حكمها بنو جامع كإمارة مستقلة ، ثم خضعت قابس فترة من الزمن للنورمان في صقلية ، حتى فتحها الموحدون ، فأصبحت ولاية موحدية ثم تغلب عليها قراقوش الأرمني من ناحية ، وابن غانية من ناحية أخرى حتى استعادها الموحدون مرة أخرى ، وأصبحت تابعة للدولة الحفصية التي استقلت بأفريقية ، وهي جزء من الدولة الموحدية[1].

في عهد بني زيرى كانت قابس تابعة رأساً للخلافة الفاطمية في القاهرة فنظراً لأهميتها الاستراتيجية اقتطعها الفاطميون من سلطة بني زيرى وجعلوها مباشرة تحت سلطان القاهرة وتخبرنا الوثيقة الثالثة من مجموعة الوثائق الفاطمية عن نظام الحكم في الأقاليم في العصر الفاطمي ، وتحدد أنواع الموظفين الذين يعاونون الوالي في إدارة شئون الحكم في ولايته وهي:

١-متولي الحكم أي القاضي.

٢-متولي الدعوة الهادئة – أي الداعي.

٣-المستخدم في الخطبة العلوية (أي خطيب المسجد الجامع – إمامة).

٤-الموظفون المشرفون على استثمار الأموال (أي كتاب الدواوين القائمون على جمع الأموال في الأقاليم).

٥-والرجال أي الجنود.

وتتمثل القاعدة التي اتبعها الفاطميون في إدارة الولايات والإمارات هي نوع من الإمارات هي إمارة الاستكفاء[2].

كان العمال الذين عينهم الدولة الفاطمية بعد أن استقرت في أفريقية يعملون بأمانة على حد تعبير ابن حوقل[3].

كانت ولاية قابس في أيام الشيعة مترددة في بني لقمان الكتاميين[4] ، " واستعمل الخليفة الفاطمي وجوه كتامة على مدن إفريقية إلى حيث بلغت طاعته ، وقسم على كتامة

---

[1] ابن خلدون العبر جـ ٦، ص ٤٠ – ٧٣ – ١٤٣ – ١٩٩ – ١٨٩ – ١٩٣ – ٢٤٧– ٢٧٥.

[2] فتشتمل على عمل محدود ونظر معهد والتقليد فيها يفوض إليه الخليفة إمارة بلد أو إقليم على جميع أهله ، ونظراً في المعهود من سائر أعماله ، فيصير عام النظر فيما كان محدوداً – من عمال ومعهوداً من نظر.." كما تشتمل إمارة الاستكفاء على سبعة أمور أساسية ينظر فيها : –

– إحداهما: النظر في تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي وتقدير أرزاقهم إلا أن يكون الخليفة قدرها ، فيذرها عليهم.

والثاني : النظر في الأحكام ، وتقليد القضاة والحكام.

والثالث : جباية الخراج ، وفيض الصدقات ، وتقليد العمال فيها ، وتفريق ما استحق منها.

والرابع : حماية الدين والزود عن الحريم ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل.

والخامس : إقامة الحدود في حق الله وحقوق الآدميين.

والسادس : الإمامة في الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو يستخلف عليها.

والسابع : تسيير الحجيج من عمله ومن سلكه من غير أهله حتى يتوجهوا معانين عليه.

[3] صورة الأرض ، صـ ٩٤.

[4] التجاني : صـ٩٦.

الأعمال ، لكل عسكر منهم ناحية " [١] ، وكان من وصايا الخليفة الفاطمى لهم أن يتجملوا فى ملبسهم " فلبسوا خير الثياب وحلوا سروجهم ولجمتهم بالحلى الثقيل "[٢] ولما انتقل الفاطميون إلى مصر وانقلبت الدولة الكتامية بإفريقية صنهاجية ، ترددت ولاية قابس فى صنهاجة وعبيدهم " [٣] وقبل أن يغادر الخليفة الفاطمى المعز لدين الله إفريقية ويتوجه لمقره بالقاهرة ولى على جميع إفريقية والمغرب بن زيرى وأمر الناس بإطاعته [٤] ، ولكن قابس كانت وهى طرابلس تابعة للخلافة الفاطمية بالقاهرة[٥] وكانت هناك عدة وصايا فى حكم وإدارة إفريقية أهمها ، ألا يتولى أحد من أقربائه.

وبعد انتهاء مراسم التوديع للخليفة الفاطمى حيث أوصله إلى قابس ومن بعدها مكان اسمه آبار الخشب[٦] ، نزل الأمير بلكين بن زيرى [٧] قصر السلطان بصبرة " وأقام هنالك شهرين وبعث العمال والولاة إلى جميع البلاد ، ونفذت أوامره فى إفريقية والمغرب [٨] " أما قابس وطرابلس فقد ولى المعز الفاطمى عليها قبل رحيله ابن عطاء الله خليفتين[٩] ، ولم يول بلكين أحداً من أسرته ولاية أقاليم أفريقية ، كنصيحة الخليفة المعز له ، غير أن من خلفوه لم ينتهجوا هذه السياسة التى تنطوى على حكمة ، بل ولوا أقربائهم[١٠]. مما جلب متاعب كثيرة فيما بعد[١١] ، لكن تميم بن المعز باديس اجتنب تلك المتاعب[١٢] ، فحرص على عدم تولية أحد من أقربائه على ولايات إفريقية، وفى عام (٤٨٩ هـ/١٠٩٥) حاول أخوه عمرو بن باديس الاستقلال بولاية قابس وتنصيب نفسه أميراً عليها ، فمنعه تميم من تلك المحاولة ، وقام بخلعه من ولاية قابس [١٣] ، وهناك سياسة أخرى اتبعها بنو زيرى وهى تدريب ولاة العهود على

---

[١] الداعى ادريس عماد الدين : عيون الأخبار تح/ محمد اليعلاوى ، صـ١٧٦.

[٢] المصدر السابق : نفس المكان.

[٣] التجانى نفس ص ٩٥.

[٤] ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، صـ٦٥.

[٥] المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، جـ١ ، صـ ١١-١٠١ وكذلك صقلية ترك أمرها لحسن بن على ابن الحسين.

[٦] ابن الخطيب : أعمال الإعلام ، صـ٩٥.وانظر النويرى نهاية الأرب جـ٢٨ ، صـ١٠٤.

[٧] النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٤ ، صـ ١٧٠.

[٨] المقريزى : أتعاظ الحنفا جـ ١، ص ١٢ ، ابن أبى دينار المؤنس ، صـ٩٦.

[٩] الذى كان من أبرز قواد كتامة الذين ساروا على النهج الفاطمى فى نشر الدعوة الشيعية وتسيير الإدارة. انظر الحشاش وحلاب الكرب عن طرابلس والمغرب ، ط. تونس ، ط (١) ، صـ ١٣٣ وما يليها مرسى لقبال : المعز لدين الله وجيل جديد من كتامة ، أعمال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب صـ٢٠٩ ، انظر المصادر السابقة نفس الأمكنة.

[١٠] فمثلاً تولى تاهرت إلى البهار رغم المتصور بن بلكين وكذلك تولى أخوه بطوفت وابن خلدون : العبر ، جـ(٦) ، صـ ١٥٧.

[١١] من أهمها استقلال فرع من بنى زيرى بالمغرب الأوسط وهم بنو حماد الذين أسسوا دولة بنى حماد وظلت المنازعات بينهم زمناً طويلاً ، انظر المصادر السابقة.

[١٢] والتى أدت إلى استقلال بنى حماد ، أولاد عمومتهم بالمغرب الأوسط. انظر : ابن خلدون : العبر ، جـ (٦) صـ ١٥٨.

[١٣] يذكر ابن الأثير: أنه فى هذا العام تمكن تميم ابن المعز من قابس وأخرج منها أخاه عمراً وسبب ذلك أن وليها قاضى ابن ابراهيم بن ولمونة. توفى فولى أهلها عليهم أخا تميم وهو عمر بن المعز. فسير إليه أخاه تميم جيشاً ليأخذ المدينة منه تعجب أصحابه لذلك لأنه لما كان بها الوالى قاضى توانى عنه وتركه ولم أخذها عمرٌ بمساعدة أهلها قاتله وانتزع قابس منه وكان رأيه " أما اليوم ابن المعز بالمهدية وابن المعز بقابس هذا مالا يمكن السكوت عليه." وعندما نتأمل الرأى السابق نجد أن قابس المتميزة بموقعها ومزاياها الكثيرة كانت فى مستوى الحاضرة المهدية وإن من يتملكها من بنى زيرى سهل عليه السيطرة على باقى إفريقية وعلى طريقة التجارة ولهذا مغزى كبير إن قابس لابد أن تظل تحت سيطرة سلطان إفريقية القابع فى المهدية أما إذا كان فيها أخا لسلطان المهدية أو قد اعتلا أهلها من البربر والعرب ذوى النفوس الشكيمة فيكون فستكون قابس حاضرة إفريقية وسيضمحل سلطان

تولى الإمارة من بعدهم ، مثل تعيين المعز بن باديس ابنه على المهدية [1] كذلك عندما اعتلى يحيى بن تميم بن المعز الحكم ، ولى ابنه على صفاقس[2].

أما بنى جامع:

ويتضح لنا أن بنى جامع لما استقروا فى حكم قابس سكنوا قصر العروسين وكانت لهم حاشية ، وكان على رأس قابس أمير عربى [3] يعاونه جهاز إدارى وله حاشية ، وله بلاط يؤمه القوم ، وله موالى[4] ومؤدبون للأولاد الصغار لإعدادهم لولاية العهد، ومن خلال الأشعار التى نظمت فى مدح هؤلاء الأمراء من بنى جامع يتضح لنا أنهم كان لهم وزراء[5] ، ويعينون نواباً هم ، كما كان لهم جيوشهم كما نشطت الحركة التجارة وازدهر اقتصاد قابس طوال عهدهم ، فكان لهم أسطول تجارى وحربى والذى ارتاب منه بنو زيرى خوفاً من المنافسة إلى جانب القوة السياسية.

قابس تحت حكم النورمان

وقعت قابس تحت طاعة الفرنج[6] – نورمان صقلية [7] – بعدما تطورت الأحداث فيها تطوراً سريعاً لصالح النورمان ، عقب استيلائهم على طرابلس ، فقد استولوا على قابس المهدية عام (٥٤٢-٥٤٣ هـ/١١٤٢-١١٤٣ م) وأرسلوا خلعة وعهد وولاية قابس إلى يوسف مولى الأمير رشيد بن كامل بن جامع ووزيره الذى انتهز فرصة وفاته ليتصرف فى شئون قابس منفرداً [8] ، حرص النورمان على الاعتماد على العناصر العربية ، فقد نصبوا رافع بن مطروح على طرابلس كما نصبوا يوسف على قابس نائبين عنهما فى الحكم والإدارة [9]، وكان من عادتهم ترك الأمور الداخلية لحاكم المدينة والتركيز على الجباية والتجارة والأسطول[10].

المهدية لذا فإن تميماً خاف على مركزه كسلطان لإفريقية من منافسة أخاه عمرو إذا تملك قابس لذا نجده قد سارع إلى قابس بعساكره لإخراجه منها – الكامل : جـ(٩) حوادث عام ٤٨٩هـ

[1] ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ (١) ، صـ ٢٧٢.

[2] ابن خلدون : العبر ، جـ (٦) ، صـ ١٦١.

[3] بدلاً من الوالى مثل ذلك ، وبعد ذلك (أى بعد اسقاط بنى جامع قابس على أيدى الموحدين فأصبحت ولاية تابعة لهم). انظر التجانى :. الرحلة ، صـ ١٠١.

[4] مثل المولى يوسف الذى اتصل بصقلية وأعلن التبعية للنورمان مستبداً بقابس لقد كان المولى وهو بدرجة وزير حاملاً لأختام الملك، انظر الفصل السابق صـ

[5] لم يذكر من أسمائهم سوى اسم الوزير سلام بن فرحان الذى بذل نفسه فى الدفاع عن قابس فى عام الأخماس.

[6] انظر : ابن الأثير ، جـ (٩) ، صـ ٣٤٦.

[7] تمكن النورمان من الاستيلاء على جزيرة صقلية فى (٤٨٤ هـ/١٠٩١م) بعد حلقات متصلة من الحروب العنيفة استمرت ما يقرب من ثلاثين عاماً ضد المسلمين ، إلى أن استولى على صقلية استيلاءً تاماً ، وأزالوا السيادة العربية عنها نهائياً على يد روجر الأول أخيه روميو جويسكارى من أسرة هوتفيل النورمانديين. (٢١٢-٤٨٤ هـ/ ٨٢٧-١٠٩١م) للاستزادة : انظر ميخائيل أمارى – المكتبة العربية الصقلية ، صـ ٢٧٣ وما يليها ، وانظر المصدر السابق ، جـ (٨) ، صـ ٤٧١ ، ٤٧٤.

[8] نفس المصدر السابق.

[9] التجانى ، الرحلة ، صـ ٩٩-١٠١.

[10] المصدر السابق : نفس الصفحات.

قابس تحت حكم الموحدين

ظلت قابس تحت حكم النورمان مدة ثلاثة عشر عاماً إلى أن فتحها الموحدون على يد خليفتهم عام (٥٥٥ هـ/ ١١٧٧م) وملكوها ، وانتهى – فى نفس الوقت – دويلة بنى جامع الهلاليين [١] وخاطبهم أهل قابس بالود ، فبعث الخليفة إليهم الوزير عبد السلام بن محمد الكومى ، حيث استبد بجمع الغنائم والأموال[٢].

كان النظام الإدارى الموحدى نظاماً خاصاً يختلف اختلافاً كبيراً عما قبله ، ففى كل ولاية مثل قابس وجد الوالى المعين من قبل الموحدين ووجد العامل [٣] ، وتخلط المصادر بين العامل والوالى [٤] ، وفى حالة واحدة سمى ابن عذارى ، كلاً من المشرف وصاحب المدينة وخازن الطعام عاملاً [٥] ، وأساس النظام الموحدى يعتمد على مجلس أو هيئة العشرة ، ويسمى أهل الجماعة ، وهم العشرة الذين سارعوا بالبيعة لابن تومرت ومجلس الخميس وهو شبيه بمجلس الأعيان ، وأهل الدار وهم فيه بمجلس المستشارين وعدده عشرون شخصاً ، ومنهم إخوة تومرت الثلاثة ، وكان لجوار هذا التنظيم تنظيم قبلى أشبه ما يكون بتقسيم عمر بن الخطاب فى ديوان العطاء[٦].

إلى جوار ما سبق كان هناك تنظيم طبقى ثالث ، وكان هذا يتبع سياسة إدارية واحدة ، وقد قسم هذا التنظيم المحتسبون الذين كانوا يشكلون القوة الاقتصادية التى تقوم بضبط الموارد الاقتصادية فى الولايات كافة ، ويأتى بعدهم فى الأهمية المزاور الذين تعددت درجاتهم تبعاً لتعدد درجات مراتب الموحدين أنفسهم ، وبعدهم يأتى السكاكون المكلفون بضرب السكة ، وفى المرتبة الرابعة يأتى الجند ، وفى الخامسة المؤذنون ، وفى السادسة المحاربون ، ويليهم الحفظة وأهل الحرب المتربصون والرماة والغزاة وعامة عبيد المخزن من الجند ، كما أن هناك طبقة الطلبة من العلماء والمفكرين وطبقة الحفاظ من صغار الطلبة ، والمهم أن تومرت استطاع أن يسطع على هذا النظام سيطرة تامة[٧].

قابس تحت حكم بنى غانية وقراقوش الأرمنى

" وتغلب على قابس بعد خلوها للموحدين شرف الدين قراقوش الأرمنى مملوك الملك المظفر تقى الدين بن شاهنشاه بن أيوب بن شادى ابن أخى السلطان صلاح الدين[٨] الأيوبى " وكانت بينه وبين على ابن اسحاق الميورقى[٩] مهادنة ومصالحة ، وكانا يجتمعان فى أكثر حروبها ويقيمان الدعوة العباسية فى هذه الجهات[١٠] ، وأقيمت الدعوة العباسية على منابر

---

(١) التجانى : صـ ١٠١.

(٢) ابن صاحب صلاة (عبد الملك – ٥٩٤هـ/١١٩٨م) تحقيق عبد الهادى التادى ، ط/ دار العرب ، ط (١٤٠٧هـ–١٩٨٧م) ، ط (٣) ، صـ ١١٤–١١٥ ، وانظر : ابن عذارى ، البيان المغرب ، جـ (٣) ، صـ٦٧.

(٣) المصدر السابق ، صـ ٤١ وما يليها ، صـ ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٩٤ ، ٢٩٨.

(٤) بخاصة ما يخص المربيين ، أما أفريقية ، فقد كانت للحفصيين وهؤلاء جزء من الموحدين.

(٥) ابن عذارى : جـ (٣) ، صـ ١٣١.

(٦) للاستزادة ، انظر : ابن صاحب الصلاة ، صـ ٤١ وما يليها ، صـ ٢٦٤ وما يليها ، جوليان تاريخ أفريقية جزء الدولة الموحدية ، عز الدين موسى : الموحدين وتنظيماتهم طبعة بيروت ص ٧٨–١٤٥ وانظر: رياض الأسطل : النزعة القبلية فى المغرب إلى آخر الموحدين ، رسالة دكتوراه فى كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، سنة ١٩٨٧م.

(٧) عز الدين عمرو الموحدون تنظيماتهم .. ص ١٧٨ وصفحات أخرى كثيرة.

(٨) التجانى : صـ ١٠١.

(٩) من بنى غانية الذين حكموا جزر شرق الأندلس فى ذلك الوقت.

(١٠) المصدر السابق ، صـ ١٠٢–١٠٣.

قابس بعد أن اتخذها قراقوش حصناً له ولأهله وأتباعه وذلك بعد أن استقروا بقصر العروسين بها ، وبعد ذلك توجه قراقوش إلى طرابلس ، وقد كانت قد نقضت عهدها معها ، عندما جاء، مثل دخوله قابس وكانت قد بايعته ، ثم رجعت إلى إيالته مع قابس التى خضعت له بعد مقاومة شديدة من أهلها وحصار شديد من أتباعه حولها[١].

وكان قراقوش يكتب ظهائره[٢] إلى أهل قابس ويهددهم أو غير ذلك ، وكانت علامة الظهير " وثقت بالله وحده " ويجعلها أسفل الظهير ، ويسمى نفسه فيه " قراقوش الناصرى ولى أمر المؤمنين " [٣]، وكان يقال لقراقوش ، وكان يقال لقراقوش المظفرى لأنه مملوك الملك المظفر ، والناصرى لأنه كان يخطب للملك الناصر صلاح الدين.

وبعد أن استولى ابن غانية على بجاية يدأ تنظيماته الإدارية ، فأكثر من جيشه وفرق ما كان فى خزائن بجاية من أموال ومتاع ، فرقها بأكملها على أتباعه الجدد من العرب والصنهاجيين ليضمن ولاءهم[٤] ، ثم وقف في المسجد الجامع لأخذ مبايعة الناس ، ولكى يضفى صبغة شرعية على نفسه ، اتصل بالخليفة العباسى المستضىء بالله ، لإعلان طاعته ولطلب الأعلام السوداء – شعار العباسيين والخلع ، ورحب بالخليفة المستضىء بالله ومنحه لقب أمير المسلمين ، الذى كان لأمراء المرابطين من قبل ، كما أرسل لصلاح الدين الأيوبى بمصر يطلب منه مناصرة على ابن غانية خصوصاً وأنه – فى نفس الوقت – كان قراقوش الأرمنى مملوك تقى الدين ابن أخى صلاح الدين – قد دخل بجيشه أفريقية – فكانت الأمور بذلك تحتم تنسيق الهجوم والاستيلاء على إفريقية مع بنى غانية حتى لا يحدث اختلاف وبلبلة ، فيستفيد الموحدون منها[٥] ، نفهم مما سبق أن هناك دويلة صغيرة قد تأسست فى أفريقية والمغرب الأوسط حاضرتها بجاية ، لها جيش كبير من العرب وصنهاجة إلى جانب الميورقيين ، ولها عمال عينوا على خدماتها المختلفة ، أصبح لها نظامها القضائى ، فضلاً عن كونها مؤيدة تأييداً شرعيا من الخليفة العباسى ، فماذا بقى على الاستيلاء على إفريقية والمغرب بأكمله؟[٦]. مختصر القول ، لقد ظلت الصراعات والشد والجذب بينهم وبين الموحدين حتى استرد الموحدون إفريقية والمغرب الأوسط من براثنهم وأصبحت قابس[٧] مع أفريقية من الدولة الحفصية وهى جزء من الدولة الموحدية[٨].

---

[١] للاستزادة ، انظر : ابن خلدون ، جـ (٦) ، صـ ١٧٢ وما يليها – ونفس المصدر والمكان ، وابن عذارى جـ (٣) ، صـ ٤٦ وما يليها.

[٢] جمع ظهير ، وهو بمعنى الكتاب أو البيان المكتوب.

[٣] التجانى ، صـ ١٠٣-١٠٧ ، وما يليها.

[٤] ابن عذارى ، جـ (٣) ، صـ ٨٣ وما يليها.

[٥] التجانى : صـ ١٠٥ وما يليها.

[٦] للاستزادة : انظر : ابن عذارى جـ (٣) ، صـ ١٤٢ وما يليها ، وكذلك المصدر السابق ، نفس المكان.

[٧] المصدر السابق ، جـ (٣) ، صـ ١٤٨.

[٨] للاستزادة: انظر العروسى المطوى- السلطنة الحفصية، وبرانشفيك: تاريخ أفريقية على عهد الدولة الحفصية.

النظام الإدارى فى قابس

(أ) الوالى –الأمير

لما اتسعت الدولة الإسلامية فى عهد عمر بعد الفتوح الكثيرة ، ولم يجد بداً من التقسيم الإدارى التنظيمى فى المناطق والأمصار والحوافر الكبرى فنجد أن أفريقية ، قد اضطرته – لسعتها – إلى أن تكون ثلاث ولايات – ومن هنا تعددت فيها الإدارات[1] ، وسمى من ذلك العهد متولى إدارة الولاية (عاملاً) وهذا اللفظ يومئ إلى سلطته الواسعة العملية ، فهو يعمل كل ما يراه الأفضل فى كل مرفق من مرافق الحياة دينيا ودنيويا ، وكان عمر يختار أولئك العمال من العرب ، لا تعظيماً لعروبتهم أو جنسهم ، ولكن لمقدرتهم على فهم أصول الشريعة وتعاليمها ، فإن عليهم أن يقيموا الصلاة بالناس ، ويقضوا بينهم بالحق ، ويقسموا بينهم الأموال والغنائم[2]. والعشور[3] – لذا نجد أن العامل يجب أن يكون كفئاً لهذه المهام وقدوة حسنة فى الحق والشجاعة والمروءة والقوة.

حلت لفظة " والى " محل لفظة " عامل " التى اقتصرت على رئيس الناحية الإدارية كما فصلت الشئون المالية عن سلطان الوالى ، كما قام ديوان الرسائل بدور الرقابة على الولاة ونقل أخبارهم أولاً بأول إلى الخليفة ، أيام الأغالبة كان والى قابس أميراً من الأسرة الأغلبية[4] ، حتى انقضت وجاءت الدولة الفاطمية الشيعية ، فحرصت أو تولى على قابس خير الرجال الكتاميين ، ولما رحلت إلى مصر وتولى بنو زيرى أفريقية ، كانت قابس تابعة – فترة – للقاهرة ثم رجعت لحوزة بنو زيرى ، فكان بنو زيرى يعينون العامل على الإقليم أو الناحية ، والوالى على البلدة [5]، ولأهمية قابس ووضعها الاستراتيجى كان المعز بن باديس يولى قابس لقائد جيشه الذى كان يسمى قائد القياد[6] ، وهو – بدوره – يبعث عماله لقابس ، وطرابلس ونفزاوة ، وقصطلية وقفصة ، حيث كانت البلاد تحت حوزته[7].

تغير النظام الإدارى فى قابس بعد مجيء القبائل العربية ، ومنحت قابس[8] ملكها العرب الهلاليون ، وأقام بها مؤنس بن يحيى مقدم العرب[9] – رئيسهم وأصبحت تحت رياسته ، وفيها محمد بن ونمو[10] ، الذى كان بن باديس ولاه قابس قبل الغزوة الهلالية[11].

وكان يوجد مجلس أعيان يمارس السلطة عن طريق الشورى ، ويرجعون للكبير دائماً ويطلق عليهم فى أغلب الأحيان اسم الأشياخ ، ثم يختاروا أكثر العائلات نفوذاً وجاهاً فى المدينة ، ثم يكون فى هذا المجلس شيخ يكلف بشئون المدينة وشيخ آخر ، وهو الأمير يكلف بالشئون

---

[1] للاستزادة ، انظر : صبحى الصالح ، النظم الإسلامية ، ط. بيروت ، دار العلم للملايين (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) الطبعة الخامسة.

[2] الغنيمة " من أموال الكفار وظفر بها المؤمنون على وجه الغلبة والقهر.

[3] العشور : وهى تؤخذ فى الإسلام على أنها ضرائب على بضائع التجار ، فيؤخذ العشر على التجار الكافرين إذا قدموا بها من دار الحرب إلى دار الإسلام ورخص له ذلك ، انظر المرجع السابق صـ٣٣٦-٣٦٨.

[4] الحبيب الجنحانى القيروان .. صـ ١٤٣.

[5] ابن أبى دينار : المؤنس : صـ ٧٦.

[6] الوسيانى : السير المخطوط ، ورقة (١٣١) ظ

[7] النويرى ، نهاية الأرب ، جـ ٢٤ ، صـ ٢٠٤.

[8] كما يخبر به السجل رقم (٥) من السجلات المستنصرية. انظر السجلات المستنصرية ، صـ٤٢.

[9] البكرى : المسالك ، جـ (٢) ، صـ ٤٢.

[10] كما يخبرنا السجل (٥).

[11] وهناك احتمال كبير فى أن تصبح هذه التولية نظرية بعد دخول العرب وملكهم قابس.

العسكرية والضبط والربط في أنحاء المدينة[1] وربما كان هو والى الشرطى وإن لم تشر المصادر إلى ذلك تفصيلاً.

أما بنو جامع الهلاليون ، فكانت قابس وأحوازها إمارة عربية مستقلة الشئون ، وكانت مركزاً للأمير العربي الهلالي، بها دار ضرب وبلاط ملكي يحفل بالشعراء والأدباء وكان تحت يد الأمير مولى وصاحب أو وزير ينفذ كل ما يأمره به الأمير أو رئيس الإمارة[2]. أما قراقوش فقد ترك فيها مساعده ياقوت[3] أما النورمان فكانت قابس عليها حاكم من قبلهم يسمى نائباً أو حاكماً ، أما الموحدون ، فقد اختلف اللفظ في عهدهم ، كان الوالي على قابس يسمى والياً ، أما على الأقسام الإدارية الصغيرة ، فكان على حكمها أحد الحفاظ ويسمى حافظاً [4]، وعند فتح قابس كان يولى عليها قواد عسكريون أو وزراء مثل عبد السلام الكومي – السيد أبو زيد بن عبد المؤمن ، ثم الشيخ محمد بن عبد الواحد أبي حفص الهنتاتي[5].

---

[1] وقد أعطانا ابن عذارى نموذجاً لذلك في وصفه لحكم تونس ،وكذلك انظر البيان ، جـ(١) ، صـ٣١٥ ، والرحلة ، صـ٣٠.

[2] التجاني : صـ ٩٧-١٠٠.

[3] المصدر السابق.

[4] البيان المغرب : جـ (٣) ، صـ ١١٩-١٥٣ ، وانظر :التجاني ، صـ ١١٠.

[5] عز الدين عمر موسى : الموحدون في الغرب الإسلامي ، الجدول صـ ٣٢٢-٣٢٤.

الــــدواوين

١- ديوان الرسائل :

كان ديوان الرسائل من أهم الدواوين الإدارية فى الدولة الإسلامية عام، وهذا الديوان قديم، وقد تنوعت مسمياته، فتارة كان اسمه (ديوان المراسلات) وتاره اسمه (الإنشاء)[١]، وترجع أهميته إلى أن اختصاصاته كانت كتابة العهود والمواثيق والتقليدات والوصاية والبيعة. وفى رأى ابن خلدون[٢] "ديوان الرسائل والكتابة ضرورية للأمم المتحضرة ... وإنما أكد الحاجة إليها فى الدول الإسلامية شأن اللسان العربى والبلاغة فى العبارة عن المقاصد ..."[٣] ومن شروط من يتولى هذا الديوان أن يكون متصرفا فى جميع فنون المكاتبات، واضعا لما ينشئه فى موضعه.

يقول ابن الصيرفى "الكتابة الجليلة قدرا، والنبيهة ذكرا، الرفيعة شأنا) العلية مكانا التى هى كتابة حضرة الملك المشتملة على الإنشاء إلى ملوك الدولة والمكاتبة عنه إلى من قل من الأمم وجل"[٤].

وبعد تعريب الدواوين كان شأن ديوان الرسائل والإنشاء قد ارتفع ، فعلية إعداد المكاتبات الرسمية بأنواعها ورسائل تعليمات الخليفة بجميع الولاة .. ولهذا كان لكل فرع من هذه الفروع كاتب خاص به، لذا كان من أهم الدواوين فى أفريقية. ومن أشهر كتاب إفريقية "الرفيق القيروانى" الذى سمى "كاتب الحضرة مدة نصف قرن - خمسين عاماً. شملت عهود المقصور من زيري إلى حفيده المعز، والآخر هو أبو الحسن على بن أبى الرجال، معلم المعز بن باديس وكان سنيا[٥].

إن السجل رقم (٥) من السجلات المستنصرية[٦]، هو أوضح دليل على وجود مكاتبات بين قابس ومن اتخذها مقرا من العرب الهلاليين، ومن المؤكد أنه المؤنس بين يحيى، مقدم العرب، إذ يذكر التجانى [٧] أن "إبراهيم وقاضى قائدى الأعنة بحضرة المعز بن باديس، فعزلهما المعز" .. فذهبا إلى أخيهما وإلى قابس ولحقا بمؤنس بن يحيى فأكرمهما وكساهما ثيابا وصلت إليه من مصر".

بعد ذلك عندما ولى بنوجا مع الهلاليون قابس، كانت أشهر شخصية أدبية هى شخصية الشاعر "سلام بن فرحان الهلالى[٨]" وأيام استيلاء قراقوش الأرمنى كان هناك ياقوت

---

(١) القلقشندى : صحيح الأعشى ، ط(١)، صـ ٨٩ وما يليها.

(٢) المقدمة : صـ ٢١٩.

(٣) قدامة بن جعفر : الخراج وصناعة الكتابة، تح حسين الزبيدى، ط بغداد ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م) ط(١)، صـ ٣٧-٣٨.

(٤) ابن الصيرفى : قانون ديوان الرسائل. على بهجت، ط القاهرة (١٣٢٥هـ / ١٩٠٥م) صـ ٥٠٤.

(٥) مقدمة (ابن خلدون) الذى قال عنه : "ابن الرفيق مؤرخ أفريقية، والدولة التى كانت بالقيروان ولم يأت بعده إلا مقلد" المقدمة صـ ١٠٠.

وقد عمل الرفيق سفير (بالمعنى الحديث) بين بلى زيرى والفاطميين نيابة عن المقصور ابن زير، وسافر سنه ٣٨٨هـ لتهنئة الحاكم بالولاية، حسن حسنى عبد الوها : محل تاريخ الأدب التونسى، صـ ١٢١.

(٦) السجلات المستنصرية، صـ ٤٢،٤٤.

(٧) الرحلة : صـ ٨٩.

(٨) ابن خلدون : ط (٦)، صـ ١٦٠.

نائب[1] قراقوس وكاتبه، كذلك كاتب يحيى بن غانية الخاص عبدالبر بن فرسان، وكان أيضا سفير وكاتب رسائلة إلى خليفة بغداد ثم الرسالة التى ذكرناها إلى أهل طرابلس.

نحج بنو جامع فى سياستهم فى إدارة قابس ما يقرب من تسعين عاماً كانت قابس فيها إمارة عربية فكتملهة الأركان. كان بلاط بنى جامع يؤمه الشعراء باستمرار مدح أمرائها ورجال حاشيتهم[2]. مما يدل على اهتمامهم بالكتابة والشعر، ولا تذكر لنا المصادر شيئا من دواوينهم، لكن يبدو أن الوزير سلام بن فرحان كان يقوم بمهمة الكتابة لأن كان فصيح اللسان ومخلصا لبنى جامع، وكسب ثقتهم[3].

أما الموحدون وبنو حفص بأفريقية فيقول ابن خلدون[4]. "واختص عندهم القلم أيضا بمن يجيد الترسيل ويؤتمن على الأسرار، لأن الكتابة لم تكن من منتحل القوم، ولا الترسيل بلسانهم، فلم يشترط فيه النسب.

"ومن خطط الكتابة، التوقيع، وهو أن يجلس الكاتب بين يدى السلطان فى مجالس حكمة وفصله ... ويحتاج الوقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه[5].

٢- ديوان البريد :

ديوان البريد[6] متعلق بديوان الإنشاء والمراسلات، وأحيانا يكون متولى الديوان من شخص واحد، وأول من وضعه فى الإسلام (معاوية بن أبى سفيان).

كانت مهمة صاحب البريد هى أن يكون واسطة العلاقة بين الولاة والخليفة إلا أن عمله لم يقتصر على مراقبة توزيع المكاتبات الرسمية فحسب، بل كان يتعداها إلى موافاة الخليفة بالحوادث والأخبار كافة، تلك التى يمده بها أعوانه المنتشرون فى أنحاء الولايات، بعنى انه كان رقيبا ومفتشا وعينا للخليفة، يرفع التقارير عن أحوال الجند والماء وأحكام القضاة وأسعار الحبوب والمأكولات، فكان عملة يشبه نظام المخابرات[7]، كما كان من جملة

---

(1) ابن شاهنشاه: مضمار الحقائق، صـ ١٦٦ وما يليها، التجانى صـ ١٠٧ وانظر : المرزوقى : قابس من الدنيا صـ ٢٦٩ وما يليها.

(2) عن شعرهم، أورد التجانى الكثير منه انظر : الرحلة صـ ٩٦ وما يليها وانظر : مصطفى أبو ضيف : القبائل العربية .. صـ ط. اسكندرية، صـ ٢٧٤.

(3) المرزوقى صـ ١٦٧، فى حديثة عن هذا الوزير.

(4) المقدمة صـ ٢١٥ المرزوقى ص ١٦٧ فى حديثه عن الوزير.

(5) المصدر السابق صـ ٢٢٠، وقد حدد ابن خلدون "الشروط والواجبات للكاتب والكتابة فى رسالة عبد الحميد الكاتب للكتاب – المقدمة صـ ٢٢١ وما يليها. وانظر : القلقشندى : صبح الأعشى، ط ١٤، صـ١ وما يليها، حيث كر باستطراد وصف الكاتب والكتاب وديوان الإنشاء.

(6) البريد فى معناه اللغوى : مسافة معلومة مقدرة باثنى عشر ميلا، وقد قدره الفقهاء وعلماء المسالك والممالك بانه أربعة فراسخ ثلاثة أميال، والميل ثلاثة آلاف ذراع بالهاشمى، ويقال أيضا على البريد المرتب، ويطلق أيضا على الرسول "بريد"، وقيل أنه عربى مشتق من برد الحديد، إذ أرسلت ما يخرج منه، ومثل من أبردته أى أرسلته، وذهب أخرون إلى أنه فارس معرب من الكلمة الفارسية (بريده دم) ومعناها مقصوص الذنب، وذلك أن ملوك الفرس كان من عادتهم قص ذنب الدخل الذى يجرى بالبرد ليكون ذلك علاقة له.

أنظر : القلقشندى : صبح الأعشى، جـ(١٤)، صـ ٣٦٦ وما يليها.

(7) انظر : قداقد بن جعفر : الخراج، صـ ٥٢/٥١، حيث أورد نموذج عهد بولاية البريد وعبارة عن وثيقة من أمير المؤمنين إلى شخص بولاية البريد، وفيه كل الواجبات المرجوة منه وكذلك مواصفاته وواجبات عمالة فى كل ناحية وملهم المرتبين بعمل الخرائط ومعناها : وعاء من أدم أو ديباج أوليف هندى يوضع فيه كتب الولاه أو الفقود التى ترد للحاضرة أو غيرها، وحامل اسمه الفرانق بدمشق وجمة القروانقيين.

أعماله حفظ الطريق وصيانتها من القطاع والأعداء والجواسيس[1]، وكان صاحب البريد في أفريقية والمغرب، يسمى صاحب الأخبار[2] أو (الرقاص) قال أبو الفرج[3] : "يحتاج فى البريد إلى ديوان يكون مفرداً به وتكون الكتب المنفذة من جميع النواحى مقصوداً بها صاحبه ليكون هو المنفذ لكل شئ منها إلى الموضع المرسوم بالنفوذ إليه ويتولى عرض .. كتب أصحاب البريد والأخبار من جميع النواحى على الخليفة أو عمل جوامع لها – ويكون له النظر فى أمر الفرنواقيين والموقعين والمرتبين فى السكك"[4] ورسوم هذا الديوان مثل رسوم غيره، لكنه يتميز بأنه يجب على صاحبة معرفة علم الطرق وتحديد المسافات ومواضع السكك والمسالك إلى جميع النواحى[5] "وما أن سأله عنه الخليفة فى وقت الحاجة إلى شخوص وإنقاذ جيش يهمه أمره، وغير ذلك مما تدعو الضرورة إلى علم الطرق بسببه"[6] وقابس تقع على الجادة العظمى (طريق البريد والحج) كما ذكرت المصادر[7].

كان لبنى زيرى – كما كان للأغالبه والفاطميين من قبل – أعوان مخابرات (وهم أصحاب الأخبار، وعندما اختار المعز لدين الله الفاطمى، يوسف بن زيرى ليوليه أفريقية قال له : "يا مولانا شريطة أن تولى القضاء والخراج لمن تراه وتختاره والخبر لمن تثور به"[8].

وكان يوجد بأفريقية بعد ذلك صاحب خبر السلطان، وكان يقيم بالساحل وقد عاب على الشيخ عدم رفع الأذان الشيعى"[9]، وليس أدل على خطورة البريد والإنشاء والمراسلات هى المراسلات بين البازورى والعز بن باديس وأن البازورى تلطف حتى أخذت سكينة دواه المعز[10] ونقل للمعز ووصلت للقاهرة فى أيدى البازورى الذى كان يطلع نائب المعز بن باديس فى القاهرة على هذه الأحوال[11].

ومن وسائل البريد الحمام الزاجل[12] مثلما كان من الأخبار التى كانت تصل من رباط إلى الذى يليه، فكان الخبر يصل من الإسكندرية إلى سبته فى المغرب الأقصى فى ليله واحدة[13] – وقد أفرد للحمام الزاجل ديوانا منفردا تابعا لديوان البريد الرئيسى[14] – وفى أثناء

---

(1) أنور الرفاعى : النظم الإسلامية، ط . دار الفكر (١٣٩٣هـ– ١٩٧٣م) ط(١)، صـ ٩٣.

(2) حسن إبراهيم تاريخ الإسلام، ط. القاهرة، ط (٥)، جـ (١)، صـ ٤٧٠ وكلمة (الرقاص) خاصة بالدولة الموحد به.

(3) قدامه بن جعفر : الخراج، صـ ٧٧.

(4) الفرواتقيين والموقعين والمرتبين من عمال البريد والسكك جمع سله، وهو الموضع أو المكان الذى يقيم فيه عمال البريد من رباط أو قبة أو بيت أو نحو ذلك : أنظر : المصدر أبى جعفر، ص ٧٧، حاشية رقم(٤).

(5) وقد جاء فى المصدر السابق ذكر السكك والمساحات وأسماء المدن والقرى. وما يسكن البريد فى أنحاء الأمة الإسلامية. كما جاء ذلك فى عديد من المصادر : مثل : يسلكه البريد فى أنحاء الأمة الإسلامية. كما جاء ذلك فى عديد من المصادر. مثل ابو حوقل وابن خرداذبه البكرى.

(6) نفس المصدر : صـ ٧٨.

(7) انظر : المصادر السابقة.

(8) المقريزى : أتعاظ الحنفا (١٤١٦هـ– ١٩٩٦م) ط(٢)، جـ(١)، صـ٩٩.

(9) هـ.ر. إدريس : الدولة الصنهاجية، جـ(٢) ، صـ ١٣٦، عن مناقب الحبنياتى (ت٣٦٩هـ – ٩٧٩م).

(10) ابن ظافر : أخبار الدول المنقطعة، صـ ٧٠.

(11) المصدر السابق : صـ ٦٩-٧٠.

(12) عن محلوله وتفاصيل عنده انظر: الجاحظ : كتاب الحيوان ، ط(١)، جـ (١)، صـ ٤٥٨ والمراكشى : المعجب : صـ ٢٨٢.

(13) أبو زكريا : السير، صـ ١١٢، والتجانى : الرحلة ، صـ

(14) عبد المنعم ماجد : الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى (ط. القاهرة) ط. ٥، صـ ٣٧.

حكم الحسن بن على الزيرى[1] أرسل المولى يوسف مولى محمد بن الرشيد – فى قابس – إلى روجر الثانى ينشد مساعدته ورغبته فى أن يكون نائبا عند فى قابس، وتزامن مع هذه الواقعة وصول رسول الحسن[2] – فجرت بينه وبين رسول يوسف مناظرة أرسلت تفاصيلها رقعة[3] على جناح طائر إلى الحسن – فأسرع الحسن بإرسال من يأخذ رسول يوسف من مركبة بالبحر إلى المهدية لمحاسبته.

وكل ما يصدد عن هذا الديوان – ديوان البريد – كان لابد أن يكون عليه توقيع الخليفة ليتخذ صيغة رسمية[4]، عرف التوقيع بلفظة العلامة، التى لا تعنى توقيعاً بالخاتم، وإنما بعبارة دينية أو نعت، يقوم مقام التوقيع، يذكر قدامه بن جعفر[5] أنه كان للتوقيع ديوان يسمى ديوان التوقيع والدار لاستطلاع رأى الخليفة ثم يوقع عليها "وأنشئ من ديوان التوقيع كتاب إلى صاحب ديوان الدار بنسختها واقتصاص ما تضمنت".

أما ديوان الخاتم

فيتضح من اسمه أن يكون لأمير المؤمنين خاتم يختم به الرسائل الواردة أو المصدر بعد إثباتها فى ذلك الديوان[6]، كما اتخذ الفاطميون ديوان النظر، وصاحبة هو رأس الكل، ولابد أن يكون مسلماً كما كان ديوان التحقيق وموضوعة المقابلة على الدواوين، وديوان المجلس ولعل تلك الدواوين كانت فى إفريقية[7].

أما الموحدون والحفصيون، فالإدارة السلطانية عندهم كان اسمها (المخزن) يعمل فيها الكثير من الكتاب الموزعين على مختلف فروعها – المعروفة باسم الدواوين فكانت مصلحة الرسائل أو أمانة سر الدولة – ديوان الإنشاء – مهمتها تحرير الوثائق العمومية والتصديق عليها، وقد قام الحفصيون بتقسيم هذه الخطة مرات متتالية[8]، فكان رئيس مصلحة الكتابة اسمه كاتب السر، وتارة أخرى اسمه صاحب العلامة والإنشاء[9]، أما البريد فقد كان متصوراً موروثاً من الدولة العباسية وقد تبنته أفريقية ونظمته ونظمت وسائله المختلفة وفى أحوال مخصوصة كان هناك ناقل بريد خاص وهو عبارة عن عداء" حقيقى سريع وصبور يستطيع قطع المسافات بسرعة على القدم واتباع المسالك المختصرة ولاشك أن هذا هو (الرقاص) الذى أشارت إليه بعض المصادر كذلك استعمل الحمام الزاجل والإشارات الضوئية (النار)[10].

(جـ) أقسام قابس الإدارية :

---

[1] حكم (٥١٥ – ٥٤٣هـ / ١١٢١–١١٤٨م).

[2] ابن الأثير : الكامل، جـ (٨)، صـ ١٤٧، وانظر : أمين توفيق الليثى : دراسات وبحوث فى تاريخ المغرب والأندلس، ط. تونس، (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) ط(١)، صـ١١٢/١١٤.

[3] بمعنى رسالة : وعن تفاصيل ومواصفات رسائل الحمام، انظر : القلقشندى، جـ (٢) صـ ٩٠ وما يليها.

[4] كان للنبى صلى الله عليه وسلم خاتم يوقع به ومنذ ذلك والخلفاء يتخذون الخاتم للتوقيع حتى أن معاوية أنشأ ديوان الخاتم وربما يعلى ديوان الرسائل، ولكن منذ عهد العباسيين – وربما قبلهم عرف التوقيع بلفظة – العلاقة – أما السلاجقة فسمى توقيعهم (الطغرا – الطغرى) وظل كذلك إلى عهد العثمانيين، المقدمة صـ ٢٠٩–٢١٠، وانظر : ماجد : تاريخ الحضارة الإسلامية صـ ٣٧.

[5] الخراج وصناعة الكتابة صـ ٥٣/٥٤.

[6] المصدر السابق صـ ٥٥.

[7] القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ(٣)، صـ ٤٨٩–٤٩٠.

[8] انظر : برانشفيك : تاريخ أفريقية فى العهد الحفصى، جـ (٢)، صـ ٦١،٦٢.

[9] ابن القنفذ : الفارسية فى مبادئ الحفصية، صـ ٣٢١.

[10] المرجع السابق، صـ ٦٥،٦٦.

جرى العرب .. عند فتحهم لإفريقية على التقاسيم الإدارية السابق دون أن يدخلوا عليها تغييراً جوهرياً، وكان الإصلاح الذى أدخلوه، هو تثبيت قواعد التقسيم الإدارى وضبط شئون المال على أساس من قواعد الإسلام فى الحكم بالعدالة التى يقضى بها الكتاب والسنة[1].

وكل الجغرافيين الذين زاروا إفريقية تكلموا بصفة عامة وليس بصفة خاصة فعلى سبيل المثال "اليعقربى"[2] يتحدث عن ولاية إفريقية ويقسمها فى مجموعة بلدانها إلى ثلاثة أقسام رئيسية، عمومية إفريقية أو المغرب الأدنى، والزاب، وطرابلس.

"إن معاوية بن أبى سفيان عزل معاوية بن حديج عن مصر سنة خمسين، وولى مسلمة ابن مخلد مصر وإفريقية وجمع له طرابلس وباب قابس[3]"، وأحيانا كانت قفصه تتبع قابس وطرابلس إداريا [4]، ولما رحل المعز لدين الله الفاطمى كانت قابس وطرابلس تحت إدارة الفاطميين، وكان يولى عليها أشخاصاً من قبيلة كتامة خليفة الفاطميين حتى أضيفت إلى إفريقية وأصبحت تحت إدارة بنى زيرى[5].

ومن بين المصطلحات الفنية المستعملة لتعبير الأقسام الإدارية نجد عبارتين فقط لهما قيمة إدارية ثابتة وهما عبارتا (الكورة)، (العمل) المستعملتان للإشارة للدائرة الإقليمية الخاضعة لسلطة العامل، كما أن هناك مصطلحين آخرين هما (البلد)، (الطرف) جمع اطراف – لهما مدلول جغرافى، يطلق الأول على منطقة ممتدة الأطراف مثل الزاب، ويطلق الثانى على المناطق الخارجة عن المركز والواقعة على تخوم البلاد[6]،أما المصطلح الأخير وهو الناحية فقد ورد ذكره فى المجالس والمسايرات بصورة دقيقة عند الحديث عن إقليم الزاب[7] ويبدو أنه يعنى قسما من مقاطعة كبيرة يديرة أيضا عامل، ولعله يقابل المصطلح الشرقى الرستاق، وعلى هذا الأساس لا تستطيع وضع خريطة إدارية دقيقة لأفريقية ومنطقة قابس، وهى تقع فى القسم الجنوبى وهى كورة قابس أو مقاطعة تاكا باس الرومانية[8] وتتبعها الجبال[9] فى جنوبها وجزيرة جربة [10] وجزيرة زارسيس وبالقرب منها وجرجيس ومدنين وقابس مقسمة إلى سبع واحات متجاورات كل منها تتبعها قرى ومنازل كذلك غابة قابس احتوت على العديد من المنازل.

أما ابن حوقل[11] فقد ذكر فى سياق حديثة عن المغرب وأفريقية أن بلاد المغرب تنقسم إلى مقاطعات ونواحى والنواحى هى وحدة أصغر تتكون من عدد من القرى لها مركز

---

[1] تواجد الباحثة صعوبة كبرى فى معرفة التقسيم الإدارى أو النظام الإدارى قبيل الفتح وبعده لأننا لا تعرف الوضع الإدارى للناحية الجنوبية والجنوبية الشرقية من أفريقية، ونوع علاقتها الإدارية بالقيروان ثم بالمهدية، وسنحاول على ضوء ما تسنى لنا من مادة علمية أن نوضح بأمر الله ولقد قال د. حسين مؤنس، مثل هذا الكلام لى إقليم المغرب بصفة عامة، أنظر : تاريخ المغرب وحضارته المجلد الأول، الجز الأول، صـ ١٨٩.

[2] البلدان، صـ ٣٤٧.

[3] الوزير السراج : الحلل السندسية، جـ(١)، صـ ٣٣٠.

[4] مؤنس : تاريخ .. صـ ٢٠٦.

[5] التجانى : الرحلة ، صـ ٩٦.

[6] فرحات الدشراوى : الدولة الفاطمية بالمغرب، صـ ٤٦٥.

[7] وردت عبارة (بلد) فى افتتاح الدعوة النقى ٢٧٤، وسيرة الاستاذ جوذر صـ ٩٤-١٠٣، كذلك عبارة (أطراف) فى صـ ٥١.

[8] المرجع السابق ، نفس الصفحة.

[9] عند هذا المصطلح وغيره : انظر ياقو المعجم : جـ(١) ، صـ ٢ : ٢٨.

[10] نفس المرجع صـ ٤٧٧، وانظر : هـ. ر. إدريس ، الدولة الصنهاجية ، جـ(٢)، صـ ٦٢،٦٦.

[11] صورة الأرضى صـ ٧٠

جغرافى وإدارى فى الوقت نفسه هو المدينة وضرب مثلا برقة فيقول عنها أنها تعنى المدينة وفى نفس الوقت المقاطعة[1] – أى البلاد التابعة لها وكان على رأس كل مدينة يوجد حاكم يمثل السلطة المركزية وهو مكلف بمختلف فروع الإدارة والمواد العامة. ويقوم بجميع الجباية والضرائب ... إلخ، وقد يكون له دور عسكرى وتخضع المدن الكبيرة الى حاكم مستقل يكون واليا أو أميرا يرتبط مباشرة بالحكومة المركزية كما هو الحالة بالنسبة لقابس وصفاتى وعناية[2] ومما يؤيد هذا الكلام إلى حد كبير أننا نجد فى وصف البكرى[3] لمنطقة قابس إذ يقول "من مدينة قابس إلى عين الزيتونة وهى عين جارية على محبى نبت عليها مرصد لجابى إفريقية" ... وحوار فى ابن الأثير ما يؤكد هذا الحديث فقد ذكر ان المعز قد استخلف على القيروان وقابس قائد من ميمون الصنهاجى وأقام لها ثلاث سنين حتى غلبته قبيلة هواره فتركها لهم ورحل إلى المهدية، فلما تولى عينهم بن المعز الملك رده إليها.

القضاء والحسبة

القضاء فى قابس:

القضاء منصب رفيع لأن صاحبه يمثل الشرع وأحكام الدين وخطة القضاء ترتكز على أساس الفصل بين الناس فى الخصومات حسما للتداعى وقطعا للنزاع بالأحكام الشرعية المتلقاة من الكتاب والسنة ، وهو من الوظائف التابعة للخلافة، لهذا كان الخلفاء فى صدر الإسلام يباشرونه بأنفسهم [4]، والقضاء ينظر ايضا فى مسائل أخرى غير الخصومات مثل: الأوقاف ، والأيتام ، والحجز وغيرها.

تطور القضاء تطورا كبيرا فى العصر العباسى نظرا لاتساع الدولة وأحمالها، ومن ثم اتسعت سلطة القاضى وأعماله، اذ كان عليه الفصل فى الدعاوى والأوقاف والنفقات وتنصيب[5] الأوصياء ، وأضيفت إليه أحيانا الشرطة والحسبة والمظالم ودار الضرب وبيت المال وغيرها، وكذلك لنشوء المذاهب الفقهية الأربعة [6]وظهور الاصطلاحات الفقهية ، كما

---

[1] أنظر المصدر السابق صـ ٦٦

[2] عبد الرحمان التليلى : وصف المدن المغربية فى كتاب صورة الأرض لإبن اوقل صـ ٨ وما يلها كراسات تونسية مجلد ١٩٧٥.

[3] المالك جـ ٢ ، صـ ٦٦٨.

[4] انظر: ابن خلدون، المقدمة، ص ٢١.

وانظر : ابن ابن الدم الشافعى: كتاب أدب القضاء ، ط. بغداد (١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م) تحقيق محى هلال السرحان، جـ (١)، ص ٦٣.

[5] انظر: أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ الحضارة... ص ١٥٧ ، وما يليها.

[6] وهى: أ- مذهب الإمام أبى حنيفة إمام أهل الرأى والقياس.

ب- مذهب الإمام مالك الذى يعتمد على الحديث.

جـ- مذهب الإمام ابن حنبل الذى يتفق مع مذهب الإمام مالك من حيث اعتماده على الحديث.

د- مذهب الإمام الشافعى الذى جمع بين الحديث والرأى والقياس.

وأصبح القاضى ملزما بأن يصدر حكمه وفق هذه المذاهب أو أحدها، وقد تدخل السياسة فى القضاء أو عمل الخلفاء على حمل القضاء على السير وفق رغباتهم فى الحكم/ حتى امتنع كثير من الفقهاء عن تولى القضاء كما فعل الإمام أبو حنيفة، كما كله أبو جعفر المنصور بذلك وفضل أن يعمل فى بناء مدينة بغداد بيديه وأتقن عمله حتى أنه اخترع مسطرة مرقمة لعد الطوب ، انظر: الطبرى، تاريخ الرسل والملوك، أبو الفضل إبراهيم، ط. الهيئة العامة للكتاب ، جـ (٧) ، جزء ١ عام ١٤٤هـ.

وضعت كتب فى صفات القاضى وعلمه ومجلسه ووجود منصب قاضى القضاة [1] وهو يولى القضاء من قبله على الأقاليم ويقيم هو فى حاضرة الدولة ، وأول من لقب بهذا اللقب القاضى أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب كتاب الخراج ، وذلك فى عهد الرشيد العباسى، أما القضاء فى العصر الفاطمى فكان مرتبطاً أشد الارتباط بالتغييرات العميقة فى بلاد ما زالت متمسكة بالمذهب المالكى السنى وهى بلاد أفريقية. إن قيام الخلافة الفاطمية فى أفريقية كان مضاداً للمذهب المالكى السائد ، من هنا كان النزاع الشيعى السنى الذى كانت القيروان مسرحا له [2]، لكن مع هذا تغلغل المذهب الشيعى إلى حدما [3]، وقد اكتسب مع هذا القضاء الفاطمى الخطوة التى اكتسبها القضاء فى العصر الأغلبى ، فقد سعى الفقه الشيعى فى أفريقية بالذات لمحاولة الحرص على التوفيق بين المذهب الاسماعيلى والسنة ، وقد سعى إلى ذلك النظام الشرعى النظرى الفقهى الذى وضعه وضبطه الفقيه الفاطمى القاضى النعمان بن حيون التميمى ثم أجرى عبيد الله بعض التغييرات الادارية التى كان لها دور فى التشدد فى الدعوة الشيعية والتضييق على أهل السنة فقد فرغ المهدى القاضى المرورى لقضاء القيروان وجدها حتى يصرف كل وقته فى مراقبة فقهائها والتضييق عليهم [4]، وولى على قضاء رقادة أفلح بن هارون الملوسى [5] الذى كان فقيهاً فى التشيع ومن كبار دعاته [6] ويبدو أن تعيين أفلح فى قضاء رقاده جعل المرورى يخشى على مكانته ومنصبه فبذل جهدا فى اضطهاد المالكية استرضاءً لعبد اله المهدى[7].

لما انتقلت الخلافة الفاطمية إلى القاهرة واتخذتها حاضرة لها ، هنا عرف العصر الفاطمى منصب قاضى القضاة ، واصبح القاضى فى القيروان معيناً من القاهرة وهو بدوره يتبعه كل قضاة أقاليم افريقية.

كان الخليفة المنصور قد انتهج سياسة الاعتدال أول خلافته لمراجعة ثورة أبى يزيد مخلد بن كيدار ، وما لبث أن عاد للتشيع والتبيح واضطهاد أهل السنة ، وعهد بالقضاء إلى فقهاء الشيعة تولى ال بن محمد بن حيون على القضاء ، ويتبعه كل القضاء فى الدولة العبيدية ، وكل قضاة المدن مثل قابس يتبعونه[8].

---

[1] يلاحظ أن الدولة العباسية اعتمدت فى كثير من إدارتها على النظم الفارسية مصدرين استقوا منها منصب قاضى القضاة " موبر موبذان" بمعنى قاضى القضاة أو رئيس القضاة وهو أعلى الوظائف الدينية قدرا، فهو -قاضى الدولة كلها ومن سواه من القضاة فى الأقاليم والأمصار نواب عنه ، فهو المتصرف فيهم تعييناً وعزلاً مثل وزير العدل اليوم ولهذا كان يلقب بقاضى القضاة ، ومن عداه قاضيا فقط أو قاضى بلد كذا..

انظر: فرحات الدشراوى: الخلافة الفاطمية فى المغرب ، ص ٥٦٢ وما يليها.

وانظر: العبادى وآخرون: دراسات فى تاريخ الحضارة ص ١٩٠ وما يليها.

[2] الدشراوى: نفس المكان.

[3] وضع كتباً مثل: افتتاح الدعوة " الهمة فى اتباع الائمة " دعائم الإسلام " وغيرها.

انظر : المصدر السابق، نفس الصفحة.

[4] انظر: محمد البيلى: التشيع فى المغرب ، ط جامعة القاهرة (١٤١٣ هـ - ١٩١٣م) ، ص ١١٤.

[5] الداعى إدريس عماد الدين (٨٧٢ هـ/ ١٤٨٨ م) تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب القسم الخامس من كتاب عيون الأخبار ، تحقيق / محمد البعلاوى ، ط / دار المغرب ، بيروت (١٣٠٥ هـ-١٩٨٥م) ط (١)، ص ٢١١.

وانظر المصدر السابق ص ٢١١.

[6] للاستزادة: الدباغ معالم الإيمان ، جـ (٢) ، ص ٢٩٠-٢٩٢.

[7] انظر المرجع السابق ، نفس المكان.

[8] انظر: نفس المرجع ، ص ١٤٣.

وظل الحال كذلك فى عهد المعز لدين الله قاضى القضاة وداعى الدعاة ، بعد انتقال الخلافة الفاطمية لمصر كان قاضى القضاة فى القاهرة يعين قاضيا لأفريقية يتبعه.

كان النظام الإدارى الزيرى يجعل للقضاء فى الدولة عملا رفيعا ، فقد كان فقهاء المالكية – وعلى رأسهم الحسن بن أبى الرجال – معلم المعز – هم الذين مهدوا للمعزين باديس الاستقلال عن الخلافة الفاطمية بالقاهرة ، ولقد أحبهم الناس لحسن معاملتهم ورفقهم بهم فحصلوا على التأييد ، فتركزت سلطة القضاء فى يد المالكية وكانت سلطة قاضى القيروان مثل شيخ الإسلام لعموم المدن والنواحى ، بل لجميع اقطار المغرب ، وكانت دار القضاء قبل الغزوة الهلالية، ملاصقة لجامع عقبة بن نافع الفهرى بالقيروان(1).

ولم يكن منصب قاضى القضاة (2) معروفا فى افريقية ، لكن الهادى روجيه إدريس اطلع على نسخة من المدونة محفوظة بالجامع الاعظم بالقيروان ، وهو القاضى عبد الرحمن بن محمد عبد الله بن هاشم اعتبارا من عام (٤٢٤ هـ – ١٠٣٣م) – ولا شك أن هذا اللقب كان ضمن مؤشرات ميل باديس إلى قرب قطيعته مع القاهرة (3)، كما توجد فى محفوظات الجامع الأعظم وثيقة مؤرخة فى (رجب٤٤٦ هـ – ١٠٥٤ م) صادرة عن القاضى عبد الرحمن بن احمد قاضى الإمام القائم بأمر الله – وواليه المعز لدين الله(4).

بالنسبة لقضاء الأقاليم لا تسعفنا المصادر بأسماء القضاة المفوضين فى أهم المدن قبل قاضى القضاة، وبخاصة فى مدينة قابس ، سوى أنه كان هناك لابن مشكان وابن ريادة الله القابس (5)، اما القرى التى لا يوجد بها قاضى أو أى عون من أعيان السلطة يمكن للصالحين والعدول الذين لا عيب فيهم اتخاذ قرارات صالحة فى نظر الفقهاء مثل القابسى ،وأبى عمران القاسى القاضى الذين يرون أن المتعبدين فى بلدة لا يوجد بها قاض يجوز لهم أن يقوموا مقامه(6)، وكانت أحكام القضاء طوال العهد الصنهاجى كانت تعتمد فى أساسها على فتاوى كبار المالكيين (7)، كما كان هناك قاضى الأنكحة ومجلس القضاء كان يوجد – بطبيعة الحال– فى المسجد الجامع فى الحاضرة (8)ومن المؤكد أن يكون الحال كذلك فى قابس، وقد ذكر الوسيانى أنه كانت هناك قافلة ستقلع واحدا من أفرادها بريد الزواج ، فعقد العقد فى مجلس السوق الكبير فى قابس(9).

كان منصب قاضى القضاة موجود فى افريقية ، لكنه كان يسمى قاضى الجماعة (10) ويقيم فى حاضرة القيروان ثم المهدية فيما بعد ، وأن الدولة الزيرية قد أعدت مراتب للقضاء

---

(1) عبد الفتاح الغنيمى: موسوعة المغرب العربى، ط. مدبولى القاهرة ، مجلد (٢)، هـ (٤)، ص ٨٨،٨٩.

(2) كان هذا المنصب يرجع أصله إلى دولة الفرس واسمه موبذ موبذان ، وكان معروفا فى الدولة العباسية ، وهو أكبر منصب فى القضاء ، ومقره يكون فى الحاضرة وهو الذى يعين قضاة النواحى ويرجعون اليه باستمرار.

(3) هـ. ر. إدريس : تاريخ افريقية ، جـ (٢)، ص ١٦٨ / ١٦٩.

(4) وهى عدد ٤١٦ ضمن المجموعة ، كما تدل هذه الوثيقة على أن المعز أسند اليه نفس كنية الخلفية الفاطمى، ولا يعرف شيئا عن هذا القاضى الذى كان يلقب بقاضى القضاة، المرجع السابق، نفس المكان.

(5) حسب رأى حسحـ. عبد الوهاب ، انظر : هـ. ر. إدريس ، جـ(٢)، ص ١٧٣.

(6) المرجع السابق، جـ (٢)، ص ١٧٤ ، حاشية رقم (٦٥).

(7) نفس المرجع والمكان.

(8) ابن ابى الدم: أدب القضاء، جـ ١١، ص ٣٧.

(9) الوسيانى: السير، ورقة ١٤٨.

(10) ابن سعيد الأندلسى: الغصون اليانعة فى شعراء المائة السابعة تى/إبراهيم الابيارى، ط. دار المعارف (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م)، ص ٣٢.

أو درجات ، فهناك قاضي الأقاليم ، ثم قاضي المدينة، ثم القرية الصغيرة، ولقد كان لكل اقليم الدولة الكبرى قاض يبسط سلطانه على قضاة المدن الواقعة فى اقليمه [1]، كما كان للاباضية فى قابس (وغيرها مثل الجبال فى جنوبها إلى جبل نفوسه جنوب طرابلس) نظام قضائى خاص[2]. وكان القاضي فى بعض الاحيان يبعث لاستشارة علماء جربة وكانت الاحكام عادلة حتى مع خصومهم من الناس وموضوعات قضائهم تشمل الفصل فى القضاء ، العامة مثل ملاحقة قطاع الطريق والمراقبة الذين كانت توضع لهم المراصد دائما فى بعض المواضع مثل غرنيس [3]ولهم اجراءات وعقوبات للجرائم المختلفة[4].

ومن قضاتهم أبو بكر صالح اليراسنى، أما القضاء الحفصى فقد كان على نهج القضاء الموحدى، ومن أشهر القضاة أبو المطرف بن عميرة الذى كانت له رسائل فى وصف قابس وفى الصحابى إلى لبابه ، وكان على علاقة طيبة بالسلطان الحفصى وتولى القضاء فى مدن متعددة ثم تولى القضاء فى قابس زمانا قبل رجوعه إلى تونس، عاصمة الحفصيين [5]، وأبو الروح بن مسعود [6] الذى التحق بقابس ، حيث أقام مدة ليست تعلم ، وولى بها القضاء ثم رجع إلى مصر حيث درس بالأزهر ، ثم تحول إلى دمشق ليشغل منصب نيابة القضاء نحو سنتين ومنها إلى مصر ليشغل نفس الخطة مع قاضى القضاء زين الدين بن مخلوف المالكى، ومع خلفه ثم ترك القضاء ليتولى التدريس بزاوية المالكية وتوفى بالقاهرة (٤٧٣هـ).

والقاضى عبد الله بن أبى مسلم ،ذكره التجانى [7] عندما شرد شيوخ شيخه أبى فارس عبد العزيز بن عبيد فقيه طرابلس ، وتولى قضاء طرابلس [8]وقابس، وقد كان موجوداً أثناء رحلة التجانى [9]، لكن لم يستدل على مكان وسنة وفاته، وابن زيادة الله القابسى وهو أبو عبد الله محمد بن زيادة الله القابسى، ذكره حسن حسنى عبد الوهاب فى تلاميذ الإمام الرازى[10]، وأبو القاسم محمد بن خلف المعروف بابن مشكان الذى ذكره حسن حسنى عبد الوهاب أنه ايضا من تلاميذ الإمام المازوى [11]، وإنه تولى قضاء قابس وهو آخر ما روى عن المازرى[12]، ومما لاشك فيه أنه تتلمذ على يد الإمام بعد (٥٣٠ هـ- ١١٥٢ م)، وكان يدرس الشريعة ورواية الحديث مع القضاء ، ومن تلاميذه: أحمد بن عبد الرحمن بن عطية التونسى الذى توفى (٦٩٩ هـ) فى تونس[13].

وكان لقضاة قابس ديوان يحتوى على الوثائق والسجلات الخاصة بقضايا الناس وأحكامهم ويهتم القضاة بالحفاظ على هذه السجلات والمحاضر والوثائق الهامة لأنها ودائع

---

(1) الغنيمى: موسوعة المغرب العربى، مجلد (٢)، جـ(٤)، ص ٨٨.

(2) وهذا النظام منذ أيام الدولة الرسمية، وكان لقاهرة حاضرتها أقاليم لها ولاة وقضاة.

(3) انظر الوسيانى: مخطوطات ورقات رقم ١٣-١٢-٤١ ظ- ٧٤ ظ.

(4) سعد زغلول : هامش على مصادر تاريخ الاباضية من اشغال المؤتمر الاول لتاريخ المغرب، ص ٧٤ وما يليها.

(5) المقرى الإحاطة فى أخبار غرناطة ط. بيروت ، ط(٢)، جـ (١)، ص ٦٠ ، المرزوقى: قابس جنة الدنيا، ص ٢٦٧.

(6) المرجع السابق ص ٢٧٨.

(7) الرحلة: ص ٢٥٧.

(8) المرور فى قابس: ص ٢٦٢.

(9) المصدر السابق: نفس المكان.

(10) المرجع السابق ص ٢٥٢.

(11) نفس المرجع والصفحة.

(12) ابن الاجار، تكملة التكملة، جـ (٢)، ص ٧٥٣.

(13) نفس المرجع والصفحة.

الرعية [١] وكان مكان ديوان القضاء بجوار مجلس القضاء ، فإذا كان القاضي يعقد مجلس القضاء في المسجد الجامع [٢]، كان الديوان موجودا فيه وفي قابس كان ديوان القضاء في الساحة الكبيرة لسوق الجمال[٣]. ويجري العمل والنظام في ديوان القضاء كما هو الحال في ديوان المظالم من حيث تسلم والمجالس [٤]والموظفين وخازن ديوان القضاء ، وهو من أهم الموظفين ويعين له رزقا من الدولة[٥].

الفتيــــا

ولا يتولاها إلا من كان ذا علم غزير ومعرفة وفقهيا بشئون الدين وقوانين الأعمال حتى لا يضل الناس بفتواه إذا عمل بها من هو ليس بأهل الدين والعلم[٦].

كان ابن سحنون يحذر من بعض من يتعرضون للفتيا فيقول: "أجرأ الناس على الفتيا أقلهم علماً يكون عند الرجل باب واحد من العلم فيظن أن الحق كله معه " كان عمران الفاسي من أشهر من قام بالفتيا وذلك في عصر باديس ونستدل من ذلك أن الفتيا كانت مقصورة على الحواضر مثل القيروان ويرسل الناس فتواهم أو يذهبون بها[٧] ويقول القاضي عياض عن عمران الفاسي : "فطارت فتواه في المشرق والمغرب واعتنى الناس بقوله [٨]واستفتاه المعز بن باديس بشأن الطرز التي عليها أسماء بني عبيد فأفتى بمنعها وأيدها بذلك الفقيه أبو عبد الله أحمد بن عبد الرحمن الخولاني" [٩]

وهذا بالنسبة للفتيا ومن البديهي إن أهل قابس كانوا يذهبون للقيروان إذا تعذر حل الفتوى في قابس أما الإباضية في جنوب قابس فكانت لهم فتاواهم التي كان يحلها التي كان يحلها لهم أصحاب الصلاة في المساجد وعلماء مذهبهم مثل أبو عمرو النميلي وغيرهم.

الحسبة:

يقول ابن خلدون [١٠]: " إن الحسبة خادمة لمنصب القضاء " ، وقد كانت في كثير من الدول الاسلامية في مصر والمغرب والأندلس داخلة في اعمال القاضي، يولي بها باختياره من يقوم عليها. حينما انتظمت اصول المدن الاسلامية على نهاية القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي ، أصبحت الحسبة وظيفة ثابتة[١١]. تنازلت أموراً متعددة، دينية : كمراقبة المساجد والعبادات، واجتماعية كالمحافظة على نظافة الطريق والرأفة بالحيوان، وتغطية الزوايا وعدم

---

[١] الخراج: ، ص ١٤.

- القلقشندى: صبح الاعشى، جـ (١٠)، ص ٢٧٤-٢٨٤.

[٢] الخطيب البغدادى ، تاريخ بغداد ، جـ (١)، ص ١٠١.

[٣] لقد اخبرنا الوسياني عن قافلة كانت ستقلع من قابس عصرا وكان احد افرادها يريد الزواج فذهب للقاضي في مجلس السوق ولم يكن هناك شاهدين من الرجال وكان تستفتى هل يجوز رجل وامرأتان يدل من رجل كما يقول الشرع انظر السير مخطوط ورقة ٥٣.

[٤] السمرقندى: رسوم القضاة ، ط. بغداد، ط (١)، ص ٣٧-٣٨.

[٥] قلقشندى، ولمر الأناقة في معالم الخلافة، حـ (٣)، ص ١٤٨.

[٦] ابن خلدون: المقدمة ص ١٩٠.

[٧] أبو العرب تميم: الطبقات ، ص ١٨٧.

[٨] القاضي عياض: المدارك جزء ٤ ، ص ٧٩٥ ، الدباغ : معالم الإيمان جـ ٣ ص، ٢٤٨-٢٤٩.

[٩] القاضي عياض: المدارك جزء ٤، ص ٧٠٣ .

[١٠] المقدمة ص ١٧٨.

[١١] ماجد ، تاريخ الحضارة ص ٥٧ ، وهذا الرأى غير صحيح ، لأن الحسبة من أيام الرسول عليه الصلاة والسلام عندما اكتشف غشا في السوق وقال: من غشنا فليس منا.

ضرب الاطفال ومراقبة السلوك العام ومراقبة المحـلات والشـوارع والاسـعار والبضـائع والموازين[١]، وكان المحتسب يستعين بالعرفاء لمساعدته يختارون مـن أربـاب الصناعـات والتجار، وهذا يبين دور المحتسب فى ضبط الاقتصاد [٢]، وكان المحتسب له سـلطة تنفيذيـة مفوضة سريعة.

ولقد عرف العرب فى المشرق والمغرب الحسبة من خلافة الامويين، ومرت الحسـبة بمحاولات الفقهاء لتصنيفها وترتيبها وتحديدها ، وقد ارجعوا جذورها إلى عصر النبى صلـى الله عليه وسلم [٣]، والحسبة لفظ غير قرآنى يجرى استعماله للدلالة على الواجـب المفـروض على كل مسلم فى " الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر [٤]، ويرى بعض الباحثين أن خطـة الحسبة عند صاحب السوق فى المدن اليونانية. ومهما يكن من هذا الأمر فإن المحتسب قد حل محل صاحب السوق، و خطته فى مراقبة السوق ضمن عمل السلوك الاجتماعى، هـذا وأن الحدود الفاصلة بين الشئون التى هى من مشمولاته ، وبين ما يعود بالنظر إلـى القـاضى أو إلى صاحب الشرطة. ليست دائما فى منتهى الوضوح ، فالقاضى يحكم فى الموضوعات التـى قامت بخصوصها دعوى وتم فيها اجراء بحوث لمعرفة حقيقتها ، والشرطة تتدخل فـى حالـة حدوث جريمة. أو جريرة تقتضى تحرك القوة العامة ، اما المحتسب فهو لا يشغل الا بـأمور صريحة ومخالفات واضحة للعيان لا مجال فيها للشك أو النزاع، وهو لا يقوم بأبحـاث وإنمـا يتدخل فى القضية من تلقاء نفسه ودون انتظار قيام احد بدعوى لإصلاح الأحـوال والأفعـال مباشرة، وتغيير المنكر ، والجرى إلى الغير والعمل به[٥].

عرفت أفريقية الحسبة من وقت مبكر ، بعد بناء مدينة القيروان سنة ٥٠ هـ، وتنظيـم ادارتها فى عهد الحسان بن نعمان الذى دون الدواوين وضبط الخراج وفى عهد موسـى بـن نصير ازدهرت مدن أفريقيا ومنهم قابس والقيروان، وأحدثت دار ضرب النقود حتى أصبحـت المدن الافريقية – قابس منهم – وريثة المدن الرومانية القديمة بمعنى أن قابس اصبحت وريثـة المدينة الرومانية بأنظمتها البلدية الرومانية [٦]، والمجلس البلدى الرومانى المكون من رئيـس ووكيل المال وعرض مجلس الساهرين على الطرقات والالعاب.

اجتهد المسلمون أن يحققوا نظاما أعدل من التنظيم الرومانى الشكلى، فنظمت الاسـواق والدكاكين وعين على كل صنف من الاسواق عريفا والذى كانت من وظيفته مقاومـة الغـش والسهر على حسن العلاقات بين أصحاب المهنة وعمالهم واعوانهم والحرص علـى ضمـان حقوق الامير[٧].

---

[١] الشيزرى: نهاية الرتبة، ص ١٢.

[٢] المرجع السابق، ص ٥٨.

[٣] كان النبى صلى الله عليه وسلم يتجول فى السوق ووجد لبنا يباع وعليه ماء ،فقال صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا ، انظر : موطأ مالك ، ط. دار الشعب، ص ، وانظر دائرة المعارف التونسية، كراس ٤، وانظر " عز الدين عمر الموحدين .. ص ٢٨٦.

[٤] وما زال ذكر حاكم السوق... فى الكتابات والنقوش اليونانية قبل الفتح العربى بثلاثة قرون ، دائرة المعارف التونسية، نفس المكان.

[٥] رسالة ابن عبدون فى القضاء والحسبة تى / ليفى بروملسال ، ط. القاهرة، (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م) ط(١)، ص ١ وما يليها ، وانظر دائرة المعارف التونسية نفس المكان.

[٦] جوليان: تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة محمد المراغى وآخرون ص والنظر : الحسن السائح: الحضارة الاسلامية فى المغرب والدار البيضاء (١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦م) ط (٢)، ص ٤٣٤-٤٤٦.

[٧] الدباغ: معالم الإيمان.

والونشريس: المعيار المغربى ، جـ (١) ، صفحات ٥٦ ، ٥٧ ، ١٠١ ، ١٠٣.

لم تعرف افريقية وظيفة المحتسب الا فى عهد سحنون [١]، فيعتبر سحنون أول من قلم بوظيفة المحتسب وهو أول من اضافها لاختصاص القضاة بعد أن كانت من عمل الولاة وانحاء افريقية [٢]، وقام به عنه نواب مختصون بالحسبة اسمهم امناء، ثم فى عصر بنى زيدى ، لا تسعفنا المصادر بالحسبة فى الحاضرة أو الأقاليم وأسماء محتسبين أو عرفاء الاسواق فى قابس واسواقها وجوامعها، وابن خلدون ذكر أن الحسبة فى أفريقية فى العصر الفاطمى كانت داخلة فى عموم ولاية القاضى يولى منها باختياره [٣]، وكان الموحدون يسندون الحسبة إلى الأكفاء المشهود لهم بالصلاح والتقوى مثل أبى يعقوب يوسف بن على المؤذن[٤].

وكان للحسبة ديوان خاص تحفظ فيه تقارير ووثائق الحسبة:

وهذا يتعلق بتفتيشات والى هذا الديوان من حيث المرور على الأسواق ومراقبة حركة البيع والموازين [٥]. والمساجد ومراقبة اهتمامها والعبارات فيها. ودور الضرب لمنع النقود المبهرجة والغش والتدليس فى ميزانها. [٦] ومراقبة حراس السفن فى المدن الساحلية أو التى لها ميناء كقابس، وله أن يمنع أربابها من حمل ما لا تستعد ويخاف منه على غرقها[٧] وما إلى ذلك من التفتيش والمراقبة فى كل أنحاء المدينة والميناء[٨]، ومن أهم سلطات هذا الديوان إقامة التعزيز عقاباً وتأديباً، وتعيين موظفين كثيرين يعانون والى الحسبة فى أعماله وتفتيشاته وعليهم تقديم تقريراتهم باستمرار وتسجليها فى سجلات الديوان[٩]. ومن اختصاصات هذا الديوان أيضاً الاحتساب على القضاء على سبيل المثال الإبجليس الخصوم على باب القاضى[١٠] كثيراً فى الشمس [١١] وإرسال أخبار قضاة المدن إلى قاضى القضاة[١٢]، والإشراف على نظام الطرقات والأسواق وتنظيمها ومنع الغش ، وتخزين المواد الغذائية فترة لبيعها

انظر: ابو عبد الله العقبانى التلمسانى، عينة الذاكر فى تغيير المناكر تى / على الشنوفى، ط. الرباط، ص ٦٧-١٠٠ وما يليها.

[١] هو عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوضى الشهير بسحنون، وهو اسم طائر ، عالم وفقيه عاقل، وربما حفظ الكثير من القرآن والكتب الفقهية ، ولد (١٦١ هـ/ ٧٣٣م) قدم ابوه من جند حفص من العرب إلى افريقية، ذهب إلى مكة، وسمع من سفيان بن يمنية، ووكيع بن الجراح ورجع إلى أفريقية ليدرس كما عمال قاضيا.

انظر: محمد زيلهم: الامام سحنون ، دار القرجانى ، ط (١)، ص ١٦٥-١٣٩.

[٢] وانظر: الدباغ: معالم.. جـ (٢) ، ص ٨٧ ، وانظر محمد المنوفى: خطة الحسبة فى المغرب مجلة المناهل، الرباط ، عدد (١٤) ، ص ٢٠٩ وما يليها.

[٣] المقدمة: ص ٢٠٠١.

[٤] توفى فى (٥٥٧ هـ/ ١١٦١ م) وكان من بلده وتولى فيها الحسبة مكرما،ويقول عنه القادى عبدا صالحا.

انظر: التادلى: التشوق إلى رجال التصوف ، تحقيق أحمد التوفيق، ط(١)، ص ١٤٧.

[٥] الشيرزى: نهاية الرتبة ص ٢٢، ولعب البريد دوراً رئيسياً فى ذلك فيذكر الطبرى أو ولاة الحسبة كانوا يرسلون تقاريرهم اليومية عن طريق البريد – تاريخ الرسل جـ (٨) ، ص ٦٣، حوادث ١٥٨ هـ.

[٦] العقبانى التلمسانى: تحفة الناظر : ص ١٦٧، ١٣٠.

[٧] الماوردى: الأحكام ، ص ٢٥٧، وانظر الونشريسى المعيار المغرب جـ (٦) ، ص ٤٠٩ – ص ٤١١- ص٤١٦ ، جـ ٧، ص ٤٠٧.

[٨] تستنتج الباحثة: وجود ديوان الحسبة فى قابس تابع لديوان الحسبة المقامة فى الحاضر، كما هو مألوف فى كل مدن الخلافة.

[٩] العقبانى التلمسانى، تحفة الذكر ص ١٣٧- ١٧٠.

[١٠] الماوردى ، ص ٣٤٩

[١١] المصدر السابق ، ص ٢٥٧.

[١٢] الطبرى : تاريخ الرسل، جـ (٨) ، ص ٨١.

بأعلى سعر.[1] وكانت السكة داخلة فى اختصاصات الحسبة والمحتسب حيث كان على المحتسب الإشراف على دار السكة ومراقبة الوزن والغبار.

المظالم :

كان سحنون أول من أدخل قضاء المظالم فى إفريقية، وكان حبيب بن نصر بن سهل التميمى صاحب مظالم سحنون [2] (سنة ٢٣٦هـ- ٨٥٥م).

لم تشر المصادر لوجود قضاء المظالم فى قابس على الأخص، وركزت على وجود المظالم فى القيروان، ومن المرجح أنه من المحتمل وجود المظالم فى قابس وغيرها من المدن بالقياس إلى القيروان.

وقد جاء فى سيرة جوذر ما يفيد أن آخر الخلفاء الفاطميين فى إفريقية، كان يقوم بمراقبة مشددة على نشاط عماله ويزور أحياناً الأقاليم لمعاينة الوضع على عين المكان، فقد كان مدركاً لمهمة العدل ونشر محاسنة بين رعاياه، فقد أجاب الذى أحاطه علماً بتجاوزات بعض العمال قائلاً له: " وقد علم الله أنا لا نرضى بهذا الظلم والعدوان من أحد أهل طاعتنا" [3]

لا يبدو أن بنى زيرى قد قاموا بمهمة رد المظالم بواسطة قاض خاص، فقد كان يتولى القضاء، قبل ارتقائهم للحكم قاض يسمى إلى حد سواء صاحب المظالم والحاكم[4]. وقد كان هذا النوع من القضاء يكتسب صبغة أسرع وأكثر مرونة من القضاء الشرعى – النوع الأول المقيد بالاجراءات الشرعية.

لا تسعفنا المصادر بشيء عن قضاء المظالم، أى أخبار عنه، لكن يبدو أن من أهمية قابس كان يعين فيها قضاة مشهورين، ويبدو أنهم تولوا القضاء، وقضاء المظالم، إذا لم أجد ذكراً لأى قاضى مظالم تولى المظالم فى قابس. أما العمرى [5] فقد تحدث عن قضاء المعالم فى الدولة الحفصية وله مجلس فى تونس لحضر الخليفة بنفسه مع قاضى القضاة، ووزير الجند وكبار الشيوخ والمستشارين على أبواب القصر الكثيرة[6]

ثالثاً: الجيش والأسطول

أ- الجيش فى قابس:

كان يوجد فى قابس منذ القدم حامية أو كتائب تحمى مداخل المدينة والميناء وأبواب الصحراء وهذه من الطبيعى مثل أى مدينة لها وضع استراتيجى شبيه بقابس.

ومن المؤكد أن الدولة الفاطمية تركت بصمتها العسكرية، بما أن بنى زيرى تابعون لهم فلابد أن يكون جيش الزيريين نفس نظام الجيش الفاطمى وإن لم يكن فى قوته، لقد كان

---

[1] العقبانى التلمسانى: ص ١٦٧.

[2] الدباغ: معالم الإيمان ، جـ (٢)، ص ١٩٨.

[3] سيرة الأستاذ جوذر، ص طـ (١) ، ص ١١٤.

وانظر : فرحات الدشراوى: الخلافة الفاطمية بالمغرب ، ترجمة حمادى الساحلى ص ٤٧٣.

[4] الدباغ: معالم الإيمان، جـ (٣)، ص ٧٥.

وانظر : هادى إدريس : الدولة الصنهاجية، جـ (٢) ص ١٥٩ وذلك مثلما كان حبيب بن نصر أول من عينه سحنون على المظالم، كان يحكم بين الناس فى الأسواق، الدباغ، نفس المصدر، والجزء ص ٩٩٩.

[5] ابن فضل الله العمرى : مالك الأبصال فى ممالك الأمصار قطعة فى مصر أفريقية والأندلس تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب كراسات تونسية مجلد ٣٩-٤٠ ص ٢٤٢.

[6] تغيريين بين وظيفته ولعلها وظيفة قاضى القضاة فى العصور السابقة.

الجيش الزيرى يتشكل من الفرسان والرحالة [1] وفرسان الخيل الكثير، يسمون قائدى الأعنة[2] (فعند ما غضب المعز على قائدى الأعنة لسبب ما ، عزلهم فذهبوا إلى أخيهم فى قابس)[3] وكان العسكر مزودين بالأسلحة الشائعة الاستعمال مثل الدروع [4] والسيوف والرماح والسهام والديوس إلى جانب تسيير الجمال والبغال تحمل مؤنهم وعتادهم، وكان القائد أميرا أو وزيرا [5].

لقد أتت الغزوة الهلالية على هيئة قبائل متتابعة جاءوا بخيولهم وسيوفهم وفتحوا قابس وتمركزوا فيها وكان مؤنس بن يحيى مقدمهم مهيمنا فيها- وكان فى نفس الوقت محمد بن ونمو أراد بن ولمويه وهو قائد عسكرى تحملها من قبل المعزين باديس.

لما انتقل لها بنو جامع وأصبحت فى قابس إمارة عربية كان لها جيش ولم تسعفنا المصادر بتفصيلات عنها لكن الباحثة وجدت بيت شعر يدلنا على عظمة هذا الجيش:

ولقد ملكنا قابسها   ∴   بالمشرفيات القواطع[6]

أى أنهم ملكوا قابس بحد سيوفهم المسنونة وكذلك يقول شاعرهم عنهم إنهم أهل المراتب والكتائب.

وفى معنى كلمة مراتب قال الخليل: والمراتب فى الجبل والصحراء هى الأعلام التى تربت فيها العيون والرقباء والكتائب مفردها كتيبة تعطينا أكثر من معنى فهى الجماعة المستحيزة من الخيل أى فى حيز غلى حدة ويطلق أيضا على جماعة من الخيل إذا أغارت ويكون عددها من المائة إلى الألف وفى معنى أخر وفى معنى آخر القطعة العظيمة من الجيش وجمعها كتائب. [7]

كان الجيش الموحدى هو العماد الرئيسى فى فتحة لافريقية بتنظيماتة الدقيقة وكثرة عتاده وأسلحته بالنسبة للديوان عندهم تقابلنا مصطلحات جديدة هى الحشم – الجند – عبيد المخزن [8]، فقد ذكر ابن صاحب الصلاة [9] أن الخليفة يوسف بن عبد المؤمن خرج لاستقبال عسكر افريقية وبجاية وتلمسان كما خرج الموحدون " وكذلك سائر الأجناد من الحشم والروم والعبيد " [10]، وكلمة حشم قد تعنى القبائل البربرية من غير الموحدين، والى جانب ذلك، فجيش الموحدين احتوى عناصر كثيرة من العرب والاندلسيين والاغزاز وغيرها. وكان الجيش الموحدى مقسما لوحدات، كل وحدة عليها تفيد أو مزوار[11].

وردت إشارة عابرة تفيد أنه كان لقابس جيش:

ولى الخليفة الناصرين المنصور يعقوب بن عبد المؤمن الموحدى على افريقية الشيخ أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبى حفص ، الذى ظل مقيما فى أفريقية حتى وفاته (سنة ٦١٨

---

(1) ابن عذارى: البيان المغرب ، جـ (١)، ص ٤٤٢.

(2) يذكر النويرى أن قبيلة زناتة اعتدت على خيل المعز ، فى عام ٤١٣ هـ فى منطق قابس، نهاية الأرب ، جـ (٢٤) ، ص ١٠١. وانظر ابن الأثير حوادث عام ٤١٣هـ

(3) مذكور فى الفصل السابق.

(4) كان شائعا استعمال الدروع من حيوان اللمط الموجود بكثرة فى أفريقية والمغرب عموما.

(5) ابن عذارى ، جـ (١) ، ص ٤١٩.

(6) التجانى الرحلة ص ١٠٧..

(7) المعجم الوسيط بمادة رتب.

(8) عز الدين عمر موسى: الموحدون، ص ٢١٩.

(9) المن بالإمامة ، تحقيق عبد الهادى التازى ، ط. بيروت ، ط (١) ، (١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م) ، السفر الثانى، ص ٤٣١.

(10) المصدر السابق : نفس الصفحة.

(11) المرجع السابق: ص ٢٤٣.

هـ- ١٢٢١ م)، فخلفه ابنه عبد الرحمن غير أن الخليفة المستنصر بن الناصر (٦١١-٦٢٠هـ/ ١٢١٤ - ١٢٢٣م) عزله ثلاثة أشهر، وولى بدلاً منه عمه إدريس الذى لم تطل ولايته، فخلفه ابنه عبد الله عبد الابن الثانى للشيخ ابن محمد ،و ذلك فى عام (٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م) وعقد لأخيه ابن زكريا على قابس لكنه ما لبث أن عدل عن توليته وعزله، ونهض لمحاربته، فأنكر الجند عليه ذلك وخالفه كبراء دولته والتحقوا بجيش قابس [١]. كان جيش قابس زمن الموحدين وبنى حفص مثل جيش الموحدين، قد أسندت شئونه إلى ديوانين رئيسيين هما: ديوان العسكر – والذى يرأسه غالبا – رجل من الجند ليشرف على كل ما يتعلق بشئون الجيش النظامى والاستعداد للحرب واحصاء الجند[٢].

والديوان الثانى هو ديوان التمييز، والذى كانت من مهامه الرئيسية: استبعاد الخصوم والمارقين فى أفراد الجيش واعدامهم وتطهير حقوق الجيش، ثم تطور وأصبح اختصاصه، اختيار الصفوة من العسكر، وكانت قبل كل خروج للحملات أو الحرب أو الفتح يجرى التطهير والتمييز لتمام أمور الجيش [٣] وقد أولى الموحدون عناية كبرى للمدن الساحلية والصحراوية وامدادها بالأقوات مثل القمح والدقيق والزيت. فيخزن فى مخازن اعدت لها، كما كانوا يرسلون لهذه المدن الهامة الاسلحة المختلفة والرجال الاشداء تحسبا لأوقات الشدة ومحاصرة الأعداء [٤]، ويتولى العمل كان ديوان التمييز الذى يشرف على ديوان الاعمال المخزنية والدخل والمنصرف، وله الحق فى محاسبة الأعمال، وكان له معاونون بكل الأقاليم التابعة للدولة الموحد به، يسمون المشرفين الذين كان لهم معاونون كثيرون مثل خازن المال، خازن الأسلحة، وخازن الطعام[٥].

الشرطة أصاحب الشرطة:

من المناصب الإدارية الهامة منصب صاحب الشرطة، ومهته الإشراف على حفظ النظام واستتبان الأمن، والقبض على الجناة والمفسدين وما إلى ذلك التى تكفل سلامة الناس وطمأنتهم، وكان يطلق على صاحبها بإفريقية لقب الحاكم[٦].

وهى وظيفة تتبع صاحب السيف وفى أيام الدولة الزيرية كان لها شأن كبير وأعوان كثيرون يقومون باستتباب الأمن داخل الحاضرة والمدن ليلاً ونهاراً – وهذا كان نظام المدن الإسلامية فى كل أنحاء قابس، فمساءً تغلق المدينة أبوابها ويضرب البوق فى أنحاء المدينة، وعندما ينقطع المشى فى الطرقات إلا من الشرطة وتسمى العسس[٧]، ولها مراكز يسمى كل مركز الرابطة، ويتخذ أعوان الشرطة ليلاً كلاباً للحراسة والإرشاد وكانت هناك خطة طواف الليل موكله[٨] إلى الدرابين أى المكلفون بالطواف فى الدروب.

---

(١) ابن قنفذ القسطنطينى: الفارسية ص ١٠٣-١٠٨، حسن حسنى عبد الوهاب: خلاصة، ص ١٢٧/١٢٨، وانظر: عفيفى محمود إبراهيم: بنو مكى أمراء قابس ط. دار الثقافة، ص ٦.

(٢) محمد عبد الله عثمان: عصر المرابطى، جـ (٢)، ص ٦٣٨.

(٣) عنان عصر المرابطين، جـ (٢)، ص ٦٢٩.

(٤) البيان المغرب، جـ (٣)، ص ٨٤، وانظر ابن صاحب الصلاة، ص ٢٠١-٢٥٢، وانظر: عز الدين عمر موسى: الموحدون، ص ٢٤٨-٢٤٩.

(٥) فى ذلك انظر: رسائل موحدية، ص ٢٣٩-٢٤٤، وابن صاحب الصلاة ص ٢٠١-٢٠٢، المراكشى المعجب، ص ١٨٣، وابن الأثير، جـ (١٠)، ص ١١٥.

(٦) ابن خلدون المقدمة، ص ٢١٥.

(٧) حسن حسنى عبد الوهاب، بساط العقيق، ص ٢٩.

(٨) انظر: محمد الشريف الرحمونى، نظام الشرطة فى الإسلام، ص ٩٠ وما يليها.

أما أزقة المدينة فكل زقاق عساس مسؤول عنه ويبيت في الزقاق، ويكون مسلحا إلى جانب إنه يعلق سراج ومغلق لينير[1] له وكلب يتبعه مثل مدن الأندلس.

ب) الأسطول :

لما كانت إفريقية تقع هي وسائر المغرب على ضفة البحر الرومي (المتوسط) من جهة الغرب والجنوب لذلك فإن أهلها كانوا يعانون من خطر أساطيل الروم، والفرنج وما لا يعاني غيرهم، لذا يذكر ابن خلدون[2] أن قيادة الأساطيل من مراتب الدولة وخططها في ملك المغرب وإفريقية، ولما جاءت الدولة الفاطمية المغرب بني المهدي بمدينة المهدية دارا لصناعة السفن تتسع لأكثر من مائة سفينة[3]، وبنى بنو زيري أسطولا ضخما لحماية شواطئه من أساطيل الروم خاصة بعد أن رحل الفاطميون بأسطولهم الجبار الأسطول الحربي يحتوي على سفن عملاقة ومتوسطة تجوب البحر وتدافع عن البلاد، ومن أهم قطع الأسطول الشواني[4]، جمع شيني أو شونة وهي من أهم قطع الأسطول الفاطمي وأطولها، وتجدف بمائة وثلاثة وأربعين مجدافاً والحراريق جمع حراقة، وهي مركب كبيرة مهمتها حرق سفن العدو ، وهي مزودة بالنفط الذي يرمي المنجنيقات والسهام[5]، والبطى جمع بطة وهي سفينة حربية عظيمة ، وتوجد الغراب، وجمعها أغربة من السفن الحربية شديدة البأس[6] والمسطحات والطرائد والشلندبات والقواقير[7] هذا بصفة عامة.

ومن المؤكد أن دولة بني جامع كانت تملك أسطولا بحريا ، لكن لا تسعفنا المصادر بمعلومات عنه، لكننا نستنتج أنها كانت لها علامات مع صقلية، وبديهي أنه توجد سفن[8] لكن لم تذكر تفاصيل عنه لأن تاريخ تلك الدولة شبه مطموس ، لكننا نحاول الاستنتاج.

وقد سقطت على أيدي الموحدين، وهؤلاء لهم أسطول قوي وعتاد كبير لأنهم جابوا البحر المتوسط الرومي زمنها، وقمعوا حركات الصليبيين المسماة بالاستردادReconquista.

بالنسبة لبني جامع، فيبدو أنهم كان لهم أسطولان وأسطول ذو وظيفتين حربية عند اللزوم وتجارية على طول العام وهناك صعوبة في تحديد تولي هؤلاء الأمراء قابس فيبدو لنا أن أول من تولى قابس الأمير مكي كامل بن جامع الذي ظهر بعد ثورة قابس على الأمير تميم بن المعز، ولم يذكر لنا المؤرخون متى ثارت قابس ولا متى تملكها الأمير مكي، لكنهم ذكروا أنه كان موجوداً سنة ٤٩٣هـ، وعلى إثر وفاته، تولى الأمير رافع بن مكي الذي قال عنها

---

[1] عصمت الطيف : الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين، بيروت ١٤٠٨ ط١ ص ١٣٤.

[2] المقدمة: ص ٢١٦.

[3] البكري، المسالك ، جـ (٢) ، ص ٥٦١، والمغرب ، ص ٨٤- ٨٥.

[4] بعد غزو العرب بإيعاز من اليازوري وزير المستنصر، حضر ملك المعز بن باديس بالداخل، ولم يبق له إلا شريط ساحلي ضيق، فاتجهت سياسته نحو البحر، إذ اضطرته الظروف لذلك، ولكن دمر جزئاً كبيراً من أسطوله من جراء عاصفة هبت عليه عند ذهابه لمعاونة أهل صقلية لدمر عدد قوصيرة، انظر أرسيبال: القوى البحرية: ص ٣٠٩.

[5] انظر: حسين مؤنس: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط ص ٨٢ وما يليها وقد ذكر أصناف كثيرة لا يتسع المجال لذكرها.

[6] لعل اسمها مستق من مقدمتها التي على شكل رأس غراب، انظر: صابر دياب: سياسية الدولة الإسلامية في غرب البحر،، رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة، ص ٦٠ وما يليها.

[7] المراجع السابقة، نفس الصفحات وما يليها،

وانظر : عبد الجواد الأصمعي: سفن الأسطول الحربي، مجلة منبر الإسلام مجلد (٥) عدد ٤/٥/٦/٧، (١٣٨٧هـ (١٩٦٧م).

[8] يأتي ذكرها في جزء الأسطول.

التجاني [1] " توفي تميم ورافع متولي قابس ثم تولي يحيي ابن تميم فصالحه وداره طول حياته. فلما تولي ابنه علي بن يحى أنف من ذلك وكره أن يجاريه أحد فى أفريقية من إجراء السفن فى البحر فأنفذ أسطولاً لمنع هذه السفينة من الإقلاع وأخذها إن أقلعت.

ديوان العمائر :

هذا الديوان كان يختص بكل ما يتعلق بشئون الأسطول سواء الحربي أو التجارى وما يتصل بذلك من صناعة السفن الحربية والتجارية وله إيراداته الخاصة للإنفاق على كل ما يتعلق بشئون السفن والقائمين عليها من عسكر أو المدنيين [2] وتكوينات الجيش البحرى والاشراف وتحصين السواحل وتعمير محارسها ومسالحها وشدها بالرحال [3] وخزنها بالمواد التموينية اللازمة طوال الحرب أو حصار أو ما شابه ذلك منذ فجر التاريخ لأنه من القدم وأهل المغرب كانوا مهرة فى ركوب البحر وهذا الديوان يدون فيه كل من يعمل بالأسطول وظيفته وراتبه وكل ما يتعلق به من أوراق، كان قائد الأسطول فى أعلى الوظائف وهو كما قال ابن خلدون اسمه الملند وهي منقولة عن الإفرنجة

قيادة الأساطيل:

من مراتب الدولة وخططها فى ملك المغرب وافريقيا ومرؤوسه لصاحب السيف وتحت حكمه فى كثير من الأحوال، ويسمى صاحبها فى عرفهم: "الملند" بتفخيم اللام منقولا من لغة الافرنجة ، فإنه اسمها فى اصطلاح لغتهم، وإنما اختصت هذه المرتبة بملك أفريقية والمغرب لأنهما جميعا على صفة البحر الرومى وتحت يده يعمل اعداد بمغيره من التوثيته أو عمال المراكب ويقول ابن خلدون "استخدموا من النواتيه فى حاجاتهم البحرية أما ذلك الكثير من الرجال المقاتلة والعساكر لمحاربة من وراء البحر من أهم الكفر هؤلاء وهؤلاء كان لهم قائد .. مسلموا المغربين الافرنج يوازن لفظة (أميرال) الآن[4].

وكان لكل سفينة عدد من البحارة (النواتية) يخضعون لكبيرهم الملقب بالرئيس الذى يتولى مع رجاله إدارة الشراع والمجاديف كما يتولى أمر ارسائه فى مرفئه[5].

وللحملة قائد من الأمراء أو من أصحاب المناصب العليا ما لم يتولى القيادة كبير أمراء البحر نفسه [6] ومن مقدمى الاسطول فى عهد تميم بن المعز (أبو الحسن الفهرى) الذى قاد الاسطول الموجه إلى جزيرة جربة فى سنة ٤٩٩ هـ[7].

ومنهم ايضا (ابراهيم بن عبد الله) الذى عينه على بن يحيى على الجيش ففتح جربة فى أواخر سنة ٥٠٩ هـ [1].

---

(1) لقد كانت هذه السفينة مشئومة لأنها كانت من أهم الأسباب المباشرة للغزو والنورمانى على المهدية وقابس إذا لجأوا بوس يوسف مولى الأندليس (منتصف سفره سبله إلى روجا ملك صقلية .. انظر الفصل السابق (الحياة السياسية) وانظر التجانى : ص ٩٨.

(2) أمينة الشوربجى رؤية الرحالة المسلمين للدولة الفاطمية ص ٦٤.

(3) حسين مؤنس تاريخ المسلمين بحر المتوسط ص ٦٠ وما يليها هناك وثيقة بردية يرجع تاريخها سنة ٢٤١هـ/٨٥٥م تعطينا فكرة عن تهديد البيزنطيين السواحل مصر حتى ذلك التاريخ وشد اهتمام الولاة بفعهم عن السواحل ومقدار ما كان يعانيه المصريين بالخدمة فى الاسطول وحماية الشواطئ ونشر النص حسين مؤنس، المرجع السابق ص ٦٤.

(4) ابن خلدون / المقدمة ص ٢١٦ وحسني عبد الوهاب / البساط ص ٢٩.

(5) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٢٤.

(6) المقدمة لابن خلدون ص ٢١٧ وارشيبالدلوس/ القوى البحرية ص ٢٤١-٢٤٢ ود/ العدوى الأساطيل العربية البحرية : ١٥٦-١٥٨.

(7) ابن عذارى/ البيان المغرب جـ ١ ص ٣٠٣.

ولم تقتصر عناية بنى باديس البحرية على ما سبق بل شيدوا المحارس واقاموا الحصون على الثغور البحرية وجعلوها متقاربة حتى تتمكن من صد غارات الافرنج المتوالية على بلاد السواحل الافريقية. وكان يطلق على هذه الحصون اسم (الرباط) ومن أشهر هذه المحارس أو الرباطات مرسى رادس والمنستير وسلقطة (والمحرس) قرب صفاقس وغيرها.

وكان يقوم على أمر هذه الحصون رجال ذوى خبرة بشئونها بحيث إذا أحس ثغر في الليل بقرب عدو أوقد نارا بكيفية مخصوصة من أعلى الحصن فيعلم حرس الحصن المجاور له بالخطر وينذر هذا الأخير بالطريقة المذكورة الحصن التابع وهكذا.

أما اذا طرق خطر فى النهار ولزم الاعلام به فإنهم كانوا يتخابرون بواسطة الحمام المربى فينقل الرسائل فى عنقه من محرس إلى آخر[٢].

ولقابس بحرية طالما بها جيش وكذلك أسطول تجارى كان سبباً فى نزاع مع بنى زيرى أدى إلى استيلاء النورمان على قابس والمهدية لكن بحرية الموحدين أنقذتهم.

[١] الرحلة التيجانية ص ١٢٥.

[٢] حسنى عبد الوهاب / البساط ص ٣١-٣٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الرابع

الحياة الاقتصادية

١- النشاط الزراعي :

أ- موارد المياه (الآبار - المواجل - الصهاريج)

ب- الإنتاج الزراعي

٢- النشاط الصناعي:

أ- نظم الصناعة وعوامل ازدهارها

ب- الصناعات الرئيسية

ج- صناعات أخرى

٣- النشاط التجاري:

أ- التجارة الداخلية :
* أسواق المدينة داخلها
* أسواق الأرباض والمرفأ

ب- التجارة الخارجية
* تجارة قابس مع مدن أفريقية
* العلاقات التجارية مع المدن المختلفة
* الطرق التجارية الخارجية
* الفنادق : أنواعها - نظامها.

٤- المعاملات المالية:

أ- العملة

ب- الصكوك والسفاتج

تمهيد:

توفرت في قابس منذ القدم مقومات اقتصادية عديدة مثل توفر المياه وخصوبة التربة مع المناخ الطيب الذي وفره خليج سرت الصغير فضلا عن موقعها المتميز.
أدت هذه المقومات إلى ازدهار الاقتصاد القابسي ازدهارا ملحوظا، أشار إليه الجغرافيون والمؤرخون القدامى والمسلمون كما سبق أن أشرنا وقد تنوعت الأنشطة الاقتصادية في قابس من زراعة إلى صناعة وتجارة وغيرها على النحو الذي سيتضح فيما يلي:-

أولا النشاط الزراعي:

كانت الزراعة في قابس تمثل الركيزة الأولى في حياتها الاقتصادية إذ قامت الصناعات بها على المنتجات الزراعية نتيجة العوامل الآتية:

١- خصوبة التربة
٢- وفرة مياه الري
٣- ملائمة المناخ
٤- الخبرة الزراعية والحقلية
٥- تشجيع الفقهاء ورجال الدين
٦- نظام الملكية والحيازة الزراعية

(١) خصوبة التربة:

يستفيد أهل قابس من الطمي الذي تجرفه مياه الأودية في تسميد الأراضي إلى جانب الأسمدة الطبيعية [١] وقد عاب الرحالة[٢] على أنهم يتبرزون في الأفنية ويبيعون فضلاتهم لطعمه البساتين على حد قول ياقوت [٣].

(٢) وفرة مياه الري:

وصفت قابس بأنها مليئة بالعيون الجارية ، ويذكر الإدريسي[٤] " أن لها واد يأتيها من غدير كبير ، وعلى هذا الغدير قصر سجة وبينه وبين قابس ثلاثة أميال " ، ويذكر التجاني [٥] : " ولها واد يسقي بساتينها ومزارعها ويخترق في كثير من مواضع الغابة دورها وشوارعها وأصل هذا الوادي من عين خرارة في جبل بين القبلة والمغرب منها وأكثر جناتها فيما بين المدينة والبحر ، لوادي قابس منابع كثيرة متتالية يبتدئ الوادي من أبعدها ثم يمر على بقية هذه المنابع ، منبعا تلو الأخر ، فتتجمع مياه وفيرة تنحدر بمجموعها نحو غابة قابس وبساتينها ، وقد سمى العديد منها والبعض أهملت تسميته[٦] ، ولكنها تساير الوادي المعروف باسم " وادي السيل " وبداية تلك المنابع الكثيرة التي تتكون منها مياه الوادي الوفيرة هي العين البيضاء التي يبدو وأنها عين الفرارة التي وصفها البكري [٧] والغدير الكبير التي تحدث عنه الإدريسي [٨] وهو أول المنابع

---

(١) ياقوت : المعجم ص٤ ، ص ٢٨٩.

(٢) مثل البكري : المسالك ج٢ ، ص ٦٦٧.

(٣) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة.

(٤) نزهة المشتاق: ج ١ ، ص ٢٨٠.

(٥) الرحلة : ص ٨٧ ، ص ٨٨.

(٦) المرزوقي : قابس ص ٢٠ - ٢٢.

(٧) المسالك: ص ٢ ، ص ٦٦٦ أنظر المرجع السابق نفس الصفحات.

(٨) نزهة المشتاق: ج١ ، ص ٢٧٩.

الكبرى التي تغذي الوادي ، وتتوالى من تلك العين الأجراف الكبرى[1] المشكلة حنايا تشبه حنايا الجبل ، وذلك سر تسميتها بالجبل إذ يخيل للناظر عندما يشاهدها من مجرى الوادي أنه أقام جبل كما يسميه الأول [2]، وإلى جانب العين البيضاء وجدت عيون كثيرة أخرى لا تقل عنها غزارة مثل "عين زائد" و"عين المهشومة" و"عين الترابكة" ، "عين هريس"، "عين سعد" [3] وغيرها الكثير وتلك العيون متباعدة نسبيا وتنبع من مساحات شاسعة تشمل أراضي كثيرة ليس لها أسماء ، وإنما هناك اسمان يجمعان غالبها هما رءوس العيون وهنشير سيدي هريس[4] وتلك العيون بعضها على الضفة اليمنى من الوادي مثل : عين زيد ، الشعالة... إلخ.

وهناك الكثير على الضفة اليسرى منها "عين الحنش" ، "عين المهشومة" – "عين الزرقاء" والشرشارة [5] وهذه العيون أو المنابع [6] منها ما ينحدر ماؤه إلى مجرى الوادي الجوفي المعروف بوادي بن يحمد وتسقى منه غابة ثنى وما يجاورها بينما ينحدر البعض الآخر إلى مجرى الوادي القبلي المعروف بوادي السيل ومجراه منخفض عن الأول بما يتراوح بين مترين وأربعة أمتار ولما كان الواديان متوازيين فإذا ما طغا الماء في موسم الأمطار انحدر ماء الأول فاختلط بالثاني [7] في موسم الأمطار انحدر ماء الأول فاختلط بالثاني [8] ، وقد نبه لوجود هذين الفرعين ابن سعيد [9] في القرن السابع من الهجرة: الثالث عشر الميلادي، فقال عنها: وينزل لها نهران من الجبل الذي في جنوبها يرويان غوطتها وتتوزع جداولها عليها " هذان الفرعان لوادي قابس هما الفرعان الأصليان خارج الغابة ، حتى إذا ما وصلا إليها تفرع كل منهما إلى عدة فروع أو جداول لتصل إلى السواقي ، فتسقى البساتين والمياه الباقية من السقي تنحدر كلها إلى الفرع القبلي [10] وتوجد مجموعة أخرى من الأودية التي يمكن أن يطلق عليها أودية سهوبية[11] بحتة فهي ذات نظام مائي متذبذب بشدة ، ولا تجرى هذه الأودية إلا بعد رخة مطر غزيرة ، ومنطقة قابس تتلقى أمطار بين (٢٠٠ ، ٤٠٠مم) ، مثلها مثل باقي أودية جنوب أفريقية بصفة عامة ، تلك التي تصب في خليج قابس وفي خليج بوغرارة وفي شطوط الغرسة والجريد والفجاج أو سبخات مثل سبخة الملح في جرجيس وبحيرة البيبان جنوب شرق جرجيس ، هذا الجريان المتذبذب لأودية السهوب بتقسيماتها المختلفة لا يعتمد عليه في الزراعة ، لهذا فقد

عرف الفلاحون بناء السدود[12]

---

[1] الأجراف: أرض طينية جرفت السيول أجزاء منها ، فتركت بها آثار عميقة تبدو كمنحنيات غائرة أو أخاديد: جمع أخدود.

[2] Faivre du Paigre: L`irrigation Traditionnelle dans L`oasis de gabés, P.2-7-35- C.t. T: 5 – 1452

[3] Faivre du Paigre mm. P.

[4] المرزوقي: نفس الصفحات

[5] المرجعان السابقان نفس الصفحات.

[6] هناك عيون أخرى كثيرة تحمل أسماء يبدو أنها سميت حديثا أو قديما مثل عين أولاد بيدان ، وعين أولاد بني فلاح ...إلخ.

[7] ستني قرية في أحواز قابس انظر Du Paigre: L'irrigationy P, 26 وانظر أيضا المرزوقي ص ٢٣ – ٢٤.

[8] بسط الأرض: ص ٧٨ وذكر عن ذلك أبو الفدا أيضا في ص ١٢١.

[9] المرجعان السابقان ، نفس الصفحات .

[10] المرجعان السابقان نفس الصفحات.

[11] السهوب: Styppes بمعنى مساحة مستوية من الأرض كثيرة العشب تعرف بالبراري

صلاح الدين حميلة : السهوب التونسية: رسالة دكتوراه ، ص ١٨ ، معهد الدراسات والبحوث الأفريقية ، قسم الجغرافيا سنة ١٩٨٩ .

[12] للعرب منذ العصر الجاهلي مهارة فنية في بناء السدود للاستفادة من مياه المطر والسيول كما بنوا الصهاريج المتصلة ببعضها على هيئة الكهاريز وجعلوا لها فتحات صغيرة لاستخراج المياه منها ، وأعظم مشروع للسدود العربية القديمة ، سد مأرب وسد حبيص وسد رحب وغيرها.. ، وأصبحت عدن جنات تجري من تحتها الأنهار بفضل نظام الري العربي أنظر: ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية ، ط ، بيروت ، ط (١٣ ، ص ١٥١) ، وقد امتازت قابس بوفرة مياهها ، فلم تعاني من قلتها كالقيروان ، وقد تغلب الزغالية على ذلك فبنوا فيها المواجل والبرك كبركة زيادة الله الثالث المترامية ،

والخزانات للاستفادة من مياه الأمطار ويختلف استخدام المياه في البداري تبعا لمصدرها حيث تستخدم تقنيات مختلفة تقليدية وغير تقليدية مثل:

١- مواجل الماء:

نظرا لعدم انتظام سقوط الأمطار في أفريقية ، اتجهت عناية الولاة لحفظها في المواجل للاستفادة بها. وهي عبارة عن أحواض مكشوفة تشبه البرك إذا امتلأت بالماء ، فيذكر اليعقوبي [١] " فإذا كان الشتاء ووقعت الأمطار والسيول ، دخل ماء المطر من الأودية إلى برك عظام يقال لها المواجل ، وكانت تبنى بالحجارة [٢] وتغطى من الداخل بطبقة من الملاط الشديد الصلابة [٣]، وذلك لمنع تسرب المياه من القاع والجدران ، كما كانت مستديرة الشكل متعددة الزوايا والأضلاع [٤] ، وحتى لا تتأثر حوائط المواجل بضغط الماء عليها ، أقيم في كل زاوية سواء في الداخل والخارج ركيزة (دعامة) مستديرة بالإضافة إلى ركيزة متوسطة تتوسط كل ضلع من الخارج[٥] ، وكان ارتفاع الضلع يمثل عمق الماجل[٦] ، وجرت العادة عند بناء الماجل الكبير إقامة ماجل صغير متصل به يسمى "الفسقية" يقع فيه ماء الوادي فتتكسر حدة جريانه مما يساعد على حماية حوائط الماجل الكبير من قوة تدفق الماء [٧] ولم يكن الاهتمام ببناء المواجل مقصورا على ولاة أفريقية في القرن الخامس الهجري ، بل عني خلفاء بني أمية بإقامتها ، إذ أمر الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٦هـ/٧٢٣-٧٤٤م) عامله على أفريقية ببناء المواجل خارج مدينة القيروان[٨] فبنى هذا الوالي من المواجل ما يكفي لإمداد المدينة بالمياه [٩] وقد وجه الأغالبة اهتمامهم إلى إقامة الكثير من خزانات المياه في جميع أنحاء البلاد ، ولا تزال بقايا هذه المنشآت موجودة في الطريق من القيروان إلى صفاقس [١٠]

٢- السدود الصغيرة

ويقيمها السكان في المناطق المغروسة وذلك للاستفادة من مياه الأمطار بتخزينها أمام هذه السدود فتشكل بحيرات صغيرة للاستفادة منها في الري وزراعة المراعي المروية.

٣- المدرجات:

وهي طريقة قديمة مستخدمة في المرتفعات والمناطق الجبلية

تبلغ ٤٠٠ ذراع × ٣٠٠ ذراع كما بنوا فيها قصرا جميلا يسمى قصر العروسين ، أنظر: ابن وردان : مملكة الأغالبة تحقيق محمد زينهم ، ط الفرجاني ، ط (١) ، ص ٤١.

(١) اليعقوبي : البلدان : ص ٣٤٧ — ٣٤٨.

(٢) أنظر المالكي : رياض النفوس / ص (١) ، ص ٢٥٨.

(٣) Greswell: Ashort Account, P. 291

(٤) Greswell: Ashort Account, P. 291

(٥) Marcais: L'architecture Musulmans, P.38 Gresweell: Ashort Account P. 291

والركائز في صناعة البناء كما يذكر دوزي " أعمدة غليظة تبنى في الزوايا ليعتمد عليها السقف المعقود بالحجارة. أنظر :

Dozy: Supplement oux dictionnairest, T. 1, P. 554

(٦) Greswell: Ashore Account, P. 291

(٧) البكري المسالك ، ص ٢ ، ص ٦٧٨

(٨) المصدر السابق: نفس الجزء والصفحات ، الوزير السراج : الحلل السندسية : ص ٨١ ١

(٩) المصدر السابق: ج١-ص٣٨

(١٠) أنظر الصفاقسي : نزهة الأنظار ص ١ ، ص ٣٨

٤- السدود التحويلية :

تستخدم للري حيث الأودية الجافة[١] ، وتشيد كحواجز بهدف رفع مستوى المياه ، ومن ثم تحويلها عبر قنوات تنتشر على ضفاف الوادي إلى الأراضي الزراعية لريها.

٥- المسقاه:

وتشكل مع السدود التحويلية ثنائية مهمة ومهيمنة على السهوب أو البراري وهي منتشرة في جميع أنحاء أفريقية ويزرع الزيتون فيها على مائها[٢].

٦- الجسور:

وهي حواجز تقام على الأودية لحجز الطمي أمامها وبناء المدرجات من التربة الخصبة لزراعة الفاكهة والخضراوات والحبوب الغذائية[٣]

* أما بالنسبة للمياه الجوفية فتتكون من :

١- الفجارات :

وهي نوع من الآبار وتسمى في براري قابس بالخرائق[٤]

٢- الآبار السطحية:

كانت تشكل الحل الجذري لمشكلات إمدادات المياه للشرب والري في المناطق الجافة والصحراوية لقابس.

وتوجد المياه الجوفية في كل مكان في البوادي وعند الجبال حول قابس مما جعل حفر البئر أمرا ميسورا لمن يريد الزراعة أو حتى البناء [٥] ، وهذه المياه الجوفية قد تكون عذبة رقراقة أو تكون مياه جوفية حارة ساخنة مثل مياه الحامة [٦] (حامة قابس) [٧] الذي يستفاد منها في الاستشفاء ، وكذلك واحة شاشو[٨] التي تستخدم فيها العيون والآبار الجوفية في الزراعة وعندما يحدث فيضان لأحد الأودية فإنه يستفاد من مياهه في ري البساتين ويذهب الباقي إلى البحر ، ولاتقاء شرور الفيضان ، يقوم الفلاحون بإنشاء سدود ترابية [٩] للاستفادة من المياه دون الغرق ، وتلك السدود قديمة عرفها الرومان في قابس وهي عبارة عن حفر طولية أو أخاديد بنسب متتابعة لكي تحتجز المياه الفيضية وتمنعها من الجريان الشديد كما تفتح أيضا في حالة حدوث المطر الشديد [١٠] ولا ننسى عرب الفتح الإسلامي لأفريقية الذين عملوا في تنظيم الزراعة والري وحفر الآبار وتحسين تلك السدود وتدعيمها وبخاصة القديمة بحيث لا يتجاوز

---

(١) وتنتشر هذه الطريقة القديمة في أنحاء الجنوب من أفريقية أنظر المرجعان السابقان نفس الصفحات.

(٢) Dupaigre, L'rrigatu nature ... P28

(٣) Ibid. P.28

(٤) صلاح حيدة : السهول : ص ٥٣ ، Ibid., P. 23

(٥) أنظر ص ١٠٠ من الفصل الأول من هذا البحث (جزء بناء المسكن القابسي)

(٦) استمدت الحامة اسمها من المياه الحارة فيها ، وقد سماها الرومان Aque Tacapitana

(٧) وهي حامة قابس تمييزا لها عن حامة الجريد ويستفاد من حرارتها في التقنية الزراعية الحديثة في الوقت الحاضر في قابس فيما يسمى بالفلاحة الجيوحرارية وهي باكورة المنتجات الزراعية من الخضراوات والفواكه المعدة للتصدير كلها وبخاصة طماطم الكرز التي هي مثل عناقيد الكرز أي عناقيد من الطماطم الصغيرة الحلوة الطعم وتصدر كلها بناء على طلب الدول الأوربية ويستغنون بها عن الكرز الغالي الثمن من برنامج تومي بتونس يسمى أرضي ونماء بالوعود ، يشرف عليه الصندوق الوطني ٢٦٢٦ في تونس ويذاع على قناة (٧) الفضائية التونسية.

(٨) المرزوقي : ص ٢٣

(٩) المرجع السابق ص ٣٢

(١٠) جميل الحجري: الجفاف المناخي في بلاد التونسية من بحوث ثروة المياه في الوطن العربي ط الجمعية الجغرافية (١٤١٥هـ/١٩٩٤م) ص ٢٣٩ حيث يقسم هذا الباحث تونس إلى أربع مناطق مطرية من حيث ارتفاع المنسوب فتقع قابس في المنطقة الثالثة المطرية أي المنطقة شبه الجافة أو شبه الصحراوية.

ارتفاعها نصف متر ، وذلك تبعا لدرجة انحدار الأرض [١] ومن أهم فوائدها ، إلى جانب تقليل الجريان السطحي للمياه ، ترسب طبقة الغرين أو الطمي أمامها مما يؤدي إلى زيادة مساحة المزروعات، فهي ضرورية إذ أنها تزيد من خصوبة التربة في بعض المواضع الصحراوية لذلك تزيد مساحة الرقعة الزراعية إلى جانب فائدة أخرى كبيرة إذ تنمو الأعشاب حولها بكثرة مما يشجع على الري وتربية الحيوانات[٢].

إن تقسم المياه في قابس قديم إذ تحدث عنه بليني[٣] في وصفه لبساتين قابس وجناتها وهناك اسمان يرجع إليهما الفضل في تقسيم مياه قابس تقسيما محكما إبان العصر الإسلامي ، أولهما رجل عربي من أهل قابس يعرف باسم شمام[٤] ، والظاهر أن تقسيم شمام قد حدث منذ أن اتسعت رقعة الغابة ، وهذا التقسيم إنما هو مراجعة للتقسيمات الأولية للمياه وهو التقسيم الذي ذكره بليني[٥] ، ويذكر المرزوقي [٦] أن شمام هو أول من حفر العيون وأوصلها ببعضها وسرب ماء للغابة و"فتق الفتوق" داخل الجبل وبنى السدود الأولى (الطوابي) ، ويذكر التجاني [٧] إنهم وصلوا إلى "موضع اسمه العقلة " وهو واد متسع بجبل يجري في وقت الأمطار ويجف في غيره وصادفناه في ذلك الوقت ليس به ماء إلا ماء في إحساء صغيرة وتلك الإحساء هي المياه بالعقلة والعقلة عند العرب هي التي يحبس الماء فيها عن أن يسير[٨] " أما من ناحية السدود فأشهر سد في قابس هو سد الرحا في وسط ساحة الرحا [٩] المعروفة في قابس وتقع هذه الساحة في آخر البساتين الغربية من الغابة على بعد رمية سهم من قرية المعايطة المجاورة لقرية شنني أما التقسيم الآخر ، فقد تم على أيدي الرجل الثاني المسمى بابن الشباط التوزري المصري [١٠].

وأهل الجريد يتفقون على أنه مبتكر طريقة توزيع المياه على واحات النخيل على أنحاء واحاتهم العديدة وذكره البكري[١١] والتقسيم واحد في كل الواحات.

ملاءمة المناخ :

من خصائص موقع قابس تأثيره في طبيعة مناخها وتتميز بمناخ خاص ، فالصيف بها حار جاف ما عدا الساحل في الشرق منها وأعالي الجبال منها ، أي في الجنوب أما من الجهة الصحراوية ، فالمناخ صحراوي قاري جاف بارد شتاءا حار صيفا ، وتهب لفحات حارة بصفة مستديمة ، وهذا يعجب السكان حيث أن هذا مفيد للإنسان ، وينضج فيه النخيل ويعطي تمورا شهية وكذلك الفواكه[١٢] والزيتون ، وترتفع معدلات الحرارة أكثر مما هي عليه في شمال أفريقية ، وكميات الأمطار أقل من شمال أفريقية إذ لا تزيد عن ٢٠٠ مللي ، وهذا المناخ له تأثير على التربة ،

---

(١) ناجي معروف : ص ١٥١ ، المرزوقي ص ٣٣

(٢) المرجعان السابقان نفس الصفحات.

(٣) أنظر ص ٢ من هذا الفصل

(٤) يذكر المرزوقي أن اسم شمام موجود في قابس تحمله عائلة من سكانها ، كما أن هناك عين تسمى عين شماما (كما أشرنا سابقا) قابس جنة الدنيا ، ص ٥٢

(٥) المصدر السابق

(٦) المرجع السابق ، نفس الصفحة

(٧) الرحلة : ص ١٩٣

(٨) التجاني : ص ١٨٣

(٩) وهي عبارة عن قطعة أرض فسيحة متساوية الأضلاع تغمرها المستنقعات من المياه وتغطى جوانبها الأعشاب والحشائش الخضراء وفي وسطها الخلات يقع ظلها على سد لتقسيم مياه الوادي إلى فروع وجداول كثيرة أنظر : المرزوقي ص ٢٩

(١٠) هو أبو عبد الله محمد بن علي عمر المعروف بالمصري من توزر ، قرأ القرآن وتعلم الفقه ودرس بجامع الزيتون وتولى القضاء بتوزر ، وعائلته كانت نصرانية وأسلمت ، وكان جده قد انتقل إلى القاهرة ، ومات فيها وولد ابنه فيها ثم رجع إلى توزر المرجع السابق ص ٢٤

(١١) المسالك ، ج (٢) ص ٦٧٣ وأنظر المرجع السابق : نفس الصفحات

(١٢) محمد العزيز نجاحي ، مدينة دوز ، ط المطبعة الأساسية تونس ، ط (١) ص ٣٣ وما يليها

فهو يساعدها على تفتيت المواد العضوية كما يزيد من ذوبان المعادن بها ، فترتفع خصوبتها وذلك يساعد على نمو النبات وتمام النضج وحلاوة الطعم[1].

أثرت العوامل الجغرافية السالفة الذكر في النشاط الزراعي ، فقد كان العمل الزراعي في قابس يقوم على الدورة الزراعية الثلاثية ، فالأرض بين بور وقليب ومعمورة فالبور لا تصلح إلا بالقليب والتربيل والتسميد ، والقلب هو حرث الأرض مرتين إلى أربع حسب الأرض ونوع الزرع أو الغرس ويبدأ القلب في الغالب من يناير ويستمر إلى يونيو حيث تترك معرضة للشمس المحرقة ورغم صعوبة هذا العمل والجهد الذي يبذل فيه إلا أنه لابد عنه لأن بعض المحاصيل لا تجود إلا في أرض القليب كالقمح ولأن القليب يجود الأرض فنجد الفلاحين يشترطونه من كراء الأرض أو مزرعتها أو مغارستها وأحيانا يستعيضون عن القليب بزراعة ما يزيد التربة خصوبة مثل اللوبيا والفول ، ويحرص الفلاح على الاستفادة من الأرض فيزرع غير محصول في وقت واحد في ذات الرقعة المزروعة من الأرض ، فنجد البقول مع الغروس واللوبيا مع الزعفران[2] وفي أوان الزرع تحرث الأرض بالثور ، وتختلف عدد السكك التي تشق الأرض حسب طبيعة ونوع الزرع ، وبعد الزرع تعدل الأرض ليستوي جرى الماء عليها ويتم تعديل الأرض وتسويتها عن طريق الجاروف الذي تجذبه البقر ومتى تم تعديل وتسوية الأرض خططت للغرسة خطوطا مستقيمة مقابلة للريح من كل جهة ، وتتباعد الغروسات باختلاف أنواع الثمار ، وإذا كان لزراعة المحاصيل فتسوى الأرض أحواضا وتتباعد البذور بدرجات تختلف باختلاف أنواعها[3]. وكان لابد من ثلاثة عناصر رئيسية ، الزريعة أي البذور ، والأدوات اللازمة للعمل والطاقة الحيوانية المساعدة لضمان وفرة الإنتاج. كما اهتم فلاحو قابس بالتزبيل وتسميد الأرض اهتماما بالغا وخاصة في التربة المجدبة والتي تقع في الجريد.

٣- الخبرات الزراعية والحقلية:

كان الفلاحون يعيشون في القرى والقصور[4] التي انتشرت في مناطق الزراعات التي تكاد تكون متصلة[5]، وقد تتكون القرية من اثنتي عشرة دارا وتصل إلى أكثر من خمسين وهي تسمى منازل في منطقة قابس ، وكذلك في بلاد الجريد بصفة عامة ، وتكثر هذه المنازل مثلما في قفصة [6]، حول قابس متناثرة في غابتها الكثيفة الأشجار[7]، وكان الفلاحون يستعملون المحراث التقليدي والفأس والمنجل والمدراة وأدوات الزراعة المعروفة في ذلك الوقت ، وتساعدهم الأبقار في عمل الحقل.

ويطلق اسم (جياد) على الفلاح وذلك من أول منطقة قابس إلى برقة وفزان [8]

---

(1) المرجع السابق : ص ٣٥

(2) د. عز الدين موسى / النشاط الاقتصادي في المغرب ص ١٨٩ وأنظر مي عبد العزيز : الحياة الاقتصادية في العصر الحفصي رسالة ماجستير في معهد الدراسات والبحوث الأفريقية مخطوطة ص

(3) د. عز الدين موسى / النشاط الاقتصادي في المغرب / ص ١٩٠

(4) القصور : جمع قصر يستعمل هذا المصطلح في جبال مطماطة ودمر وكل جبال أفريقية للتعبير عن القرية وبخاصة المحصنة.

(5) الاستبصار ص ١٥٣

(6) المصدر السابق : نفس الصفحة

(7) البكري : ج (٢) ص ٦٦٦

(8) لأمين حوسان: مخطوط خواطر وآراء حول الزراعة ، ترجمة عبد الكريم بوشويرت ص ٢٦-٢٧ مجلة البحوث التاريخية ، جامعة ليبيا ، العدد الثاني يوليو ١٩٨١.

تشجيع الشيوخ والفقهاء للزراعة:

حفلت السير المنقبية لجماعات الإباضية المنتشرة في قابس وما حولها بمعلومات كثيرة عن النشاط الزراعي والرعي ، وكان مشايخ المذهب يحضون على الاشتغال بالزراعة بصفتها وسيلة إنتاج الطعام الرئيسية [1] ، وتبعا للتقاليد الإسلامية التي تقرر أن أحياء الزراعة من أحياء الدين والتي تنص عليها كتب الزراعة ، فقد قرأ الشيوخ في بعض الكتب " إن من فن غرس سبع فسايل يرعها من حلة وغرسها في حلة حتى أخذن وقمن ، قال : للنار سبعة أبواب تسد كل فسيلة منها بابا" [2] وكان الشيخ الأباضي أبو محمد تزوارسن[3] يعمل بهذا المبدأ إذ إنه بعد عودته من أداء فريضة الحج عام ٤٤١هـ حمل معه من الحجاز ستة غروس من نخيل التمر منها البرني والعجوة والصبحاني [4] وفي سبيل تشجيع الزراعة والرعي وتربية الحيوانات اللازمة للزراعة ، أحدث الفقهاء نوعين من "الرخص" في مجتمع الإباضية المتشدد ، وظهرت فتاوى تقول أن الزريعة إذا كانت حراما لا جر حراما ، والبقر الحرام لا بأس بالزراعة به [5] كان الشيوخ من العزابة [6] يعملون في الأرض بأنفسهم[7] ، كما جرت العادة أن يعمل الطلبة في حصاد الزرع بعد تمامه[8] وحسب عرف الإباضية كان تقدير مساحة الحوض " عرضه كساء أربعة أذرع ، وطوله كساء ثمانية أذرع " وكانت قيمة هذا الحوض دينارا [9].

وفي تقييم ما يلحق بالأشجار والأرض من فساد ، قال فقهاء الإباضية بمبدأ تقييم الأرض وهي طيبة مزروعة ثم تقييمها بعد ذلك بعد أن نزل بها الفساد فيكون على المسئول عن الفساد رفع الفرق ما بين الثمنين كما يجوز تقييم النبات فقط [10]. كان وجود بئرين في الجنان مما يعبها لا سيما إذا كانت البئر ملكا للغير[11] وكانت زراعة الشعير هي السائدة في البادية وكان الناس يخزونه من الحول إلى الحول [12] لمؤونة القبيلة والسائحة التي تملكها والتي تحتاج ملكيتها إلى توفير الكلأ والتبن لها[13] . وقد سعى الفلاحون إلى تخزينها في مكان أمين باعتبارها المادة الحيوية للعمل الزراعي. ذكرت بعض كتب النوازل بصدد مجتمعات التعاون مزراعة ومغارسة وأن مجموعة من الفلاحين قامت بتعمير أرض وغرسها مدة طويلة ثم حاول عامل السلطان سلبها مدعيا أن السلطان أقطعها له[14] ، وهكذا فإن الفئات المهيمنة من ولاة وأعيان هم المتنفعون الأساسيون من عملية التعمير لإمتلاكهم السطوة والنفوذ والرأسمال العقاري من أرض وطاقة حيوانية [15]

---

[1] أنظر: سعد زغلول : هامش على مصادر سير الإباضية من أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ، ط (١) ، ص ٧٦

[2] الوسياني : السير ، ورقة (٤٧) ، وأنظر : سعد زغلول: هامش على مصادر تاريخ الإباضية ... ص ٧٠

[3] للمصدر السابق ورقة ٣٥ ، المرجع السابق ٧٠

[4] نفس المصدر والمرجع ، نفس الصفحات

[5] نفس للمصدر : ورقة ١٩٢

[6] لفظ أصله من العزوب أي ترك متاع متاع الدنيا : الدرجيني طبقات المشايخ ج٢ – ص ١١

[7] الوسياني : ورقة (١٠٢)

[8] المصدر السابق ورقة (١٨٢)

[9] نفس المصدر ورقة ٢٠م

[10] نفس المصدر ورقم ٣٥ م

[11] نفس المصدر ورقة ٣٥

[12] سعد زغلول هامس .. ص ٨٩

[13] سعد زغلول : هامش ص ٧١

[14] محمد حسن : الريف المغربي : ص ١١

[15] المرجع السابق : ص ١٢

نظام الملكية والحيازة

انقسمت ملكية الأراضي بصفة عامة في أفريقية على النحو التالي:

١- **أراضي العروش** : وهي أملاك القبيلة ملكية عامة لأفرادها في مقابل رفع الخراج للدولة

٢- **أراضي الملك**: التي تخص فرد أو أفراد أو عائلة ملكية خالصة

٣- **أراضي الديلك أو المخازن** : وهي أراضي تمتلكها السلطة الحاكمة أو تخص الوالي أو السلطان.

٤- **أراضي أوقاف أو أراضي حبوس**: أو الإنزال التي أوقفها المسلمون للخدمة العامة كبناء مسجد أو سوق أو لحفر بئر أو إقامة دمنة[١] أو مدرسة.

كان للأحداث التاريخية التي عرفتها بلاد المغرب - بصفة عامة - تأثير ملموس على أوضاع الملكيات الزراعية وانعكاس مباشر على القوانين الخاصة بها أسوء منها ما يعود إلى الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي في القرن الأول من الهجرة السابع من الميلاد ، أما ما يرجع إلى زمن الدول التي ظهرت ببلاد المغرب منذ انتشار الإسلام وحتى مطلع الدول الحديثة [٢].

وكان ماعون الفينيقي [٣] أول من زرع الزيتون والتين والكروم ،

ولما جاء الرومان وسعوا الزراعة وحولوا أفريقية إلى مزارع خاصة معتمدين على القوة العسكرية المعززة بالحصون والخطوط الدفاعية Lims الممتدة من قابس إلى حافة الصحراء [٤].

وقد ظلت تقاليد الملكيات الزراعية للعهد الروماني راسخة كما ظلت أساليب خدمة الأرض متوارثة حتى الفتح الإسلامي ، أما بعد الفتح الإسلامي فقد كان له انعكاس على حالة الفلاح وعلى وضعية الأرض (ازدهرت الحياة الاقتصادية بفضل قيام دولة الأغالبة ، فقد بنوا المواجل والصهاريج لتخزين المياه وطوروا الزراعة) [٥]. والسؤال بالنسبة لوضع الملكية في أفريقية ، هل فتحت أفريقية صلحا أم عنوة ؟ وكيف كان الوضع بالنسبة لقابس ؟ إن الإجابة غامضة بالنسبة لقابس بالذات.

لقد نقل عبد الله بن أبي زيد عن ابن سحنون قال " كشفت عن أرض أفريقية ، فلم أقف منها على حقيقة هل هي عنوة أو صلح [٦] كما جاءت عبارة أوردها الونشريسي [٧] " وأما بلاد أفريقية .. ففيها بلاد ليست صلحية ولا عنوية. وفي القرن الأول من الهجرة يبدو وأنه اتبع في ملكية الأرض نفس النظام الذي اتبع في الفسطاط في توزيع القطائع على أراضي الفسطاط وضواحيها إذ وزعت الخطط بعد تأسيسها على القبائل المشاركة في الفتح لبناء الدور ، وتجاورت قطائع الأراضي إلى الأراضي الزراعية للنبلاء البيزنطيين الذين فروا بعد الفتح تاركين أراضي شاسعة ومن المعروف أن أغلب الأراضي قد بقيت بأيدي السكان الأصليين.

---

(١) دمنة : بمعنى مستشفى أو دار علاج وهذا المصطلح خاص بأفريقية ، أنظر: حسن حسني عبد الوهاب ورقات .. ج ٢ ، ص ٤٢٠ وجدت في قابس عروش كثيرة منها عرش الشمامة أحفاد شمام مقسم المياه عرش ، الجماعة وهم يذكروننا بني جامع حكام قابس وخارج المدينة بنو وشاح وبنورياب ، أما بالسور في داخلها ، ففي مقدمتهم عرش بني مكي اللوانيين حكام قابس في مطلع القرن الثامن الهجري ، المزروقي ص ١٢٩-١٣٠ ، ابن بطوطة ص ٢١-٦٥٦.

(٢) ناصر الدين سعيدوني : أنواع الأراضي في القوانين العثمانية : شمال أفريقية الحضارة الإسلامية بحوث ودراسات مآب مؤسسة آل البيت ط ١٩٨٧ عمان ج ٣ ص ١٦٥ وما يليها.

(٣) لقد كان الفينيقيون شعبا من شعوب البحر المتوسط من ناحية الشرق متعاطيا للتجارة والملاحي لكنهم أسسوا حضارة في أفريقية بتأسيسهم قرطاج ٨١٤ — ١٤٦ ق.م ومصارفها التي كان من أهمها تاكابلس أو تاكاب وهي قابس الفينيقية التي وضعوا فيها كل خبرتهم الملاحية والزراعية ديبو Depois تونس ص ٦١-٦٢

(٤) سعيدوني : ص ١٦٦

(٥) ابن وردان : مملكة الأغالبة : تحقيق محمد زينهم ط مدبولي ، ط ١ ص ٤٠.

(٦) الحبيب الجنحاني: دراسات في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب العربي ط بيروت دار الغرب الإسلامي ١٤٠٦- ١٩٨٦ ط ٢

(٧) المعيار المعرب ط ٨ ص ٢٠٨

بعد انتصار المسلمين وهزيمة جرجير ، طلب رؤساء أفريقية من عبد الله ابن أبي السرح أن يأخذ منهن مالا ويرجع ، فقبل ورجع إلى مصر ، ولم يول عليها أحدا ، وبعد انتصار حسان بن النعمان على قوة المعارضة العسكرية بزعامة الكاهنة (سنة ٨٢هـ/٧٠٤م) [1] ، بدأ التفكير جديا في تنظيم شئون أفريقية في المقدمة الخراج وملكية الأرض ، وصالح على الخراج ، وكتبه على عجم أفريقية وعلى من أقام معهم على نصرانيته [2] ، كما ساوى حسان في الأعطيات بين العرب والبربر ووزع الأراضي بين فقراء البربر ، بعد أن كانت ملكا لحكومة بيزنطة فازدادوا ثقة بالإسلام وأهله. ولم يبق ملكا عاما للمسلمين بقطع منه والي أفريقية على رؤساء الجند وزعماء القبائل الأرض الموات أو المهجورة التي تركها البيزنطيون[3].

لو طبقنا هذا على قابس ، لوجدنا بالتأكيد ولاة ورثوا الأرض الموات التي كانت للحاكم البيزنطي (الأكزرخ) وللأسف حيث إن قابس كانت مقرا للأسقفية [4] قبل الإسلام. وكان الولاة يعطون أراضيهم الخاصة للوكلاء لزرعها[5] ويبدو وأن الإقطاع قد تطور وسمح للرتب العسكرية والإدارية بامتلاك الأراضي الكبيرة ولما جاءت الدولة الفاطمية ، لم تدخل تغييرا كبيرا على الملكية الزراعية ، فقد احترم الخلفاء الملكية الخاصة ، وكما هو معهود في كل عهد حديث ، فإن المقاطعات الكبيرة التي بقيت شاغرة بعد إعلان دولتهم وكانت للأمراء السابقين أو لأعوانهم وهجرت وأصبحت أرض موات منحها الخلفاء للشخصيات البارزة من أهل أفريقية وغيرهم من الموالين ، لهم مثل رجال كتامة على سبيل المثال عندما أقطعهم عبد الله المهدي مثل يوسف بن بلكين الزيرة عندما أقطعه المعز لدين الله الفاطمي المسيلة وأعمالها[6] وكما أقطع فيما بعد الأمير باديس بن زيري فلفل بن سعيد مدينة طبنة[7]. ولو طبقنا بعد هذا التاريخ – أي عند دخول العرب الهلاليين قابس ، سنجد أنهم امتلكوا قابس أو أجزاء منها وخصصوا البارين منهم الأراضي التي كانت مهجورة أما في عهد الموحدين سمى الإقطاع بالسهام أو السهوم[8] وكان الإقطاع في بداية الدولة تمليكا ، فأقطعت كل البلاد التي تفتحت على أيديهم للقبائل الموحدية على أسسهم القبلية وبعد استقرار الدولة بغير نظام الإقطاع ، أصبح الغرض منه رفع جزء من الرواتب [9] أو تسكين [10] أو تأليف أو لقاء خدمة [11] أو هبة والإقطاع الموحدي غالبا ما كان مزارعة أو مشاركة لأن هذا يتفق ونظرة الموحدين للملكية بعد قيام الدولة ، بمعنى أن الدولة دخلت شريكا إقطاعيا مع الملاك الأصليين لها حصة من دخل الأرض وكان الإسها أو الإقطاع يسجل في ظهير ولم يرد شئ عن الوراثة ، وقد ينزع ضمن المستخلص [12] كان بقابس نظام حيازة الأرض كما حدده الفقهاء بالنسبة لأربعة – وعاد ما يطبق النظام علي باقي المناطق من

---

(1) الحبيب الجنحاني : دراسات .. ص ١٢٣

(2) ابن عذاري : البيان ، ج (١) ص ٣٧-٣٨

(3) الرقيق القيرواني : قطعة من تاريخ أفريقية ص ١٢ أنظر : عبد العزيز الثليلم حسان بن نعمان ودروه في فتح بلاد المغرب الرسالة (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)

(4) Encyclopedia Vh P 356.

(5) ابن أبي الضياف : أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الأمان
ط. تونس (١٣٨٣هـ/١٩٦٣) ط (١) ص١٢٢

(6) ابن الأثير : الكامل ، ج(٨) ص ٢٣٥

(7) المصدر السابق ج (٩) ص ٥٧

(8) ابوقل ابن الخطيب ابن همشك : (اقطع سهاما لها خطرا) انظر الإحاطة في أخبار غرناطة
ط بيروت ج (١١) ص ٣١١

(9) كان الجند للموحدي يعطي إلى جانب راتبه الذي يسمى بركة أو إحسان

(10) قد يقطع الموحدون من يخشون فتنه لتسكينه كما فعل عبد المؤمن مع بني هلال.

(11) ابن عذاري : ج (٢) ص ٨١

(12) المصدر السابق : نفس الجزء ، ص ٢٥ وأنظر عصمت دندي الأندلس في نهاية .. ص ١٦٠

الشروط ما يسمى بالملكية بوضع اليد فبينما الفقهاء مختلفون فيما إذا كانت المدة المطلوبة لذلك تقدر بعشرين عاماً جعلها فقهاء الإباضية بثلاث سنوات فقط ، حتى لو كان صاحب الأرض موجود وقت حرثها وزرعها[1] ، كما وافق الفقهاء على زراعة الأرض المشاع أي الأرض التي يرتفق بها[2] ، والأرض التي يترفق بها تعني أراضي الإرفاق بمعنى ذات المنفعة البشرية العامة كالصحاري والفوات والتلال ومنازل السفر وغيرها ونجد تحديدها وشروطها عند الماوردي[3] الذي ذكر لنا أيضاً أراضي الحمى هي المخصصة للكلأ ورعي الماشية حسب ما يراه الإمام [4] أما الخماسة وصغار الفلاحين فإنهم يمثلون القوى العاملة في استصلاح الأراضي وإعدادها للزراعة[5]

هل الخماس شريك أم أجير ؟ :

جاء في مستهل قطعة مخطوطة [6] غير مؤرخة ما يلي:

" وأجرة الخماس أمر مشكل وللضرورية تساهل والمعنى أنه جرى العمل بالتساهل في مسألة الخماس للضرورة الداعية لفعلها مع كونها مشكلة لم يتضح وجه الجواز فيها وصورتها أن يخرج أحد المشاركين في الحرث جميع ما يحتاج غليه من أرض وبذور وبقر وآلة .. إلخ ، ويخرج الأخر عمل يده فقط على أن يكون للعامل جزء من الحصاد كالخمس مثلاً ، أو أقل أو أزيد وللآخر ما بقي ، ووجه الإشكال هو عدم تمحيصها للشركة ولا للإجارة وعدم توفر شروط الصحة لأي منها " [7]

وقد اختلف الفقهاء في تحديد وصف الخماس ، فقد رأى سحنون أنه شريك بناء على ما قاله مالك ابن أنس [8].

" إن الجير لا يستأجر بشيء مسمى ، لا تجوز الإجارة إلا بذلك ، وإنما الإجارة بيع من البيوع، إنما يشتري منه عمله ولا يصلح ذلك إذا دخله الغرر لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع الغرر"[9].

فإن كان الخماس شريكاً وجب عليه دفع قسطه من الزكاة ، وهذه إذا كانت الخماسة لا تجوز إلا بالإجارة لأنه لا يصح لأجير أن يدفع عن زرع لا يملكه[10] وإن كان الخماس شريكاً بأخذ نصيبه من التين خلافاً للآخر فإنه لا محالة مطالب بتولي القيام بعلف الماشية حتى في سنين المسغبة [11] ويبدو أن شركات الخماسة كانت موجودة لكنها لم تكن كثيرة مثلها مثل باقي أنحاء

(1) الوسياني السير : ورقة ٥٦ ظ

(2) المصدر السابق ورقة ١٠٢ و

(3) الأحكام السلطانية : ص ٢٨٨ وأنظر إبراهيم حركات : النشاط الاقتصادي في العصور الوسطى ، ط (١) ص ١١

(4) المصدر السابق : نفس الصفحة

(5) محمد حسن : الريف المغربي : ص ١٢

(6) مخطوطة برقم ١٧٩٣٥ : ص ٧١٠٥ في دار الكتب الوطنية بتونس ، وأنظر محمد حسن : ملامح من الريف المغربي ص ٢٠ هامش ٤٥.

(7) المرجع السابق : نفس المكان

(8) انظر مالك : الموطأ : القاهرة (١٣٧١هـ/١٩٥٢م) ج(٢) ص ٧٠٦

(9) مالك : الموطأ ج (٢) ص ٧٠٦

(10) وردت هذه النازلة في جامع البرزلي مخطوط رقم ١٢٧٩٣ وكذلك في النوازل الونشريسي ج(٨) ص ١٥٠-١٥٤. وأنظر محمد حسن : ملامح .. ص ٢١ ، هامس ٤٧

(11) المصدر السابق : نفس الجزء والصفحات والمرجع السابق نفس الصفحة ، هامش ٤٨

أفريقية ومثل الريف المغربي ككل وجدت شركات المزارعة في كل الواحات[1] ، فتكون لمدة محدودة وتعددت بتعدد المكونات الخمس لشركة بزراعة وهي :
الأرض والعمل والزريعة والأدوات والبقر ، وهكذا بقي الفقه حريصا على ربط علاقات دقيقة بين عناصر الإنتاج الزراعي المختلفة [2] ، أما نظام المساقاة المطبق على الزراعات المرونة كان نصيب الماء فيه يتراوح بين عشر إلى ثمن المحصول [3] أما بالنسبة للزياتين فيبدون للمساقي الحق في "نصف ما يخرج منها" ودليلنا ما جاء في سيرة العالم التميمي المعروف بالسبوري[4] " كان يملك من الزيتون بالساحل اثنى عشر ألف زيتون ويعمد إلى شجرة منها يأتدم وينتجع به والنصف الآخر مع بقية الزيتون للفقراء والمساكين ، كان في قابس مثلما في غيرها حراسة على المحاصيل الزراعية قبل حصادها وعالجت فتاوى ابن أبي زيد هذا الموضوع وأوضحت وجوب مكافأة هذه الخدمة بأجر ثابت وغير مشروط[5] وكذلك حراسة السواقي والنواعير ، كما ألمحت النوازل إلى العديد من الحوائج التي قد تصيب المحاصيل منها السيول والجفاف والبرد الشديد [6].
شهدت قابس تطورا اقتصاديا واضحا على عهد بني جامع الهلالين فزرعوا القمح والحبوب ، فكثرت البساتين العربية [7] المتمركزة حول بركة أو فوارة وحوض من الزهور وحوله الأشجار الوارفة الظل تحفها رائحة القرنفل والورد والياسمين وأصبحت قابس زراعيا : كما قال ابن بدون[8] عن الزراعة " هي العمران ومنه العيش كله والصلاح حله وفي الحنطة تذهب النفوس والأموال وبما نملك المدائن والرجال وبيطالتها تفسد الأحوال ، ويحل كل نظام ".
وبجانب عمل اليهود بالزراعة في قابس كان هناك ملاك يهود لأرض زراعية يقيمون في المدينة وتزرع أراضيهم بواسطة نظام المزرعة حيث تصلهم نسبة معينة من المحاصيل كما يبدو وأن الزراعة في قابس اعتمدت على الري أيضا بالغمر بواسطة النهر وكذلك الإقراض بضمان الأراضي الزراعية منتشرا بين اليهود [9].
بالنسبة لليهود في قابس فقد كان امتلاكهم للأراضي الزراعية مظهرا من مظاهر الترقي والتقدم في مجتمعهم ، وإن كان ابن خلدون [10] قد أشار عابرا أنهم قد اشتغلوا بالفلاحة فإن المصادر التاريخية تدلنا على أنهم برعوا في التجارة [11] والسياسة [12] ، مع أن هناك بعض المصادر المعاصرة أوردت بعض أسئلة وفتاوى دينية تؤكد امتلاك بعض اليهود لبعض الضياع في قابس

---

(1) نفسها

(2) محمد حسن : ملامح .. ص ١٨

(3) فتوى البرزلي : مخطوط ورقة ٢٣٦ ، وأنظر ه إدريس : الدولة الصهناجية ، ج(٢) ص ٢٣٦

(4) الأسيدي الدباغ : معالم الإيمان .. ج (٣) ص ١٨٣.

(5) الونشريس : ج(١) ص ١٤٤ وأنظر الإدريسي: ج(٢) ص ٢٣٦

(6) كمال مصطفى : جوانب من الحياة .. من خلال موازل الونشريس :
ط إسكندرية (١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ص ٦٤

(7) البساتين العربية كما جاء وصفها في المتن أما الأخرى فتكون من مما شتى طولية وطرقات
أنظر عثمان الكعاك : الحضارة ص ٥٥-٥٦

(8) في القضاء والحسبة ص ٥

(9) Menhem- Ben Sasson: The jews community of gabes in the 11en century, in communte juirfs de marges sahariennes du maghereb, jerusalem, 1982, P279.
وأنظر: عبد الرحمن بشير : اليهود في المغرب العربي من الفتح الإسلامي حتى قيام دولة المرابطين ، رسالة دكتوراه – كلية الآداب جامعة الزقازيق سنة ١٩٩٨ ص ٩٧-٩٨.

(10) العبر: ج (٦) ، ص ١٢١.

(11) انظر : تقييم ذكر دور اليهود في التجارة في العصور الوسطى

(12) المرجع السابق – المقدمة.

واحترافهم للزراعة فقد أورد هيرشبرج Herchberg [١]. أرسل سؤالا من الرباة في مدينة قابس إلى الجاؤون جاي Hay عن حقل يروي بواسطة قناة تمر من خلال حقل مالك آخر ، ودار نزاع حول حق الانتفاع بالقناة وما ينمو من نباتات على حافتيها وسؤال آخر حول إرث (في قابس) من أرض زراعية مرهونة طالبا من الجاؤون فتوى حول إمكانية تقسيمها بين الورثة أم بيعها لسداد الرهن [٢]، وسؤال آخر عن بذور تالفة [٣].

الإنتاج الزراعي:

تشتهر قابس بوفرة الإنتاج المتنوع " وفيها جميع الثمار ، والموز فيها كثير وفيها شجر التوت الكثير[٤] " وتقوم الشجرة الواحدة منها من الحرير وما لا يقوم من خمس شجرات غيراها، وبها قصب السكر كثير [٥] ، هذا القصب قد أدخله العرب إلى البلاد [٦] تلك البساتين التي ذكرها التجاني [٧] ، وقد أحدقت غابته من جميع جهاته ، وبهذه من الجواسق ، والنخل المتناسق" ، " فأما النخل فجمع عظيم" [٨] والذي لا يعادل حلاوة ثمار تميز غيره [٩] ولم تقتصر الزراعة في قابس وغابتها فحسب ، بل انتشرت في كل واحاتها المتناثرة وكما يكثر فيها النخيل فقد اشتهرت بالتين والزيتون والأعناب [١٠] ويصف صاحب الاستبصار أنه ليس ببلاد الجريد عنبا من الحامة وشرابه أطيب شراب [١١] وكانت قابس كما يقول المراكشي [١٢] أخصب أفريقية وأوسعها فواكه وأعنابا كما أسلفنا الذكر.

أما الخضر فقد انتشرت زراعتها في جميع أنحاء أفريقية واختصت قابس بالأنواع الممتازة منها وأشهرها: الخيار والقثاء واللوبيا والطماطم والباذنجان والكرنب وسائر البقول وغير ذلك من مختلف الخضراوات المتنوعة أصنافا وأحجاما [١٣] ، وكذلك زرعت الأرز والذرة والفول والحمص والعدس [١٤].

وكذلك الحبوب مثل القمح والشعير والدخن والجلبان والبسلة التي تسمى السيم وأنواع من الخوخ والرمان السفرجل والتفاح واللوز[١٥] والكمثرى والخروع [١٦]والأترج والنارنج والتوت الأبيض والتوت الأسود المسمى الفرصاد[١٧] كذلك زرع في قابس الهليون [١٨] والزعتر وأنواع الورود الرائعة مثل النيلوفر والسوسن والبنفسج والياسمين ، وكذلك أنواع الأعشاب

---

(١) Astory of the jeus in north Africa, P. 40

(٢) Ibid

(٣) Ibid

(٤) البكري : المالك ، ج(٢) ، ص ٦٦٦ ، وأنظر / ياقوت المعجم ج(٤) ،ص ٨٩

(٥) المصادر السابقة نفس الأجزاء والصفحات وأنظر ارسيباند ولويس القرى البحرية ص ٣٤٠

(٦) نفس المصادر السابقة والصفحات

(٧) الرحلة ص ٨٦.

(٨) الإدريسي ج(٢) ، ص٢٧٩

(٩) المصدر السابق وأنظر محمد بن شريف أبو الطرف ص ١١ ، ١٢١

(١٠) الوزير السراج : الحلل السندسية ، ج (١) ص ٣٢٤.

(١١) عبد الواحد المراكشي : المعجب: ص ٢٥٥

(١٢) القلقشندي : صبح الأعشى : ج (١٥) ص ١٤١ الوزير السراج : الحلل : ج (١) ص ٣٣٥

(١٣) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة

(١٤) العمري مسالك الأبصار / حسن حسين عبد الوهاب كراسات تونسية مجلد ٣٩ ، ص ٢٢٧ وما يليها.

(١٥) المصدر السابق نفس الصفحة

(١٦) الوصباني — السيرة ورقة ٢٨

(١٧) العمري : مسالك الأبصار ص ٢٥٨ – ٢٦٠

(١٨) الهليون : هو نبات معروف بأفريقية باسكوم ويسميه علماء النبات Asperge أنظر المصدر السابق نفس الصفحة.

الطبيعية مثل: المرننجوس[١] والزعفران والشمام [٢] ، كما اشتهرت قابس بزراعة الحناء[٣] كما اشتهرت قابس بهذه الحناء بفضل جودتها وعلو شأنها واحتياج السكان لها ، كما زرعت الكراوية ونوع من الرمان الحلو ذي القشرة الرقيعة [٤] كان هناك الوفير المتنوع يشكل اكتفاء ذاتيا لدى سكان قابس مما جعلهم يمدون جميع أقطار المغرب بالفاكهة[٥] ، لقد كانت قابس الغطاء الذهبي لكل مدن أفريقية لما تتميز به من مردود زراعي كان يعد قياسا للاكتفاء الذاتي ونموا بالنسبة لأفريقية " وهذه المدينة العتيقة روح هذه الجهات الأفريقية ومعناها.. يتفجر حولها الماء العذب.. وتحيق بأرجائها الجنات الألفاف والحدائق الغلب وتجتمع فيها أصناف المتخير والحب" [٦].

الثروة الحيوانية في قابس:

تسمى في قابس السائمة وتعني مجموع الماشية والدواب بأنواعها. وتكثر السائمة حيث تعيش في المراعي الواسعة وحول السدود الترابية التي ينبت حولها العشب والكلأ بوفرة [٧] توسع العرب الهلاليون في تربية الغنم والعنز والبقر[٨] واستخدموا نوى التمور المدقوقة في علفها[٩] وبخاصة البقر السمين الذي يكثر في قابس [١٠] – إلى اليوم - كما اشتهرت قابس بتربية وإعداد الجمال [١١] لبيعها للقوافل سواء للحج أو للتجارة كما اشتهرت منطقة قابس - منذ الفتح الإسلامي - بالخيول ، وكان للمعز بن باديس مزرعة كبيرة في قابس [١٢] ، وكانت زنانة قد اعتدت عليها لمناوئته وادخل الهلاليون سلالات وأنواعا أصيلة من الخيل العربية واهتموا بتربيتها ، وقد ارتبطوا بالحصان منذ القدم ، والحصان هو الذي يجعلهم ينتجون في مواسم الكلأ دائما واحتفظوا دائما بسلامة أنسابه ، وكذلك بالنسبة لإبلهم [١٣] ، وصلة القبائل العربية بالخيل الأصلية قديمة ، وتميزت قبيلة سليم [١٤] في هذا المضمار ، ومن أشهر خيولهم "الأحزم" والأزور ويليهم هلال من عامر ، واشهر خيولهم الأعوج ، وذو العقال [١٥] واشتهرت عرب بني

---

(١) وهو المعروف في أفريقيا باسم المردقوس وهو يشبه الصبار محمد الصقلي التونسي في كتابه : أنظر نفس المصدر والصفحة

(٢) الشمام نبات يعرف في أفريقية بالمتهى ، نفس المصدر

(٣) نبات معروف منذ قدماء المصريين وتشتهر قابس به ، يستعمل في صبغات الشعر وتستعمل في حيث يرسم به اليدين والأقدام – النشرة السياحية والتونسية

(٤) القلقشندي : صبح الأعشى ج (٥) ، ص ١٤٢

(٥) البكري : ج (٢) ، ص ٦٦٧

(٦) رسائل موحدية : ص ١٦٠ ، رسالة رقم (٣٠)

(٧) جاء ذكر ذلك في صفحة سابقة

(٨) أبو ضيف : أثر العرب ، ص ١٧٣

(٩) إدريس : الدولة الصنهاجية ج (٢) ، ص ٢٤٤

(١٠) المرجع السابق : نفس الصفحة

(١١) الوسياني : ورقة ١٠٥ ، وانظر الدباغ : معالم الإيمان ، ج (٣) ، ص ١٧٣

(١٢) ابن الأثير : حوادث ، سنة ٤١٣هـ

(١٣) عبد الحميد يونس: الهلالية في الأدب والتاريخ ص ٨٨ ، ٩٨٩ وأنظر مصطفى أبو ضيف أثر العرب ص ٧٥

(١٤) العمري : المسالك والممالك ص ٧٥

(١٥) المرجعان السابقان نفس المكان

وتأتي الفصة Alfalfa أو البرسيم الحجازي - بالمعنى الحديث - كأهم محصول علف مزروع ، وقد دخلت الفصة إلى السهوب التونسية ، في ظروف تشبه دخول البرسيم لمصر وهي - إلى حد كبير - تشبه البرسيم شكلاً وأهمية. وتزرع في مساحات كبيرة متفرقة في كافة السهوب التونسية على الأمطار والري من الآبار ولا علاقة للفصة بالحلفا ، فالفصة محصول علف يتناوله الحيوان في حالته الطازجة أو مجففاً - دريس - أو ضمن تركيبه علفية مصنعة تتكون أساساً من الذرة الصفراء والشعير والنخالة ، وتزرع الفصة في واحة شانسو[1] ، ومن الممكن أن تزرع الفصة في مساحات قد لا تزيد عن عدة أمتار مربعة بجوار المنازل الريفية أو حتى داخل الحدائق الخاصة ، أو حيث توجد ضرورة لتغذية الأغنام والمعز التي يربيها الأهالي داخل حظائر منازلهم ن ولا تزيد في العادة عن ثلاث أو أربع رؤوس فالفصة إذن هي ركيزة محاصيل العلف في قابس ومنطقتها وجميع أنحاء أفريقية وهي تمد الحيوان بالعلف الأخضر شتاءً ، والجاف صيفاً ، ويمكن لها - وحدها أن تشكل الغذاء الوحيد للحيوان ، ودون إضافات أخرى. [2] بعد الفصة تأتي مجموعة من محاصيل العلف - الرسمية - بمعنى أنها تزرع بمعرفة خبراء الزراعة تتبع الدولة ويأتي في مقدمتها فصائل من الشيح ، وهو مجموعة من الحلفا Artemesia Rerba Alba إضافة إلى القطف (الاتربلكس - Atriplex) وهو نبات يتحمل درجة عالية من الملوحة [3] فيزرع في الصحراء الجنوبية ، وحول السنجات والشطوط مثل شط الجريد.

الصيد البحري والبري في قابس :

اشتهر القابسيون بصيد الأنواع الجيدة من الأسماك مثل الحوت اللحم الطري [4] والتونة، وهذا في الخليج ، أما الصيد في جميع أنهار قابس [5] وجداولها حيث تكثر الأسماك الممتازة المكتنزة مثل البوري والقاروص والمحل والتونة واللاج والكحلا والطفلو ولحوصة والقاجوج ، وغيرها مما ذكره الإدريسي [6] ويساعد على ازدهار رصيده المناخ والملائم ونوع مياه الخليج وخبرة الأهالي في الصيد أما الصيد البري أشهره صيد الكباش البرية والغزال الصحراوي ، وحيوان الضب واللمط والنعام الوحشي [7] ،

(1) مصنع علف

(2) في الوقت الحاضر تقترب من حد اكتساح المساحات المخصصة للحبوب الغذائية ولا يخلو — مشروعات حكومي من مشروعات استخدام الأرض سواء أكان زراعيا أم رعوياً — ومن تخصيص مساحة معينة لزراعة الفصة ، بل إن الرعاة أنفسهم قد اقتطعوا لها المياه تحملها الدواب ، والهيئة الحاكمة تشجع هؤلاء الرعاة ولأنها تنظر إلى زراعة الفصة كمؤشر استقرارهم على المدى البعيد*.

* أنظر القيلاني تجارب إدماج البدو - كراسات تونسية ١٩٧٢ - ص١٥٦

(3) أنظر: صلاح الدين حيلة : السهوب - التونسية رسالة دكتوراة - معهد البحوث والدراسات الأفريقية ١٩٩٦م- ص١١٣ ودائما كانت توصف مياه قابس بالملوحة.

(4) الاستبصار : ص ١١٢

(5) البكري : المسالك والممالك ج ٢ ص ٦٦٧

(6) نزهة المشتاق: ج ١ ، ص ٢٨٩

(7) جاء في أكثر من مصدر أنه " ما اجتمع في مائدة رجل ٣ أشياء متضادة المواضع إلا في مائدة من يسكن قابس : يجتمع فيها الحوت الطري ولحم الغزال الطري والرطب الجني" *

* الاستبصار : ص ١١٢ ، وأنظر السراج : الحلل ، ج (١) ، ص ٣٣١

وقد أفاض الشعراء في ذلك (1) كما حفلت قابس بأنواع من الدواجن ، كالدجاج والأوز والبط والحمام وقد كان أبو عميرة القاضي قد وصفها بأنها سيئة الجوار (2) ، ووجد أيضاً من الطيور الكركي أو الغرنوق جمعها غرانيق ، وهو صيد الملوك ، كذلك تربية النحل التي تكثر دائماً مع وجود البساتين والرياضين وفاقت جودته عسل بونة وقسطنطين(3).

ثانيا: النشاط الصناعي في قابس:

إذ أردنا أن نتتبع تاريخ الصناعة في قابس ، فإننا نجدها قديمة منذ الفينيقيين عندما اتخذوها مصرفاً تجارياً لهم واستفادوا من وجود نبات الفوه، الدردار وقواقع الموراكس واستخدموها في صناعة الصبغة وكما برعوا في تصبير الأسماك وتمليحها وصناعة سفنهم (4) وصناعة أدوات الصيد المختلفة وغير ذلك.

أما بعد الفتح الإسلامي فالفضل يرجع إلى زيد بن حاتم في جعل كل صناعة في مكانها وتنظيمها (5) ، وإعطاء الصانع حقه وتنظيم العلاقة بينه وبين صاحب العمل ، وقد نظمت كتب الحسبه والنوازل ، ذلك وحددت مسائل النفقات والملكية مراقبة الجودة ومنع الغش(6) ، وتوريد حق الدولة في الجباية المفروضة وعدم تهرب أصحاب الحرف من دفع ما عليهم من أموال (7) وإبعاد بعض الصناعات عن قلب المدينة منعاً للضرر مثل صناعات الزجاج والطوب والفخار ومدابغ الجلود (8) ، وكان يشترط على أصحاب المصانع شروطاً صحيحة محددة تحقق سلامة الصناع فيها ، مثل : سعة مكان المصنع وارتفاع سقفه (9) ، ومن أجل الدقة كان هناك نظام للصناعة الأهلية ، أو مصانع الأسواق (10) ، بمعنى القسم المعد للصناعة في الأسواق ، وقد يكون دكاكين لتبنى عن طريق السلطة الحاكمة ولها مواصفات خاصة كالشكل المربع على أن يحيط بها سور له باب واحد فقط للدخول والخروج وهذا للحيطة والتحكم. ويرتب بداخله أرباب كل صناعة فيقيمون به مقابل أجر مناسب (11) كل مدة حسب الاتفاق ، هذه الأسواق المغطاة يطلق عليها مصطلح القيسارية ولعلها محرفة من الكلمة اللاتينية Caseria حيث كان الرومان يقيمونها في المدن كمستودع لبضائعهم وتكثر حجراتها (12).

---

(1)

يا جنة فاقت ا ان  لها قيمة لا تمن

اهر حيناً العب اب ها  هله كنة وذا حسن

ن ن كالنعـ ام مقبلة  ومن نعام كالحسن*

* التجاني : الرحلة ، ص ٨٧

(2) محمد بن شريفة : القاضي بن عميرة ، حياته ، ص ١١٢.

(3) عز الدين عمر موسى : النشاط الاقتصادي في المغرب ، ص ٢٠٢.

(4) جمال مختار : تاريخ أفريقية العام ، ج (٢ ، ص ٤٤٨.

(5) ابن عذاري : ج ١ ، ص ٦٨.

(6) ابن الأخوة : معالم القربة ، ص ١١ ، ٦٧ ، ابن عبدون رسالة في القضاء والحسبة ص ٢ إلى ص ٣٥.

(7) حسن حسني عبد الوهاب ورقات في الحضارة ج ٢ ، ص ٧٢ ، ٧٣.

(8) حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ج (٢) ص ٧٣.

(9) حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، ج (٠) ، ص ٥٦٢ — ٥٦٣ وهو مقتبس من النظام البيزنطي لكن ما يتلاءم مع الإسلام.

(10) المرجع السابق : نفس الجزء والصفحة

(11) حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ج (٢) ، ص ٧٢

(12) عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة .. ص ١٠٣

لقد كانت الأسواق ومصانع الأسواق منسقة تنسيقاً متشابهاً مثل أسواق القيروان[1] فكانت عبارة عن صف متصل على الجانبين يعمل بينهما ممر معقود السقف بالآجر أو الحجارة ، وتوجد مصطبة حجرية ممتدة على كل صف يجلس عليها المشترون[2] ، انقسمت تلك الأسواق إلى قسمين أحدهما للصناعة اليدوية حيث يعمل أصحابها لتحويل الماد الخام إلى مصنوعات ، والقسم الآخر على هيئة أسواق للبيع وعرض المصنوعات والسلع المعدة سواء من دور الصناعة القريبة أو مجلوبة من الخارج [3] .

وكان عدد العاملين بهذه الدور أكثر من البائعين وقد يمتد العمل في الأسواق إلى ساعة متأخرة من الليل ، حيث إن العاملين يتناولون طعامهم في أحد المطابع الموجودة بالقرب منهم أو يحضرون طعامهم معهم لأنهم لا يرجعون إلى منازلهم إلا في المساء أو الليل[4] وهم يعملون كمجموعات متعاونة مع بعضهم البعض لإيجاد سلع جديدة أو تطوير صناعة جديدة ، وكان اجتماعهم دائماً في مكان واحد مثل المخصص لهم في السوق المسقوفة أو في حوش نفس منزل الصانع أو رئيسهم لذا تسمى الصناعة المنزلية أو الأهلية [5].

وفيها يحضر العاملون بها الخامات اللازمة من الأسواق ويقومون بتصنيعها ثم يبيعونها مرة أخرى بسعر أغلى ، وبديهي ألا يستطيع الولاة الإشراف الكامل على هذه الدور كما أن أصحابها لا يتحملون الأعباء التي يتحملها دور الصناعة المعترف بها مثل الإيجار والضرائب ..إلخ ، وهذا يفسر وجود صناعات رخيصة الثمن كذلك يفسر السر في انتشار هذا النظام في كل مدن أفريقية [6].

أما دور الصناعة الموجودة داخل الأسواق المغطاة فكانت تخضع لإشراف الولاة ، وأحياناً كثيرة كانت ملكيتها تعود للدولة أو لأصحابها فقد كان هناك من يقوم ببناء دكاكين ويؤجرها لغيره بعد تجهيزها بالمعدات اللازمة [7].

عوامل ازدهار الصناعة :

١-الأمن والاستقرار السياسي :

الذي كان موجوداً رغم حدوث الثورات في بعض الأحيان ، فبعد أن استقرت الأوضاع في قابس بعد الغزوة الهلالية وتملك العرب من بنى جامع الهلاليين ، ازدهرت الحياة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة [8].

٢- توفر المواد الخام :

الأولية اللازمة للصناعة ، وتلك موجودة في قابس حيث تزرع فيها احتياجات السكان من المأكل والمشرب والملبس [9].

---

(1) يروي البكري : أن الخليفة أمر بترميم أسواق القيروان المسقوفة في عام ١٠٥هـ ، وكان سطحاً مقفلاً به جميع المتاجر والصناعات ، المسالك ، ج (٢) ، ص ٦٦٦.

(2) صالح المثلوثي : التحكم في استعمالات الأراضي في المدينة ، ندوة انقرة سنة ١٤٠٤هـ ، ص ١٨١.

(3) حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج (١) ، ص ٥٨.

(4) الدباغ : معالم الإيمان ، ج (٣) ص (٢٨)

(5) في ذلك أنظر الدباغ ، ج (٢) ، ص ٩٢ /ج(٣) ص ٢٧ – ٢٨ / ج (٤) : ص ٢٢٠.

(6) حسن حسني عبد الوهاب ورقات ج (٢) ، ص ٧٣.

(7) المصادر السابقة نفس الصفحات.

(8) التجاني : ص ٨٦ — ٩٦.

(9) الإدريسي : ج (١) ، ص ٢٧٩ وما يليها.

٣-زيادة متطلبات الجيش والأسطول :

ولقد اتضح ذلك أيام بنى جامع عندما شرعوا في بناء السفن للتجارة والحرب ، كذلك دعموا الجيش والأسطول [١] الأمر الذي أدى إلى عمل الكثير من المصانع المتخصصة لتحقيق هذا الهدف [٢].

٤-الحياة الاجتماعية:

ووفرة العاملة ، نعمت قابس بحياة اجتماعية متكاملة ، فالبدوي لا يستغني عن المزارع الذي يزرع له ، وهذان لا يستغنيان عن الصانع ، وهو بدوره لا يستغني عن التاجر الذي يسوق له إنتاجه وهكذا ..

وهؤلاء لا يستغنون عمن يحرسهم أو من يصنع لهم أسلحة للزود عن ممتلكاتهم ، إلى جانب الولاة والوزراء والأمراء [٣] الذين يحتاجون إلى من يسد حاجاتهم من حيث المأكل والملبس وحاجات قصورهم إلى جانب المرفأ [٤] والصحراء[٥] حيث يعد الكثيرون سواء للتجارة أو الاستقرار ، يرى ابن خلدون [٦] أن الكسب يمثل قيمة العمل الإنساني ويزداد الكسب تبعاً للعمل والجهد كما أن ضم الخشب مع النجارة وأيضا الغزل مع النسيج والحياة والحياكة والتطريز [٧].

الصناعات الرئيسية:

ترتكز الصناعات الرئيسية في قابس على عدة محاور رئيسية أهمها:

١)صناعات كثيرة قائمة على زراعة:

مثل النسيج وبخاصة الحرير الذي ليس له مثيل في أفريقية [٨] ، وعصر الزيتون وعمل السكر من القصب – تجفيف التمر وحفظه في دنانات وعمل العجوة وتجفيف أصناف من الفواكه...

٢)صناعات متعلقة بالمصايد:

مثل تجفيف الأسماك [٩] وتمليحها وصناعة الشبك وقوارب الصيد.. إلخ.

٣)صناعات قائمة على التعدين:

مثل تجفيف الملح من السبخات [١٠] وصناعات من الحديد والخشب كالأسلحة وأدوات القتال وغالباً ما يكون أغلبها على حسب طلب السلطات الحاكمة، كذلك صنع السنج والموازين ، واشتهرت قابس بالميزان القابسي في أسواقها [١١]

٤) صناعات قائمة على الحيوان:

مثل دبغ الجلود المشهورة في قابس وغزل الصوف ، مصنع الملابس والسجاد[١٢]

---

(١) المصر السابق.

(٢) هذه الصناعات كانت دائماً صناعة أصحاب السلطة أنظر : التجاني ص ١١٢.

(٣) التجاني : ص ٩٦.

(٤) البكري : ج (٢) ، ص ٦٦٦.

(٥) الاستبصار : ص ١١٣

(٦) المقدمة ، ص ٣١٢.

(٧) المصدر السابق – نفس الصفحات.

(٨) اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٥٤

(٩) الإدريسي : ج (٢) ، ص ٣٧٦

(١٠) التجاني : ص ٨٦ — ١٠٤ مثل أيام حجم بني جامع عندما عملوا جيشاً لهم وأسطولاً حربياً وتجارياً.

(١١) بشير يوشع : وثائق تجارية من غدامس – ص ١١

(١٢) التجاني : نفس الصفحات ، والإدريسي بقية ص ٧٣.

صناعات أخرى :

وهي صناعات بيئية وريفية قائمة على المنتجات الطبيعية في قابس مثل صناعة المعمار، مثل قطع الأحجار وتهذيبها[1] على قطع بمقاسات مختلفة ، وكذلك الآجر وصناعة الصبغات المختلفة القائمة على بعض النباتات مثل نبات الفوة [2] وصناعة نسيج البيزمون الذي اختصت به منطقة قابس وطرابلس [3] ويصنع من اللحاء الطري للخروع ، وصناعة الورق من نبات الحلفا البرية واللوتس المشهورة به قابس وجربه منذ زمن بعيد [4] وصناعة قامت على سعف النخيل والبوص مثل الأسبته والقفف والحقائب [5] وصناعات أخرى مثل تسفير الكتب خاصة كتب الفقهاء المذاهب المتنوعة مثل الإباضية [6] وصناعة الأنوال وكل ما يلزم من أدوات الصناعة المختلفة وصناعة سروج الخيل والابل والبغال وصناعة النحل والغربال لتنقية الدقيق من الشوائب[7] .

صناعة الحرير :

ازدهرت هذه الصناعة في قابس إلى وقت الإدريسي [8] ، " وكان بها – فيما سلف – طرز يعمل بها الحسن." وأخفق الموحدون في إحياء تلك الطرز في قابس على الرغم من نجاحهم في إنعاش إنتاج الحرير بها / يتضح من قول الإدريسي [9] أنه كان بها طرز – فيما سلف – كلمة طرز تعني دور الطراز وهناك نوعان من الطرز ، طرز الخلافة والطرز الأهلية[10] ، وبما أن حرير قابس من أطيب أنواع الحرير و لا يعمل إلا بها في كل أفريقية [11] ، فمن المؤكد أن طرز قابس كانت تابعة للخلافة وتصنيع ما يلزم الخلفاء وقصورهم من الحرير[12]، ولا تخبرنا المصادر عن مكان دور الطرز ومصانع الحرير ودور الطراز الخاص بالخلفاء ، لكن الإدريسي [13] أشار بان قصر سجة وتلك المدينة الصغيرة المتحضرة التي تبعد عن قابس بثلاثة أميال ، وبها من ناحية البحر – مثل قابس – سوق وباعة وحريريون كثيرون[14] غلا أننا نلاحظ توقف صناعة الحرير في قابس ، ولم يذكر أي من الرحالة الذين زاروا قابس خلال قيام الدولة الحفصية أن بها دوراً للطراز على أن عثمان الكعاك [15] ذكر أن جالية أندلسية قد استوطنت تستور على نهر مجردة في أواخر الدولة الحفصية وقاموا بزراعة أشجار التوت في تلك

---

(1) أنظر الفصل الأول من هذا البحث ص – ويستخدم في بناء الدور والمنازل في قابس: البقلوطي:العمارة السكنية في الجنوب التونسي–مجلة المأثورات الشعبية عدد ٣٥ ١٩٩٤

(2) هذه الصناعة قديمة جداً وهي ضمن أهداف الفينيقيين منذ وطأوا هذه الأرض
أنظر : موسوعة تاريخنا ، ج ٣ ، ص ١٠٣.

(3) الوسياني : ورقة ٤٨ .

(4) قيل عن منطقة قابس جربة أنه آكلي اللوتس – المرزوقي: قابس جنة الدنيا ٢٠–٢٤

(5) وهذه غالباً ما تكون على ضفاف الأنهار وتمتاز بها قرية سنني – المرجع السابق ص٧٣

(6) المخطوط السابق : ص ١٤٩.

(7) Revault Art traditionnal de gabes P. 83.

(8) الادريسي نزهة : ج ٢ ص ٢٧٩ – صاحب الاستبصار ص١١٢–١١٣

(9) عز الدين عمر موسى : النشاط الاقتصادي .. ص ٢١٧.

(10) المصدر السابق – نفس الجزء و الصفحة

(11) البكري : المسالك : ج ٢ ، ص ٦٦٧.

(12) كانت قابس أيضاً تعج بالقصور والدور الفخمة للولاة والنواب ثم خلفاء بني جامع الهلاليين ووزرائهم وكبار القوم من التجار واليهود وغيرهم .. إلخ.

(13) نفس المصدر والجزء والصفحة.

(14) يستعمل الإدريسي هذه الكلمة بعمومية ، فقد يعني بها تاجر الحرير والصناع وكل من يعمل بها من أول القائم بعمل دود القز.

(15) عثمان الكعاك : الحضارة العربية في حوض البحر المتوسط – ص ٧٧.

المنطقة ، ومن ثم أحيوا صناعة الحرير فيها ، حيث قاموا بنسجه وتطريزه ، وقد اكتسب حريرها شهرة عظيمة سواء حريراً خالصا أو مخلوطا بالصوف
ولقد كانت تونس تقوم بصناعة المنسوجات من الحرير الخالص المرسل إليها من قابس والمخلوط بالقطن أو بالصوف الأبيض الناصع ، وتصنع من هذه المنسوجات الملابس الفاخرة التي تباع للطبقات المتيسرة ، ويطلق على الثياب المصنوعة من هذه المنسوجات اسم " السنساري " [1].

كما اشتهرت مدينة قفصة غرب قابس بصناعة أنسجة الحرير الجيد امستورد من قابس ، وبمدينة طرابلس ، حيث كان قوم فيها حوالي مائة وخمسون صناعة من هذه الصناعات [2]
وقد ظهر نوع من الثياب في أفريقية يسمى بالثياب الرفيعة الملوكية بمدينة صفاقس وقابس ويصنع هذا النوع من النسيج المأخوذ من حيوان مائي ينمو على حجارة في قاع البحر المتوسط على هيئة كمائم شبيهة بالبصل بأعناق في أعلاها ، ويغوص الغواصون في البحر ليخرجوا هذه الكمائم ، ويتم نشرها في الشمس حتى تتفتح هذه الكمائم ، ويظهر وبرها فتمشط ، تؤخذ لتعزل وتصنع منها الثياب الملوكية المختمة وغير المختمة ، وكان يباع الواحد من تلك الثياب بمائتي دينار ، ولندرة هذه الثياب حرم الخلفاء في أفريقية حملها إلى البلاد المجاورة [3] وقد صاحب ازدهار صناعة المنسوجات بأفريقية ازدهار صناعة أخرى متصلة بها هي :

صناعة المنسوجات :

فقد عرف السكان الألوان الأساسية والمركبة من أحمر واسود وابيض واصفر وجوزي- مركب الأخضر والأسود – ومن مواد الصناعة النيلية والقرمز والزعفران [4] والفوة أو الدردار.

وقد اشتهرت مدن أفريقية – وبخاصة قابس – بالصباغة وأتقن الصناع صباغة المنسوجات والجلود ، فقد كانت هي وتوزر مركزاً لصباغة المنسوجات ، فقد ذكر التجاني [5] عن وصفه النتشر بها أن الصباغين يجتمعون فينشرون الثياب الملونة والأمتعة الموشبة على الأشجار بجانب الماء بعد وضعها فيه ، فيمتلأ المكان بهذه الثياب فيتخيل للناظر أنها روض تفتحت أزهارها.
وتتفاوت أسعار الأصباغ بتعدد ألوانها ، وذلك التفاوت إما الصعوبة تركيب تلك الألوان أو لعدم وجود مادتها مما يوجب استيرادها [6].

وهكذا نجد أن سكان منطقة قابس وبلاد الجريد قد اكتسبوا منا ومهارة في صناعة المنسوجات وصباغتها بالألوان الزاهية البسيطة والمركبة ، مما جعل الصانع يحرص على وضع خاتمه على ما يصنعه حرصا على عدم تقليده أو سرقته [7] .

---

(1) د. عبد العزيز الدولاتيلي : مدينة تونس ص ٦٩.

(2) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٧٧.

(3) أنظر : وصف ابن سعيد الذي شاهده في كتاب القلقشندي : صبح الأعشى ج(٥) ص ١٠٤.

(4) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج (٥) ، ص ١٤٢.

(5) التجاني : الرحلة ، ص ١٥٨.

(6) د./ عز الدين أحمد ، النشاط الاقتصادي ، ص ٢٣١.

(7) الصفاقسي : نزهة النظار : ص ٣٥.

التمر : يصنع العرب والبربر في قابس التمر بوضعه في دنانات [١] وحفظه مدة من الزمن ثم يفتحونها فيجدون تحت فوهتها عسلاً جنياً [٢] فيستفيدون منه كما يفصلون نوى التمر لعلف ماشيتهم [٣] ثم يصنعون العجوة من التمر.

صناعة الزيوت والصابون :

انتشرت صناعة واستخراج الزيوت من المحصولات الزراعية وخاصة من الزيتون في مدن أفريقية إلى جانب قابس

الزيتون :

اشتهرت قابس كمركز واسع لاستخراج الزيت الزيتون وحفظه فتغلبت على شهرة صفاقس في ذلك كثرت معاصرات الزيت في أنحاء قابس وواحاتها مثل الزارات كنانة ، حامة قابس ، شانشو ، واحة نريق [٤] مما يدل على وفرة كفياتها في قابس فكثرت المعاصر التي تعصر الزيتون استخلاص وتعمل في استخلاص زيته وتجهيزه [٥] ، ثم إلي جانب ذلك حفظ الزيتون الذي كانت صناعة من الأسباب الأساسية لغزو الرومان لأفريقية [٦].
وقد تقدمت قابس وباقي الصناعة الزيتية منذ عهد الرومان الذين استعمروا أفريقية ، وقد اشتهرب بزيوتها الجيدة الزكية الطعم والرائحة وكان لزيت الزيتون أهمية كبيرة إذ يعتبر مادة غذائية هامة لكثير من السكان ، إلى جانب الاعتماد عيه في إضاءة المنازل والقصور والطرقات والأسواق ، وكذا الاعتماد عليه في صناعة الصابون.
وقد اتبع أهل قابس طريقة العصر أو الطحن المتبعة في الإريقية بصفة عامة لإستخراج الزيت الزيتون وقد انتشرت المعاصر في أفريقية ، وكثيراً ما تكون هذه المعاصر تحت الأرض ، وهي عبارة عن رحية من الحجارة الصلدة القوية التي تصنع من حجارة مدينة المرو – يحركها دابة من الدواب – الحمير والبغال – حتى يصبح الزيتون كالعجينه ثم يقوم الرجال الضغط على هذا العجين المهروس بسواعدهم فيتصبب الزيت منه في أوان خاصة به [٧] إذن فالقابسيون والصفاقسيون من صناع زيت الزيتون منذ القدم ، ففيهما أهم مراكز عصر الزيتون في أفريقية، إنتاج زيت الزيتون الذي كانت المراكب تحمله إلى بلاد أوروبا لشهرته العظيمة [٨] ، على أن التجاني [٩] قد نفى وجود أشجار الزيتون بصفاقس ويرجع سببا ذلك إلى الأعراب الذين أفسدوا غابة الزيتون الموجودة بها واقتلاعهم أشجارها ، لكم الحفصين قد عملوا على تطوير زراعة الزيتون بها ، فيغرسوا أشجار الزيتون بالقرى المجاورة لقابس [١٠] فانتعشت زراعة الزيتون بها مرة أخرى ، ومن ثم انتعشت صناعة عصر الزيت كذلك انتشرت معاصرة الزيت بجزيرة جريه [١١] حيث الزيت الطيب النقي الذي يعم سائر مدن أفريقية وكذلك بمدينة سوسة [١]

---

(١) آنية من الفخار – تشتهر قابس بصنعها.
(٢) تح الإدريسي : نزهة .. ج (٢) ص ٢٧٩.
(٣) إدريسي : الدولة الصنهاجية ج (٢) ، ص ١١٣.
(٤) أنظر الخريطة ، وأنظر المرزوقي قابس ، ص ٢٤
(٥) المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة
(٦) الوزير السراج الحلل السندسية ، ج (١) ، ص ٢٣١.
(٧) التجاني : الرحلة ، ص ١٢٢.
(٨) مجهول ، الاستبصار ص ١١٦
(٩) التجاني ، الرحلة ، ص ٦٨.
(١٠) التجاني : الرحلة ص ١١٩
(١١) التجاني : الرحلة ص ١٣٢

وقفصة حيث معاصر الزيتون التي يوجد بها الزيت جيد المذاق جميل اللون. [٢]
أما صناعة الصابون فقد توافرت عوامل قيامها في قابس ومدن أفريقية ، ويذكر هذا أن كمية الإنتاج الكبيرة من الزيت خلال عصر بنى حفص أدت إلى ازدهار صناعة الصابون بنوعية الأسود والأبيض ، على أن صناعة الصابون الأبيض كانت محرمة على السكان ، وكان يصنع في مكان معلوم بتونس بأمر من السلطان الحفصي ولا يباع إلا فيه حتى جاء السلطان أبو فارس عزوز – كما سبق الذكر واباح صناعة الصابون الأبيض للعامة [٣] ، كما اشتهرت جربه بعمل الزيت الجيد بعد صناعة تجفيف العنب (الزبيب).

صناعة الروائح والعطور :

اشتهرت مدن أفريقية ، وبخاصة قابس لانتشار البساتين والورود بها ، بصناعة العطور والروائح المختلفة لاهتمام أهلها بالتطيب وتعطير أنفسهم بالروائح الجميلة ، ولذلك اشتهرت مدينة قفصة غرب قابس بصناعة ماء الورد [٤] ، واستخراج البنفسج [٥] كما برع أهلها أيضاً في تقطير الروائح ومن حسنها وجودتها كانت تصدر إلى مصر [٦].

صناعة السمن والجبن :

كانت هذه الصناعة تقوم أساساً على وفرة الماشية والأغنام واليت تدر كميات كبيرة من الألبان التي تصنع منها السمن والزبد والجبن ، وقد اشتهرت مدينة قابس بكثرة سمنها نظراً لكثرة مواشيها ، وكانت كميات كبيرة منه تنقل إلى تونس وجزيرة جربه وكل السواحل الأفريقية من كثرته ووفرة إنتاجه.

المصنوعات الجلدية :

وهي تعتبر من الصناعات الهامة في قابس بعد صناعة المنسوجات وعصر الزيتون وتشكل المصنوعات الجلدية نسبة كبيرة من صادرات قابس ، والمصنوعات الجلدية تعتمد أساساً على وفرة الثروة الحيوانية والتي توفرت في قابس نظراً لإنتشار المراعي الخضراء بها ، وبسبب وفرة هذه المادة الخام يتم تصدير الجزء الأكبر منها للخارج ثم الاستفادة من الفائض والباقي في تزويد الصناع كالحذائين والسراجين بحاجتهم لصناعة الأحذية التي ينتعلها الجنود والضباط وشيوخ الأعراب ، وكذلك صناعة النعال والسروج وجلود الكتب [٧] وقد اشتهرت قابس وقفصة بدبغ الجلود ونقشها وزخرفتها [٨] واشتهرت تلك الجلود بطراوتها ورائحتها الزكية وإلى هذه المدينة ينسب جلد الوعل (ألروي) الذي تصنع منه نعال شديدة الليونة والمتانة ، وهي عريضة النعل لكي يتمكن لابسوها من تجديد نعال الحذاء عدة مرات [٩] كما اشتهرت بدبغ الجلود وخاصة جلود الأغنام والماعز ، ولجودة جلدها وليونته ورقته وصف " بأنه كالحرير" واليت كان السكان يصنعون منه ثياباً يبيعونها للمسافرين.

---

(١) الصناقسي : نزهة النظار ، ص ٤٣.
(٢) الحسن الوزان ، وصف أفريقية ، ص ٥١٥ ، ٤٧٨.
(٣) الترجمان ، تحفة الأريب ، ص ١٤.
(٤) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٥٤.
(٥) القلقشندي ، صبح العشى / ج (٥) ، ص ١٠٧.
(٦) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٥٤.
(٧) د. / عبد العزيز الدولاتيلي ، مدينة تونس ، ص ٦٩.
Revault : j` est trachlnonnch tunis jz 5
(٨) الإدريسي : نزهة ج٢ – ص٢٨٦
(٩) القلقشندي ، صبح الأعشي ، ج (٥) ، ص ١٠٧.

مدابغ الجلود :

صناعة الجلود قديمة وأهل قابس متمكنون فيها وهم يستعملون مادة القـــرظ [1] ، وهـم ينتجون الكثير منها حتى أنها تعم أكثر المغرب وهي مصنوعة بطريقة جيدة وتأتي مــن طيـب الرائحة ونعومة الملمس [2] مثل حال الأديم الجرش [3] ، ما لم تحدثنا المصادر عن المصانع أو الدور التي كانت تدبغ فيه تلك الجلود لكن من الواضح أنها كانت بالجانب الغربي من الأســواق خارج قابس بحيث يصنع ويعرض فتفوح رائحته ، وكذلك وجدت صناعات محلية عرفـت بـها قابس كصناعة السروج [4] وما يوضع على ظهور وجوانب الدواب وغالبا ما يشتغل بها الـبربر والعرب الذين يسكنون الأرباض والبادية [5] حيث تكثر الإبل والبغال والخيول الأصيلة. [6]

صناعة الورق والأحبار:

اهتم أمراء قابس وخاصة الحفصيون اهتماما كبيراً بتنشيط الحياة العلمية فقـاموا ببنـاء المكتبات واقتناء الكتب ، ولقد بلغت الحركة العلمية درجة عالية من الرقي والتقـدم فـي عـهد السلطان أبي زكريا الحفصي ، مما أتاح الفرصة لصناعة الورق والأحجار لتنهض ، وأصبحـت أماكن صناعتها وبيعها تحتل الأماكن القريبة من الجامع الكبير ، وقد عرفت أفريقيـة صناعـة الورق المنقول إليها من الشرق ، واشتهرت قابس بصناعة الورق من الكتان [7] بدليـل وجـود سوق خاصة للوراقين تتوفر بها جميع الأدوات اللازمة للكتابة من أحبار وورق وخلافه ، وقـد أشار ابن دينار [8] أن أبا بكر قد باع الكتب – التي بالقصبة والتي جمعها الأمير أبو زكريا يحيى في سوق الوراقين بمال جزيل .

كما اشتهرت رباطات قابس بكثرة الورق بدليل كثرة الناسخين فيها [9] وحمل الكتب الدينية مـع القوافل.

صناعة الزجاج والخزف :

ازدهرت صناعة الزجاج والخزف في قابس ومدن أفريقية ويرجع ذلك إلى نهضة حركة البناء وإقامة القصور والجوامع وما يستلزم ذلك من تزويد هذه المنشآت بالقناديل والزجاج.

وقد اشتهرت قابس وجربه وتونس بصناعة أوانٍ للماء من الخزف والتي كـانت شـديدة البياض وغاية في الرقة [10] وكان يصنع أيضا الخزف الجيد بمدينة قفصه خاصة أوانـي المـاء التي تعرف باسم الريحية وهي أوان رقيقة بيضاء [11] ، ولقد كان لجزيرة جربه شهرة كبيرة فـي صناعة الخزف لانتشار الصلصال اللزج حول الجزيرة وتميزت بصناعة الألوان الخزفية للزيـت والماء ، وكانت تصدر إلى تونس وطرابلس من جودتها وحسنها[12].

---

(1) القرظ شجر ينبت في بلاد العرب وتؤخذ أوراقه ليدبغ بها الجلد – المعجم الوسيط ج٢ – مادة قاف.

(2) الأدريسي نزهة المشتاق: ج١ – ص٢٨٠

(3) وهي مشهورة بنوع من الجلد لا يضاهيه جلد آخر – المعجم الوسيط ج١– مادة جيم.

(4) Revault J les Arts .. .. ibla v.6 1851 P 160-168

(5) ابن حوقل سورة الأرض ص٧٠-٧١

(6) رسالة الجرسيقي في الحسبة ت.ح levi provensal ص٣٥-٣٩

(7) حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج (٢) ، ص ١٦٤.

(8) ابن دينار : المؤنس ، ص ١٣٤.

(9) الغبريني : عنوان الدراية ، ص ١٢٤ ، ١٢٤.

(10) ابن أبي دينار : المؤنس ، ص ١٢ ، دائرة المعارف ، ج (٦) ، ص ٣٤,

(11) الحسن الوزان ، وصفت أفريقيا ، ص ٥١٥.

(12) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج (٥) ، ص ١٠٨.

نظراً لترسب الطمي الجيد الكثير حول الجداول والوديان [١] ، وانتشرت في باقي البلاد الأفريقيـة فصبغت الأواني المزجية بخطوط ذهبية [٢].

وكان الصناع بارعين في صنع الفسيفساء منذ القدم حتى أنه يمكـن معرفـة حضـارة أفريقية القديمة من خلال آثار القطع التي وجدت حول قابس[٣] ، وكذلك الزليج المدهون لفـرش الدور وهم يقيمونه مقام الاخام ، وكذلك صناعة الزجاج الراقي والخزف الأبيض الذي اشـتهرت به قابس وقفص ويعرف باسم الربحية [٤] ، ومثله مثل الصناعات الأخـرى مثـل القرميـد [٥] والأواني الزجاجية والخزفية[٦].

وقد أدخل الأندلسيون صناعة الزليج (القيشاني) ، إلى أفريقية ، وقدر برع سكان أفريقيـة في صناعة الزليج بجميع أشكاله ، وكان يستخدم في قصور الحفصيين ، وفي القـرن الخـامس عشر الميلادي – التاسع الهجري – ظهر رجل أندلسي اسمه قاسم الجليزي " أبتدع الزليج ذا الزخرف البارز [٧].

صناعات بيئية قديمة :

كانت بقابس صناعات قديمة مثل صناعة البسط وهي تعني صناعة سـجاجيد وأغطيـة وثياب ، وهي من الصوف تسمى صناعة المرجوم [٨] وهي صناعة بربرية أولية ، ثـم أدخـل البيزنطيون صناعة سجاد عالي الوبر متوفر الزخارف الخاصة به[٩] ، ثم أدخل العرب صناعـة السجاد العربي الذي يشتمل الزخارف الهندسية المستقيمة المنتحية والزخارف النباتية والحيوانيـة، وأفضلها الذي يصنع من الصوف ذي الألوان الطبيعية [١٠].

ثم صدرت تلك الصناعة إلى الآفاق كصناعة تقليدية اشتهرت بها قابس وجربه ومـدن أفريقية ثم صناعة الأغطية[١١].

وتلك الصناعة يمزج بخيوطها الحرير . ومجلس التويزة – كما هو معـروف بعكـس عـادات جنوب أفريقية وقابس – فالنساء يجلسن في مكان فسيح أو حوش منخفض ليعملن عملاً تكامليـاً ليخرج المنتج في أبهى صورة ، فهنا نقل الصوف بمعزل يدوي [١٢] ثم غسله وغزله بـالمغزل ، ثم تنسجه على نول مكون من قائمتين على خشبه عريضة ترتكز على الحائط وترتـب الخيـوط طولياً وعرضياً ، وتجلس المرأة لتعمل بهمة مستخدمة أدوات مثل (الكرداش والمشط والقاريمـة

---

(١) الشحاني ، ص ٨٦ ، ابن سعيد : بسط الأرض ، ص ٧٩

(٢) لقد ظلت هذه الصناعة إلى اليوم ، وحصلت جربه على المركز الثالث عالمياً هذا العام في معارض ألمانيا (برنامج على قناة تونس الفضائية).

(٣) عز الدين عمر : النشاط الاقتصادي : ص ٢٥٤.

(٤) أنظر : المنجي النيفر الحضارة التونسية من خلال الفسيفساء

(٥) المرجع السابق : نفس الصفحة

(٦) الاستبصار : نفس الصفحة.

(٧) أحمد بن عامر الدولة الحفصية ، ص ٩٧ ، ص ١١.

(٨) المرجوم : هو المرقوم ، ولكن ينطقونها بالجيم مثل قابس تنطق بجابس باللهجة المحلية وكلمة المرقوم تعني لها بعد طريقة العمل ومساحته بالأرقام علـى النول ويسمى الصانعة بالرقام أو الرجام.
أنظر .Hesperisi Le Reggame Tom V. 1922, P3 73

(٩) عثمان الكعاك : الحضارة العربية في حوض المتوسط ، ص٧٢.

(١٠) المرجع السابق ، نفس المكان ، وقد وصف الشجاني ص ١١٣ أصواف حرية بالمعمورة.

(١١) نفس المرجع ، هذه الأغطية حملت أسماء محلية اشتقت منها الأسماء الأجنبية مثل الحشاة والمطرح ومطرز وبالفرنسية Matelas والوسادي بالأسـبانية Almo hada وبالتونسية المخدة – وتسمى غطاء الفراش بالفراشية ، وفي بعض لهجات حزر المتوسط Lacama من الإقامة بطرح الأول فيصـبر قامة : أنظر : نفس المرجع ، نفس المكان.

(١٢) العقباني : عتبة الذاكر ، ص ١٤٣.

والتومة)[1] ، وهناك لجانبهم دائماً امرأة عجوز تحكى لهم الأقاصيص وتصنع لهم المشروبات الساخنة والأطعمة حتى لا يحسسن بإرهاق أو تقوم بتدفئة المكان في الشتاء بواسطة الكانون [2] كذلك وجد في الأسواق المخصصة رجال يعملون هذا العمل مثلما في أسواق جربه والحامة ويصنعون البسط [3] ، والمرجوم والجبة والبرنوس والباح نوع مختلف الأغطية.

صناعة العاجيات أوسن الفيل (الفيل أفريقي أو أسيوي) وهو موجود قرب قابس [4] لذا كانت تلك الصناعة تمتاز بها أفريقية وبخاصة قابس ، وتجلب القوافل الآتية من السودان سمد الفيل والعاج ، وبعض مصنوعات العاج ، متمر بقابس ولا تسعفنا المصادر بمعلومات عن هذه الصناعة سوى جلبها من السودان ، وصناعة العاج موجودة عن الخراطين بسوق الخراطين بتونس[5] ونظراً لوجود غابات حول قابس ، فمن المؤكد أن الصناعات الخشبية قد قامت بها مثل السفن ، وقد كان للحسن بن يحيى مركب يسميه نصف الدنيا [6] ، كذلك صناعة الأسلحة ، فقد ورد ببيت شعر أورده التجاني أن بنى جامع حكموا قابس بالمشرفيات والقواطع [7]. كذلك المجانيق وغيرها [8].

صناعة السفن والمنجنيق:

تعتبر صناعة السفن من أهم الصناعات التي قامت في قابس وباقي مدن أفريقية ، سواء كانت للحرب أو للتجارة والصيد ، وقد ارتبطت هذه الصناعة بطبيعة موقع قابس البحري وكثرة جزرها ومجاورتها للبلاد المسيحية الأوربية التي كانت تشن عليها الغارات كثيراً.

وقد تركزت صناعة السفن في مدينة المهدية وتونس حيث وجد بها داران لصناعة السفن والمراكب – هذه الصناعة ربما كانت أيام بني جامع لوفرة الأخشاب في غابتها وكثرة الزفت والقطران في جبلها ، وتوجد بها دار لصناعة المراكب وإنشاء السفن.

وأبرزها سفينة رافع التي كانت تشكل خطورة على سفن بني زيري ، كما نجد صناعة السفن أيضاً في قصر محرس شمال قابس ، ونتيجة هذه الصناعة أصبح معظم سكانها من البحارة الذين يخرجون على مراكبهم [9] ويجوبون الخليج طولا وعرضاً ، ومن المحتمل أن هذه هي دار الصناعة لبني جامع.

وقد ظهرت أيضاً صناعة الألواح الخشبية المصنوعة من الخشب والتي تستخدم في صناعة الأثاث وغيرها من الصناعات التي قامت على الأخشاب كهياكل السروج[10] والأقلام[11] وقد ظهرت صناعات أخرى في قابس وأفريقية ، منها صناعة الشمع الذي يجلب من الجبل ، جبل قابس والذي يمتد إلى طرابلس ، وظهرت المكاحل والإبر والأقفال ، وكذلك صناعة الحلفا[12] أما صناعة المجوهرات وحلي الزينة في قابس كانت تتركز حول الجامع الكبير كما في تونس[1] ولقد استخدم الحديد في صناعة بعض الأدوات البسيطة كالمقصات والسكاكين

---

(1) Revoult L'art traditional en tunnise, P.2:14.

(2) Revault les mêmes .

(3) P. Précedent.

(4) عثمان الكعاك : الحضارة العربية ، ص ٨٣ ، وقد جلب القائد القرطاجني الفيلة من السودان للهجوم على رومة وكانوا في قابس.

(5) المرجع السابق ، نفس الصفحة.

(6) التجاني : الرحلة ، ص ١٠٣.

(7) المصدر السابق ، ص ١٠٢.

(8) نفس المصدر ، ص ١٠٦.

(9) الحسن الوزان ، وصف أفريقيا ، ص ٤٦٦.

(10) أحمد بن عامرة الدولة الحنصية ص ٩٧.

(11) ابن سعيد بسط الأرض ، ص ٧٧.

(12) أحمد بن عامر ، الدولة الحنصية ، ص ٩٧.

تونس[١] ولقد استخدم الحديد في صناعة بعض الأدوات البسيطة كالمقصات والسكاكين ومقابض الأبواب والمطارق والمحاريث والسلاسل والشبابيك ، وصناعة المطاحن التي برعوا في صناعتها ، هذا إلى جانب شهرتهم في صناعة الخبز من العجين ، حتى أن الرغيف الواحد من هذا الخبز وضع بين جماعة من الناس لكفاهم حتى ولو كانوا أكثر من عشرين ، ويطول ، مكث هذا الخبز لمدة شهر أو أكثر[٢].

أسواق داخل المدينة :

تصطف الأسواق المغلقة كما ذكرنا في صفوف متتابعة لتكون حارات ضيقة متصلة ببعضها البعض : حيث تعرض مختلف السلع والمنتجات ، وذلك في الأحياء القريبة من المسجد الجامع [٣] والتي أصبحت تحمل فيما بعد أسماء الحارة والمنزل [٤] ، والتي مازالت إلى اليوم ، وتوجد أنواع كثيرة من الأسواق ، أما ساحات تفسيحية مكونة من باكيات مسقوفة كل جزء منها لسلعة ما ، إما كما ذكرنا سالفاً – الأسواق المغلقة Caséirc بها مصانع [٥] ، إما صفوف طويلة كل صف مخصص لسلعة ما أو صناعة ما ، أو تكون عن الصانع فيعرضها في حوش بجوار مكان الصناعة ، وغالباً ما تكون الصناعات الصوفية وأغلبها التي تعمل بها المرأة (في مجلس التويزة)[٦] ، كذلك الجبة التونسية[٧] وقطع الثياب المطرزة ، كذلك قطع المرجوم والكليم والبطاطين والملاءات المطرزة وأغطية الفراش (الفراشية) ومختلف أنواع العطور وما يلزم الأفراح من حناء وشموع والثياب الذهبية والفضية[٨].

* أسواق الأرباض :

يقول البكري [٩] وجل أسواقها في أرباضها في ألرباض خارج المدينة تكون الصناعات وبالتالي أسواق المنتجات التي يخشى من وجودها في المدينة عملاً بالمبدأ الإسلامي " لا ضرر والأضرار" [١٠] مثل الحرير وما يحتاجه من مكان وأدوات ومصانع ، ويذكر الإدريسي[١١] عن قصر سجة أن فيه حريريين كثيرين. كذلك مصانع الدباغة حيث يؤتي بجلود الحيوانات المذبوحة وتأخذ عدة مراحل في مكان أو مصنع خاص بها إلى أن تصل للمرحلة النهائية وهي جلود مدبوغة ذات رائحة عطرة تميزت بها قابس وتفوق جودتها عن أي جلود أخرى ويستعمل فيها شجر التاكوت القداسي [١٢] ، بالإضافة إلى صناعة الرمد أو الرقوق التي تستهلك جلوداً كثيرة من الماعز[١٣] ، وانتشرت صناعتها عندما كان الحصول على البردي صعبا[١٤] ،

---

(١) ابن أبي دينار : المونس ، ص ٣٠٥.

(٢) مجهول ، الاستبصار ، ص ١٩٥ ، والمصدر السابق ص ٣١٥.

(٣) مثلما في القيراون وتونس : أنظر .Revault l'art traitionnalle P. 20-31

(٤) المرزوقي : قابس ، ص ٧٣ ، وحسين حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج(٢) ص ٧١.

(٥) أنظر ص من هذا الفصل.

(٦) العقيان : عتبة الذاكرة ص ١٦٣.

(٧) تشتهر هذه الجبة في كل أنحاء أفريقية في الوقت الحاضر بوم سنوي هو ٧ مارس من كل عام أسمة يوم الجبة التونسية ،ترتديها الجميع من أول الرئيس التونسي الى الأطفال"القناة الفضائية التونسية / تونس ٧"

(٨) المصادر والمراجع السابقة – وأنظر revault: ibid j20-30 – وعثمان الكعاك الحضارة...ص ٦٠ – ٦١ .

(٩) المسالك ، ج ٢ ، ص ٧٧٦

(١٠) صالح المثلوك : ص ١٨١

(١١) نزهة المشتاق : ج ١ ، ص ٢٨١

(١٢) يأتي من مدينة غدامس.

(١٣) الدباغ : معالم الإيمان ، ج ٣ ، ص ٢٢٣

(١٤) المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص٢٢١-٢٢٤

وقد برعوا في صقل الرق وتحضيره [١].

أسواق المرفأ :

أسواق الساحل والمرفأ موجودة منذ وجود قابس حيث كانت دائما مصرفا تجاريا لمختلف أنواع السلع التي تحملها سفن البحر المتوسط وتدخل خليجها ، أو السفن التي تحمل سلع قابس ومنتجاتها إلى الشرق وجميع أنحاء البحر المتوسط ، واذا كان هنري بيرين Henri Prenne قد زعم أن وجود المسلمين في منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط كان عاملاً من عوامل فصل غربي أوروبا عن شرقها ووضع نهاية لوحدة البحر المتوسط الذي تحول غربية إلى بحيرة إسلامية ولم يعد يؤدي دوره التجاري والفكري الذي كان يقوم به قبلا. [٢] فقد أثارت نظرية بيرين جدلا شديدا لكن هذا الجدل كان ينقصه معرفة التأثير المباشر للانتصار الإسلامي والسيطرة التي حققها المسلمون على الأحوال الاقتصادية في الشرق الأدنى ذاته ، إن بيرين استمد نظرية هذه من محاولته لفهم علاقات مسلمي الشرق الأدنى بغرب أوروبا ، لم يجادله فيها سوى عدد قليل من المتخصصين في التاريخ الإسلامي ، مثل دانيل دينيت Danial Denette ، وايلي اشتور Elie Ashtro [٣]وكاهن Claude Cahen أما المؤرخ الفرنسي لومبارد M. Lombard [٤]، فتتعارض نظرة Pirenne إذ يرى أنه بسبب الفتوح الإسلامية استعاد الغرب صلاته التجارية والثقافية وكذلك من خلال التجار العرب ويرى ارشبالدولويس Archibald Delouise[٥] أن البيزنطيين هم المسئولون عندئذ فيرو وحدة البحر المتوسط .

لقد كان ساحل قابس مرفأ للسفن الآتية من كل حدب وصوب [٦] وترسو القوارب بواديها [٧] .. ويسع المراكب الصغيرة والمتوسطة [٨] ، إن قابس تقع على خليج مما يبدو أن السفن الكبيرة كانت ترسو في الخليج بعيداً عن المرفأ ومنها تنقل السلع والمسافرين بواسطة السفن الصغيرة والزوارق عليها جماعة قابسيون يفهمون في عبور خليج بلدهم ودارسون لمل أحواله الملاحية ويوصلون السلع والتجار والمسافرين بمهارة إلى المرفأ إلى وبالعكس [٩] وقد نصت إحدى ماهرات دى ماس لاتري Demas Latrie على عمولتهم ونسبة معينة من السلع والبضائع التي ينقلونها [١٠] كانت أسواق المرفأ تعج بالبضائع ومختلف السلع ، حافلة بالفنادق والحمامات [١١] والمصاريف التي تتعامل بالعملات الذهبية والفضة وكان بهذه المصاريف يهود كثيرون يعملون جهابذة [١٢] كذلك كانت توجد فنادق خاصة بالأجانب وجمرك لتنظيم التجارة الملاحية وحفظ كل الحقوق المتعلقة بها عن طريق اجراءات متبعة (مثل جمرك اسكندرية)

---

(١) ح. حسني عبد الوهاب. ورقات ، ج ٢ ص ٢٧.

(٢) henri prenne Mohamed et charlemagre p31 c.t 1972.

(٣) انظر محمد صبحي عيسى الحضارة الإسلامية ، ص ٢٢٤ وما يليها.

(٤) الإسلام في مجده الأول ترجمة : إسماعيل العربي ، ط (١) ، المقدمة ، وانظر المرجع السابق ، نفس الصفحات.

(٥) القوى البحرية ; ترجمة : محمد شفيق غربال : مقدمة الترجمة للمترجم.

(٦) المرزوقي : قابس ص ٥٢.

(٧) البكري : المسالك ، ج (٢) ص ٦٦٧.

(٨) الإدريسي : نزهة .. ج (١) ، ص ٢٧٩ ، ٢٨١.

(٩) انظر سامي سعد ، الأسس الاقتصادية .. ماجيستير بآداب القاهرة ١٩٦٨م س ١٦٢ : ٢٠٣.

(١٠) دماس لاتري Trate de paie etde Commerce, P. 32 – 34.

(١١) انظر المصادر السابقة – نفس الصفحة.

(١٢) مفردها جهبذ ، وهو لفظ من أصل فارسي أي خبيراً وخبراء في المال كما تطلق على جماعة مستبدلي الأموال أو الصيارف كما كان الجهبذ صراف القرية أو المدينة والقصر .. انظر نعيم زكي : دور اليهود في تجارة العصور الوسطى بين الشرق والغرب ، ط القاهرة (١٣٩١ هـ/ ١٩٧١م) ص ١٨.

كان الإجراء الأول:

١) معرفة جنسية السفن
٢) إحصاء عدد من عليها
٣) كتابة قائمة بأسمائهم والسلع التي يحملونها
٤) تبليغ كل هذه المعلومات لوالي قابس [١].

والإجراء الثاني :

بعد أن تدخل السفينة الخليج ترفع عنها شرعنها ودقتها وتحفظ لدى السلطات لحين التحقق من بياناتها ولا تسلم إلا بعد دفع ما عليها من رسوم وضرائب [٢] ثم السماح للربان والركاب بالنزول للمرفأ بعد إعطائهم الإذن في أحوال الحرب (مثل أيام هجوم النورمان) كان العمال يتشددون في التفتيش خوفاً من وجود أسلحة كذلك المراقبة الدقيقة ، وكان هناك مكان للحمام الزاجل لاستعماله في إرسال الرسائل عند اللزوم. [٣]

التجارة الخارجية

تجارة قابس مع مدن أخرى

كانت قابس تمد القيروان بمختلف أنواع الفاكهة [٤] مثل التمر والتفاح والرمان والتين والموز وغيرها ، كما كانت تمد البادية وبلاد الحرير[٥] في أوقات الشدة والمجاة [٦] كما كانت فواكه صفاقص مجلوبة من قابس [٧] كذلك يرسل حريرها إلى القيروان وغيرها لتجهز وينسج [٨] إلى جانب انفرادها بانتاج دودة القز وصناعة الحرير في دور الطرز بها [٩] ، وكان خمار التونسيات من أبدع الملابس الحريرية والتي تسمى (العجار) المزخرف بالرسومات البديعة [١٠] الذي تختص به قابس كذلك حفل سوق السكاحين والسراجين في تونس بالسروج الجلد المتقنة الصنع التي اشتهرت بها قابس [١١] كما كانت تصدر الأخشاب من غابتها من أشجار الجبال ، كذلك كانت بلاد الجريد ، وبخاصة قفصة تتبادل مع قابس النسيج الفاخر والخزف الراقي والسكر واللوز الفريك المشهور في قابس ، والفستق الذي تشتهر به قفصة وكذلك كانت تباع تمور قابس مع تمور بلاد الجريد في توزر قلب الجريد ، إذ كانت السوق الرئيسية لكل أنواع التمور [١٢].

بالنسبة للضرائب ، فقد حافظ بنوزيري على الضرائب اليت فرضها الفاطميون على السكان [١٣] ، ويقول المقدسي [١٤] أنها مثل نظام مصر ، وهي ضرائب المعاملات التجارية مثل لوازم في الموانئ على الوسق الإيراد : قبالات على الأسواق ، مراصد على القناطر

---

(١) المرجع السابق : ص ٣١٠.
(٢) القلقشندي : صبح ، ج ٣ ، ص ٤٦١ وأنظر : نفس المرجع ، ص ٣١٤.
(٣) المرجع نفسه.
(٤) انظر البكري ، ج ٢ ص ٦٦٧.
(٥) guerin: voyage archeologique... P. 118.
(٦) الوسياني : السير ورقة ٤٨ ، وأنظر الدرجيني ، ٢ ، ص ٢١
(٧) التجاني : الرحلة ص ٧٦. ٢٢٩
(٨) ياقوت : المعجم ، مادة قابس
(٩) الإدريسي : نزهة ، ج ١ ص ٢٨٠
(١٠) عثمان الكعاك : الحضارة .. ص ٧٦ وأنظر حوايتاير دراسات ... ترجمة عطية القوصي ص١٧٥
(١١) للرجع السابق : ص ٧٧ وأنظر ص ٧٦
(١٢) في ذلك انظر البكري ج (٢) ، ص ٦٦٦ ، الإدريسي ج ١ ، ص ٢٧٩.
(١٣) الاستبصار ، ص ١١٢ ، ١٥٤ ، عبد الل العلوي ، مجمل تاريخ المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧٩
(١٤) المرجع السابق ج ٢ ص ٨٧.

لوازم في الموانئ على الوسق الإيراد : قبالات على الأسواق ، مراصد على القناطر والجسور ، مغارم على المراعي وعلى القوافل والمحاصيل السلطانية إن أهم مصدر للخزينة هو ما يجبى على التجارة بأنواعها [١].

المعاملات التجارية مع الدول المختلفة :

كانت قابس تتعامل مع الدول المختلفة بطريقين أولهما : ميناءها أو مرفأها أي الطريق البحري [٢] ، وثانيهما : عن طريقها الصحراوي كمركز للقوافل على جادة الطريق [٣].

صدرت قابس الصواف والحرير والسجاد إلى جزر البحر المتوسط حيث انتقلت هاتان الصناعتان ، فنجد سجادها الرائع في سرادنيا ، وأصبح ضمن الصناعات المحلية بها مع المحافظة على صبغته الأصلية[٤] ، كذلك صدرت إلى أسبانيا وإيطاليا والجزر سالفة الذكر أغطية الفراش ، ونلاحظ معانيها بلغات تلك الدول أصلها عربي [٥] من أهم صادرات قابس زيت الزيتون والزيتون والمحفوظ الذي يقول عنه الإدريسي [٦] "وزيتون كثير يستعمل منه زيت كثير تجهز به إلى سائر النواحي كما صدرت الماعز والماشية إلى مصر ، كما صدرت التفاح إلى بلدان أوربا والطماطم [٧] ، كذلك اشتهرت قابس بالجمال التي تستعمل في سفر القوافل للتجارة والحج [٨] ، ومن رباطتها حيث كانت تنسخ مجلدات القرآن الكريم وكتب الإباضية في الفقه وصدرت قابس تلك الكتب وكذلك مدن أفريقية ، فساعدت على نشر الإسلام في بلدان قارة أفريقية [٩] وفيها رباط الصحراء ورباط البحر ، وهو مسجد الصهريج [١٠].

كان الرقيق والعاج وناب الفيل من أهم واردات قابس ومدن أفريقية من السودان والسودان الغربي[١١] وسنغاي ، واستوردت قابس من غدامس شجر التاكوت لدبغ الجلود [١٢] ، وكذلك الجواري والعبيد ، وكان لكل نوع من أصناف الرقيق مزاياه وخصائصه ، فهناك الجواري الترك والزنوج والعراقيون والمكيون [١٣] ،أما الرقيق الرجال فكانوا مستوردون من الهند والنوتة للخدمة والزراعة وأصناف العمل الشاق[١٤].

اشتهرت قابس بالملح في سهولها ، فصدرته ، وكان ذلك عن طريق المقايضة بالذهب عن طريق قوافل الصحراء الذاهبة إلى أفريقيا ، وكذلك حريرها الفاخر [١٥]. كما كان للتجار اليهود دورا في التبادل التجاري فترى تبادلا قويا بين يهود قابس ووكالة عوكل بالقاهرة كما كان

---

(١) نفس المرجع والجزء والصفحتز

(٢) الإدريسي ج ١ ، ص ٢٨٦

(٣) ابن قتافة : الخراج .. ص ٦٨ – ٧٢ وابن حوقل ص ٧٠.

(٤) الإدريسي ج ١ ، ص ٢٨٦

(٥) ابن قتافة : الخراج .. ص ٩٨ – ٧٣ ، وابن حوقل ، ص ٧٠ وأنظر عثمان الكعاك : الحضارة ... ص٦٠

(٦) نزهة المشتاق ج ١ ، ص ٢٨٧.

(٧) مازالت أوروبا إلى الآن تطلب هاتين السلعتين "برنامج ق ٧ الفضائية"

(٨) الدباغ : معالم الإيمان ، ج ٣ ، ص ١٨٣

(٩) محمد بن تاورييت الأدب المغربي ، ص ٩٢ الكعاك : مراكز الثقافة ، ص ٨-٣٩.

(١٠) ابو العباس الغبريني عنوان الدراية ،، ط بيروت ط ٢ ، ١٣٩٦هـ/١٩٧٩م – ص ٤٠.

(١١) الكعاك: الحضارة ، ص ٨٢ – ٨٤.

(١٢) الاستبصار ، ص ٩٥.

(١٣) عصمت دندش : الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين ص ٣٠٩.

(١٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة.

(١٥) موريس لومبار : الإسلام في مجده الأول ، ص ٢٧٢.

أوفي الأعم تكون مرتبطة بالسواق وهي تحوى مآوى لنزيلها ودوابه وبضاعته ، وفي كل بلاد أفريقية كانت الفنادق باسم ما تلاحقه من بضائع أو باسم جنسية نزلائها ، في مدينة تونس يوجد فندق الصوف المغزول وفندق القمح وفندق الفحم .. وكذلك وجدت فنادق لطماطة أو جربية أو الجوانسية أي مجتمع فيه سكان مطماطة أو جربة أو قابس [١] ، وجد في مرفأ قابس فنادق كثيرة بالقرب من حي قشلة البحر [٢] الذي توجد فيه أيضاً فنادق ، كذلك وجدت فنادق بالقرب من البحر في مناطق الزارات سانسور الحامة ، وكذلك [٣] ، وفي أرباضيها وفي الغابة من حولها[٤] أقيمت الفنادق خصيصاً لفئة التجار الأجانب عن قابس ولكل جالية فندق خاص بها فمثلاً فندق الجنويين (من جنوا) فندق البيشائيين (من بيئة أو بيزا) وهذا النوع من الفنادق يكون ملكاً للحكومة أو السلطة الحاكمة [٥] في قابس ويسري عليه النظام المعترف به بالنسبة لأفريقية وقابس ما يحقق النظام والأمان ، فهو كمنشأ ذات أدوار عدة كانت تغلق غروب الشمس إلى شروقها حيث بقى النزلاء فيها طوال الليل ، وكذلك وقت صلاة الجمعة[٦].

وكان يوجد بها قنصل أجنبي وترجمان وتحصل فيها الضرائب المنصوص عليها والقنصل عليه الإشراف الداخلي باستمرار [٧] ، وظيفة القنصل (من نفس بلد التجار) ، كانت نتيجة للنظام الذي وضع بين الدولة الإسلامية سواء الدولة الفاطمية وبعدها الزيرية أو الموحدية، وتوجد وثيقة [٨] ما بين مندوب من السلطة الحاكمة وبين أمير المؤمنين أبي يحيى زكريا ، تنظيم مصالح البيشائين عندما يأتون للمغرب أو أي بلد يفتحه الموحدون وإلا يصل أي جفن (مركب) حربي ، ونظمت هذه الوثيقة الضرائب بينهما ، وإذا اعطيت سفينة في بيشاء فعلى سكان البلد حراستها بغير إجارة ، ومن أهم البنود إقامة فندق خاص بهم في مدن أفريقية ومنها قابس [٩] وإن تفض الخصومات والمنازعات ، وأينما حلوا لقضاء مآربهم يكونوا أحراراً فيما يشترون في الحلقة أي الأسواق بعد الاختبار (المراقبة) وإلى جانب ذلك بنود كثيرة أخرى نصت عليها هذه الوثيقة لتنظيم العلاقات التجارية والمالية للتجار البيشائيين [١٠] إلى جانب الفنادق وجد القياس والوكالات وهما من أنواع الفنادق ، فالوكالات أقيمت منذ العصر الفاطمي [١١] ، وهي تشبه الفنادق وينزل لها التجار القادمون من الخارج ، وبجانب الوكالات وجدت منشآت يطلق عليها القياس ، وهي عبارة عن عدة مباني عامة وبها حوانيت ومصانع ومخازن ومساكن يقيم فيها الصناع والتجار بأجر[١٢]

---

(١) le mêmes Pages.

(٢) Abd elmajid Kraim Laresistence du gabés c.t.v 18p144 P144- Les Cahira detunisie V. 18-1978

(٣) انظر : البكري ، ج ٢ ، ص ٦٦٧ ، وانظر التجاني ص ٨٦ – ٩٦.

(٤) المرزوقي : ص ٢٦ – ٢٧.

(٥) رفعت موسى : الوكالات ص ١ القاهرة ط ١ – ث ص ٤٨ – ٤٩.

(٦) نعيم زكي : طريق التجارة الدولية ، ط القاهرة ، ط ٤ ، ص ٢٩١ وانظر المرجع السابق ص ٤٨.

(٧) المرجعان السابقان

(٨) ابتسام مرعي : العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي ط دار المعارف ص ٤٤٨ ، وما يليها ، ملحق رقم ١٦

(٩) المرجع السابق ص ٤٥١.

(١٠) نفس المرجع

(١١) المقريزي : الخطط ج٢ ، ص ٩٢/٩٣.

(١٢) سبق ذكرها : انظر ص من هذا الفصل وعن تخطيطها انظر الفصل الأول من البحث.

المعاملات المالية :

العملة :

النقود ودراستها تعين بالباحث دائماً على تفهم الحالة الاقتصادية وتطورها كما تعين على فهم الكثير من النواحي السياسية وأوضح مثال على ذلك عندما عمد المعز بن باديس على رفع أسماء الخلفاء الفاطميين من العملة ووضع أسمه وشعاراً جديداً مناوئاً للشعار الشيعي وكان ذلك على الدينار الذهبي المضروب من عام (٤٤١هـ - ١٠٦٣) [١] وتبعته في ذلك بلدان كثيرة مثل صفاقص وطرابلس [٢] كما سبقه بنو حماد في إعلان الاستقلال ومما شك فيه أن هذا كان مؤثراً فعالاً في الميزان التجاري في أفريقية ، وكانت صقلية تستعمل النقود الهندسية[٣] والدنانير شبيهة الأفريقية وعندما استقر بنو جامع بقابس أصبحت لهم عملتهم الخاصة بهم والتي ضربت بدار ضرب لهم خاصة في قابس [٤]،
وكان أشهرها ما يخص رشيد بن مكن جامع الهلالي .

بعد زوال هذه الدولة التي ازدهرت في قابس بعد فتح أفريقية على يد الموحدين انتشرت في أسواق قابس النقود الموحدية من دنانير ودراهم ، وبلغ وزن الدينار الموحدي المربع ٤,٧٢ جرام ولتسهيل التعاطي المالي بالأسواق ظهرت عملات لكسور الدرهم مكان ½ ، ¼ ، ٨/١ درهم [٥].

السفاتج :

أو السفتجات أو الصكوك ، عبارة عن سندات مالية واجبة التحصيل في وقت معين عليه بين الطرفين [٦] عند تحرير هذه الورقة وقد لعب اليهود في هذه المعاملات المالية في الأسواق والمرافئ دوراً هاماً.
فقد برعوا في هذه الأنشطة المالية [٧] – مثل تحويل هذه السفنجات للغير عن طريق التوقيع بالتوكيل وبالتحويل على ظهرها حتى أنه أصبح من المعتاد دفع الديون منذ القرن الرابع الهجري ، إما نقداً أو عن طريق خطابات الضمان (الكمبيالات) [٨] المباشرة والمظهرة وهي المعروفة باسم Lanes of Credit وطوروا استخدامها لإمكان النقود من مكان إلى آخر بأمان تفادياً لعمليات النقل الخطرة للنقود السائل[٩].
ووجدت وثيقة رقم (١٤) من وثائق من وثائق أما ري [١٠] جاء فيها ما بين استعمال خطابات الضمان المالية.

---

(١) ابن عذاري : المغرب ج ١ ص ٢٩١.

(٢) انظر الشحاني : ص ٧٦ – ١٠٣.

(٣) الرسباني : السير ص ٦١.

(٤) سهام المهدي : دينار رشيدي نادر ، ص ٢٠١ – ٢٠٩ / المؤرخ المصري عدد ٣ و انظر صور وأرقام تلك الدنانير في ملحق هذه الرسالة.

(٥) المراكشي المعجب ، ص ١١٤ انظر برانشفيك ، تاريخ أفريقية على عهد الحفصيين ، ج ٢ ص ٨١.

(٦) ومعناه في الحاضر الشيك أو الحوالة.

(٧) نعيم زكي : دور اليهود في تجارة العصور الوسطى : ط. القاهرة "١٣٩١ هـ / ١٩٧١م" ط. ١ ، ص ٢٠/٢٤.

(٨) المرجع السابق : نفس الصفحات.

(٩) نفس المرجع والصفحات.

(١٠) ميشيل : مجموعة رسائل تحت عنوان
Document degli: Archiv. Tosca ni Publéale par cura Bollal soprintendenge general degli archivo Medesine
دار الوثائق بالرباط تحت رقم AD /V – 583 / dis
وانظر ابتسام مرعي : العلاقات ص ٤٤٦ – ٤٤٧

فقد أرسل محرز القابسي التاجر إلى زميله باج بيرو ككله الذي كان مدينا للقابســي فــي مائتين وعشر دنانير ثمن ألف جلد وستمائة جلد دفع منها عشرة دنانير وبقى عنده[1]

(1) المصدر السابق ، ملحق رقم ١٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الخامس

الحـــــياة الاجتماعـــــية

(في قابس)

١- عناصر المجتمع : -

أ- العرب.

ب- البربر.

ج- أهل الذمة.

د- عناصر أخرى.

٢- طبقات المجتمع : -

أ- طبقة الخاصة (الولاة - الأمراء - الوزراء).

ب- طبقة العلماء.

ج- التجار.

د- الطبقة الوسطى.

ه- العامة.

٣- ونظام الأسرة - منزل الأسرة.

٤- بعض مظاهر الحياة الاجتماعية : -

أ- العادات والتقاليد.

ب- الزي في قابس.

ج- الطعام والأشربة.

أولا: عناصر السكان : -

ضم المجتمع القابسي خليطاً من السكان اشتمل على عناصر عديدة [1]، وهذا الاختلاط لم يكن وليد حقبة زمنية محددة ، بل تكوّن بمرور الزمن والأحداث التاريخية على أفريقية عامة ، وعلى قابس نظراً للتميز الذي هيأها لذلك كواحة بحرية صحراوية[2]، وأنضم الفينيقيون الى البربر ، أهل البلاد الأصليين[3]، في سكني قابس واختلطوا بهم وأثروا فيهم وتأثروا بهم.لقد كان هؤلاء البربر يعرفون في منطقة قابس وجربه باسم النسامون [4]، ويأنهم آكلوا اللوتس[5]، وقد أفسح السكان الأصليون لبعض اليهود في النزول بمدينتهم، وذلك في جربة ، وبذلك كان في قابس في هذا الزمن البعيد أربعة عناصر من السكان:

عنصر بربري من سكانها الأولبين[6]، **وعنصر فينيقي قرطاجي**[7]، **وعنصر سوداني** ممن رحلهم القرطاجيون معهم في قوافلهم التجارية التي جابت أفريقيا[8]، ودارت حولها ثم أنضم إليهم العنصر الروماني بعد استيلاء روما على قرطاجه[9]، ثم وفدت إلى قابس منذ سنة ٧٥م وبعد تحطيم الأمبراطور فينوس لبيت المقدس أسر يهودية كثيرة[10]، وحين استولى على الوندال على أفريقية سنة ٤٣٩م وظلوا بها حتى سنة ٥٣٤م أضافوا إلي أفريقية وقابس على الأخص عنصراً حديثا بقيت منه أعداد بأفريقيا بعد أن استردها البيزنطيون مضيفين بدورهم العنصر البيزنطي الإغريقي[11]، فلما فتح العرب المسلمون أفريقية أنضم العرب لعناصر سكانها بل انضم إليهم القبط من أهل مصر ، وبعد ذلك استكثر الأغالبة في الحرس من العنصر الصقلبي ومن عنصر السودان، وكانوا في عهد إبراهيم أكثر من خمسة آلاف .

---

(1) قال عنها أحد الدارسين الأوروبيين أن قابس مدينة مختلطة.

Gabes C'est une citéhylride. Voir gacques revault l'alrique médiberranneé mcé-Edit caire, P. 129.

- ط. المجتمع العلمي الفرنسي بالقاهرة ط ١.

(2) التجاني ، ص ٨٦.

(3) أنظر المرجع السابق ، ص ٣/٢ وأنظر سعد زغلول عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي ، ط. الإسكندرية ط ١ ، ص ٧٩/٧٨.

البربر – رسالة دكتوراة

(4) أنظر محمد البيلي ص ١٩ ، وأنظر : – عبد الله يوسف النجاشي الفينيقيون وركائز الذهب ، ط. القاهرة ، ط ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧م ، فيقول : أما لفظ ناسامون كما يسميهم هيرودوتس – وديود والصقلي وغيرهما من مؤرخي اليونان فليس في اللسان اليوناني ولفظه ناس آمون أو ناس عمون الأول نسبة للإله هومير آمون– المرجع السابق نفس المكان.

(5) أنظر محمد البيلي ص ١٩ ، وأنظر : – عبد الله يوسف النجاشي الفينيقيون وركائز الذهب ، ط. القاهرة ، ط ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٧م ، فيقول : أما لفظ ناسامون كما يسميهم هيرودوتس – وديود والصقلي وغيرهما من مؤرخي اليونان فليس في اللسان اليوناني ولفظه ناس آمون أو ناس عمون الأول نسبة للإله هومير آمون– المرجع السابق نفس المكان.

(6) محمد بركات البيلي ، صفحات من تاريخ المغرب والأندلس ، ط. القاهرة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص ٢٢.

(7) محمد بركات البيلي ، صفحات من تاريخ المغرب والأندلس ، ط. القاهرة ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م ، ص ٢٢.

(8) مؤنس. فتح العرب للمغرب ، ص ١.

(9) على سبيل المثال ، رحلة ضوالقرضلجي حول أفريقيا ، أنظر نخبة من الأساتذة. ط. ليبيا ، ط ١ ، ص ٣ ، ص ٧٥.

(10) Hirchberg, A history of the jews in north of africa lerclxn 1975, P. 401.

(11) Hirchberg, A history of the jouis in north of rica lerclxn 1975, P. 401.

ولكثرة خيرات أفريقية وحسن معاملة الإسلام للنصارى واليهود ، ظل يفد على مدن أفريقية الكثيرون منهم.

مما تقدم نجد أن الحياة الاجتماعية في قابس قد تأثرت بعدة عوامل ، قبلية واقتصادية ودينية.

العامل القبلي : -

تعتبر القبيلة حجر الزاوية في الحياة الاجتماعية في قابس سواء كانت قبيلة بربرية أو عربية ، فالخلية الأولى فيها هي الأسرة ، ثم العشيرة التي تشتمل على عدد من الأسر التي تنتمي لجدّ واحد تجمعها القرابة الوثيقة ، وبعد ذلك تأتي مرتبة الأفخاذ التي تجمع عدداً من العشائر ثم نجد بعد ذلك البطن وهي تضم العديد من الأفخاذ وتصل إلى العمائر ، وهي أقل من القبائل ثم تجمع البطون وتصل لمرتبة القبيلة وهي دون الشعب وتجمع العمائر لتصل إلى الشعب.

وكان للعصبية القبلية دوراً أساساً في الحياة الاجتماعية القابسية ، وكلمة عصبية لها معنى الاعتداد بالنسب ، وذلك يؤدي للتنازع[1]، وكان ذلك معروفاً قبل الإسلام ، أما الدين الإسلامي فقد دعا للتآخي والتآلف والود[2]، تساعد العصبية بشكل إيجابي على الارتباط بين أفراد القبيلة ، ويؤيد ذلك قول ابن خلدون في شرحه لكلمة العصبية بمعنى الرابطة القبلية ، "إن صلة الرحم طبيعية في البشر إلا في الأقل ، ومن صلتها النعرة على ذوي القربى وأهل الأرحام أن ينالهم ضيم أو تصيبهم هلكة ، فإن القريب يجد في نفسه غضاضة من ظلم قريبه أو العداء عليه ، ويود ولو يحول بينه وبين ما يصله من المعاطب والمهالك ، نزعة طبيعية في البشر[3]، كما يذكر ابن خلدون "أن القبيلة الواحدة وإن كانت فيها بيوتات متفرقة وعصبيات متعددة ، فلابد من عصبية تكون أقوى من جميعها ، تغلبها وتستتبعها ، وتلتحم جميع العصبيات فيها ، وتصير كأنها عصبية واحدة كبرى وإلا وقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف والتنازع"[4].

العامل الاقتصادي : -

الاقتصاد هو أساس حياة المجتمع القابسي ، لذلك تأثرت أحوال هذا المجتمع اقتصادياً لأن رخاء المجتمع اقتصادياً له دور فعال في ارتفاع مستوى المعيشة وتطور أوضاع هذا المجتمع ، وفي دراسة الأحوال الاقتصادية لقابس نجد أن قابس ازدهرت زراعياً ، لتوافر مقومات الزراعة من الأرض الخصبة وتنوع الموارد المائية والمناخ ، الذي كان له أكبر الأثر في تنوع المحاصيل والثمار[5]، كما كانت قابس غنية بالسائمة لوفرة المراعي ، ومما ساعد على التطور أيضاً النشاط الصناعي ، وهذا يعني اكتمال العمران الحضري. "لأن العمران البدوي لا يحتاج من الصنائع إلا البسيط خاصة المستعمل من الضروريات" وإذا تحضر المجتمع وارتقى تزايدت صنائع أخرى معها ، مما يدعو إلى عوائد الترف وأحوالها[6]، كما كان للنشاط التجاري دور كبير جعل رخاء المجتمع القابسي مطردًا ، خاصة نشاط التجارة الخارجية من ناحية البحر والصحراء[7]، هذه الأنشطة قد تأثرت في المجتمع القابسي بالغزوة

---

(1) أنظر الحسن السائح :الحضارة ج٧- ص ٨٢.

(2) أنظر : ابن منظور لسان العرب ،حرف عين ص ٢٩٦٦.

(3) المقدمة ، ص ١٢٨.

(4) المصدر السابق : ص ١٣٩.

(5) عن الازدهار الزرعي ، أنظر : فصل الحياة الاقتصادية في قابس.

(6) نفس المصدر ، ص ٤٠١.

(7) عن النشاط الصناعي والتجاري ، أنظر الفصل الرابع من هذه الرسالة.

الهلالية رغم اضطراب أحواله زمن هجوم بني غانية وحملة قراقوش الأرمني ، لكن متى تعود الأنشطة[1].

العامل الديني : –

كان من أعمق المؤثرات ، ولقد كان للإسلام بصماته الواضحة على المجتمع القابسي الذي تحولت نظمه الاجتماعية وأخلاقه وتقاليده وعاداته لتعاليم الدين الحنيف ، وقد أسهمت في ذلك المساجد والزوايا والجوامع في بث هذه التعاليم.

وقد كان بها دعاة لتعليم قواعد الدين ونظمه الاجتماعية[2]، ولقد كان الفتح الإسلامي استقرارا لبعض الأسر العربية في عدة أماكن من إفريقية ومنها قابس ، ولذا تري الباحثة أن التأثير الإسلامي قد بدأ مبكراً في قابس ومنطقتها ، كما كان لانتشار الإسلام أثره بالنسبة للقبائل البربرية فقد غيرت تعاليمه السمحة الكثير من طباعهم.

أ–العرب:

أن العرب دخلوا قابس ما بين سنتي ٢٧/٤٠ هـ ، ولكننا نقدر أنهم لم يستقروا بها إلا بعد فتح عقبة الإفريقية سنة ٥٠ هـ ، ونقدر أن عائلات المجاهدين التي استقرت بها لم تلبث أن غادرتها بسبب ثورة البربر على عقبة واستيلائهم على إفريقية ولم يتبق منها إلا القليل.

وعليه فلا يمكننا أن نعتبر أن العرب قد سكنوا قابس واستقروا بها نهائياً إلا بعد حملة حسّان بن النعمان وانتصاره الحاسم على البربر سنة ٨٤ هـ [3]، فمن ذلك الوقت ظهر العرب في المراكز الهامة في إفريقية ، ونقدر أن الذين سكنوا قابس منهم إنما هم عائلات الجنود والعمال والتجار وعلماء الدين الذين يصاحبون الحملات دائماً لفتح العقول وتطهير العقائد وتوجيه الحكام والدفاع عن الحق في مجالسهم ، على أن العرب بقوا رغم استقرار الحالة بإفريقية أيام الأغالبة قلة بالنسبة لسكان البلاد ، ولم يحدث وجودهم –رغم اختلاطهم بالسكان – أي أثر في المجتمع البربري الأصيل في البلاد عدا الأثر الديني ، والأثر الطبيعي الذي خلفه الأغالبة في المدن والسواحل ، أما الأطراف فلم تتأثر بشيء ، وبقيت فيها النزعة للثورة ضد العرب حتى قدوم بني هلال وبني سليم منتصف القرن الخامس ومنذ ذلك الحين بدأ تعريب البلاد وظهر العنصر العربي واستطاع أن يصهر البربر في بوتقة ويذيبهم في معدنه [4]، وصبغ البلاد بالصبغة العربية التي تأثر بها أكثر البربر ، ما عدا بعض قري مطماطة ، فقد احتفظت بتقاليد البربرية القديمة وأنتشرت في قابس قبائل كثيرة عربية استقرت بها[5]، نزل العرب أولاً عند أقربائهم الذين كانوا قد أستقروا ، ثم تبعهم باقي أفراد قبائلهم الذين في الصعيد في برقة وطرابلس وإفريقية ، ومنهم تكون معظم عرب هذه المنطقة منذ منتصف القرن ٥ هـ ، ومن أهم تلك القبائل : –

١– بنو دياب : –

اختلف المؤرخون حول نسب بني دياب ، فنسبهم بعض المؤرخين إلى مالك بن بهثة بن سليم [6]، ونسبهم البعض الآخر إلى ربيعة بن زعب الأكبر بن حفصه بن امرئ القيس بن

---

(1) أنظر : الفصل الثاني "الحياة السياسية.

(2) مثلما حدث في القيروان : أنظر : الدباغ : معالم الإيمان ، ج ١ ، ص ٥٣ – ٧٨ ،

– أنظر : الرفيق القيرواني ، تاريخ أفريقية ص ١٤٨ ، ولقد خرج أهل قابس لحسان ابن النعمان ، وكانوا قبل ذلك متحصنين.

(3) الرقيق القيرواني : تاريخ إفريقية ، ص ١٤٨ ، وأنظر المرزوقي ص ١٢٠.

(4) أنظر محمد على ما دون عروبة البربر ، ط ١ ، ص ١–٥١–١٣٥.

(5) كما تحدث التجاني عن توزيعاتهم ، أنظر ص ١١٨.

(6) القلقشندي : قلائد الجمان ، ص ١٢٧ ، نهاية الأرب ، ص ١١٩ – ٢٥٠.

بهثة بن سليم [1]، وموطن بني دياب ما بين قابس وطرابلس وبرقة [2]، ومن أشهر بطونهم الجواري ، وهم بنو حميد بن جارية بن وشاح ، وكانت مواطنهم الغرب وما إليها مثل تاجورا وحنزور ، وهذاعة وزنزور ، ورئاستهم في بني مرّعمّ ابن صابر بن عسكر بن علي [3]، والمحاميد هم بنو محمود بن طوق بن عقبة بن وشاع بن دياب ومواطنهم بين قابس ونفوسه [4]، وما إلى ذلك من الضواحي والجبال ورئاستهم في بني رحاب بن محمود.

بنو عوف : -

وهم بنو عوف بن بهثه بن سليم بن منصور وديارهم بالمغرب فيما بين قابس وبونة [5]، وينقسمون إلى قسمين مراوس وعلامة ، فمرداس كانت رياستهم في بني جامع حتى القرن الثامن الهجري[6]، وعلامة كان رئيسهم الأول في وقت دخولهم إفريقية رافع بن حماد بنو كعب[7]، ويذكر الإدريسي أن بني عوف وبني دياب امتدت بطونهما من مدينة طرابلس إلى سرت في جهة الشرق ، فسيطروا على عدة مناطق بين المدينتين [8]، كما نجد الكثير من قصور المبارك بعد قصر المحرس على خليج قابس[9].

وما زال من نسلهم الي الآن المرازيق وأولاد يعقوب ونفات وقاعود وغريب وعرب تطاوين والتوازين وبنويزيد يقيمون حول قابس في مارث والحامة وقفصة ودوز ومدنين.

بنو زعب : -

اختلف النسابة والمؤرخون حول نسب بني زغب [10]، فذكرهم البعض في زعب بن نصر بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثه بن سليم[11]، وأرجع البعض الآخر نسبهم إلى زعبت الأصغر بن زعب الأكبر بن جرو بن مالك[12]، كما نسبوا إلى زعب بن مالك بن بهثة بن سليم[13]، وقد سكنوا إفريقة بجوار إخوانهم بني دياب بن مالك وكانوا ينزلون من قابس وبرقة ثم صاروا إلى جوار بني هيب[14].

وانتقلنا عن قابس يوم السبت السابع عشر منه ففارقنا بمفارقتها أرض النواهل واجتزنا في أرض إخوتهم الوشاحيين ثم في أرض المحاميد منهم والوشاحيون لوشاح بن عامر ، وقد قدمنا أن وشاحاً ونائلاً إخوان ورفعنا نسب نائل[15]، ورئاسة الوشاحين الآن محصورة في

---

(1) التجاني ، ص ١٣٤ ، العبر ٨٤/٦ ، كحالة : ٤٠/١ – ٤٠٨.

(2) العبر : ٨٥/٦ ، القلقشندي : قلائد ... ص ١٢٦ ، نهاية الأرب ص ٢٥٠.

(3) القريزي : البيان ، ص ٦٩.

(4) التجاني : ص ١٣٤ ، العبر : ٦ / ٨٥ من يالوت.

(5) التجاني : ١٣٤ ، العبر : ٦ /٨٥ ، القلقشندي ، نهاية الأرب : ص ١٥٨.

(6) العبر : ٧٤/٦ ، القلقشندي : قلائد ، ص ١٢٦ ، نهاية الأرب ، ص ٣٨٤ / ٤١٨.

(7) العبر : ٦ / ٧٣ ، كحالة : ج ٢ ، ص ٨٠٦ ، ٨٠٨نزهة الشقاق ط١ ص٢٩٨ وانظر سيرة بني هلال الندوة العالمية الأولى بالحمامات – بحث محمد المرزوقي ص ٢٣-٢٥

(8) من يالوت.

(9) نزهة المشتاق : مجلد ١ ، ص ٢٩٨.

(10) أنظر : برنشفيك ، ج ٤ ، ص ٣٣.

(11) العبر : ٧٢/٦.

(12) التجاني : ص ١٤١.

(13) العبر : ٧٢/٦ ، نهاية الأرب ، ص ٢٧٢ ، الطرابلس ، ص ١١٣.

(14) العبر : ٦ / ٧٢ ، وكحال ، ج ٢ ، ص ٤٧٤.

(15) ولي وشاح بن عامر ، يقول الشاعر – طويل : –

– صلحت صليماً ضاع في نجل عامر كما ضاع في الأصنام وادي زرُودِ

قبيلتي الجواري والمحاميد وماعدا هاتين القبيلتين في العدد والقوة ، فمهما نقص من إحداهما فارس بموت أو غيره نقص من الأخر نظيره عادة أجراها الله تعالى بينهم ، فتجد إحدي الطائفتين إذا مات واحد من الأخري يتوقعون موت مقابله منهم ، فيقع ذلك عن قريب ، ورئاسة المحاميد في بني رحاب منهم ، وهو رحاب بن محمود بن طوق بن بقية بن وشاح.

ومن قابس إلى ناحية توز أرض دياب في منازل بني أحمد وهم بنو أحمد دياب بن ربيعة بن زغب وربما شاركهم في منازلهم هذه بنو يزيد وبنو يزيد أربعة أحفاد من دياب تحالفت وانتسبت على مدلول الزيادة لا إلى رجل متسم بيزيد ، وهم والصبهبة والحمازية والخرجة والأصابعة ، فأما الصبهة – بسكون الهاء – فبنو جهت بن جابر بن قائد بن رافع بن دياب ، وأما الحمازية ، فبنو حمران بن جابر إخوتهم ، وأما الخرجة – بسكون الراء – فجماعة من آل سليمان بن رافع ابن دياب أخرجهم بنو عمهم آل سالم بن رافع من أرضهم فمالوا إلى محالفة هؤلاء وساكنوهم بمنازلهم ، وكانت أرضهم أرض مسلاته وما قارب منها ، وإما الأصابعة فهم منتسبون إلى رجل كانت له إصبع زائدة ودياب يطعنون عليهم نسبهم ويذكرون أنهم خارجون عنهم[1].

ب-البربر : –

هؤلاء البربر جيل وشعوب وقبائل أكثر من أن تحصى ، فبينما هو معروف في تاريخ الفتح بإفريقية والمغرب[2]، هم السكان الأصليون لبلاد المغرب وسوادها العظيم ، واسم البربر ليس اسمهم الأول ، بل هو اسم دخيل عليهم ينفرون منهم ويرون أن اسمهم الأصلي هو الأمازيغ أو بنو مازيغ ، وهو يعني في لغتهم الأمازيغية الأحرار الشرفاء أو السادة.

ولذلك يفترض البعض أن هؤلاء الأمازيغ لم يطلقوا على أنفسهم هذه التسمية إلا بعد وصولهم بلاد المغرب وتغلبهم على من وجد بها وبذلك أحرزوا السيادة على هذه الأرض وعلى ساكنيها[3]، ثم أطلق على مجموع هذه القبائل اسم البربر ، وهو اسم يوناني – لاتيني كان يطلقه اليونان والرومان على الشعوب التي لا تتكلم بلسانهم ولا ترفع لواء الحضارة اليونانية الرومانية حتى أنهم أطلقوه أيضاً على المصريين مع أن مصر أقدم حضارة منهم.

التصق الاسم بأهالي بلاد المغرب الأصليين وأختص بهم دون سواهم ، معرفة العرب حين الفتح الإسلامي وعربوا الكلمة اللاتينية وفسروها على عدة أوجه.

فقيل إن البربر من البربرة بمعنى الهمهمة ، من الفعل بربر أي همهم أو تكلم كلاماً غير مفهوم وساقوا لذلك خبراً هو أن أفريقن بن صيفي لما غزا إفريقية – فيما زعموا – وسمع رطانة أهلها قال لهم إما أكثر بربرتكم ، فسموا لذلك البربر وهذا اللغوي يشير إلى وجود شعب المغرب قبل اسم البربر مما يدعم قول القائلين بأن اسمهم الأول هو الأمازيغ[4].

ووادي زرود في قبيلة لاقروان بينها وبينه أميال يسيره وأصله من موضع يعرف بقُران بضم القاء وتخفيف الاء ، وهذا الوادي يمر في طريقه على مزارع تسقر منه وينتفع به فيها فإذا انتهي إلى الأصنام ، وهو موضع في جوف القيروان انتشر في سبخه هنالك متسق ضاع ماؤه ، فلم ينتفع به ، فأشار هذا الشاعر إلى هذا.

– أنظر : التجاني ، الرحلة ، ص ١١٧ – ١١٨.

– وأنظر : ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٨٦.

(1) أنظر التجاني : ص ١٣٤ ، وأنظر ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ٨٦/٨٢.

(2) ابن خلدون : العبر ، ج ٦ ، ص ١٠٦ ، وأنظر محمد على ما دون : عروبة البربر الحقيقية المغمورة ص ٨٥ ، ١٥٣ ، وأنظر : ص من هذا الفصل.

(3) عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب : ج ٣ ، ص ٩١.

(4) وقيل إن اسم الأمازيغ بمعنى السادة يفترض وجود أناس قبلهم تسيد عليهم الأمازيغ بعد أن هزموهم مما يشير بوضوح لوجود هجرات متتابعة قديمة لا تعرف أخبارها ولا تواريخها ، أنظر : مادون ، عروبة البربر ، ص ١٥٣.

اسم البربر إلى ستروبرانس "وكان مادغيس الأبتر جدّ البرابره البتر" "وكان من رجالاتهم إسماعيل بن زياد المتغلب على قابس سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، ومن ولده نفزاوة ولوانة"(١).

وفي نفس الوقت المناطق من برقة وطرابلس إلى قابس وهي المناطق التي انتشرت فيها قبائل بني سليم وأفخاذها فإن معظم المصادر توجد قبيلتا لوانه(٢)، وهوارة البربريتان وحتى حدود تونس(٣)، وبشكل خاص كانت تلك المناطق مستقراً لهوارة(٤)، كما كانت المناطق ذاتها تسمي باسم القبيلة البربرية ذاتها ، فمثلاً جبل نفوسة على اسم قبيلة نفوسة التي تستقر فيه ويقع في جنوب طرابلس إلى قرب قابس حيث يوجد جزء يسمي جبل مطماطة على اسم القبيلة التي تسكنه(٥).

ويسكن قابس كثير من القبائل البترية من لوانة ونفوسه وبعض بطون من ضريسة من لماية وزواغة ومطماطة في جنوبها الغربي(٦)، وعلى ساحل خليج قابس في مدينة بيفاقس تستقر قبائل من لواته ونفوسه(٧)، أما مدينة القيروان. فلم تهتم المصادر بتصنيف القبائل البربرية بها ، واقتصر ما ذكره البعتروا(٨)، على "أنها فيها من عجم البلاد من البربر" ولعل الاحتلال المتكرر من قبل القبائل البربرية أدي لوجود بعض القبائل من أوربة وجراوة هوارة وزناتة وغيرها فضلاً عن سوماته من نفزاوة التي تستقر فئة منها في نواحي القيروان(٩)، كما وجدت عشائر صغيرة تعود إلى هوارة قرب مرماجنة في وادي مجردة الأعلى(١٠)، أما بلاد الجريد التي تعد قابس منها ، فكان يسكن بها قبائل بدوية بما يتواءم مع طبيعتها الجغرافية حيث تكثر بها الواحات ، لذلك وجود حولها بالقرب من نقطة وتوزؤ وقفصة عرب قابس قبائل نفزاوة(١١)، كما تسكن قسطيلية بعض بطون نفزاوة(١٢)، ولما كان التنظيم الاجتماعي للبربر يقوم على أساس قبلي لذا تنقسم كل من البترو البرانس لعدة قبائل رئيسية تتفرع بدورها لقبائل أصغر وفروع(١٣)، وبطون وأفخاذ وفصائل ، فقبائل البرانس سبع قبائل هي أوربة(١٤)، وصنهاجة وكتامة ومضمودة وعجبة وأوريغة وازداجة ، ويضيف إليها أحد نسّابة البربر ثلاثا هم : لمطه وهسكورة وجزولة ، أما قبائل البتر(١٥)، فهم أربع أداسة ونفوسة وضربة

---

(١) ابن خلدون : ج ٦ ، ص ١١٤ وما يليها فيه تفاصيل أكثر عن التقسيمات والبربر ، أنظر محمد بركات البيلي : البربر في الأندلس ، رسالة دكتوراة مخطوطة ، مكتبة جامعة القاهرة ، ومحمد على مادون : عروبة البربر ، الطبري : ج ٢ ، المصدر السابق نفس الجزء ، ياقوت ج ١ ، ص ٣٦٨ على سبيل المثال.

(٢) البكري :المسالك ، ج ٢ ، ص ٦٦٢ ، ٦٦٧.

(٣) ابن حوقل ، ص ٦٩–٧٠ ، والإدريسي ، ج ٢ ، ص ١٣٠.

(٤) صباح الشيخلي ، الهلاليون ، ص ١٧.

(٥) أنظر : الاستبصار ، ص ١١٢ – ١٥٠ ، وأنظر البكري ، كراسات تونسية ، ص ٦١٤.

(٦) الاستبصار ، ص ١٥٠.

(٧) ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ١١٤ – ١١٨.

(٨) البلدان ، ج ١ ، ص ٣٤٨.

(٩) المصدر السابق ، ج ٦٩ ، ص ١٣٦.

(١٠) نفس المصر ، ج ٦ ، ص ١٤٢.

(١١) البكري : المغرب ، ص ٤٧ – ٤٨.

(١٢) نفس المصدر ، ص ٥٢.

(١٣)

(١٤) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ٤٩٥ ، ابن خلدون ، العبر ، ج ٦ ، ص ٨٩ / ٩٠.

(١٥) نفس المصدر ، ج ٦ ، ص ٩٠ – ٩١.

وبنولوا ، وينحدر من هذه القبائل الكبري ، قبال أخري شهيرة فمن ضربة نجد فرعين رئيسين هما : بنو تمصيت الذي يتفرع منهم قبال مطماطة وصطفورة ولماية ومطغرة ومغيلة وملزوزة ومديونة ثم بنو يحي يتفرع منهم قبيلة زناتة أكبر القبال البترية ، كما يتفرع بنولوا إلى نفزاوة ولوانة التى يتحد منها عدة قبائل مثل : مزاته وسدراته ، أما نفزاوة فتتفرع منها قبيلة ولهاصة التى تتحدر منها قبيلة ورفجومة.

ولما استطاع كسيلة أن يدخل القيروان وأن بعد فقتل عقبة بن نافع في تهورة ، ويستقر بالقيروان خمس سنوات[1]، وهي نفس الفترة التي احتلت فيها الكاهنة القيروان وكل إفريقية بما فيها قابس بعد هزيمتها لحسان بن النعمان[2]، ومن المؤكد أن هذه الفترات قد أدت لدخول الكثيرين من قبيلة أوربة البرنسية وبقية القبائل التي دخلت في الاتحاد القبلي مع كسيلة ، ثم دخلت قبيلة جراوة البترية مع الكاهنة ، وهذا لم يقتصر فقط على مدينة القيروان المحتلة منهم ، بل تعداه للمدن الأخرى المحيطة بها.

ومع حسّان بن النعمان ، استقر البربر في قابس وغيرها ، بعد أن قام حسّان بتوزيع الخطط على البربر[3]، كما قام موسى بن نصير في إطار سياسته لمولاه البربر بنقل البربر من الأقاصي إلى الأواني[4].

كما كان لتجمع بعض القبائل من طرابلس إلى قابس مثل هوارة وزناته ونفوسه وانتشار الإباضية بينهم أثر في تأخرهم بالقيام بحركات[5]، مناوئه إلا مع بداية ضعف الخلافة الأموية فضلاً على أنها بحكم موطنها كانت مستقرة منطقة طرق القوافل الآتية من المشرق.

ج-أهل الذمة : -

ضمت قابس من قبل الفتح الإسلامي نصارى ويهود ، أصبحوا يؤيدون الجزية والحوالى بعد الفتح[6].

اليهود : -

كانت قابس من مواطن اليهود ، فقد وجد العرب اليهود في قابس ، وكان يوجد عدد من اليهود منذ أيام الفينيقيين ثم هاجرت جماعات أخري في العهد الروماني ، لوقوع المنطقة على خط التجارة الساحلية والتجارة الصحراوية إلى بلاد السودان[7]، وقد عمل هؤلاء المهاجرون على نشر اليهودية في قبيلة نفوسة في جبل نفوسة والممتد من جنوب غرب طرابلس إلى جنوب قابس[8]، ولما فتح عمرو بن العاص هذا الجبل وجد البعض من أهله يهود ونصارى ووجود هذه الديانات في هذا [9]،المكان يعود لسهولة الاتصال بينه وبين طرابلس والتي تعتمد على التجارة مع قري هذا الجبل مما مطن لهذه الديانات من التوغل فيه ، لكن يبدو أن انتشار الإسلام أدي لاندثار النصرانية وقلة اليهودية في تلك النواحي ، غير أن أهلها المسلمين اعتنقوا

---

(1) ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ، ص ٣١.

(2) ابن الأثير : الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٢.

- وأنظر / ناريمان عبد الكريم ، المجتمع في إفريقية ، دكتوراه في مكتبة جامعة عين شمس ص ١٧٦ – ١٧٧ – ١٧٨.

(3) المالكي : الرياض ، ج ١ ، ص ٦٨.

(4) الرقيق : تاريخ إفريقية والمغرب ، ص ٦٨.

(5) محمد بن الحسن : القبائل والأرباط المغربية ص ٨٦ – ٩٧ وأنظر المصادر السابقة.

(6) - Diehl ; l'alricne byyantine., P, 335.

(7) الإدريسي : نزهة .... ج (٢) ، ص ٢٧٩ – ٢٨١.

(8) أبو عبانة : جغرافية تونس ، ص ١١.

(9) ومجهول الاستبصار : ص ١١٢ – ١١٣.

مذهب الخوارج الإباضية[1]، بعد تسلله للمغرب كانت قابس من مواطن اليهود بعد الفتح الإسلامي فيذكر ابن حوقل أن بها يهودا عليهم جوال[2]، كان اليهود في قابس فلاحين وصناعا يغزلون الحرير ويصدرون الأقمشة اليمنية واغتنوا من التجارة مع صقلية وإفريقية الداخلية ، بعض منهم كانوا تجارًا عالميين.

وكان في قابس يهود كثيرون يحبون الشعر والموسيقي ومعلمهم ونجحوا في تحويل الأكاديمية إلى مركز ديني[3].

وقد كانت أقدم بيعة يهودية (معبد) تفتح خارج المدينة وأرباضها في قرية تسمي البلد أو جارة الصغيرة أو الدخلانية[4]، وهذه البيعة تقع في الجزء الشرقي من القرية ، وزعم يهود المكان أنها كانت مزاراً مقدساً ليهود قابس ولهم موعد سنوي يجتمعون فيه في احتفال عظيم[5]، حتى جاءت الحماية الفرنسية فألغت تلك العادة ، كما يؤكد ختم هذه البيعة أنها كانت أقدم وجوداً من البيعة اليهودية بقرية المنزل أوحى المنزل بقابس[6]،كان اليهود يعملون في التجارة ويتعاملون في الأسواق والبعض منهم كانت له جنيهات في قابس وما حولها ، وسكنوا خارج أسواق المدينة والذين كانوا داخل المدينة كانوا متناثرين بين أحيائها ، كان رئيس اليهود المقيم في القيروان يسمي (ناجد) وهي لفظة عبرية[7]، تعني بالعربية (رئيس اليهود) وصلاحية منصبه سياسياً ودينياً في آن واحد ، وتشبه صلاحيات بطريرك النصارى في المشرق[8]، وكانت ترد إليه الفتاوى من اليهود المقيمين في قابس وغيرها لسؤاله في كل ما يشغل بالهم من أمور حياتهم[9].

---

(1) أبو زكريا : سير الأئمة ، ص ١٠.

(2) صورة الأرض ، ص ١٠٧.

(3) Encyclopedia judinca, P. 33 – 34, article gabes.

- وقد كانت أقرب بيعة يهودية ، إنها نقطة الالتقاء الطبيعي "القهل" للطائفة : بيت الصلاة ومقر الدرس والتعليم احد رويشاه ، ومكان تعليم الكبار ليلاً بالدرس أو الوعظ ، وفيها يجتمع مجلس الطائفة والمؤمنون لاتخاذ القرارات أو إعلان المراسيم علناً ، أو لإصدار حكم التكفير أو إعلان التوبة على من وقع عليه ذلك ... وتقدم عن طريق الهبات كل المستلزمات المستعملة للقيام بالفرائض الدينية ولفائف التوراة ومخملها ، والأصباغ التي يصبغ بها التابوت المقدس ، ومنبر القدامى ، ولاشمعدان والمصابيح والزيت والشموع "وتجمع موارد البيعة عن طريق بيع "المصووت" (حق "الصعود للمبنى" لقراءة بعض الفرائض بالمزاد العلني والدور ، (اعطاءات ظرفية) ، و "الرنتمز" "مساهمة فصلية" يسلمها المؤمنون الذين يرغبون في الاحتفاظ لأنفسهم بالاحتفال "بالمصوة" أثناء الفترة التي تفصل بين عيدين كبيرين متتابعين مثل "سكوت" ، "ويسح" ، ويوزع دخل البيعة على كل من المنتمين بـ (السروه) أو "الحزمة" الذين يعلمون بالبيعة ، (وشليح سبور) "الحبر الإمام" الذي يتولى أحياناً الوظيفتين معاً ، وخادم البيعة "شماش" بعد أخذ واجب إصلاح البيانات.

- أنظر : حايم الزعفراني ، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ص ١٣٣.

(4) المرزوقي : قابس ، ص ٣٧.

(5) المرجع السابق ، ص ٣٩.

(6) المنزل والجارة هم أهم منطقتين أوحيين في قابس ويبدو أن هذه الأسماء ظهرت ربما أثناء الدولة الحفصية حيث لا نجدها قبل ذلك – أنظر : نفس المرجع ، ص ٣٩.

(7) وفي القيروان سلكه العالم الشهير حنا سيل عند أحد أبواب المدينة بجوار المسلمين

– أنظر : Ban-Sassom (Menaham) the jeinish commuhily of gabas, P. 284.

– وأنظر : الفصل الثالث : الحياة الاقتصادية ص من هذا البحث.

(8) أنظر : Nann (J – Q – R) jevis V. 1 P. 124 – 144, 257.

- وأنظر هـ . ر. إدريس ، الدولة الصنهاجية ، ج (٢١) ، ص ٣٨٠.

(9) أنظر : فصل الحياة الاقتصادية ، ص.

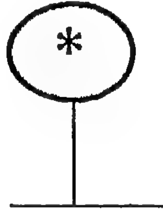
النصارى : -

أما عن النصارى فقد أشار ابن حرادابة إلى أن قابس مدينة الأفارقة والعجم ، ومن الطبيعي أن يظل البعض منهم على النصرانية ، فقد ظل الجغرافيون - الذين وصفوا قابس - يتخذون مصطلح الأفارقة والعجم في كتاباتهم[1]، حتى القرن السادس من الهجرة ، مما يدل على أنهم كانوا حينذاك تجمع منهم ومميز في مجموع السكان، ثم غلب اسم النصارى بعد ذلك.

وإذا كان أكثر نصارى قابس من الأفارقة فقد كانت أقلية منهم من البربر ، وقد كانت تعتبر مقعداً للأسقفية لذا نجد أنه من أهم التدابير التي اتخذها حسان لصيانة البلاد ، ولالتفاته لإصلاح أغلاط العلائق الكنائسية" ، وكانت تابعة لسلطان كنيسة أجنبية ، فالكنيسة (الكاثوليكية) تابعة للكرسي الرسولي بروما ، والكنيسة (الأرثوذوكسية) تابعة لبطرياركية المسكونية في القسطنطينية ، وهما أجنبيتان عن البلاد ولا سبيل للإغضاء عنهما ، فجمع قساوسة المذهبين ، وأمرهما بقطع هذه الصلات مع تلك المراجع وربطها بالكنيسة المرقسية في الإسكندرية التابعة لدولة الخلافة[2]، وهو تدبير يدل على ذكاء سياسي خارق يجدر بمثل حسّان رجل الدولة ، ومن اصطلاحات المهمة المتعلقة بالتقاليد الغيير الشعار ، فقد كان لقرطاجنة شعار قومي اتخذته للبلاد وقد اعتنقت الديانة النصرانية برسم على الصورة التالية[3]: -



وهو يعرف بالصليب القرطاجي ، فغيرة بصورة لا تنافي التقاليد الإسلامية وجعله على هذه الصورة.



فرفع من الأول رمز التثليث ، وعوض الأخير بوضع كرة الأرض على العمود الأسطواني وجعل ذلك شعارًا للمسلمين بدلاً من الشعار القرطاجي.

وأجراه على سك النقود ، وكانت على عهد الروم البيزنطيين تضرب على الصورة الآتية:-



الوجه الأول عليه صورة القيصر وولي العهد أو القيصرة ، إن لم يكن للقيصر ولي عهد ، وبه من الكتابة اسم القيصر وألقابه[4]، وعلى الوجه الثاني (شكل ٢) في الوسط صليب مقام على ثلاث درج وحول الدائرة ما تعريبه : ضرب هذا بإفريقية سنة كذا ، وهي تذكر

---

(١) – Incyclopedia de l'islam – Panss d' ledin., 1978

– B??? tom, IV P. 352 – 355.

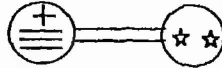
(٢) عبد العزيز الثعالبي ، تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي لنهاية الدولة الأغلبية ، تحقيق أحمد بن ، ومحمد إدريس ، ص ٨٠ وما يليها.

(٣) المصدر السابق ، نفس الصفحات.

(٤) نفس المصدر والصفحات.

فحسب عقد مقدرة بعشر سنوات من استيلاء قيصر ذلك العهد ، فيقال مثلاً : سنة كذا مـــن لا عقد كذا(١).

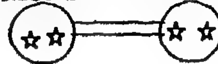
أما الدينار القرطاجي اللاتيني العربي الذي ضربه حسّان في ولايته ، فكان رسمه كمـــا يلي:-



فالوجه الأول فيه صورة عبد الملك وولي عهده ، والوجه الثاني فيه الشعار القرطـــاجي في الإسلام ، وبعد حين ضرب نقوداً أخري حذف منها الصور ،
ووضع مكانها كتابة باللاتينية بطريقة الاختزال هكذا(٢) : -

INDNIMIORCVMODS

وصورة الدنانير الثانية هكذا : -



في الوجه الأول ، كتب عليه ما نصّه : -

IN NOMINEDOMINIMISERICORDIS UNTUS

ترجمتها "بسم الله الرحمن الإله الأحد.

الوجه الثاني : -

UN USDEUSNISI SOINIS ALISSIMILIS

تعريبها " وحده لا شريك ولا مثيل له .

FERIII IN AFRICAN IN DICTIONE III

ضرب بإفريقية في العشرة الثالثة يقابل ٨٥ هـ(٣).

وتراتيب حسّان في السياسة الداخلية أنه كتب الخراج علـــى الـــروم والمتنصـــرة مـــن الأفارقة وأعفي من أسلم منهم ، لقاء التجنيد والخروج للقتال ، فدانت له بذلك البلاد من برقـــة إلى لاسوس الأقصى ، فمنهم من أسلم وحسن إسلامه ، ومنهم من أبي وأطاع ، فضرب عليـــه الجزية(٤).

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) نفسه.

(٣) نفس المصدر والصفحات.

(٤) نفسه.

رضوان الله ، كما تنص في ذلك المصادر المعتمدة كأسد الغابة والإصابة والاستيعاد وطبقات ابن سعد وغيرها ... إن طبيعة البلاد تؤثر في البشرة كما هو معروف.

وكلمة الفرنج يقصد بها الفرنسيس ، قال ابن خلدون "وهذه الأمة المعروفة بالإفرنجة ، وتسميها العامة بالإفرنسيس ، نسبة إلى بلد من أمهات أعمالهم تسمي فرايسة ... ألخ[1].

الترك والصقاليه : -

قد توافدوا في النصف الثاني من القرن ٥ هـ ، والتحقوا بخدمة الأمير الزيري تميم بن المعز ، وكان قائدهم يسمى شاه ملك / ولكنهم مالبثوا أن ثاروا على الأمير تيمم وخرجوا عن طاعته (شاهملك وهو من أولاد بعض الأمراء الأتراك ببلاد المشرق) [2]، كما وفد لبلاد المغرب طائفة من الغزّ مع قراقوش الأرمني ، وهم جنس من الترك بلادهم في أقصى المشرق على تخوم الصين ، جاءوا وانتشروا في معسكر حول قابس ، وقد عرفهم العرب في أيام الفتوح الأولي عندما دخلوا بلاد المسلمين أسرى ومماليك ، فلم يلبث كثير منهم أن ملكوا حرياتهم وبرزوا في الحياتين المدنية والعسكرية ، وقد ألحقهم الموحدون في جيوشهم وأغدقوا عليهم الأموال والعطاء[3]، وسيكونون بعد ذلك جزءًا من جيش الدولة الحفصية حول قابس ... هؤلاء الصقالبة والروم وبعض أجناس جلبت لبلاد إفريقية عن طريق الشراء والأسر ، وكان من المعروف أن عدوًا من الأميرات في عهد بني زيري من أصل رومي أو صقلي وأن حاضنة باديس الشهيرة التي وفدت مع أفراد أسرتها إلى إفريقية كانت من أصل صقلي[4]، ولقد عاشوا كطائفة أو عنصر في المجتمع القابسي.

ثانيا: طبقات المجتمع : -

أ-طبقة الخاصة:

هذه الكلمة تعني لغويا اختلاف العامة ، وهي من الخصوصية[5]، تنقسم هذه الطبقة في قابس لنوعين : كبار رجال الدولة مثل الأمير والوزراء الذين أختصوا أنفسهم بالسلطة والنفوذ ، كأمراء صنهاجة أو بني جامع أو بني حفص ، وعلية القوم وكلاهما يكون الفئة المتميزة من حيث السلطة والنفوذ والجاه في المجتمع القابسي[6]، وقد تكونت هذه تدريجيا ولم تقتصر على عنصر بعينه ، بل انتمي إليها أفراد من عنصر البربر والعنصر العربي وغيرهما ، وكان العنصر البربري ، على سبيل المثال - نفر من كتامة ونفر من صنهاجة التي كان فيها بنوزيري[7]، وبنو حفص[8]، أما العنصر العربي وكان من العرب الهلالية ، مثل مؤنس بين

---

(1) محمود شيت خطاب : سكان المغرب .. ص ١١٣.

- وقد استخدم الجند الروم في الجيش في الأندلس وفي المغرب في الجيش المرابطي كذلك في جيش مأمون الموحدي ، أنظر : عز الدين موسى ، النشاط الاقتصادي ص ١٠٨.
- هذا إلى جانب السبي سواء مسلم أو رومي أو عناصر أخري.

(2) ابن الأثير ، ج ٣ ؛ ص ٢٤٢/٢٤١ ، وأنظر : ابن غلبون : التذكار ، ص ٤٢/٤١.

(3) المراكشي : المعجب ، ص ٢٨٨ – ٢٨٩.

(4) حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ح ٣ ، ص ٢٩٢.

(5) والخصوصية هي ما تخصه لنفسك دون غيرك ، أنظر : ابن منظور لسان العرب ، ج ٢ ، ص ١٧٣.

(6) الذين كانوا على قابس أبان الفاطميين في ذلك ، أنظر : للداعي ادريس ، تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ، تح/ محمد البعلاوي ، ص ١٧٦.

(7) كأمراء بني زيري الذين تولوا في بعض الأوقات قابس ، أنظر ابن عذاري ، ج ١ ، ص ٢٩٩ ، والتجاني ، ص ٩٥ – ٩٧.

(8) أمراء الدولة الحفصيين : ابن عذاري ، ج ٣ ، ص ١٤٤.

يحيي الذي كان مقدماً على العرب الهلالية واستقر في قابس بعد فتحها على يد الفاطميين[1]، ثم أسر بني جامع الهلاليين التي تطورت في قابس وترقت في عهدهم رقياً بعيد المدي.

وانضم لهذه الطبقة عناصر أخري مثل العنصر الأرمني متمثلاً في قراقوش الأرمني، وعنصر بربري آخر متمثلاً في بني غانية ، ثم العنصر الرومي متمثلاً في نورمان صقلية الذين احتلوا قابس فترة من الزمن لكنه لم يترك أثرًا يذكرا تمتعت هذه الطبقة بالسلطة والجاه والثروة ، فكان منها كبار رجال الحكم في قابس على اختلاف مناصبهم كالولاة.

الحياة الاجتماعية لطبقة الخاصة : -

شملت هذه الطبقة الولاة وأصحاب الشرطة وصاحب المدينة من بني زيري - أي البربر - ، ولتطبيق قول د/ حسن محمود في "أن القبائل صاحبة السيادة كانت تؤلف من طبقة أرستقراطية في المجتمع الملثم تخص نفسها بالشرف والسيادة[2]"،

وهذا التواءم بين بني زيري الصنهاجيين مع بني غانية لأنهم من المرابطين.

ومن الطبيعي أن تتميز هذه الفئة بمظاهر خاصة في أسلوب معيشتها ، فمن ناحية الملبس تأنقوا بأفخر الثياب وأغلاها مما عرف في ذلك العصر من ثياب ونسيج ، وكانوا يلبسون الديباج السقلاطون وأثواب المعاجر القابسية أو المنسوجات الحريرية المزركشة المشهورة بقابس وتحتوي القطعة إلى جانب شريط الطراز على شريط زخرفي قوام زخرفته جامات تضم رسومات آدمية وحيوانية نباتية[3].

وشملت طبقة الخاصة أيضاً طبقة العرب من بني جامع الهلاليين الذين عاشوا بذخاً وسكنوا قصر العروسين وكانت لهم فيه مجالس اجتماعية ومجالس شعر في بلاطهم التي حفلت بالشعراء والوزراء رجالهم المقربين[4].

ويرتدي الخاصة من الولاة الأخرون ، وهو نوع من التيجان الصغيرة المصنوعة من الذهب ومرصعة بالأحجار الكريمة ، وتستعمل النساء الأخرون كغطاء الرأس مع الملابس والزي.

ب- طبقة العلماء : -

تتدرج مع هذه الطبقة في التقييم الاجتماعي فئات الفقهاء ورجال الدين والقضاة ، حيث احتل هؤلاء منزلة رفيعة في طبقات المجتمع القابسي خاصة.

لقد كان الناس يتكاثرون عليهم وعلى حضور مجالسهم سواء في المسجد الجامع في قابس أو في المساجد الأخري في جميع أنحاء المدينة ، وكانت فتاواهم مستمدة من فتاوى[5]، المسجد الجامع الأعظم بالقيروان ، ولقد أنتقل بعضهم للقيروان أمثال أبو الحسن القابسي[6]،الذي كانت له آراؤه القيمة التي يحترمها الجميع ويتفقهون على يديه ويستمعون لفتواه ، لذا فقد اختلفت نظرة السلطة الزيرية لهؤلاء العلماء من وقت لآخر ، لكن في الأغلب الأعم كانت السلطة الزيرية

---

(1) سجل ٥ من السجلات المستنصرين.

(2) حسن أحمد محمود ؛ قيام دولة المرابطين ، ص ٣٤٢.

(3) أنظر : سعاد ماهر ؛ النسيج الإسلامي ، ص ١٢٣.

(4) رينهارت دوزي "المعجم المفصل بأسماء الملابس : ترجمة إكرام فاضل ، ص (٣٠ - ٧٠ - ٤٩).

- وبنو غانية كانوا يتشبهون بأجدادهم المرابطين وكانت حركتهم في قابس وإفريقية لتقويض الموحدين وإحياء مجد المرابطين.

- أنظر : الفصل الثاني من هذه الرسالة : الحياة السياسية.

(5) أبو العباس الغبريني : عنوان الدراسة. ص ٢٧٩.

(6) أنظر : الحديث عنه في هذا الفصل "الحياة الثقافية".

تنظر لهم بعين الخيفة والتوجس إذ كانوا يشكلون القوة المعارضة للسلطة المحالفة للسلطان [1]، في أحيان كثيرة بسبب فتواهم التي كان لها أقوي التأثير في نفوس الناس لأن الفتاوى كانت تصدر بنيّة صافية للإصلاح من ضمائر حية ومن علم متعمد في الدين الحنيف ، لذا احتلوا دائماً المكانة المرموقة في المجتمع القابسي[2]، لقد كان لهذه الطبقة أعظم تأثير في تثبيت المذهب المالكي في إفريقية وقابس التي نلاحظ فيها كثرة الزوايا والأربطة التي يعيش فيها الصالحون من الناس[3]، للنفقة في الدين والجهاد منذ هجمات الروم وقت الضرورة لذلك كان كثرة الزهاد والصالحين في هذه الأربطة والذين نذروا حياتهم للعيش من أجل الدين والدفاع عنه وتركوا متاع الدنيا[4].ويلاحظ أن حياة هؤلاء العلماء كانت تتسم بحرية التنقل في سبيل العلم ليس بين قابس والقيروان وتونس وغيرها من مراكز العلم في أفريقية لكن بين مدارس العلم في المدينة ومكة ودمشق والفسطاط وبغداد والبصرة وكان هؤلاء العلماء يكونون جماعة قائمة بذاتها[4] ولم تخصص الخلافة رواتب لهم فكانوا يكفون قوتهم من العمل في مهن أخرى كالصناعة والتجارة ولكن بعد ذلك أصبحت هناك أوقاف وأحباس على مدارس العلم والجوامع والزوايا وتبلور ذلك على عهد الموحدين وبني حفص.

ج- التجار : -

فمنهم مياسير التجار ، وقد نص ابن خلدون[5]، على أنه لا يجب عدهم من طبقات الخاصة بسبب اختلاف المعايير الأخلاقية بينهم ، ويرجع ذلك إلى أنهم يتصفون بصفات أخلاقية وطبائع ناتجة عن التجارة بالبيع والشراء وارتباط ذلك بالرغبة في تنمية المال والانتقال بالسلع من الأسواق في الميناء وفي مراكز القوافل والمساومة الدائمة مما يقتضي من البائع أن يكون جريئاً.

لقد حرص التجار على أموالهم ببعدهم أحياناً عن الصدق ، كما حرصوا على جلب الفوائد والأرباح مما قد يُلجئهم لأساليب تورثهم شرّ الأعمال كالغش والجور في الأثمان ، فإذا ما تمكنوا من تكوين الثروات الضخمة ، تمكنوا من الاتصال بأهل الدولة ورجال الحكم من الولاة هادفين من وراء ذلك الشهرة والسطوة وهؤلاء يتركون العمل لوكلاء ومندوبين لهم، ويمكن بعد ذلك أن يتخلوا عن الصفات الذميمة ويتحلوا بأخلاق الخاصة من القوم ، وهناك من التجار من يتمتع بقدر من الثراء يكفيه معيشة عالية مثل الصباغ والحداد وصانع الثياب ، وقد يكونون من يهود قابس ، وهناك أصناف أخري من التجار لهم جوانب ، ولكل منهم حرفة مثل الزجاج والدهان والعطور بالإضافة لأصحاب الحمامات ، وهؤلاء التجار مترفون ينعمون بالثراء[5].

والتجار كانوا يمثلون جانباً هاماً من طبقات المجتمع في المدن ، وكانت أحوالهم المالية والاجتماعية أفضل من باقي الفئات السكانية نتيجة أرباحهم الوفيرة خاصة التجار الذين يتعاملون

---

[1] أنظر : الدباغ : معالم الإيمان ، ج ٣ ، ص ٢٣٦ – ٢٨٩ ، دبرت مكيده لبن عبد الصمد ، فحبس في قابس وقتل في طريقة لمصر.

[2] المصدر السابق ، نفس الصفحات ، عبد الصمد ،

– وهذه المكانة المرموقة لقابس مستمدة من الفتح الإسلامي حيث إنهم يتبركون لوجود الصحابي الجليل أبي لبابة الأنصاري في قابس.

[3] التجاني في أماكن كثيرة في وصف المنطقة.

[4] المصدر السابق.

[4] فيما عدا في حالة الفقيه أبي عبدالله بن عبدالصمد الذي كان يدعو يوم الجمعة في جامع القيروان وهو خطيبه"اللهم أصبح عبك ووليك أباالطاهر.

[5] المقدمة ص ٤٢.

[5] ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٩٥ – ٣٩٩.

مع بلاد السودان لندرة السلع بها ، لذا يحققون أرباحًا وفيرة تفوق أرباح التجار المستفيدين داخل المدينة[1].

قبل أن نتحدث عن طبقة العامة ينبغي لنا ألا نتلافى طبقة أخري موجودة في المجتمع القابسي وهي : –

د– الطبقة الوسطي : –

ضمت هذه الطبقة فئات مختلفة ، هي فئات التجار المتوسطين وأصحاب الحيازات الزراعية ، وأرباب الحرف المختلفة ، يليهم أواسط الفقهاء ، ورجال العلم والأدب ولو أن أغلب هؤلاء كانت فئة متميزة لها وزنها في المجتمع القابسي، أما التجار ، فهم يمارسون عمليات التجارة الخارجية سواء البحرية أو التجارة الصحراوية التي وصلت للجنوب الإفريقي وكذلك للمشرق[2]، وتجلب لقابس الفرو للقصور[3]، وقام بها تجار مسلمون ويهود ، كما كان هناك نصارى من بيزة وجنوة يأتون على سفنهم فضلاً عن مشاركة التجار اليهود[4]، كما أنعكس هذا الأزدهار التجاري على السكان فقد كانوا يجهزون الزيتون لإرساله إلى [5]، مما جعلهم يعيشون عيشة ثرية لكنها غالية أحيانًا ، أما التجارة الداخلية فقام بها أهل قابس من التجار المستقرين بها وكان غالبية القائمين عليها من المسلمين ، كذلك أهل الذمة ، فهم ينقلون تجارتهم بين قابس ومثيلاتها وكذلك للقرى حولها.

ه– طبقة العامة في قابس : –

العامة خلاف الخاصة ، والعَمَمُ العامة ، اسم للجميع[6]، والعامة كصفة لموصوف عكس الخاصة ، وهم يكونون السواد الأعظم في مجتمع قابس ، وأطلقت عليهم صفات متعددة منها (السواد – الدهماء – الغوغاء – الرعاع – الحرافيش – العيارون – الشطار ...)[7]، وصفهم المقريزي[8]، بذوي الحاجة والمسكنة ، وبذلك نستطيع أن نطلق لفظ العامة على الناس الذين هم في المستوي الأدني من طبقات المجتمع ، وتضم هذه الطبقة كل العناصر المختلفة والمؤتلفة لأنها تتضمن بعض العرب والبربر ، والبربر المستعربين ، والعبيد بكل أنواعهم ، وبعض من أهل الذمة كالنصاري واليهود إلى جانب عناصر الجند المختلفة ، كما تشمل الكثير من الحرفيين والصناع وصغار التجار والبائعين والحمالين والصيادين والرقيق والفلاحين والخدم من الإماء والرقيق والدباغين الذين كان أغلبهم يهودا في قابس ، والباعة الجائلين ، وفي بعض التعريفات بهم أن سبب تسميتهم بالعامة هو جهلهم بالأمور الدينية التفصيلية المتعمقة ، فهم يقرون بالله ورسوله (ص) وما جاء به من أحاديث[9]، لكن أحيانًا ما يتفقه بعض منهم في الدين والعلوم

---

(1) نفس المصدر : ص ٣٨٩ ، ٣٩٧.

(2) الوسياني : السير ، مخطوط ، ورقات ٤٩ – ٢٦٠ / أنظر : سعد زغلول : هامش على السير ص ٨٢.

(3) المصدر السابق ، ص ١٥٢ – ١٦٣.

(4) الإدريسي : نزهة المشتاق ، ج ١ ، ص ٢٨٠.

(5)

(6) ابن منظور : ج ٤ ، ص ٣١١٢.

(7) العيارون والشطار عرفوا أثناء الفتنة بين الأمين والمأمون ببغداد ، وفي مصر بالحرافيش ، وظهر أثناء واقعة الريفية.
– أنظر : الطبري ، ج (٧) ، حوادث هذه الفتنة ، ص

(8) ما تسميه ثورة الريفي ، أنظر : إغاثة الأمة ، ص ٢٨ ، وأنظر محمد محمود إدريس طبقة العامة في قرطبة ، ص ٥ وما يليها ، أنظر : الزعفراني : ألف سنة ... ص ٢٠٩.

(9) أنظر : الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج٣ ، ص ١٠٦ ، ط. الحامي ، ج ٢ ،
- وأنظر : الونشريسي ، المعيار ، ج –٣ – ٧ – ٨ حيث وردت فيها فتاوي خاصة بذلك.
- وأنظر : الخوارزمي مفاتيح العلوم ، ط دار النهضة العربية ، ج ١ ، ص ٧،

ويصبح من طبقة العلماء بعد فترة من الزمن أو يعتني أحد صغار التجار أو الصاغ ، ويصبح من طبقة مياسير التجار أو الصناع ، وهذا ما يسمي بالحراك الاجتماعي ذلك أن مجتمع قابس كان مجتمعًا مفتوحا لكل المجتمعات الإسلامية ، إذ تستند أهمية هذا الموضوع للدور الحيوي ، الذي لعبته العامة ، دوراً حيوياً في مسار تطور المجتمع القابسي ، ولقد شكلت العامة أساس القوي المنتجة من الفلاحين والحرفيين وصغار التجار والدباغين والصيادين والباعة في الأسواق وغيرهم من الذين وقع عليهم عبء الإنتاج[1]، فكانوا يمدون هذا المجتمع بحاجاته الأساسية من الحاصلات الزراعية والسلع والبضائع من جهة ويزودون بيت المال في إفريقية بالخراج والمكوس التي كانت تعد من أهم موارده من جهة أخري ، كما كان للعامة فعاليتها على مسرح الأحداث السياسية إذ ظهرت خلال هذا العصر كقوي شعبية محلية أرادت أن تعبر بشكل أو بآخرعن رفضها للقوي الخارجية الطامعة ، وعن إرادتها الذاتية فقاومت مذهب الشيعة الفاطمي مقاومة مستميتة لأسباب كثيرة ، وقد ساعد في ذلك تضافرها مع القضاء ورجال الطريق ، وذلك المذهب المالكي السائد[2]، غير أن هذه القوي كانت تمتنع أحيانًا عن دفع الضرائب للسلطان وذلك للاستقلال[3]، وكذلك كان لهم دور في عهد بني جامع الهلاليين ، فهم الذين ثاروا على المولي يوسف وعاقبوه ، وعذبوه أشنع تعذيب لتطاوله على سيده من بني قرّة في غياب الأمير مولى ، وهم الذين ثاروا أيضًا لاتصاله بنورمان صقلية[4]، كذلك ثورتهم أيضًا مطالبين برجوع سيده للحكم.

٤- الحياة الاجتماعية العامة في قابس : -

أ - العادات والتقاليد : -

اتسمت العادات والتقاليد في قابس بسمة خاصة بها ، واتخذت طابعًا معينًا عرفت به على مرّ العصور ، فمنذ القدم أطلق على أرض جربة وقابس أرض اللوتس[5]، وأهل هذه الأرض كانوا يأكلون اللوتس وعرفوا بأنهم آكلو اللوتس Lotophage وعرفوا أنهم تجار ذوو اقتصادية قاهرة[6]، وقد تحدث الجغرافيون عن عاداتهم منذ القدم في تسميد نخيلهم وأشجارهم بالفضلات الآدمية لأنها أنفع وأكثر فائدة للزرع ، لذا اعتادت العامة بيع الفضلات لتسميد الحدائق والغواطات ، فالمنزل القابسي كانت توجد فيه حفرة الغبار أو المستراح الذي لعب[7]، دورًا هامًا في توفير السماد العضوى الجيد ، وقد بني القابسيون في جزءين ، جزء تربط به الحيوانات الخاصة بهم ، وجزء به حفرة مغطاة بمصطبة حجرية أو خشبية مجهزة بعديد من الفوهات ، فبعد قضاء الحاجة تغطي بشيء من التراب وأحيانًا تخلط الفضلات الآدمية والحيوانية ، ثم تفرغ

- وأنظر : الوسياني : السير ، مخطوط ، ورقات ٤٧ ، ٥٢.

[1] أنظر : سعد زغلول ، هامش على سير الإباضية ، ص ٨٢ ،

- أنظر : إدريسي العامة في قرطبة ، ص ٥ وما يليها.

[2] فكانوا لا يصلون الجمعة في المساجد حتى مسجد القيروان ، وامتنعوا عن الذهاب ، للصلاة فيه حيث يرفع الأذان الشيعي ،

- أنظر : ابن عذاري / ج ١.

[3] وهذا أورده اليعقوبي منذ القرن الثالث من الهجرة ، أنظر : البلدان ، ص ٣٧٢ وأنظر : ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٧٠.

[4] التجاني ، ص ١٠٠ / ١٠١.

[5] المرزوقي : قابس ، ص ٨٠٧.

[6] أنظر : البكري ، المسالك ، ج (٢) ، ص ٦٦٧.

- ياقوت : المعجم ، ج (٤) ، ص ٢٨٠.

[7] الناجي الباقلوطي : العمارة السكنية ... ص ٢٥ وما يليها.

عبر باب خارج يفتح على النهج ، ثم يحمل إلى الحقول عبر عربات مجرورة أو في أوعية من الحلفاء على ظهور الدواب[1].

الاحتفالات العامة : -

ومن عادة القابسية الخروج للساحات المختلفة في قابس كساحة عيني ويخرجون للحدائق الغناء في أنحاء قابس يحتفلون بالمناسبات السعيدة والأعياد فيروحون عن أنفسهم ويقضون أوقاتًا سعيدة في السمر وأكل الأكلات القابسية الخاصة[2]، وكانت جميع العناصر والطبقات التي تعيش في مجتمع قابس منذ العهد الصنهاجي إلى عهد الدولة الحفصية يشاركون في هذه العادات والاحتفاليات[3]، ويحتفلون بحلول شهر رمضان المبارك بتلاوة القرآن الكريم وختمه والاعتكاف في المساجد معظم لياليه ، كما كان هناك المسحراتي الذي ينفخ في بوق جهوري للتنبيه لوقت السحور قبل أن يؤذن الفجر.

أما ليلة المولد النبوي الشريف ، فكان لها التعظيم والإكبار لدي القابسيين ويكون بالإنشاد الديني والمدائح النبوية وإضاءة واجهات البيوت والشوارع ويصنعون الأطعمة والحلوي ويقومون بتوزيعها على الأقارب والجيران والفقراء لوجه الله تعالي[4]، ويقومون بزيارة قبر الصحابي الجليل ابن لبابة الأنصاري التماسًا للخير والبركة ، وتزين دار الوالي بالشموع ويشاركهم فرحتهم بهذه المناسبات الاجتماعية والدينية.

وكذلك الاحتفال بيوم عاشوراء ، فتزين الأسواق أيضًا ، ويكثر بيع الفواكه الجافة وآلات الطرب والموسيقي وتخرج الزكاة والصدقات[5]، كما تعمل الدريده والدجاج في التاسع من المحرم وعاشوراء[6]، كما كانوا يحتفلون بمقدم الربيع ، وهذا هو عيد النوروز[7]، تنفق فيه الأموال وتمد الموائد الحافلة بالأطعمة الفاخرة ويجتهدون في صناعة المرقار[8]، حتى لا يخلو منه إلا منازل الضعفاء.كما يصنعون في مختلف المناسبات المذكورة الخبز المطبق المشهورة به منطقة المطرية والخبز اللوز كذلك الرشتة المشهورة بها قابس وما حولها من مناطق تابعة لها

---

(1) الماصي البقلوطي – مرجع سابق نفس المكان

(2) التجاني ، ص ١٠٠.

(3) أنظر : العمري ، وصف إفريقية ، ص ٢٩٢.

(4) وهذا ما يحدث في تونس ، بالقياس لقابس وباقي مدن إفريقية ، أنظر : حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ص ٢٣٤.

(5) ابن أبي دينار : المؤنس .. ص ٢٩٠ ، وأنظر : المرجع السابق ص ٢٣٥ الدريدة (مثل الكنافة المصرية) ، أنظر المصدر السابق ص ٢٨٩.

(6) نفس المصدر.

(7) في ذلك أنظر : المقريزي : الخطط ، ج ٣ ، ص ٣٩٤ ، وأنظر : عبد المنعم ماجد نظم الفاطميين ، ص ٤٠ – ٤٢ ، وأنظر : فؤاد عبد المعطي : النوروز ، ط جامعة بيروت ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م ص ٢٥ – ٣١ – ٣٧ – ٤٧ – ١٢١.

– وغالبًا في النوروزفي أول مايو ، وهو من أعظم أعياد الفرس ، ويتميز بأنه استقبال وتزكية وامتناع جباية الخراج ومن توليه العمال واستبدالهم وضرب الدراهم والدنانير وتزكية بيوت النيران وتقريب القربان وتشييد البنيان ، كما يعتقد الفرس بأن النوروز هو أول يوم في الزمان ، وكانت لهم تقاليد وعادات يتبعونها فيه ، فتميش الملوك من الأكاسرة عدة أيام ، يوم للقرابين "جليس الملك الحاجي" ويوم لعظماء أساورته ومواتنته ويوم لأهل بيته .. وإيقاء النيران في المساء ورشّ الماء في الصباح ، إلى آخر هذه الاحتفالات الفارسية ، وأنتقل عيد النوروز إلى الأمويين ثم العباسيين ، وقد أنتقل النوروز إلى مصر من قبل البلاد .. وحدثنا المقريزي عن احتفال الفاطميين بالنوروز ، فيذكر أن النوروز القبطي في أيامهم من حملة المواسم ، وهو لم يكن له صيغة لاتينية ، لكنه كان عيدًا ينظر له على أنه فاتحة خير ، ومن المؤكد أنه احتفل به في إفريقية لأن هذه كانت عادة الفاطميين سواء في إفريقية أو في مصر.

(8) نوع من الأطعمة المشهورة هناك.

– أنظر : ابن أبي دينار ، ص ٢٩٢.

كذلك عجينة اللوز والهاروس (الهريسة المعروفة في البلاد العربية) والكاكاس المصنوع من لحم الحوت الطري مع الإسفاناخ (السبانخ) والفلفل الأخضر والخل والزيت مع الحساء الحوت والبشنة وهي نوع من الحبوب والبرقشوش وهو من حيوان بحري يسمى هلال البحر في قابس والكسرة أو خبز الطاحونة مع الحساء والشخشوخة (معجون الرمان) بالنسبة لوجبة الفطور

الحياة الاجتماعية الخاصة في قابس : -

المرأة : -

لقد أشاد كثير من المؤرخين والرحالة الذين زاروا إفريقة خلال فترة البحث بجمال المرأة الإفريقية وحسن أخلاقها ، ورخامة صوتها[1]، حتى نجد أن ابن دينار يذكر أن من لم يتزوج بتونسية ليس بمحصَّن[2]، وقد كان للمرأة الإفريقية دور أساسي في المجتمع وهو رعاية الأسرة والإشراف على شئون المنزل وتربية الأطفال ، وقد زادت مكانة المرأة في عهد الدولة الصنهاجية إلى عهد الدولة الحفصية وأصبح لها صوت اجتماعي وحرية مكفولة ، وهذا بفضل الأميرات الصنهاجيات مثل الأميرة أم العلو ، وكذلك الموحديات والحفصيات ، اللاتي كان لهن نصيب كبير في بناء المدارس وتشييد المساجد التي كان لها أثر كبير في نشر العلم والتعليم بين البنات والبنين ، فنجد أن الأميرة عطف ، زوجة الأمير أبي زكريا مؤسس الدولة الحفصية قد أمرت ببناء المدرسة التوفيقية بتونس ، وهي أول مدرسة مستقلة أسستها الأميرة على نفقتها الخاصة ، وكذلك جامع التوفيق[3]، وسار على هذا النهج في جميع المدن الإفريقية مثل قابس وكان بناء هذه المدارس يدل على الاهتمام بتعليم البنات منزليًا وصناعيًا عن طريق المدارس التي تقع في المنازل ، وكانت صاحبات هذه الديار يقمن بدور المعلمات ، فيقمن بتلقين البنات وتعليمهن القرآن الكريم والمبادئ الدينية وتدريبهن على الشئون المنزلية وعلى الأشغال اليدوية مثل الغزل والتفصيل والخياطة والتطريز[4]، وقد حض القابسي في رسالته على تعليم البنات.

أما طبيعة حياة النساء في البادية ، فكانت تختلف عن ذلك ، حيث تفرض عليها طبيعة عملهن في الرعي وكثرة تنقلهن وراء المراعي يخرجن سافرات ، كما كان لهن تأثير على مجرى الحياة في البادية ، فنجد أن السلطان المستنصر عندما رجع عن قابس رغب عرب من بني مهلهل في إعادة رئيسهم إليهم ، فركب نساؤهم الحياة التي على ظهور الإبل ، واعترضن طريق المستنصر سافرات مولولات مطالبات بعودة رئيسهم إلى حكم توزر ، فقبل السلطان توسلهن وأعاد رئيسهم إلى حكم توزر[5].

وهذا نجده أمرًا طبيعيًا لدي المرأة البدوية فقد أملت عليها طبيعة العيش في الصحراء والأماكن المجدبة الجدية في حياتها والثقة في نفسها (بعيدة عن التكلفة) مع أبناء عشيرتها.

حول قابس في مجلس التويزة.

حيث تتناثر الأحاديث والأخبار المتنوعة لأيادي النساء أصابع سحرية ، أصابع تحول الألوان إلى روائع ، أيادٍ تغزل وتنسج الصناعات التقليدية في الجنوب ، لها طعم الزمن ، روائع عفوية الشكل ومتناسقة الألوان ، عفوية كتحرك القوافل عبر الصحاري ، متناسقة كصوت حادي البعير، وكأغاني الأعراس عندما تصدع حناجر النساء، النساء الصحراويات وساكنات القصور

---

(1) مجهول الاستبصار ، ص ١٥٣ ، الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ص ٤٢٥.

(2) ابن دينار : المؤنس ، ص ١٥.

(3) المصدر السابق ، ص ١٢٧ ، وأنظر : ابن خلدون ، العبر ، ج (٦) ، ص ٦٨٤ ، العمري ، وصف إفريقية ، ص ٧ ، حاشية دائرة المعارف ، ج (٦) ، ص ٣٧ ، أحمد بن عامر ، الدولة الحفصية ، ص ٨٥.

(4) أحمد بن عامر ، الدولة الحفصية ، ص ٨٧.

(5) ابن خلدون ، العبر ، ج (٦) ، ص ٩٠٠.

- وأنظر المرزوقي : البدو في حلهم وترحالهم.

يستعملن المنسج الأفقي المناسب أمامها مطروحاً على الأرض والخاص لنسج الأكياس وبيوت الشعر المكونة من عدة شرائط تسمي هنا (فليج) ، وكل قبيلة لها ألوانها المميزة من بعيد يستطيع المرء معرفة انتماء القافلة من لون الأكياس والخيام. والمرأة البربرية القاطنة بالقرى الجبلية تستعمل المنسج العمودي المشدود لأعمدة واقفة ، فهي تنسج[١].

البرنس والحولي لحاف الرجل أو البخنوق الذي تغطي به المرأة جسدها ، فالأحمر الخمري لون الدويرات والأسود يميز قرماشة ، والأزرق هو لون مطماطة وقابس وتطاوين[٢]، وهكذا فإن حارسة القرية والمدافعة عن نشاطها ورسومها بلغتها وتقاليدها البربرية هي المرأة، وهي ربة البيت الكهفية البارعة التي تنسج بخفة الصوف الأزرق والأحمر وتوشحه بزينات هندسية كما تنسج البسط والبرنس وتقيم مناسج حصر من نبات الحلفا[٣]، وتشارك زوجها في أعمال الحقل أيام الحصاد والدراس أو جني الثمار[٤]، وتتاجر في الأسواق وفي نفس الوقت تهتم بزينتها ، وكانت على قدر كبير من الشجاعة وحاربت حيث احتلت مكانة بارزة في المغرب والأندلس ، وقد بلغت مكانة المرأة البربرية مبلغًا عظيمًا لدرجة أن بعض القبائل البربرية كانت تمجدها كل التمجيد فجعلها الأصل في الأسرة ورجحت كفتها عن الرجل ، والقاعدة العامة التي اتبعا البربر في الزواج هي الزواج من امرأة واحدة ، وللمرأة البربرية حقّ اختيار شريكها.

أدوات الزينة عند المرأة القابسية : -

حث الرسول صلى الله عليه وسلم نساء المسلمين جميعا على التجمل ، فقال الرسول (ص) للسيدة عائشة رضي الله عنها "مالي أراك شعثاء ، مرهاء ، سلتاء"[٥]، وفي قول آخر للرسول(ص) قال "إياكم والشعث حتى لو لم يجد أحدكم إلا زيتونة فليعصرها ويدهن بها"[٦]، وكانت المرأة القابسية تحرص كل الحرص على زينتها بتكحيل العيون والتخضب بالحناء القابسية[٧]، وارتداء أفضل الملابس والتحلي بالذهب والحلي خاصة في الأعياد.

أما عن أدوات الزينة التي تستخدمها النساء فقد ذكر الونشريسي بعضًا منها مثل المكاحل والمراود الغالية ، والأمشاط والأمرية والنعال والقباقب وخرز الأمتعة بخيوط الذهب والفضة ، وكانت المراود تصنع من الفضة للاكتحال ، ويحكي أن "الشيخ العوفي" صاغ لابنته مكحلة من فضة وقال "غلبتنا على ذلك أمها"[٨]، ويبدو أن بعض شيوخ وفقهاء الإسلام قد حرم استخدام تلك الأدوات ، خاصة إن كانت من معدني الذهب والفضة ، ورغم هذا يذكر الونشريسي أنها كانت منتشرة كثيرًا بين طبقات النساء وكلٌّ على حسب مقدرتها ، واستخدمت النساء السواك للمحافظة

---

(١) مغلية : "باخلوج "عباءة المرأة" بنت المحاميد يا عيشة ، ريشة ريشة ، تأمل النساء الجميلات تعزف على خيوط "الملسج" ، أنظر : النشرة السياحية لتونس أنظر : Yacque Revault, Ar tis traditionnell le tunis, P. 33 – 48.

(٢) النشرة السياحية التونسية ، المرجع السابق.

(٣) الوسياني : السير ، مخطوط ، ورقات ٤٨ ، ط ١٤٢ ، ١٧٦.

(٤) أنظر : عبد العزيز بن عبد الله ، معطيات الحضارة المغربية ، ص ٢٩ ، ص ٧٧ ، الرحلة ، ص ٥٧ ،
- وأنظر : محمد بركات البيلي : البربر.
- وأنظر : المرزوقي : البدو ، ص ٤٣ وما يليها.

(٥) ابن عبد ربه : طبائع النساء ، ص ٢٣ ، ١٢٤ -والشعثاء التي لا تدهن ، والمرهاء التي لا تكتحل ، والسلتاء التي لا تتخضب ، أي لا تصبغ شعرها بالحناء.

(٦) نفس المصدر ، ص ١٢٣.

(٧) القلقشندي : صبح الأعشي ، ج ٥ ص ١٧٥.

(٨) الونشريسي ، "أحمد بن يحي الونشريسي" : المعيار المغرب ، ج ٢ ، ص ٥٠٣.

على صحة أسنانهن وكان يصنع من خشب عطري ، ولقد نصّ الإسلام على استعمال السواك للفم ، وقد عرفت الزينة باسم الطلاء ، فتطلي العروس يوم فرحها بأنواع الطلاء والدهان[1].

حلي المرأة في قابس : -

الذوق المحلي (الشعبي) غني بعطاءات الإبداع ، ولعل أجمل ما وقع من إبداعه هو ما تفنن من صناعة الحلي وزخرفتها ، وقد ساعد على ذلك موقع قابس الجغرافي ، فالحضارات التي توافدت على أرضها كحضارة الفينيقيين والرومان والعرب وغيرهم ، وكذلك اتصالها بالعالم الخارجي عن طريق البحر وعن طريق الصحراء عكست فنوناً ملبسية أضفت على أصابع الغنائين الحاذقين روحًا مستلهمة ، أصبحت من خصوصياتها ، فهو سر من أسرار صناعتها وزخرفتها ما هو في بيئتهم ، وماتوارثوه من عادات وتقاليد ومأثورات ، بعضها متصل بالدين وبعضها الآخر بالعرف وعلى سبيل المثال ، فهم يصنعون قطعة دائرية ويرصعونها بخمس فصوص ويسمونها خمسة ، وقد يصنعونها أيضًا على شكل يد ويلبسونها لنفي الأذي وطرد العين ، أي أنها أرتبطت بالأفكار والعرف بالمغيبات فنجد العدد خمسة مسيطراً سيطرة كاملة ، وأصبح تقليدًا وعادة[2]، تتميز حلى قابس وجربة ومدين بغلبة الزخرفة والنقش ، ومسميات الحلي مثل كل مسميات الجهات الإفريقية الأخري ، كالخلخال والتيقار والدبلج والريجاز والنومس والحديدة والحلقة والصخاب والنبلة ، أما البادية في قابس وعند البربر فيبدو أن أغلب حليهم من الفضة المزخرفة بالنقوش الخاصة مثل نقوش الحناء عندهم [3].

الخلخال : ما يلبس حول الساق كحلقة من ذهب أو فضة ، والحلقة دائرة فضية أو ذهبية تستعمل للربط من طرفي النطاق الذي تشد به المرآة أطرافا وهي بالأزراء ويغلب استعمالها عند نساء البادية.

الشركة : هي القلادة الكبيرة التي تتدلي حتى تلامس البطن وتكون من الذهب أو الفضة ، أو محلاة بالجواهر ، أو العين ويتفنن الصناع في ترصيعها ، وفي قابس يضعها الصانع من (محبوب) وهو نوع من النقود الذهبية أو من خمسات وقمريات تفصل بينهما بالمرجان والتفاح الذهبي الذي يسمي "حشف" وهذا في جربة.

أما المحبوب في قابس فيصنع في الشركة - كما يوجد حول طرحة المرأة ثم يحلي بالنوار وهي ورود صغيرة طبيعية وبخاصة للعرائس ، وهذا التقليد يخص قابس فقط[4].

الزواج : -

حض الإسلام علي الزواج وشجعه ، وهناك أحاديث كثيرة تحض على النكاح ، فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت "النكاح رقّ ، فلينظر أحدكم من يرق كريمته" وقول الرسول صلي الله عليه وسلم "كم سنتنا النكاح"[5]، وفي عصر ما قبل الإسلام وبدايته كان الزواج مشافهة ، فلم يعرف العرب عقود الزواج المكتوبة ، وكان الزواج يتفق عليه بين ولي الزوجة - وكان

---

(1) المصدر السابق : ج ٣ ، ص ٢٥٢.

(2) محي الدين شريف ، المرجع السابق ، ص ٩٨.

(3) المرجع السابق : نفس الصفحة ، ومن أحاديث مسجلة عن الباحثين كانت تذاع على قناة تونس الفضائية ، ق ٧.

- وكان اليهود مختصين بهذه الصناعة في قابس ، أنظر : الزعفراني : ألف سنة ... ص ١٠١.

(4) الخلخال والحزام الرداء المصبوغ باللون الأزرق النيلي ، وهو لباس صاحبته الممتلئة الجسم مثل : الجارية وليلى العامرية وعبلة الحبشية.

- أنظر : شريف ، نفس المصدر.
- برنامج تليفزيوني عن تقاليد قابس.

(5) ابن عبد ربه : ص ٣٤٩ ، ٣٥٠.

في الغالب والدها ، ويبين وكيل الزوج وكان في الغالب والده ، ويؤكد الدكتور / احمد الشامي على عدم العثور على أي عقود زواج إسلامية مكتوبة في فترة صدر الإسلام[1]،

ويذكر جيشار أن الإسلام لم يستطع أن يقضي على الزواج القبلي – أي الزواج الداخلي – في نطاق القبيلة الواحدة رغم ما جاء من أحاديث تحث على الزواج البعيد عن نطاق القبيلة لما فيه من ميزات من ناحية تحسين الجنس والسلام ونري الإسلام أيضًا قد حرم زواج الأقارب من الدرجة الأولي كالأختين مثلاً في ذمة رجل واحد وفي آن واحد[2]، والحقيقة أن رأي جيشار هذا صواب لحد بعيد في مراحل الإسلام الأولي وقبل أن يتوسع هذا التوسع الكبير الذي أصبح من الصعب المحافظة معه على الزواج داخل نطاق القبيلة ، وضربنا مثلاً لذلك بالمجتمع الأندلسي ، وأقدم عقد زواج وصل إلينا يرجع إلى نهاية القرن الثاني الهجري[3]، ورغم التغييرات التي طرأت على عقود الزواج على مرّ العصور الإسلامية إلا أن مضمونها ظل واحداً وهو الإيجاب والقبول[4]، أما عن عقود الزواج في قابس بصفة خاصة ، فيتضح من الوثائق التي أوردها الونشريسي[5]، على سبيل المثال ، أن عقد الزواج كان يبدأ بالبسملة والصلاة على رسول الله وبيان أهمية النكاح بالاسترشاد بآية من القرآن ثم اسم الزوج واسم الزوجة ووالدها ، وهل هي بكر أم ثيب؟ ومقدار الصداق الذي قبضه والد الزوجة... الـخ[6]، ولا يتم الزواج إلا بولي وصداق وشهود ، وأقل الصداق من الذهب المالكي ربع دينار ، ولا يجوز نكاح بصداق مجهول ويفسخ قبل البناء، ويجعل الصداق لأجل معلوم[7]، وبعد الاتفاق على المهر والترتيبات الأخرى تتم كتابة العقد ، وقد استحدث لهذا الغرض خطة تسمي خطة المناكح لتزويج المرأة التي غاب عنها وليها ، أو من لا ولي لها ، واشترط ابن عبدون ألا تسند هذه الخطة إلا لرجل ورع ، وقد تولاها في قرطبة زيدون بن محمد المخزومي[8]، وشروط عقد الزواج لا بد أن تكون واضحة وملزمة للطرفين ولا يلتزم أحدهما بعد الزواج بشروط لم تدون في عقد الزواج ، وأجرة قاضي المناكح كما ذكر الونشريسي تكون على الزوجين أو إحداهما حسب الظروف[9]، أما عقد الزواج المسلم في قابس بالمرأة الكتابية فلا يختلف عن عقد زواج المسلمة ، فإن كان لها ولي ذكر في العقد ، وإن لم يكن لها ولي عقد نكاحها أساقفة أهل دينها ، إلا أن التشريعات الفقهية حرصت على ألا يعقد نكاح المسيحية أو اليهودية أمير أو ولي مسلم ، فأولياؤها أحق بالعقد ، إلا أن يرفضوا فيعقد نكاحها الأمير[10]، وقد عرف القابسيون الخاطبة ، وكانت أمور الزواج عادة لا تبدأ إلا بالخطبة ، وتتولى إحدى الخاطبات هذه المهمة مبينة صفات وحسنات كل من الرجل والمرأة ، وأحيانًا يقوم بهذا الدور الأصدقاء وقد اعتبر القابسيون يوم الجمعة هو اليوم المفضل لهذه المناسبة[1]، ويذكر الخشني أن هناك رجالاً أندلسيين كانوا يصرون على رؤية زوجاتهم في

---

(1) أحمد الشامي : التطور التاريخي لعقود الزواج في الإسلام ، دراسة مقارنة جامعة الزقازيق ١٩٩٢م ، ص ١٢ ، ١٣.

(2) Guichard: Op, Cit, P. 75.

– وأنظر : راوية عبد الحميد : المرأة في المغرب الإسلامي ، دكتوراه في جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٩م.

(3) الشامي : عقود الزواج ، ص ١٤.

(4) نفس المرجع ، ص ١٦ ، ٣/ المعيار ص ٧ وأنظر : كمال أبو مصطفي عن الونشريسي.

(5) كما أبو مصطفي : مالقة الإسلامية ، ص ٦٠ ، وللمزيد عن شروط عقود الزواج.

(6) راجع نفس المرجع ؛ ص ٦١ (عن الونشريسي)

(7) ابن عبد الرءوف : ثلاث رسائل أندلسية "الرسالة الثانية" ، ص ٨٠.

(8) إبراهيم القادري ؛ مجلة دراسات أندلسية ، مقال عن ظاهرة الزواج في الأندلس ، تونس ، العدد التاسع ، يناير ١٩٩٣ ، ص ١٧ ، ١٨.

(9) الونشريسي : المعيار المغرب ، ج (٣) ، ص ١١٠ – ١١١– ١١٥ – ١١٦.

(10) إبراهيم القادري : دراسات أندلسية ، ص ١٩.

المناسبة[1]، ويذكر الخشني أن هناك رجالاً أندلسيين كانوا يصرون على رؤية زوجاتهم في فترة الخطبة وقبل البناء بهن والعقد عليهن[2]، وهذا النظام كان سارياً في المغرب الأدنى والأندلس.

وقد كان من حق الفتاة المخطوبة أن ترث خاطبها إذا كانت هذه الخطبة قد تمت برضاء وقبول الطرفين الخطيب ووالد الزوجة ، والنكاح عقد شفاهة وبدون عقد ، ولكن هذا الكلام الذي تم بين الطرفين لا بد أن يكون عليه شهود ومات الخاطب قبل الدخول ترثه ويرثها هو أيضا[3]، وقد أورد ابن عبد الملك في ذيل والتكملة ما يفيد بأن والد العروس أحيانًا عندما يجد رجلا صالحًا يخطبه لابنته دون حرج ، ومثال ذلك ما ذكره عن أسماء بنت داود مولى أمير المؤمنين هشام المؤيد بن الحكم المستنصر بالله وهي من مدينة بلنسية ، وقد زوجها أبوها من أحمد بن محرزفتي كان يقرأ عليه وذلك لما وجده فيه من فضل وعقل فأعجبه ، فقال له يوماً : أتحب أن أزوجك أبنتي؟ فخجل الفتي وذكر له حاجته في ذلك فزوجها منه ونذر لها دارًا وزقها إليه[4].

الطلاق : -

ويعد الطلاق من مفردات النظام الأساسي ومن الأسباب التي يأخذ بها القاضي في ذلك أنت تكون الزوجة كارهة لزوجها، وأيضًا كما ذكر الونشريسي في المعيار ، تطلق المرأة من الزوج الذي يغتصب أموالها بدون إذنها ورضاها ، فلها في هذه الحالة أن تطلب الطلاق ، فإن رفض الزوج طلاقها فإثمها في عنقه أي ذنبها في رقبته ولها أن تلجأ للقاضي[5]، ومن الأسباب الموجبة للطلاق المرأة أيضًا إذا أساء زوجها معاملتها بالسب أو الضرب أو كانت تسكن معه في حاضرة وتشكو منه قلة النفقة رغم ثرائه ورغبت في أن تلجأ لقوم صالحين هروبًا منه ومن معاملته ، في هذه الحالة يطلب القاضي إيداعها عند قوم آمنين حتى يتعهد الزوج بتغيير معاملته لها أو تطلق منه ، وتوضع المرأة مع نساء مثلها وليس مع رجال حفاظًا عليها حتى تحل مشكلتها[6]، وكان يلجأ لهذا الحل حماية للمرأة خاصة إذا كانت غير ميسورة وخيفة عليها من الضياع لعدم وجود عائل لها أو مورد رزق.

وكان لأهل الذمة مراسم خاصة في الزواج : -

تبدأ مراسم الزواج في الشريعة اليهودية بالخطبة وقد حددت الشريعة السن اللائق للزواج بثمانية عشر عامًا للرجل ، لكن يجوز للرجل الزواج عند بلوغ ١٣ سنة ، كما يجوز زواج المرأة عند سن ١٢,٥ سنة بشرط أن تنبت عانتها ولو شعرتين[7]، يتم الزواج حسب عقد يسمى كتوباه (KatubaKatuba) من أركانه تسمية المرأة على الرجل وتقديسها عليه بقبولها ولو بخاتم يعطيه إليها يدًا بيد بحضرة شاهدين شرعيين قائلاً لها بالعبرية تقدست لي زوجة بهذا الخاتم ، ويحرر العقد ، وبعده تعقد صلاة البركة بحضرة عشرة رجال على الأقل[8]، والمهر في الشريعة

---

(1) المرجع السابق ص ١٥ ، ليفي بروفنسال ؛ ثلاث رسائل في الحسبة ، ص ٧٩.

(2) الخشني : قضاة قرطبة ، ص ١٨.

(3) الونشريسي : المعيار المغرب ، ج ٣ ، ص ١٦٨.

(4) ابن عبد الملك " الذيل والتكملة ، ج ٢ ، ص ٤٤٨ ترجمة رقم ٢٣٦.

(5) انظر : الونشريسي : ج ٦ ، ص ١٤٧ – ١٤٨.
– والخشني : قضاة قرطبة ، ص ٦٣ – ٦٤.

(6) الونشريسي ، ج ٦ ، ص ١٤٩.
– ونفس المصدر ، ج ٣ ، ص ١٣١.

(7) حاي بن شمعون "الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية للإسرائيليين القاهرة ١٩١٩م ، ص ٦٠٢.

(8) نفسه : ص ٨ ، ٩ ، وسمي عقد الزواج بغرامة الطلاق أو المؤخر ، ومن المرجح أن هذا التسمية جاءت لأن غرامة الطلاق أغلي ما في العقد ، أنظر : ليلي أبو المجد ، عقد الزواج عند اليهود "كتوباه" وتأثيره بعقود الزواج عند شعوب الشرق الأدنى القديم حوليات كلية الآداب ، عين شمس ، م ٢٤ ، ج ١ ، ١٩٩٠ – ١٩٩٦ ، ص ٩٢.

التلمودية ركن لازم للزواج وشرط قانوني لانعقاد وهو قسمان : معجل ومؤجل ، ويسمي المؤخر بالعبرية كتوباه[١]، يشار للجزء المعجل في العقد بأن الزوجة تسلمته كما هو شائع في عقود الزواج الإسلامية ، والمؤخر يدفعه الزوج عند الطلاق ، أو يدفعه ورثته بعد وفاته للزوجة[٢]، ومبلغ الكتوباه للبكر مائتان وللثيب مائة دينار ، وتنص المشنا على أنه "إذا رغب الزوج أن تضيف لهذا المبلغ ١٠ آلاف فلتضف، كما وجدت يهودية خاصة بالمنازعات والطلاق[٣].

منزل الأسرة في قابس

هذا المنزل مثل كل المنازل في أي مدينة إسلامية أخري في المجتمع الإسلامي ، فالحوش فيه هو رمز الحياة[٤]، ومركز الجذب لكل العناصر لكي تنتظم حوله ، وتطل عليه مثل غرف المنزل ، وهناك عدة مصطلحات لهذا الحوش ، فهو الصحبة والفناء ليدل على ساحة أو قاعة بدون سقف تتوسط المنزل في قابس ، يسمي أحياناً وسط الدار ، وقد كانت له وظيفة اجتماعية هامة جدًا ، فهو مكان اجتماع الأسرة والتحدث والودّ وحلّ المشاكل بينهم ومكان استقبال الضيوف ، ومكان لإقامة الحفلات والولائم في المناسبات السارة ، ومكان الترويح في العادة والمواساة في بعض المناسبات غير السارة ، بمعنى شامل هو الحياة بكل معانيها[٥].

الفناء:

إن الفناء أو الحوش هو الحلقة الرابطة المميزة لكل العمائر المدنية في المدينة الإسلامية[٦]، وهنا يظهر التساؤل ، هل تبني فكرة الفناء عند المسلم نابعة من ظروف مناخية أو اجتماعية مكتسبة من الحضارات القديمة أم أن هناك ظروفاً جديدة أملت عليه وهي الإسلام لتعاليمه القومية التي تحفظ للمبنى خصوصيته وحرمته.

عادة الولائم المنزلية في قابس : -

موائد المنزل القابسي تمد في أحلى المناسبات العائلية مثل الزواج ، وسبوع المولود وموسم الحج سواء خروج الحجاج أو عودتهم من الحج ، ويوم عاشوراء وشهر رمضان وعيد الفطر المبارك ، وعيد الأضحي المبارك وعيد النزور وغيرها إلى جانب الكعك والحلوي[٧]، كانت مائدة الرجل في قابس حافلة بأطايب الطعام ويجتمع عليها مالا يجتمع في أي مائدة ،

الأطعمة:

فهي تجمع المتضاد من الأطعمة التي لا توجد في مكان واحد سوي قابس وهي : - لحم الحوت الطري - الرطب الجني الغزال[٨]،ولحم الغزال الصحراوي مما يدل على خيرات قابس

---

(١) ثروت أنيس الأسيوطي : نظام الأسرة ، ص ٢٢٤ ، والمهر في الشريعة الإسلامية حق من حقوق الزوجة على زوجها ، لا يلزم تقديمه كله عند إنشاء العقد ، بل يجوز أن يلزم بعضه ، ويؤخر بعضه لأجل معلوم كسنة أو شهر ، كما يجوز إلى أقرب الأجلين "الطلاق أو الوفاة" ، محمد أبو زهرة ، الأحوال الشخصية ، ص ١٩٣ - ٥٣.

(٢) Gootein. Mediterranean Society, 3, P. 119.

(٣) انظر ، عبد الرحمن عسير ، اليهود في المغرب ، رسالة دكتوراه بكلية الآداب ، قسم تاريخ ، جامعة الزقازيق.

(٤) صالح مصطفي لمعي ؛ الشخصية الإسلامية في التصميم المعماري للمسكن ذي الفناء الصحة ، بحث من أبحاث ندوة السكان في المدينة الإسلامية ، ط القاهرة ، ط ١ ، ص ٤٩ وما يليها.

(٥) حسن فتحي ؛ العمارة البيئية في المدينة الإسلامية ، وأنظر : ثروت عكاشة.

(٦) القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، ط. الهيئة العامة للكتاب ، ط ٢ ، ص ٨٩ وما يليها.

(٧) سعيد عاشور ؛ الحياة الاجتماعية ص ٢٦٩.

(٨) الاستبصار : ص ١١٣ ، وأنظر : التجاني ، ص ٩٧.

وامتيازها إلى جانب كرم أهلها وافتخارهم برخاء بلدهم ، وقد امدتنا المصادر المختلفة[١]، بصورة صادقة عن الاحتفالات الإسلامية ، فمثلاً في القيروان أو المهدية أو تونس عادات الاحتفالات التي تتصف بمسحة إقليمية ، وتتخذ طابعًا خاصًا بها ، مثل تولية السلطان أو عودته.

تقاليد الأفراح في قابس : –

تتزين العروس – عروس قابس على وجه الخصوص – فيكون ملبسها من الملابس الذهبية المحلاة بالخيوط الفضية وحرير السفساري أوالعكس على حسب المقدرة المالية ، لكن العادات واحدة ، فيلبس أيضاً السّخاب ، وهي عبارة عن قلادة على الصدر من عبير مخلوط بالمحلب ومضاف إليه المسك ثم يدق ويعجن وتصنع من هذا الخليط مثلثات صغيرة تثقب من وسطها وتلضم من فرع إلى ثلاثة يفصل بينها لمنع الحسد ، ويمتاز السخاب برائحته الزكية ومنظره البهيج بعد أن تتحلى.

كما تتحلى بالأقراط البديعة والخواتم المثقلة بالجواهر ، وليلة الفرح تسمي ليلة النجمة ، فهي اجتماع الأهل والخلاين ، وتعامل العروس على أنها ملكة الحفل ، ويبقى هذا الحفل متواصلاً حتى الفجر ، وتتأنق فيه العروس[٢]، بحليها وزينتها ، وتحمل على حجفة وهي الهودج الموضوع على الجمل ، وهذا الهودج يزين بأصناف الحرير القابسي المسمي بالحجار ، ويتحول إلى بيت صغير من حرير على الجمل تجلس فيه العروس كملكة متوجة إلى منزل العريس في موكب كبير ، ووراءها الدفوف والمزامير والأهل والأقارب[٣]، وقد ظلت هذه العادات لوقت قديم في عروس قابس الكبيرة التي هي من نسل القبائل العربية كالحزم وهمامة وغيرها حول قابس.

ويذكر الونشريسي أن النساء كن يمشين بنوع من النعال يحدث صوتا عند المشي لجذب الأنظار ويسمي الخفاف الصرارة ، وكان المحتسب ينهي الحزازين – أي صناع الأحذية – عن صنع تلك النعال ، فإن عملوها بعد النهي وقع عليهم العقاب[٤].

وكانت العروس القابسية تحرص على أن يتكون جهازها من الأقمشة التي يكون معظمها من الحرير والقطيفة والمحمل ، وهي أفخر أنواع الأقمشة في ذلك الوقت[٥]، ومن الأقمشة جهاز العرائس أيضًا الغفارة[٦]، والمحرزة[٧]، والثياب الرازي[٨]، ويذكر ابن حزم نصًا غاية في الأهمية عن العروس "المقلة" الفقيرة وكيف كانت تساعدها النساء خاصة المسنات – أي الكبيرات منهن – في إعارتها بعض الثياب والحلي ، وكان ذلك يحدث كما في باقي بلاد المغرب والأندلس.

وفي قابس كما بينه ابن حزم ، ويحدثنا أحد الدارسين عن احتفالات يوم العرس حيث تقدم

---

(١) على سبيل المثال ، العمري : وصف إفريقية ، وابن بطوطة ، ص ٧٠ وما يليها عن الاحتفالات في القاهرة.

(٢) انظر :محي الدين حريف الشعر التونسي ص٣٦-٨٦-٩٣

(٣) انظر : النشرة السياحية لأقصى الجنوب التونسي.

– أنظر : شريف : نفس المصدر ، ص ٩٩ – ١٠٤ – ١٠٨.

– أنظر : المرزوقي ، ص ٢٨ – ٥٣ – ٧٣.

(٤) الونشريسي : المعيار المغرب ، ج (٦) ، ص ٤٢٠.

(٥) Levi Provencal : OP. Cit, T. III, P. 424.

(٦) والغِفّارة : بكسر العين غطاء للرأس ، وبفتحها مع تشديد الفاء ، تعلى عباءة.

(٧) إبراهيم القادري : دراسات أندلسية ، ص ١٧.

(٨) Dozy : Op, Cit, PP. 312, 318.

وأنظر: Yillert Boris : Documents Langnistique elhnographipc sure une region du lunidion (Nefzaoua): imprimirie nahonale de Trance, Parise 1980 P. 26 – 116 – 130

للعروس حقيبة أو (قفه) مملوءة بالحناء القابسية التي تضعها العروس مع أقربائها في اليوم السابق لزفافها في قابس والحلي الفضية والذهبية وقطع الثياب والمكاحل والمرايا والعطور والحرير وبعض المأكولات مع نساء قريبات العريس ثم يذهب رجال من أقرباء العروس إلى حوش منزل العريس بالطبول والخيول التي ترقص براكبها ويصلون على النبي ويعرفون في وجهه بالبركة سيدي السلطان ليكون فأل خير[1].إلى جانب تحدث كل المحيطين بالعروس بجمالها وحسن طباعها

تقاليد الولادة : -

أما تقاليد الولادة فهي بسيطة جداً فحالما تحس المرأة بالولادة ترسل لقريباتها وجاراتها فتحطن بها ، وتتولي إحدي العجائز المتمرنات على التوليد ملازمتها في الفراش.

ويخرج الولد للنور صارخًا ، فتتلقاه الولادة [2]، - لقابلة - وتقطع سرته وتلفه في الحزق النظيفة المعدة لذلك ، فإذا كان ولدًا أطلقت النساء الزغاريد فيسمع الناس وتقدم التهاني للوالد ، وكلمات التهنئة تقليدية معروفة وطالما مناسبًا للطفل ويستشيرون مؤدب القلبية الذي له حسبة في اسم المولود حسب الأبراج حتى يكون خير وبركه لذويه.

الختان : -

لا يحدد وقت معين للختان ، بل يترك ذلك للفرصة السانحة مهما كان عمر الطفل ، ولكن جرت العادة أن يختن قبل السابعة من عمره ، وليس قبل مضي أسبوع على ولادته وتختلف حفلات الختان باختلاف حالة العائلة المادية ، فالأغنياء يقيمون حفلات كحفلات العرس ، تذبح فيه الذبائح ، وتختم بولائم تقدم فيها للناس حفان الطعام.

أما الفقراء فينتهزون أي مناسبة كعرس قريب مثلا ، أو أحد الأعياد ، ليختنوا أبناءهم حتى لا يتكلفوا آية مصاريف.

وللمختون في العرس تقليد خاص ، وهو أنه يقدم للعريس عند دخوله على عروسه فيحمله بين يديه لباب البيت ، وبعض العرسان يسلمه لأمه مع هدية مناسبة وتتلقى الأم ولدها إثر العملية وتضع تحت المكان السائل دمًا بيضة دجاجة تسبح فوقها تلك الدماء (ولا أدري المقصود من ذلك ، ولم أجد من يعرف لهذه العملية تعليلاً. [3].

الألعاب الشعبية في بادية قابس : -

يمارس الناس في البادية ألعابًا كثيرة بعضها مختص بالأطفال والبعض الآخر مختص بالكبار ، وبعضها يشترك فيه الكبار والصغار ، وأغلبها له تاريخ ممتد إلى العصر الجاهلي قبل الإسلام ، جلبته القبائل العربية النازحة لهذه البلاد.

١- لعبة إبل وخناب : -

أي الإبل واللصوص ، والخناب جمع خانب ، وهو اللص في لهجة جنوب قابس والجنوب التونسي عامة ، وهذه اللعبة يمارسها الأطفال الذكور ، وتتمثل في إغارة القبائل على إبل خصومها وهي عادة كانت معروفة عند القبائل العربية ولا يعتبرونها لصوصية ، إنما هي في تقاليدهم فروسية شجاعة.

---

[1] GILBERT BARIS: DOCUMENTS.. 22-117 وأنظر خريف: الشعر التونسي ص١٣٦

[2] انظر : المرزوقي : البدو في حلهم وترحالهم ص ٤١ - ٤٨.

[3] انظر : المرجع السابق نفس الصفحات.

٢ – لعبة الحليلة : –

بسكر الحاء وتشديد اللام المكسورة بعدها ، وهي تعني (الدائرة يلعبها الأطفال ذكورًا وإناثًا على السواء) وهي مثل لعبة الاستغمايه.

٣– لعبة الخريقة : –

ويلعبها الأطفال والرجال ، وهي خاصة بالذكور وتعتمد على الذكاء في إدراك طريقة الخصم ، وهي لعبة لها شهرة عظيمة بين سكان البادية ، ولها لاعبون مشهورون ، يسافر إليهم[1] اللاعبون من أبعد الأماكن ، ليقابلوهم في مباريات حاسمة ، ولهذه شبه كبير بلعبة [2]، (الدامة) ولعبة الشطرنج ، ولا تخالفهما إلا في اختلاط الخصمين ، ولا تزال إلى الآن ملتقى كثير من الجماعات ، ينكبون عليها في الأسواق والشوارع وأمام الخيام أو خلفها إلى اليوم ، وقد تمتد مبارياتها أيامًا طويلة ، وهي أعظم أسباب كسل الرجال وتضييع أعمالهم.

تربية النشئ : –

الصبر : يتم تعويد الطفل على الصبر وقوة الاحتمال إلى جانب الشجاعة ، ولهذا التعويد وسائل معروفة عندهم ، نلخصها كالتالي :

١–إذا اشتد ظمأ الطفل في الصحراء ، فإن والده لا يمكنه من الماء حتى لو كان موجودًا ، بل يأمره بالصبر مرات ، حتى إذا لم يبق لديه مجال للصبر ، أعطاه الماء ، وأمره ألا يتعدى جرعات قليلة – لأن شرب الماء بكثرة إثر ظمأ شديد يضر بكبد الإنسان. كذلك ينهي الطفل عن الشرب من ظفيرة الدلو، وهي الظفيرة التي تحيط بفم الدلو ، لأنها في زعمهم أطيب شربة يتذكرها الإنسان عند ظمئه فيشتد شوقه للماء ، وقد يقتله ذلك الشوق ويقضي على قوة احتماله.

٢– يصنعون مع الطفل – في حالة جوعة – نفس ما يصنعونه معه في حالة[3]، الظمأ ،

ومن تعاليمهم في الطعام.

- ألا تسبق الناس في الطعام.
- ألا تتأخر عنهم في الانتهاء منه.
- ألا تأكل إلا مما هو أمامك.
- أن تقلل الأكل عند غير أهلك ، إذا لزم عليك.
- أن يمتنع الطفل خاصة من الطعام المعروض عليه من غير أهله ، ولو كانوا أقاربه.
- ألا يطلب الطعام ولو من أمه بحضور أجانب عن العائلة.

الثأر : –

ومن أتعس ما يربي عليه الطفل في البادية هو المطالبة بالثأر ، فإذا اعتدي عليه إنسان فلابد من ردّ الاعتداء بمثله وإلا اعتبر جبانًا [4].

معتقدات أهل قابس في الزوايا والأولياء الصالحين : –

تعتبر المعتقدات الشعبية من أهم العناصر المكونة لأي ثقافة في أي مجتمع وهي أساس للكثير من الممارسات وأنماط السلوك الاجتماعي ، وهي عادة ما تكون حبيسة في صدور أفراد

---

[1] نفس المرجع: هذه الألعاب وغيرها ولا نستطيع الجزم بأصولها التاريخية لكن مادامت متداولة دون تغيير في أساسها أنها قديمة وعريقة – نفس المرجع والصفحات

[2] المرزوقي : البدو ص ٤١.

[3] المرجع السابق ص٤٢

[4] المرجع السابق ص٨٣

المجتمع ، ويلعب الخيال عند كل فرد دوره ليعطيها طابعًا خاصًا سواء في المدينة أو في القرى من حولها ، وهي توجد عند المثقفين ، أو غيرهم ، إن من ينظر لخريطة قابس[1]، يجد تفسيراً لما سبق حيث تنتشر الزوايا لأولياء الله الصالحين في كل مكان في قابس ، ومما يعطي تلك المعتقدات صبغة الصدق والتدين واللجوء دائماً لالتماس البركة والخير ، هي زاوية سيدي أبي لبابة الأنصاري المدفون في جنوب قابس ، وقد تواتر التاريخ الاجتماعي[2]، وأقوال الناس على مرّ الزمان أنه مدفون عندهم ، هذا يعطيهم طابعًا دينيًا محببًا ، وكذلك الرباطات الساحلية على طول ساحل خليج قابس والصالحين الذين كانوا يعتكفون فيها وتوفوا ، وأصبحت لهم زوايا ، فأصبح أهل قابس يتبركون دائمًا بذلك[3].

والاعتقاد في الأولياء أمر معروف في الجنوب من إفريقية لأن أهل الصلاح عندهم كل من رابط للصلاة مما كان له أكبر الأثر في فاعلية القيم الروحية في قابس[4].

عادة الوشم في قابس : –

وهو الرسم على الجلد ، ويعتبر له طابع خاص ، ويستمد الوشم طابعه وعناصره من إفريقية وقابس من النفوس البربرية القديمة ، فالطابع الديسني منذ القدم يتمثل في نقش الصليب والخمس ، أو طابع فني كوشم المراكب على الزند ، والختم على الأصداغ ، وأفرع الأغصان والجريد على الأيدي والأذرع ، والعلامات التي تنفي العين على الجبين والطرز على الجباه ولقد تغنى قدماء الشعراء بالوشم ، مثل ما جاء في معلقة طرفة بن العبد : –

لخولة أطلال ببرقة ثهمد ∴ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد[5]، أما عن ساحل البحر ، فالبحارة ينفسون عن مكنون صدورهم من عالم البحر بالوشم على أيديهم مثل صورة حبيبة قديمة صادفها في أحد المرافئ ، أو صورة (الأسفين) وهي تلك الحديدة المعقفة التي ترمي بقاع البحر عند إرساء السفينة في المرفأ[6]، أما الدين الإسلامي فقد جاء محرماً للوشم ، فقد ورد عن النبي (ص) "لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والمتفلجات للحسن والمغيرات لخلق الله"[7]

عادة تفسير الأحلام في قابس : –

أنتشرت عادة تفسير الأحلام التي يطلق عليها في اللغة العربية معبري الرؤيا ، وقد حفلت كتب الطبقات بأن أحسن معبري الرؤيا من أهل قابس ، وكان الناس يسافرون لقابس ليعبروا عن رؤياهم ، وكان من رجل مشهور ، بتعبير رؤيا الناس تعبيرًا يقرب من الصحة ويريحهم ، وهذه الأشياء تدل على قوة الفراسة ، وعلى المغيبات في المعتقدات المتأصلة في نفوس الناس الذين يريدون دائماً ما يريح أنفسهم ، كما أن هناك من الرؤى ما يدل تعبيرها على العلم والفائدة مثل رؤيا إبراهيم بن إبراهيم أحد تلاميذ الشيخ أبي الربيع سليمان ، وقد كان تلامذته يرغبون في أن يؤلف كتاباً في الأصول يتداولونه فامتنع ، فحدث أن رأى أحد تلامذته (إبراهيم المذكور) أنهم نظروا لبطن شيخهم واستخرجوا منها قطعتين مملوءتين عسلاً فخاف من رؤياه "فدخل مدينة قابس" فسأل عن منامة رجلاً مشهورًا بأنه يعبر الرؤيا فأخبره أنه إذا كان الرجل ذا مال يؤخذ

---

[1] انظر : خريطة قابس.

[2] الورثيلاني : ص ١١١ – ٦٠٢ – ٦١٢ لم يُذكر اسم أبي لبابة ضمن الصحابة الذين دخلوا إفريقية.

[3] المرزوقي : قابس ، ملحق أبي لبابة.

[4] انظر : محمد العزيز نجاحي ، مدينة دوز ، نموذج التداخل من البداوة والحضارة في الجنوب التونسي ، ط . دار سحر ، دار ط ١ ، ص ١٤٩ ، وما يليها.

[5] محي الدين ظريف : الشعر الشعبي التونسي – الدار العربية للكتاب ، ١٤ هـ / ١٩٩١ م ، ط (١) ، ص ٩٠ – ٩١.

[6] المرجع السابق ص ٩١ ، كما دارس قدماء المصريين الوشم واتخذوه من وسائل الزخرفة والتجميل ومن صوره الثعبان والنجمة والهلال.

[7] انظر : موطأ مالك ، وانظر : نفس المرجع ص ٩٢.

منه كرهًا ، وإن كان ذا علم يؤخذ منه كرهًا ، فسرّ إبراهيم سرورًا عظيمًا ، ورجع للشيخ أبي الربيع وسار يساعده هو والتلاميذ لاستنساخ الألواح حتى أنتهي من مجلدين [١].

عادة الحناء في قابس : -

هناك عادات متداولة ، لكنها خاصة بقابس ، كما أنها وجدت في جميع المدن الإسلامية وهي عادة الخضاب بالحناء ، لقد اشتهرت قابس منذ القدم بزراعة أجود أنواع الحناء ، والأفراح في قابس ارتبطت بحناء قابس كعنصر هام ويعتبر من عناصرها الأساسية[٢]، ولقد اشتهرت رسومات الحناء في قابس[٣]، بالتنوع على أيدي وأذرع وأقدم النساء القابسية تصميمات فيوجد نقش سعف النخل والأزهار (النوار) وفراشات ونحلات صغيرات وهذه الأشياء الجميلة لاتفارق تصميماتهم ، وهي تابعة من البيئة الخصبة والحدائق الغناء المنتشرة في قابس.

كذلك وجدت تصميمات فلكية ، مثل القمر والنجوم ، قمر بداخله نجمة صغيرة أو قمر صغير محاط بنجوم صغيرة كثيرة ، مما يعكس إيمان الناس لأنه له عمود ديني ، فهو يمثل السماء وقبب المساجد ، كذلك وجد تصميم بحريًا قرب الساحل مثل جزء من سفينة ، مجداف .. فيما يوحي بحب البحر والسفر ، كما وجدت رسومات خاصة بالبربر على هيئة مثلثات وأشكال هندسية رباعية ومعينات وما إلى ذلك[٤]، وترجع أصولها إلى معتقدات خاصة بالقبائل البربرية القديمة والحرب والسلام في حياتها ، كما وجدت الكثير من هذه النقوش أيضًا عند عرب المشرق[٥].

الزي في قابس (الملابس): -

يخضع شكل الملبس للإنسان لعدة عوامل أبرزها المناخ وطبيعة العمل الذي يزاوله الإنسان بالإضافة إلى مجموعة من العادات التي تنعكس على الشكل والزخارف ، والتي تستمد مقوماتها من الفكر الديني والإرث الحضاري ، والصلات الخارجية.

فملابس العمل لأصحاب الحرف والمهن ، تؤكد بموجب ما توفر لنا من معلومات تاريخية بأنها كانت بسيطة في أغلبها لتسهل لصاحبها الحركة بحرية تامة ، واختلفت في بعض الأحيان من حرفة لأخري بموجب مقتضيات وظروف ومجال عمل كل مهنة أو حرفة ، وإن كان غالبيتهم يرتدون التبّان[٦]، ومن جانب آخر فإن ملابس الشتاء تختلف عن ملابس الصيف ولكن قد يضطرهم فقر الحال وسوء أوضاعهم الاقتصادية للإبقاء عليها كل المواسم[٧]، فإذا كان لكل حرفة لباسة فتقتضي الضرورة أن يكون لصاحب الحرفة ملابس لعمله وأخري لراحته ، وهذا ما يؤكد الحديث النبوي الشريف : -

"ما على أحدكم لو أشتري ثوبين ليوم جمعته ثم ثوب مهنته"[٨]

---

(١) للاستزادة : أنظر : الدرحيلي : طبقات ، ج (١) ، ص ٦٤.

(٢) النشرة التونسية.

(٣) انظر Gibert Boris. P. 124.

(٤) على الدردرة : الحناء والخضاب في دول الخليج باللغة الإنجليزية،

- أنظر : مجلة المأثورات الشعبية ، السنو التاسعة ، العدد ٣٥ ، ص ٧ من القسم الإنجليزي.

(٥) المرجع السابق : نفس المكان.

(٦) بالضم والتشديد : سراويل صغيرة أو شبه سراويل صغيرة ، ابن منظور ١٣م٧٢ وهي تحريف للكلمة الفارسية "تنبان" التي تعني سراويل الجلد يلبسها المصارعون ، رينهارت دوزي ، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، ص ٨١ ، ترجمة : أكرم فاضل ، دار الحرية للطباعة ، بغداد "١٢٩١هـ / ١٩٧١م".

(٧) انظر : المعجم ترجمة أكرم فاضل

(٨) ابن منظور ، ١٣ / ٤٢٤.

يشد التبّان أو السروال الصغير إلى جسم الفلاح عند وسطه بواسطة التكة[1]، ويمكننا ملاحظة ذلك عند تفحص صورة الواقع للفلاحين في الحقل في إحدي المنمنمات في مخطوطة (كتاب الترياق) (لوح١) التي تعكس لنا أعمال الفلاحين من خلال الممارسات المختلفة لمقتضيات العمل الزراعي ، حيث يتابع الفنان العربي في رسمه مراحل العمل الزراعي في الحقل ، ويلاحظ على الفلاحين اللذين يحرثان الأرض ، وقد أرتدي أحدهما التبّان أو السروال القصير الذي يصل لحدّ الركبتين ، وقد شده بواسطة تكة عند وسطه تاركًا نهايتها متدلية بينما بقية جسمة كان عاريًا ، أما زميلة فقد أرتدي بالإضافة إلى التُبّان ثوبًا ذا أكمام قصيرة أخضر اللون محلي بنقوش على هيئة ورود. وقد رفع الفلاح أطراف الثوب أو القميص وأدخلها تحت تكة سرواله لكي لا تعيقة عن الحركة.

وفي اللوح أيضًا نلاحظ فلاحًا آخر يعمل في الحصاد بواسطة منجل يرتدي ثوبًا أحمر اللون ، أما الفلاح الذي يتولي إدارة الدراسة التي يسحبها ثوران ، وكذا الفلاحان اللذان يدريان القمح ، فقد أرتدي جميعهم التُبّان فقط ، وبقيت الأقسام العليا من أجسامهم عارية ، والملاحظ على صور الفلاحين هذه أنهم جميعًا يمارسون أعمالهم وهم حفاة الأقدام حاسري الرؤوس ، بينما نلاحظ على (لوح٢) أن أحد الفلاحين كان قد غطي رأسه بغمامة حمراء ذات حزوز تشير إلى عدد طيات أولفات العمامة[2].

وبصدد ذكر العمامة ولون الملابس ونوعيتها عند الفلاحين نستعرض ما ورد بشأنها في الروايات التاريخية ، فقد كانت ملابس الفلاحين تصنع من المواد الرخيصة والغليظة – أي – غير المصفاة ، وأغلبها من القطن أو الصوف[3]، يهتم بعض الفلاحين بعمائم لصيانة رءوسهم من الحرّ أو البرد أو الطوارئ الأخري ، وذلك لأن الرأس أشرف عضو في الجسم ، وهو معرض لمثل هذه الأمور ، وعمامة الفلاحين هذه كانت عبارة عن فوطة[4]، حمراء اللون وتلف أو تدور حول الرأس ثلاث دورات كما واضح في (اللوح٢) ويظهر في ذلك الفلاحون ، وبعض المتصوفة تميزوا بلبس العمامة الحمراء بصورة خاصة بينما كانت العمامة البيضاء أو السوداء هي الشائعة والمقبولة عند العامة آنذاك وكان الفلاح يلبس الجبة[5]، في حالات البرد الشديدة أو حين الذهاب للمدينة لبيع حاصله غير أن جبة الفلاحين تختلف من حيث الصنع وجودة المادة المصنوعة منها عن جبب بقية الناس ، وكذلك تختلف من حيث سعة الأكمام ، وذلك لأن أكمام الجبب لم تعد مجرد جزء من الجبة ، بل استخدمت كأداة لحمل كثير من الأشياء كالدنانير والمواد الأخري ، وكانت جبة الفلاحين عادة أوسع كمًا من غيرها ، لأنهم كانوا يحملون بعض حاصلاتهم ، كالحنطة والبندق والبلوط والتين[6].

---

[1] رباط أو مشد يستخدم لربط التبابن ، مطرز النهايتين بالحرير الملون يدخل في مجري أو مداوله ، يسمي مار التكة أو حجرة السراويل ، ابن سيده : المخصص ، ٨٣/٤ – ٨٤ ، المطبعة الكبري الأميرية ، بولاق مصر ، ١٣١٧ هـ ، دوزي ، ص ٨٢ – ٨٣، ص ١١٥.

[2] انظر : سليمة عبد الرسول : ملابس العمل لذوي المهن والحرف ، ص ٢٤٢.كانت تلك النوعيات من ملابس العامة متداولة بين الشرق والغرب مع ملاحظة وجود اختلافات طفيفة.

[3] ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية ، ص ٢٧٩ ، دار المعارف للطباعة والنشر ١٩٤٥م ، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والثقافي ٦٤/٤.

[4] الفوطة ، ثوب يجلب من الهند ، غليظ الصنع ، عرفت عن أهل مصر والمشرق والمغرب وذكر أنها ثوب قصير غليظ الصنع يستعمل مئزرًا يجلب من السند ، وفي منطقة الكوفة في العراق أزر مخطوطة تشير بها الجمالون والخدم ويتزرون بها ، ابن سيده ٧٢/٤ ، الونشريسي : ٣ / ٢٩ ، ابن منظور ٣٧٣/٧ ، الزبيري : تاج العروس من جواهر القاموس ، ٥ / ٢٠٠ ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٦هـ.

[5] الجبة : ثوب مفصل ومخيط يحيط بالبدن وله كمان ، ابن الجوزي ، تلبيس إبليس ، ص ٨٤.

[6] التنوخي : نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ، ٧٠/٧ ، تحقيق عبود الشاكي ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

أما ملابس خدام العامة والعبيد والرقيق ، خاصة أولئك الذين يشتغلون في خدمة البيت والمطبخ ، وملابس الخاصة الذين يقومون على خدمة مجالسهم وضيوفهم فرق واضح ، فالفوط والمآزر والملابس الخشنة للمطبخ ، ويبدو من ذلك واضحًا فيما أوردته النصوص التاريخية من أن زوجة أحد الولاة أخذت إحدي الجاريات منزل الخدام -أي جعلتها خادمة في المطبخ ونزعت عنها ما كانت تلبسه من الصيغ والملابس الحريرية ، وألبستها لباسًا من الخيشة[١]، وقميصا من الشعر وأنزلتها المطبخ ، وأحيانًا كانوا يلبسونها ملابس سوداء وهذه الملابس في نوعيتها أو لونها الأسود كانت تلائم طبيعة الأعمال التي يقومون بها ، فهي مقاومة ولا يبدو عليها الاتساخ سريعا ، كما هو الحال في الملابس الحريرية ذات الألوان الفاتحة ويمكننا أن نميز من ملابس الخدم ثياب الشتاء عن الصيف ، فالفوطة غالبًا ما تكون لباسًا يتفق مع حرارة الصيف فهي أخف وأقل الملابس التي تمنح صاحبها حرية الحركة ولصغر حجمها كانت سهلة التنظيف ، أما الملابس الخشنة فهي للشتاء ، وبسبب ألوانها ، القاتمة يمكن تأجيل غسلها لفترة أطول[٢].

ويلبس غالبية الخدام في أرجلهم نعالا[٣]، وتكون في الغالب صفراء أو حمراء اللون ، ولا كعب لها لسهولة الحركة فيها[٤]، وأحيانًا يصل بعض الخدام -لظروف خاصة يمرون بها - لمستوي كبار الناس ، عند ذلك تتغير ملابسهم بحكم المكانة الاجتماعية التي بلغوها ، فيلبسون الخف[٥]، والطيلسان[٦]، وقد يلبس الخادم جبة وهي لم تكن مثل جبب بقية الناس لأنها مصنوعة من قماش غليظ إن طبيعة عمل الحمالين[٧]، يتطلب ارتداء الملابس الخفيفة والقصيرة لئلا تعيق حركتهم ، كما أن وضع بعض الحمولة التي يكلف بنقلها على ظهره يؤدي بالواقع لتمزيق ملابسه من جهة وتؤذي ظهره من جهة أخري ، لذا استوجب عليه لبس بعض الملابس السميكة على ظهره يستند عليه الحمل.

ومن خلال النصوص التاريخية وردت إشارات إلى أن الحمالين كانوا يأتزرون بالفوط ، ولما كان عمل الحمال الرئيسي حمل المواد بما فيها ثقيلة الوزن ، استوجب عليه أن يشد وسطه بحزام[٨]، وفي المصادر التاريخية إشارة إلى أن الحمال عند رفعة للأثقال يشد وسطه بحزام وذلك لمنع تهدل الثياب مما يعرقل حركته ، وقد يكون لشدّ الحزام فائدة في الحفاظ على سلامة الجسم أثناء أداء العمل ، وغالبًا ما يلبس الحمال فوق ملابسه أو على جسمه مباشرة أشبه بالمدرعة[٩]،مشقوقة المقدمة مصنوعة من قماش سميك كاللباد مثلا ، أو تكون مبطنة بقماش سميك يحمي ظهره من ثقل الحمول ثم يشد الحمل إلى ظهره بواسطة حبل يمسكه بيده ويشد وسطه بحزام[١٠]، وقد يكتفي الحمال بحزام أو يلفها للخلف ، ويغطي رأسه بغطاء يشبه

---

[١] الخيش : ثياب رقاق النسيج ، غلاظ الخيوط ، تتخذ من مشاقة الكتان ومن أرداه ، وربما اتخذت من القصب ، لسان العرب ، ٦ / ٣٠١.

[٢] دوزي ، ص ٣٢٠ ، وأنظر : سليمة عن الرسول ، ملابس العمل لذوي المهن والحرف ، ص ٢٤٣.

[٣] النعال : ما وقي الأرجل من الأرض ، أنظر : ابن سيده ، ١١١/٤. ابن منظور المصري ، أخبار أبي نواس ، ص ١٦٦ ، دوزي : ص ١٨٧ – ١٨٨ ، معجم دوزي ص

[٤] الخفّ : ما لبس في القدم -ابن سيده ، ٤ / ١٤٤.

[٥] الطيلسان ، ضرب من الأكسية ، أنظر : ابن سيده ، ٤ /٧٨ ، ويري دوزي ، ص ٢٢٩ ، إنه.

[٦] أنوع من الخمار يطرح على الرأس والكيفين أو يلقي أحيانًا على الكتفين.

[٧] مفردها (حمّال) يحمل الكل عن الناس ، ابن منظور ، ١٨٠/١١ ، معجم دوزي ، ص

[٨] انظر دوزي : المعجم وسليمة عبد الرسول.

[٩] المرجعان السابقان نفس الأمكنة.

[١٠] زكي محمد حس ، أطلس الفنون الإسلامية ، ص ٩٨ ، شكل ٦٢ ، والشكل جزء من صحن من الزخرف الفاطمي ذي الزخرف الفاطمي ذي البريق المعدني في مجموعة أراكيل نوبار بباريس ، معجم دوزي ص

القلنسوة[1]، أو أن يشد فوطة عند وسطه ويلبس دون أن يلفها للخلف ويكون أعلى جسمه في هذه الحالة عاريًا ، ويكشف لنا (اللوح رقم٥) صورة حمّال متزر بفوطة مخططة تشبه قماش الكيس الذي حمل فيه الحمل وربما اتخذه من نفس قماش فوطته أو أن تكون فوطة أخري مشابهة للتي يلبسها ، يستفيد منها في وضع بعض الحمول التي يكلف بنقلها[2].

يلبس الملاحون[3]، سراويل صغيرة أوتُبان لستر العورة فقط لأنها تتناسب وأعمالهم في المراكب وأحيانا يتزرون بالفوط مما يتبين ذلك[4].

وتقضي مهمة البنائين[5]، والفعلة[6]، الحركة الخفيفة والمستمرة لحمل مواد البناء ونقلها وطلوعهم بها لأعلى البناء ثم نزولهم منه ليعيدوا الكرّة في نقل المواد لاستكمال العمل لذلك لبسوا التبابين ، بل وتشدد المحتسب في إلزامهم لبس التبابين الملحم[7]، لأن في ذلك سترًا لعوراتهم عند اشتغالهم خاصة أولئك الذين يحملون مواد البناء والذين يدعون بالرقاصين لكثرة حركتهم[8]،

اشتهرت قابس بحماماتها ، والحمام مكان لتنظيف الجسم مما يعلق به من أوساخ أو ينمو عليه من شعر كثيف ، كذلك فهو مكان يعمل فيه الحجام الذي يسخر إمكانياته في تعيين مواضع التشريط على الجسم لسحب بعض الدم لأغراض علاجية خاصة ، كانت معروفة وشائعة حتى فترات كان اللبان يلبس ثوبًا له جيب -أي- فتحة للصدر ، وخاليا من الأكمام ليمنح يديه حرية الحركة ، ويسمي هذا الثوب -البيحة- وقد يلبس تبانًا أو سروالاً أثناء ضرب اللبن[9].

ينقسم السقاءون لقسمين[10]، أصحاب الروايا والقرب ، وأصحاب الحوانيت ، فالمجموعة الأولي هم الذين يحملون الماء في الروايا والقرب ويوزعونة على الناس ، وقد أكد المحتسب على أولئك "أن تكون في أوساطهم التبابين ليستروا عوراتهم[11]، أما أصحاب الحوانيت فلم يلزمهم المحتسب بلبس التبان ، وإنما كانوا معرضين للتفتيش من قبله دائمًا ، وذلك للتأكد من نظافة حوانيتهم وثيابهم.

ويمكن أن نستنتج مما ورد بشأن السقاءين ، أن أصحاب القرب الذين يوزعون الماء على الناس هم عمال عند أصحاب الحوانيت ، أو على الأقل أنهم أفقر حالاً من أصحاب الحوانيت ، ولأنهم على احتكاك أوسع بالناس وكانت أكثر ملابسهم من الصوف ، حيث يلبسون الأكسية

---

(1) أطلس الفنون الإسلامية ص ١٤٤ ، شكل ٤٣٢ ، وهو يمثل حشوة صندوق من العاج من صقلية يرجع للقرن ١٣ أو ١٤ محفوظ بمتحف قصر بارجلو في فلورنسة.

(2) أطلس الفنون الإسلامية ص ٢٢٠ ، شكل ٦١٠ ، وهو يمثل قطعة نسيج ذات زخرفة مطبوعة في مصر أو الهند ترجع للقرن ١٤ أو ١٥ ، محفوظة في متحف الفن الإسلامي القاهرة.

(3) الملاح هو النوتي.

(4) ابن منظور ، لسان العرب ، ٧٣/١٣.

(5) البناء ، مدير البناء وصانعة ، ابن منظور ، ١٤ / ٩٤.

(6) الفعلة ، صفة غالبة على عملة الطين والحفر ونحوها ، لأنهم يفعلون ، ابن منظور – لسان العرب ٨/١١.

(7) الملحم ، جلس من الثياب جمعها ملاحم ، مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كالاشتباك لحمة الثوب بالسدي ، ابن منظور ، لسان العرب ، ٥٣٧/١٢ – ٥٣٨ ، معجم دورزي ، ص

(8) ابن الإخوة ، معالم القربة في أحكام الحسبة ص ٢٣٥ ، على بلقلة وتصحيحة روبن ليوي ، مطبعة دار الفنون .. كمبيريدج ١٩٣٧م ، ابن السام ؛ نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٤٤ ، تحقيق حسام الدين السامرائي –مطبعة المعرف– بغداد – ١٩٦٨م.

(9) ابن سيده ٥ ، ٧٩/٤ ، ابن منظور ، ٢٩٤/٢ ، واللبابيدي : ص ١٣٠.

(10) الإسقاء ؛ الإرواء ، والساقية : موضع السقيا ، والمسقاه: ما يتخذ للجرار والكيزان وقيل قوم سقاء وسقاعون ، أنظر : ابن منظرو : ٣٩١٨٤ – ٣٩٢.

(11) ابن السام ، ص ٢٥ ، أنظر : معجم دورزي.

المعلمة أو الملونة المميزة بعلامات معينة وكانوا ينزلون عليها البرانس الكحل ، كما كانوا يلبسون القشابة في الشتاء حتى تستر الجسم كله حتى الرأس وهي من الصوف مقفلة من الأمام وبها كمّان ولباس للرأس موصول بها من الخلف ، وتحت القشابة أو البرنس يلبس البربر القميص أو الجبة والسراويل القصيرة أسفل الركبة ، وأحياناً الطويلة التي تصل إلى الكعبين ، وهذا الزي لا يزال موجودًا إلى اليوم في طرابلس هكذا كما يلبس البربر الحائك من الصوف[1]، يشتملون به وهو لباسهم المحبب في كل الفصول بالإضافة إلي ذلك يضعون على رؤوسهم (القلنسوة) وهي قطعة قماش من الصوف عالية ملبدة ومدورة توضع فوق الرأس ويلبس فوقها لحاف صغير من الصوف رهيف بنسيج خصوصًا للرأس أو يلبس فوق حائك رقيق ويشد من أعلى بعمامة سوداء[2]، تتخذ من خيوط الوبر[3]، وتسمي الكرازي[4].

وتتميز الأعيان والأشراف عن غيرهم بقميص طويل عريض الأكمام من القطن الأزرق يبيعهم إياه التجار يأتون من أرض السودان كما يغزلون لحاء الخروع ويلبسونه كعباءة في الصيف وتسمي هذا النوع البيزيون[5].

ويعتقد البربر في أرواح الشرّ ساكنة البيوت المظلمة والكهوف والمياه والرياح ، هذا الاعتقاد في الأرواح الشريرة كان يتطلب من البربر طقوساً لطردها أو تهدئ غضبها واستجلاب رضائها ، كما وجد إلى جانب هذه الطقوس طقوس أخري لاجتلاب الخير ، ولا تزال كثير من هذه الطقوس موجودة في الشمال الإفريقي[6]، وبخاصة في قري مطماطة ونفوسة.

أما عن نسائهم ، فقدر وصفهم الوزان بقوله "... ممتلئات لحْما وشُحْما لكنهم غير شديدات البياض أردافهن غليظة سمينة ونهودهن بارزة بيد أن خصورهن في غاية الرقة ، يتحدثن بظرف ويمددن أيديهن عن طيب خاطر[7]".

الطعام والأشربه : -

عرفت قابس باختلاف نوعية الطعام التي تختلف باختلاف الطبقات ، والبربر ومعهم قبائل الصحراء كما يقول البكري[8]، كان طعامهم ضعيف اللحم الجاف مطحوناً يصب عليه الشحم المذاب أو السمن ، وشرابهم اللبن وقد غنوا به عن الماء حتى ملوكهم اعتمدوا على ذلك ، وقد رأي ابن خلدون[9]، وجود علاقة بين الغذاء والعقل وصحة البدن ، فيري أن المنغمسين في الأدم والحنطة مثل البربر ، أقل حسنًا في عقولهم وأجسامهم عن غيرهم الذين ليس عندهم السمن وغالب عيشهم الذره والزيت.

كانت صنعة الطبخ في قابس تقوم علي معرفة كاملة بأنواع الطبيخ ، فمائدة الخاصة غنية وشهية ومتنوعة ، يقدم لأفرادها الطعام في أصناف منفردة ، كان هناك الهريس باللحم وهي طعام الخاصة والعامة[10]، وكانت تقدم الأنواع المخلوطة بالخل ثم الأطعمة حلوة المذاق[1]،

---

(1) الإدريسي : المصدر السابق ، ص ٦٨.

(2) ديوز : المرجع السابق ، ج (١) ، ص ٤٢.

(3) ديوز : المرجع السابق ، ج (١) ، ص ٤٢ – ٤٣.

(4) الوسياني : السير ومخطوط ، ورقة ١١٢ – ١٤٨.

(5) الوزان : المصدر السابق ، ص ٥٨.

(6) الفرد بل : الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقية ، بنغازي ١٩٦١ ، ص ٦١–٦٢ وأنظر : مالون ، عروبة البربر.

(7) الوزان المصدر السابق.

(8) البكري : المسالك ، ج (٢) ، ص ٢٧٥.

(9) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٥٤.

(10) الهريسة عبارة عن عجيلة القمح وقطع لحم مهروسة بعد طحنها ، درويش ج (٢) ، ص ٢٣.

ومتى حلّ الضيوف تقام الولائم التي تذبح فيها الأبقار والغنم ، وقد اختصت مائدة الرجل في قابس بثلاثة أشياء متضادة قلما توجد على أية مائدة أخري وهي لحم الحوت الطري والرطب الجني ولحم الغزال[2]، ومن أهم الأطعمة المعتادة عندهم الكسكسي أو الكاسكاس باللهجة القابسية الذي يعرفه جميع الناس ، فكان يطبخ اللحم بالحبوب والبقل كالبشنة كما جرت العادة ، فإذا نضج اللحم والبقل وفي قابس بلحم الحوت أيضا، يخرج من القدور ويصفي المرق مما فيه من عظام ، ويوضع الكسكسي المطبوخ على النار حتى يتشرب ويأخذ حقه في المرق ، ثم يصب في قصعة ويعدل ويجعل علية اللحم المطبوخ وبقلة وبذر علية قرفة ويقدم[3]، وقد انتشر الكسكسي في أنحاء إفريقية وقابس بل والمغرب كله يصنع من اللحم والبقل.

وعرفت بعض الأطعمة الخاصة مثل "شواء الملوك" المكون من لحم الخروف مع البيض والتوابل[4]، وكذلك "الصنهاجي الملوكي" وهو لحم البقر والدجاج والطيور كما كان للعامة صنهاجي خاص بهم أيضا[5]، وأنتشر ذلك في عهد بني زيري ، كما انتشرت الكنافة والقطايف التي أدخله الفاطميون إفريقية.

وكان الخاصة يأكلون ما يطهر من أمخاخ بعض الحيوانات والطيور بطرق مختلفة[6]، فضلاً عن معظم أنواعها ، مثل الطواجن المحشوة من اللحوم [7]، والأطعمة من الأسماك أو السلاحف البحرية ولحم الحوت[8]، فضلاً عن اللحوم المشوية على نار الفحم أو في الفرن سواء من لحوم البقر أو الكباش والخراف أو الأرانب والدجاج[9]، وانتشرت أكلات في المغرب والأندلس ، اشترك فيها الخاصة والعامة ، منها ما يعرف باسم (اللمتونية) وتصنع من جميع أنواع الطير وتطبخ على نار فحم معتدلة وبقيت معها الرقاق والزيت والتوابل وتزين بالجوز واللوز والجبن المحكوك ، وتمرغ في المرق وتغطي بورق الأسفريا المصنوعة بالبيض[10]، وعرفت مشهورة نسب بعضها لليهود مثل (الحجلة اليهودية) ، (الفروج اليهودي) ، وكلاهما يعتمد على الحشو والتوابل والبيض ، كما نسبت أكلات للمصريين مثل الفروج المصري[11].

مسكن البربر : -

كان مجتمع البربر مقسمًا لقبائل مستقرة ، وأخري رحل ، قبائل عملت بالرعي وكان ذلك يضطرها للانتجاع والترحال ، لذا اتخذت سكناها من الخيام التي كانت على شكل دوائر ، وقد اختلف صنع الخيام ، فكانت تصنع من الصوف أو الوبر ، وتقسم من الداخل لأماكن السكني وأماكن للجلوس وأخري للطعام[12]، وكانت تصنع من الشعر ، فقد سكنت قبائل من زناتة

---

(1) مجهول : كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين ، تحقيق ، أمبر وزيسر أويثي ميرالدا ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، المجلد ٩ – ١٠، ١٩٦١م ، ١٩٦٢م ، ص ٨٥.

(2) الاستبصار : ص ١١٢.

(3) مجهول ؛ كتاب الطبيخ ، ص ٣٦ – ٣٧.

(4) نفسه : ص ٦٣.

(5) مجهول : كتاب الطبخ ، ص ٣٦ ، ٣٧.

(6) انظر : الاستبصار ، ص ١١٣ ، وأنظر : المصدر السابق ، ص ٣٢.

(7) نفسه : ١٣٢.

(8) نفسه : ١١٣.

(9) نفسه : ص ٢٨ – ٣٣.

(10) نفسه : ١١٣.

(11) النفسه : ص ٦٨.

(12) الحسن الوزان ، ص ٢٨٢.

يعرفون بزراعة في الخيام من الشعر[1]، وعندما ينعدم الكلأ يضطر الرحل للزحف للجبال والأراضي السهلية ، فيسكنون بيوتاً مبنية بناءً بسيطاً من الحجارة ، وبسقوف من الطين على شكل بيضاوي حتى لا يتراكم عليها الثلج ، أو بيوت منقورة في الجبل ، وينزلون للأودية في الربيع وتكون مساكنهم من الطين وسقوفها من الخشب وغيره من أنواع النبات ، ومنهم من كان يبني داره بجدارين متوازيين يملأون ما بينهما بالحجارة لمقاومة الحر والبر[2]، وذكر ابن خلدون[3]، لمساكن البربر قديمًا بقوله "إنهم كانوا يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخوص والشجر ومن الشعر والوبر" وكان ذلك قبل التطور الذي غير شكل فتحول كثير من القبائل لسكني المدن والاستقرار بها[4].

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٢٤.

[2] التجاني : الرحلة ، ص ١٧٨.

[3] مثلما حدث في داخلها فقد امتلأت بعروش هذه.

[4] القبائل المرزوقي ؛ قابس ص ١١٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل السادس

الحيـــاة الثقافيـــة
في قابـــس

١- العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية

٢- نظام التعليم

أ - المكاتب (الكتاتيب)

ب- المدارس

جـ- المساجد

د - الأربطـــة

٣- علماء قابس ودورهم في الحياة الثقافية

العوامل المؤثرة في الحياة الثقافية[1] لقابس

أ) العامل الديني :

إن الإسلام في قابس وباقي إفريقية قد بدأ منذ تقدم عمرو بن العاص نحو إفريقية ، "فقد ذكر البلاذرى[2] عمرو بن العاص كتب إلي عمر بن الخطاب يعلمه أن من بين زويله وبرقة أسلم كلهم وحسن طاعتهم قد أدى مسلمهم الصدقة".

جذب عقبة بن نافع البربر بحماسته الدينية أثناء اختطاط مدينة القيروان[3] التي كانت نواة لنشر الإسلام ، فدخل كثير من البربر في الإسلام واطمأنوا علي المقام بها.[4] وكان عقبة يضم إلي الجيش من أسلم من البربر ويغزو بهم بقية البلاد [5] حتى حملته الأولي ، وانتشر الإسلام ما بين قفصه والقيروان ، ،حتى أن صاحب قفصه قام بتخليص بعض الأسرى بعد مأساة تهودة [6] التي أستشهد فيها أغلب المسلمين مادام الإسلام دخل قفصه [7] وهي علي بعد مرحلتين من قابس فمن البديهي أن تكون قابس قد أسلمت قبلها أو بعدها مباشرة حيث إنهما ترتبطان ببعضهما البعض.

كذلك قام أبو المهاجر بن دينار ، الذي تولى قيادة جيش إفريقية بعد عقبة بنشر الإسلام بين البربر ودخل كسيله زعيم قبيلة أوربة بقبيلته في الإسلام [2] ، كما أنه صالح عجم إفريقيه وأدخلهم في الإسلام ، ومنذ ذلك الوقت دخل الأفارقة الإسلام على يدى أبى مهاجر [3].

استعمل حسان بن النعمان محمد بن أبي بكر وهلال بن ثروان اللواتى [4] ضم جيش حسان بن النعمان اثني عشر ألفا من البربر استأموا إليه بشرط أن يعطوه من قبائلهم هذا العدد من الجند وبعد أن صاره عليها قرب قابس وعقد لولدي الكاهنة على هذا الجيش فخرجوا يجاهدون مع العرب ، الروم ومن كفر من البربر [5] وترك معهم ثلاثة عشر رجلا من علماء

---

(1) كلمة "الثقافية" في اللغات الفرنسية والإنجليزية تعني Culture ، مشتقة من الزراعة والإستنبات ، أما المعنى اللغوى فيذهب إلى أن الثقافة هي ما يكتسبه الإنسان من ضروب المعرفة النظرية والعلمية التي تحدد طريقته في التفكير ومواقفه في مختلف مجالات الحياة [أ].

والحضارة دائماً تتضمن المدينة والثقافة ، مشتقة من المدن ومدن — أي — بناها ومصرها ، وفي هذا يقول "ابن خلدون" [ب] "أحوال عادية زائدة عن الضروري من أحوال العمران ، زيادة تتفاوت في الرفه" فالمدنية إذن تعني بالجوانب المادية والثقافية ، بالجوانب الفكرية والأخلاقية والفنية ، والدين والعقيدة في المنظور الإسلامي أوسع بكثير من أن تقتصر على جانب من دائرة الثقافة ، بل هي أوسع حتى من دائرة الحضارة على إمتدادها ، فالإسلام هو رؤية شاملة للكون والحياة والإنسان بل هو صانع الحضارة والمدنية والثقافة التي يقول ابن منظور[ج] عن معناها إنها الحذقة والفطنة وهي معطوفة على كلمة صناعة.

أ) شحادة الناطور وآخرون في مدخل الى تاريخ الحضارة، ط.الأردن سنة ١١٤١ هـ / سنة ١٩٦٠ م.ط ٢. ص ١١٥.

ب) المقدمة: ص١٢١ ، وانظر المرجع السابق ص ١١٦.

ج) لسان العرب: مادة "ثقف" ، وانظر :عماد الدين خليل ، حول مصطلح الحضارة ، مجلة منار الإسلام ، عدد محرم ١٤٠٥هـ ١٩٨٤م ، ص٧٢.

(2) فتوح البلدان ، ص ٣٢٩

(3) هناك أسطورة : إن الناس نظروا في ذلك اليوم والسباع تحمل أشبالها والذئاب تحمل أجراءها والحيات تحمل أولادها ، فأسلم كثير من البربر ، انظر :ابن الأثير ، الكامل ، ٣ ، ص ٣٦٦

(4) قال عقبة لأصحابه إن إفريقية إذ أدخلها أمير تحزم أهلها بالإسلام ، فإذ أخرج منها رجعوا إلي الكفر وإني أرى أن أتخذ منها مدينة يجعلها معسكر أو قيروانا تكون عز للإسلام إلي آخر الدهر . انظر المصدر السابق ج ٣ ، ص ٣٦٥ ، النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٤ ، ص٣٢.

(5) نفس المصادر.

(6) ابن الأمير جـ٤ ص ١٠٧ ، انظر الفصل الثاني من الرسالة.

(7) ابن الأثير ص ١٠٧.

(2) أبن عذاري البيان ، جـ ١ ، ص ٢٩

(3) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٢١

(4) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ، صفحات ٢٦٩ – ٢٧٠.

(5) ابن عذارى ، البيان ، جـ ١ ، ص ٣٨ وقد كانت حرب الكاهنة وحسان بالقرب من قابس وعند بابها

التابعين يعلمونهم القرآن وشرائع دينهم ، فعزموا على الإسلام وبنوا المساجد وحولوا القبله للمساجد واستعملوا المنابر على المساجد.

وسوى بين العرب والبربر ، فكان يقسم الفيء بينهم ويوزع الأراضي على البربر [1] ، وهذا بالطبع في كل مدن إفريقية ، ويقول النويرى [2] ، إنه بعد ذلك فشا الإسلام في البربر واستقامت إفريقية له.

وكان لإتباع موسى بن نصير سياسة اتخاذ الموالي والرهائن [3] أثر في تجميع أعداد كبيرة من البربر حوله [4] وغزا بهم معظم بلاد إفريقية حتى دانت له البلاد على رأس المائة الأولى ودخل كثير من البربر الإسلام سوى بعض جماعات قليلة بقيت على دينها وفرضت عليها الجزية [5]، وبفضل هؤلاء البربر تم فتح الأندلس وقاد هذه الخطة أحدهم وهو طارق بن زياد [6].

وترتبط بدايات دخول الثقافة العربية الإسلامية إلى قابس بإختطاط مدينة القيروان (٥٠هـ/٦٧٠م) المرتبطة بها بإعتبارها أول حاضرة إسلامية إختطت بها ، لقد سبقتها حملات اصطحبت معها أعداد من الصحابة والتابعين ومنهم أبالبابة الأنصاري.

لكن الأثر أصبح قويا وواضحا بعد وجود قاعدة إسلامية غلب عليها سكنى العرب وأصبح المسلمون يتوافدون عليها تباعا ، ومنها إلى قابس وباقي المدن.

وكانت هناك عدة محاور أخرى تلقت قابس من خلالها الثقافة الوافدة ، تمثلت في الجيوش المتوالية مع الحملات العسكرية التي أتت إلى إفريقية طوال عصر الولاه ، سواء التي أتت مع الفتوحات أو لإخماد ثورات الخوارج ، وتتضح أهمية هذه الحملات في أنها إنطلقت من مراكز العلم بالمشرق ، فاشتهرت مدرستي الحجاز في مكة والمدينة بالفقه والحديث والتفسير ، لكن فاقت المدينة ، مكة في هذا المضمار ثم اختصت بعد ذلك بمذهب مالك [7].

وفي دمشق نشأ الفكر السياسي وذاع مذهب الأوزاعى [8] وفي مدرستي الكوفة والبصرة في العراق برز مذهب أبي حنيفة في الفقه وذاعت القدرية في مواجهة الجبرية في دمشق ، كما اهتمت المدرستان بدراسة اللغة العربية ووضع أصول النحو ، أما مدرسة القسطاط ، فمع إعتمادها على مدارس العراق والحجاز ، فقد ظهر فيها فقهاء مشهورون [9] وقام الخليفة عمر بن عبد العزيز بإرسال العشرة التابعين ليفقهوا أهل إفريقية في كل مدنها في الدين ويعلموهم الحلال والحرام [10]. وعلى رأسهم إسماعيل بن عبيد بن أبى المهاجر واليا على البلاد ، وقد قرأ على أهل إفريقية كتاب الخليفة عمر بن عبد العزيز يدعو البربر إلى الإسلام [11]، وبذلك غلب الإسلام على إفريقية والمغرب ، ولم يبق في ولايته يومئذ أحد إلا

---

(1) الرقيق القيروان: تاريخ إفريقية ، ص ١٤٨

(2) نهاية الأرب ، جـ ٢٤ ، ص ٣٧ ، وانظر بن ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ص ٣٥.

(3) ابن عذارى: البيان ، جـ ١ ، ص ٤٢

(4) ابن قتيبه: الإمامة والسياسة ، جـ ١ ، ص ٧٠ ، المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٤١

(5) ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار أفريقية وتونس ، ص ٣٨

(6) النويرى : نهاية الأرب ، جـ ٢٤ ، وانظر محمد بركات البيلي ، البربر في الأندلس ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة بكلية الآداب جامعة القاهرة وأنظر : نريمان عبد الكريم : مجتمع إفريقية في عصر الولاه ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة بكلية الآداب جامعة عين شمس

(7) أحمد أمين: فجر الإسلام ، ص ١٧٤

(8) إمام أهل الشام ، أسس مذهب في الفقه ، عاش في دمشق ، وتوفي ١٥٧هـ/٧٧٤م وكان كثير الحديث والعلم ، أنظر: ابن خلكان وفيات الأعيان جـ ٣ ، ص ١٢٧ وبعدها.

(9) المرجع السابق ، ص ١٨٣ ، ١٩١ ، محمود إسماعيل ، سوسيولوجيا الفكر الإسلامي ، جـ ١ ، ص ١١٣ ، ١١٦.

(10) أبو العرب التميمي: طبقات علماء إفريقية ، ط ٢ ، ص ٨٧.

(11) الدباغ: معالم الإيمان ، جـ ١ ، ص ١٠٢

أسلم ، ويتضح هذا الشمول في انتشار الإسلام فيما كتبه عبد الرحمن بن حبيب إلى الخليفة المنصور: "إن إفريقية اليوم إسلامية كلها" [١]

وإذا كانت الفترة التي تلت اختطاط مدينة القيروان قد إتسمت كسابقتها بمجيء كثير من التابعين مع جيوش الفتح ، لكن غالبيتهم لم يستقروا بها ، والبعض الآخر استقر بها لفترة، وقلة استوطنوها – اختطوا وقيدوا بها [٢] ، أما التابعون الذين أتوا مع موسى بن نصير فقد استوطنوها في الغالب [٣] ثم تلى ذلك بعثة العشرة التابعين الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز ليفقهوا أهل إفريقية في الدين عام ١٠٠هـ/٧١٨م [٤]، ويرى البعض [٥] أن هذه الفترة كانت البداية الفعلية لتعلم أهل إفريقية العلوم الدينية.

وسمع أهل إفريقية خاصة في القيروان وتونس وكذلك قابس من هؤلاء التابعين ، ونشأ في المدن الإفريقية جيل جديد من الفقهاء أمثال عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الذي سمع من جلة التابعين الوافدين إلى القيروان [٦] وكذلك منهم موسى بن رباح وخالد بن أبى عمران التونسى كما اتضح دور مدرسة الفسطاط من خلال الجند الوافدين مما يوضح دور مصر المؤثر ، كما أن أهل قابس كانوا يستطيعون الإطلاع على علوم المشرق من تلك القاعدة القريبة ويأخذون عن رجالها أمثال الليث بن سعد [٧] ، وعبد الله بن لهيعه [٨] ، وعبد الله بن وهب [٩] ، الأحاديث وأساليب الرد على المشاكل التي تعر لهم ، وكانت قابس تتشرب هذه الثقافات عن طريق القيروان ، إذ كان هؤلاء التابعون ينتقلون من المدن الإفريقية إلى قابس والقرى [١٠] والمدن من خلالها.

ب) التعريب :-

إذا كان الإسلام قد انتشر بسرعة بين البربر حول قابس فإن التعريب يحتاج إلي فترة طويلة لأنه تغيير في اللغة ، وكذلك التعريب الجنسي من خلال المصاهرات ، وكانت هناك عدة وسائل ساعدت علي انتشار اللغة العربية بين البربر خاصة من خلال الانضمام للجيش أو العمل في الإدارة ، لكن تبدو صعوبة انتشار اللغة العربية بإفريقية بصفة عامة ، لوجود عدة لغات يتكلم بها أخلاط من السكان من روم وأفارقة وبربر وجدها العرب عند الفتح.

وفيما يخص الروم ، فإن كثيرين منهم قد هربوا إلى صقلية خاصة بعد هدم قرطاجنة الممثلة للغة اللاتينية ، لغة الحكم والإدارة. والأدب وكذا اللغة التي يتكلم بها الصفوة لكنها مع ذلك لم تتراجع في البداية ، لأن المسكوكات ظلت تضرب بنقوش لاتينية كما ظلت في بعض

---

(١) ابن عذارى ، جـ ١ ، ص ٦٧ ، وانظر النويرى ،نهاية الأدب جـ ٢٤ ، ص ٦٦

(٢) جاء ذكر أسماء عديدة منهم محمد بن أوس الأنصارى وعلى بن رباح اللخمى وغيرهم ، أنظر أبو العرب التميمى طبقات علماء إفريقية ص٨٠-٨٢ والمالكى رياض النفوس جـ١ ص ٧٨ – ٩٣.

(٣) منهم المغيرة بن بردة القرشى ورفاعه بن رافع التوخي ، أنظر المصدر السابق نفس الصفحات.

(٤) المصدران السابقان نفس الصفحات.

(٥) . Von der hey den la Birberri orientale J120

(٦) منهم محمد بن أوس الأنصارى ، حنش بن عبد الله الصنعانى ، على بن رباح اللخمى ابو أيوب سليمان بن يسار ، وأنظر أبو العرب، طبقات علماء إفريقية ص ٨٠ ، ٨٢ ، المالكى ، الرياض ، جـ١ ص ٢٧-٩٤ ، ومنهم زياد بن أنعم المالكى ، يزيد بن أبي منصور المغيرة بن بردة القرشى ، رفاعة بن رافع التوخي ، أنظر نفس المصدر ، ص٨٣-٨٨.

(٧) أبو الحارث الليث بن سعد بن عبد الرحمن ، إمام أهل مصر في الفقه والحديث ، قال عنه الشافعى: كان الليث بن سعد أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به ، توفي ١٧٥هـ ، أنظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان ، جـ٤ ، ص١٢٧.

(٨) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة الحضرمي من الغافقى المصري ، كان يكثر من الحديث والأخبار والرواية ولى القضاء ١٥٥هـ/٧٧٢م ، وهو أول قاضي بمصر من قبل الخليفة وصرف عنه ١٦٤هـ/٧٨٠م ، انظر نفس المصدر ، جـ٣، ص٣٨.

(٩) هو أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم القرشى بالولاء ، الفقيه المالكي المصري ، صحب الإمام مالك وتوفي ١٩٨ هـ/٨١٣م ، أنظر: نفس المصدر جـ٣ ، ص٣٦ ، ٣٧.

(١٠) حسين مؤنس: مقدمة رياض النفوس ، ص٥٧.

المناطق لفترات لاحقة. "فكان أهل منصه متبربرين وأكثرهم يتكلم اللسان اللاتيني الادريسي"[(١)]

وفي جزيرة جربة – وعلى سبيل المثال – حيث كان اللسان البربري هو اللغة الأهلية الوحيدة لسكانها[(٢)]، وهي المستعملة لشئونهم ، حتى بعد أن تم الفتح الإسلامي وانتشرت اللغة العربية ، إلا أنها اقتصرت على الأوساط المثقفة المتصلة بالسلطة وعلى المشتغلين بالتجارة مع العرب ، بصفتها لغة الدين والحكومة ، إلا أنها لم تتغلغل بين جميع السكان في القرون الثلاثة الأولى للهجرة حيث كانت سلطتها بين أبنائها من سكان الجزيرة ، وكانوا لا يستعملون إلا لهجتهم البربرية في شئونهم الخاصة [(٣)] مثلهم مثل قابس وأخوارها ، لذا فإن اللغة التي كان يجب على العرب مواجهتها هي اللغة البربرية ، التي اختلفت عن اللاتينية الواسعة ، بينما كانت البربرية ، على العكس من ذلك لغة فقيرة [(٤)]. وعلى الرغم أن هناك عوامل أخرى إلى جانب الإنضمام للجيش أو العمل في الإدارة ، ساعدت البربر على تعلم العربية مثل وجود مدينة عربية كالقيروان ، وكذا المعاملات من خلال البيع والشراء في الأسواق والإرتباط في بقية أقاليم الولاية فإن اللغة العربية لم تنتشر بين البربر بشكل شامل بدليل أن البربرية استمرت في مناطق كثيرة من إفريقية مثل جبال جنوب قابس [(٥)]

أما التعريب الجنسى كالمصاهرات ، فكان يستلزم وقتا أطول من التعريب اللغوى حيث ينشأ جيل جديد يحمل صفات العرب جنسا ولغة ، ولقد اسهمت في ذلك الهجرات المتتالية الفردية والجماعية مع الفتوحات واستقرار العرب ، الذي أدى للاحتكاك بين العرب والبربر وما ترتب عليه من الإندماج من خلال المصاهرات كما ذكرنا التي تمت منذ وقت مبكر [(٦)] وكان العرب يفضلون البربريات ، لذلك اهتم خلفاء المشرق بسبايا المغرب بصفة عامة [(٧)]، فكان بعض الخلفاء من أمهات بربريات [(٨)]، لكننا مع ذلك ليست لدينا معلومات عن المصاهرات التي تمت خلال تلك الفترة.

إن السبي شكل عامل من عوامل التعريب الجنسى من خلال إرسال السبايا إلى المشرق بإستمرار ، وتوافد العرب إلى إفريقية بشكل تبادلي.

كان التشابه بين العرب والبربر في نمط الحياة المادية من خلال ممارسته نشاط إقتصادى ونمط إجتماعى متشابهين خليقا بأن يحدث الإمتزاج والإندماج بين العرب والبربر[(٩)]، ولكنه تطلب فترة من الزمن ، لأن التعريب الحقيقى سوف يستلزم تراجع البربرية وهو أمر لم يكن قد بدأ في القرن الثانى الهجرى – الثامن الميلادى [(١٠)]صفوة القـــول ، إن عصر الولاة قد شهد تحولا خطيرا بدخول الإسلام والعربية إلى إفريقية لكن لم يظهر أثارهما العميقة إلا في فترة لاحقة.

---

(١) الإدريسي: جـــ٢ ، ص٢٨٠ وما يليها.

(٢) الحميرى: الروض ص١٥٨

(٣) الجربي: مؤنس الأحبة ، ص٣٨

(٤) شكري فيصل المجتمعات الإسلامية في القرن الأول الهجرى ، جــ ٢ ، ص١٨٣

(٥) كجبال مطماطة وهي جزء من جبل دمر الممتد حتى طرابلس وهو يأخذ اسم نفوسه وكلها أسماء قبائل بربرية.

(٦) وفد على إفريقية عبد الله بن العباس ونزل على منصور بن يزيد الحميرى ، فأكرمه وتزوج سلامة بنت بشير وهي جارية بربرية من نفزة فولدت لـــه المنصور عام ٩٥هـــ/٧١٣م ، بالبصرة ، أنظر: ابن حزم جمهرة أنساب العرب ، ص٢١

(٧) ابن عذارى: البيان ، جــ١ ، ص٥٢ ، كان خلفاء المشرق يستحبون طرائف المغرب ويرسلون إلى عامل إفريقية أن يبعث لهم البربريات السنيات.

(٨) محمد الطالبي : الدولة الأغلبية ، ص٤٩.

(٩) ابن خلدون: العبر ، جـــ٦ – ص٨٩ ،الفرد بل الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقى ص٨٣ ، ويقول ابن خلدون ربما كانت الإبل من مكاسب أهل النجعة منهم ، شأن العرب ومعاش المستعفين منهم بالفلح ودواجن السائمة ومعاش المعتزين من أهل الإنتجاع والأظعان في نتاج الإبل وظلال الرماح وقطع السابلة.

(١٠) عبد الله العروى: تاريخ المغرب ص٨٨

في عصر الولاة ظهرت الفئة المثقفة من فقهاء القيروان وتونس وقابس الذين رحلوا للمشرق طلبا للعلم والدراسة ، وسمعوا من رجال العلم والأئمة به ، ونقلت إلى إفريقية المذاهب التي انتشرت في المشرق وقتذاك ، ومعلوم أن تلك الفترة قد شهدت وجود مذهبين ، أبعدها في العراق. وهو مذهب الإمام أبى حنيفة [(١)] إمام أهل الرأى الذي عول على الرأى والقياس وعدة ضروريا في تفسير الأصول من قرآن وسنة [(٢)].

أما الإمام مالك [(٣)]، فقط نشأ في المدينة وتميز مذهبه بالإلتزام بالقرآن والسنة والإبتعاد عن التأويل وعدم الإسراف في القياس والتحمس للنقل [(٤)]، وخلف كتاب الموطأ الذي اعتمد فيه على الحديث في وضع تشريعاته [(٥)].

ج) العامل الجغرافي :

لما كانت قابس واحة بحرية صحراوية كما أنها باب إفريقية [(٦)]، فمن ناحية البحر والصحراء كان الإتصال المباشر بثغور باقي المغرب العربي والأندلس وثغور شرق البحر المتوسط وجزره وكذلك بلاد الفرنج. ومن ناحية الصحراء عن طريق القوافل الصحراوية للتجارة والحج مما كان له أعظم الأثر في توثيق الصلات الحضارية بين سائر العالم الإسلامي وقابس ، ويفسر ذلك ملاحظة الظواهر المختلفة في قابس التي تكشف عن تداخل في اللغة والتقاليد وأسلوب الحياة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية وأنواع العناصر السكانية بها، فقربها من مصر جعل قابس تتأثر بثقافتها منذ القدم فقد كانت منذ العهد الفرعوني قد انتقلت إليها بعض الآلهة الفرعونية [(٧)]، وقد سميت قابس وجربة وكل الجنوب من إفريقية وطرابلس النسامون أوناس آمون وكذلك آكلي النبق أو اللوتس وهي شجرة مصرية [(٨)] إلى جانب إستيعاب قابس للثقافات الأخرى قبل الإسلام ، لكن تلك الثقافات كانت ثقافات مستوردة غير أصيلة وتفتقد النظريات الوضعية كما تفتقد التوازن وتفتقد القيم الإنسانية التي حفلت بها الثقافة الإسلامية في كل جوانبها ، كذلك من الممكن أن تكون ثقافات قابس قبل الإسلام مفروضة بواسطة الطبقات أو الجماعات المسيطرة إقتصاديا كالتجار الأجانب ،

لكن الإسلام ألغى ذلك وأصبحت ثقافته عادلة متوازنة تعتبر الصلة الدائمة بين الإنسان وربه[(٩)]، وأن الرزق بيد الله وحده ، كذلك هي ثقافة ربانية وعالمية ليست قومية ولا إقليمية ، فهي تكره الإحتكار والإستغلال والظلم في كل زمان ومكان وفي جميع أنماط السلوك ، لذا دخل القابسيون الإسلام عن وعى كامل وأصبح نبراسهم في تعاملاتهم التجارية والإجتماعية ، فقد لعبت القوافل التجارية دورا كبيرا في نشر الدعوة الإسلامية في قابس وباقي مدن إفريقية ، كما لعب التجار دورا هاما ، فقد كانوا ينزلون بأسواق قابس بدءا من منار قابس إلى أسواق قابس ويحتكون بعناصر قابس السكانية ، فدخلت الإسلام ، فقد أثرت فيهم نظافة التجار وأمانتهم وسلوكهم الشخصي ، وخاصة التجار المصريين فقد جادوا إفريقية وأفريقيا وتأثر

(١) ولد الإمام أبو حنيفه النعمان: ٨٠هـ/٦٩٩م إبان خلافة عبد الملك بن مروان ، وتوفي ١٥٠هـ-٧٦٧م ، وهو يرجع إلى أصل فارسى ، أنظر: ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٥ ، ص٤٠٥

(٢) أحمد أمين: فجر الإسلام ، ص٢٤١.

(٣) ولد الإمام مالك عام ٩٦هـ/٧١٤م بالمدينة ، وهو من أصل عربي ، نشأ ملحبة في المدينة وتوفي ١٧٩هـ/٧٩٥م، أنظر: المصدر السابق ، جـ٤ ، ص١٣٦.

(٤) بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقى ، ص١٢٦-١٢٧

(٥) أنظر: كتاب الموطأ ، مالك ، ط. دار الشعب ، ط ١.

(٦) أنظر: الوزير السراج: الحلل ، ج١ ، قسم١ ، ص٣٣٢ ، وانظر: البكرى جـ٢ ، ص٦٦٦ ، والإدريسى جـ٢ ، ص٢٧٩.

(٧) آمال فرج: تأثير الربة إيزيس في تونس ، رسالة ماجستير في معهد الدراسات والبحوث الإفريقية ، سنة ١٩٩٤م.

(٨) لجنة من الأساتذة موسوعة تاريخنا ليبيا جـ٤ ص١١٢.

(٩) علي أحمد مدكور/ الثقافة والحضارة في التصور الإسلامي ، مجلة الدارة ، العدد ٤ السنة ١٤ رمضان ١٤٠٩هـ ، ص١٩٨٩.

الناس بهم [1] فأصبحت قابس مركزا للإشعاع الثقافي، كما لاتنسى الرقيق المجلوب لقابس فقد نظم الإسلام هذه المسألة ووضع لها حدا ، أدت إلى تدمير الحياة الوثنية ،إلى جانب دخول بعض الرقيق في الإسلام إذا أسلم سادتهم ولا ننسى أنه عن طريق هذه القوافل انتشر المذهب الأباضي في جنوب قابس إلى جبل نفوسه. كما ذكرنا [2] فأبطلت وثنيه هذه المناطق ، وقد عمل أهل هذه المناطق بالتجارة مع الممالك الإفريقية مثل غانا والسودان وغيرها ما نشر الإسلام عن طريقهم [3]. كذلك نشرت اللغة العربية ، لغة القرآن ، وابطال العادات الضارة.

كذلك لا نغفل أثر قوافل الحج وتحرك الدعاة والفقهاء من قابس وإليها ، سواء للعلم أو التعليم ، وكان ذلك من أكبر المؤثرات الثقافية الإسلامية ، فتم تبادل المصاحف الكريمة وكتب الأحاديث النبوية الشريفة من وإلى قابس[4] ونشر مذهب مالك [5]، والحياة الثقافية هي نتاج للمعطيات والعوامل السابقة فإن الحياة الثقافية في قابس تعتبر آتية من المشرق لذا اتسمت بصفات البيئة المشرقية [6] ، فكان لابد من وقت حتى يحدث التفاعل ما بين هذه الثقافة المشرقية وبيئة قابس الثقافية التي هي نتاج تفاعلات ثقافية مختلفة أخرى مثل الثقافات الرومانية القديمة واليهودية والمسيحية [7] ، كذلك ثقافة البربر التي كان لها طابع خاص تغلب عليه المعتقدات القديمة [8].

ومن خلال هؤلاء التجار الوافدين إنتقل مذهب مالك الذي سيسود إفريقية في فترات لاحقة ويرجع إقبال الأفارقة على مذهب الإمام مالك بما جعلوا عليه من التمسك بنصوص الشريعة والميل إلى النقل أكثر من الرغبة في أعمال العقل [9]، وهذا يفسره قول ابن خلدون[10]، في هذا الصدد ، فيقول "إن البداوة كانت غالبة عليهم ، ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق ، فكانوا إلى الحجاز أميل لمناسبة البداوة ، كما يرى البعض [11] [illegible] كان أهل [illegible] لأهل إفريقية من كل نزوع أو انزلاق في خارج المذاهب الأخرى ؛ وهذا مهد لتوافق أهل إفريقية مع المذهب المالكى فيما بعد ، إن الجند الذين أتوا إلى إفريقية مع أوائل الفتح وما تلاهم من العشرة التابعين كانوا في الغالب من أهل الحجاز الذين عولوا على النص ، وكان لهذه المدرسة أصول مع بعض الصحابة أمثال العباس وعبد الله ابن عمر بن الخطاب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وتوجت بعد ذلك بالإمام مالك [12]

كما أن أحفاد هذه الأسر التي استقرت في إفريقية هم في الغالب الذين رحلوا إلى الإمام في دار الهجرة.

ولهذه الأسباب نفسها لم يقبل أهل إفريقية في تلك الفترة على مذهب أبى حنيفه ومع ذلك فقد دخل مذهبه إلى إفريقية عن طريق التجار العراقيين وغيرهم الذين دخلوا بتجارتهم

---

(1) عبلة سلطان: دور التجار المصريين في نشر الإسلام والثقافة بحث مقدم لمؤتمر مصر مسيرة الإسلام في إفريقيا في أبريل ٢٠٠٠.

(2) الوسياني: السير مخطوط ورقات ٤٨ ص ١٧٢-١٧٥.

(3) سعد زغلول هامش على مخطوط الوسياني. أعمال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب ط الرباط ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ص٨٢ .

(4) كما لعبت القوافل التجارية دورا كبيرا في ذلك فقد لعبت الأربطة أيضا دورا هاما حيث كان المرابطين بها ينسخون المصاحف والكتب الدينية. أنظر عثمان الكعاك مراكز الثقافة في البحر المتوسط ص ٤٣ وما يليها.

(5) الوسياني السير ورقات كبيرة منها د. ٤٨-٥٢.

(6) أحمد فؤاد الأهوان التربية في الإسلام جـ٢ ، ص٥٨.

(7) سليم شعشوع: العصر الذهبي ط ١ ص ٤٥.

(8) نظر محمد على ما دون عروبة البربر الحقيقة المغمورة ص ١٥٧.

(9) المرجع السابق نفس الصفحة وانظر محمود إسماعيل:مغربيات ص٥٧-٥٨

(10) المقدمة ، ص٤٤٦

(11) حسين مؤنس: مقدمة الرياض ص١١.

(12) احمد أمين: فجر الإسلام ، ص٢٤٣

تباعا وامتلأت بهم الأسواق (١)، كما أن بعض أبناء العرب القادمين إلى إفريقية أمثال عبد الله بن المغيرة الكوفي قد سمع من كبار الكوفيين ، وكان أحد زملاء أبي حنيفة (٢)،
وسمع عبد الرحمن بن زياد بن أنعم من أبي يوسف تلميذ أبي حنيفه (٣) ، كما أن بعض من رحلوا إلى المشرق سمعوا من إمام أهل العراق مثل عبد الله بن فروح(٤) الذي اجتمع بأبي حنيفه وكتب عنه ، نحو العشرة آلاف مسألة وكان حريصا على السماع منه (٥). كان رغم اعتماده على ذلك يميل إلى النظر والاستدلال ، فربما مال إلي أهل العراق إذ تبين له أنه الصواب في قولهم (٦) لذلك كان ابن فروخ لا ينص الأصول ، كما كان يسأل في المسألة فيجيب عليها بالأقاويل المختلفة (٧) كما سمع عبد الله بن غانم (٨) من أبي يوسف ، وانتشر كتب أبي حنيفة في إفريقية حتى أن ابن غانم كان يقرأها في الجمعة يوماً (٩)وكان أبو خارجة يقول"لا تذهب الليالي والأيام حتى تمحي كتب أبي حنيفة (١٠) وتم ذلك أيام سحنون ، وهذا يعكس رأى فقهاء المالكية في مذهب أبي حنيفة ، فكانوا ينكرون عليهم اتباعهم للقياس (١١) كما أن اتباع أبي حنيفة لم يخطوا بنفس المكانة التي حظي بها أتباع مالك ، فقد أهملت كتب الطبقات ذكرهم ، واكتفت بنعتهم أهل العراق أو الكوفيين (١٢) وبذلك لم يتحقق لمذهب أبي حنيفة الانتشار في إفريقية ، مثل مذهب مالك كما انتشر مذاهب الخوارج عن طريق هذه القوافل وما يأتي فيها من تجارة ودعاة كالصفرية والإباضية وخاصة في الجنوب من قابس كجبال مطماطة ونمر إلى جانب جبل نفوسة أي إلي الجنوب من طرابلس ، فقد كانوا منكبين على دراسة كتب دعوتهم من أهل البصرة وعمان (١٣).

ولعبت القوافل التجارية التي تمر من مركز قابس الصحراوي في جنوبها دورا كبيرا في نشر هذه الدعوة وتبادل تلك الكتب ، كذلك سفر الرجال لتعقبها وعودتهم أو وفود رجال الدعوة من البصرة وعمان لتعليمهم ولا ننسى دور مرفأ قابس عن طريق السفن الرائحة والغادية ، وهذا يعنينا تأكيدا على أن التعريب في قابس قد بدأ مبكرا فيها ، فكان التعريب بصفة نهائية قد بلغ أقصاه بالغزوة الهلاليه أي عند منتصف القرن الخامس من الهجرة (١٤).

---

(١) أبو العرب: طبقات علماء إفريقية ، ص١٢١.

(٢) المصدر السابق ص١٦٢ .

(٣) الرقيق: القيروان تاريخ إفريقية والمغرب ، ص١٦٣.

(٤) كان مولده بالأندلس: عام ١١٥هـ/٧٣٤م، أنظر: المالكي ، الرياض ، جـ١ ، ص١١٣/١١٤.

(٥) ويذكر عنه أنه قال: "كنت يوما عند أبي حنيفه فسقطت آجره من أعلى دار على رأسي فقال:"إن شئت أرش الجرح ، وإن شئت ثلاثمائة حديث" أنظر: نفس المصدر ، جـ١ ، ص١١٦ ، الدباغ : معالم الإيمان ، جـ١ ، ص٢٤٠.

(٦) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ١١٣

(٧) عياض ، ترتيب المدارك ، جـ ١ ، ص ٣٤٠

(٨) أبو عبد الرحمن ، عبد الله بن عمر بن غانم شرحبيل بن ثوبان الرعيني ، قاضي إفريقية أيام روح بن حاتم صاحب مالك ، دخل الشام والعراق لطلب العلم ولقي أبا يوسف ، توفي ١٩١هـ ، ٨٠٦ م، انظر المالكي ، الرياض ، جـ ١ ، ص ١٤٣

(٩) المصدر السابق ، جـ ١ ص ٣١٧

(١٠) المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٦٥

(١١) نفس المصدر ، جـ ١ ، ص ١٦٠

(١٢) vonderheyden,loc,cit.

(١٣) والإباضيون هم أقل جماعات الخوارج غلوا وأكثرهم اعتد الأوامر بحث إلى فكر أهل السنة ، فعندهم أن كفر مرتكب الذنوب والكبائر هو كفر نعمة "أي جحود نعمة وليس" كفر شرك بالله والإيمان عندهم هو جميع ما افترضه الله على خلقه ،و لم يقولوا ... مثل الأزارقه – أن أطفال الكفار كفار مخلدون في النار". بالإضافة إلى ذلك ، فإن الإمام محمد أبو زهرة يذكر أن الإباضيين يعتبرون ودماء مخالفيهم حرام ، ودارهم دار توحيد وإسلام إلا معسكر السلطان ... ولا يحل من غنائم المسلمين الذين يحاربون إلا الخيل والسلاح وكل ما معه من قوة في الحروب ... كما تجوز شهادة المخالفين ومناكحتهم والوارث بينهم وبين الخوارج ثابت د/ محمد عمارة: تيارات الفكر الإسلامي ص ٢٨.

(١٤) وانظر تاريخ المذاهب الإسلامية ، الجزء الأول ، القاهرة: دار الفكر العربي ، ١٩٨٧ م ص ٧٨ لدراسة تحليلية عن الارتباط المذهبين بين الإباضية والخوارج ، وراجع د/ أحمد علي دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ، ص ٨١-٩٠ والاطلاع علي معلومات مغايرة عن الإباضية وتمييزهم عن الخوارج راجع سالم بن حمود السمائلي ، أصدق المناهج في تميز الإباضية عن الخوارج، تحقيق وشرح د. سيده إسماعيل كاشف ، مسقط وزارة التراث

د) نظام التعليم :

وما أن حل القرن الرابع حتى احتل التعليم والعلماء والمتعلمون مكانه إجتماعية هامة في قابس ، وتعكس أحوال التعليم والمتعلمين صورة لحياة المجتمع الواقعية من النواحي الدينية والإقتصادية ، وأهم ما يوضح ذلك الفقرات المتناثرة هنا وهناك عن دور التعليم ونظمها ، والقاضين بالتعليم وتصرفات العلماء ومكانتهم الإجتماعية.

وهناك كتاب يعد وثيقة هامة تعكس أحوال المجتمع القابسي في القرن الرابع الهجري وما بعده ، ويمكن تعميم ما جاء فيه عن منطقة معينة على منطقة المغرب كلها حيث التشابه الاجتماعي بين أجزائها يكون تاما من وجهة نظر التعليم وارتباطه بالدين ، وتلك الوثيقة هي الرسالة التي وضعها أبو الحسن على بن محمد المعروف بالقابسى المتوفى عام ٤٠٣ هـ ، وقد فصل فيها "أحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين[1] أعظم من أنجبتهم قابس إذ كان له فضل كبير في تنظيم التعليم وتوجيهه الوجهة الإسلامية الصحيحة مما كان له أعظم الأثر ، ليس في قابس فحسب ، بل في كل أنحاء إفريقية والمغرب [2].

الكتاب أو المكتب أو المكاتب :

كان متوسط عمر الصبي عند ابتداء ذهابه للمكتب يتراوح بين الخامسة والسادسة ويبقى في المكتب حتى سن الثانية عشرة أو ما دون ذلك ، وقد انتشرت هذه الكتاتيب في أنحاء المدن والقرى "فقد تكون إلى جوار المساجد ، وقد تكون بعيدة عنها ولا تكون بداخلها على أية حالة" وكان يقوم بالتعليم في هذا المكتب معلم أو أكثر يقوم بإستئجار المكان ويقوم بإنشائه من تلقاء نفسه ويرسل الآباء بأبنائهم لهذه الكتاتيب نظير أجر يدفعونه شهريا أو سنويا [3]. وكان اليوم الدراسي يستغرق طوال النهار تقريبا عدا فترة الظهيرة حيث يذهب النهار ، والراحة الأسبوعية تبدأ من بعد ظهر يوم الخميس حتى صباح يوم السبت من كل أسبوع ، وأهم ما كان يعنى بتعليمه في الكتاتيب هو القرآن الكريم حفظا إلى جانب الكتابة والنحو العربي ، وقد يتعلم الحساب والشعر وأخبار العرب [4].

ويمكن القول بأن صورة التعليم في مراحله الأولى – كما نستمدها من كتاب القابسي. اعتمدت على أربعة أعمدة هي:

المكتب والمعلم والصبي والقرآن الكريم ، وهي صورة مستمدة من الواقع الفعلي.

وتعكس مناهج التعليم في المكاتب الجو الثقافي السائد ، وكان هذا الجو ملتزما بيئيا يسود فيه التفقه على مذهب الإمام مالك ، ومن ثم فقد اقتصر تعليم الولدان على حفظ القرآن فقط وتعليم الخط العربي وبعض النحو والعربية ولم يخلطوا ذلك بسواه في شئ من مجالس تعليمهم ، لا من حديث ولا من فقه ولا من كلام العرب [5].

القومي والثقافة ١٩٧٩ م ، ص ٢٠-٤٨ انظر: الدرجيني طـ المقدمة والإباضية مذهب الخوارج لكنه في تعاليمه يعتبر أقرب المذاهب الخارجية في تنفيذ تعاليم الدين ، وهو الأقرب في ذلك عن الرقيق-تاريخ إفريقية ، ص١٤ وما يليها ، وانظر:- فصل الحياة الاجتماعية ص ، وانظر المرزوقي ، قـابس ص ١١٣ وانظر: الوسياني: السير ورقة ٧-٦

(1) قام الدكتور أحمد فؤاد الأهواني بدراسة أحوال التعليم والمتعلمين من واقع هذه الرسالة ونشرها كملحق لكتاب بعنوان "التعليم في رأى القابسـي" ونشرتها مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بمصر سنة ١٩٤٥. ويبدأ نص القابسي من ص٢٤٢ في هذا الكتاب فما كان قبل ذلك من صفحات فهو من دراسة الأهواني ، وما بعده فهو من كلام القابسي ، أنظر صبحي عيسى: الحضارة في غرب البحر المتوسط ص ٣٤٣ كافة رسالة دكتوراه مهداه لمكتبة الجامعة الأمريكية

(2) الرسالة المفصلة في أحوال المعلمين والمتعلمين ، أنظر الأهواني: رأى القابسي في التعليم ص٥٦.

(3) المصدر والمرجع السابقين.

(4) الأهواني في التعليم ص٤٦/٤٧ وهناك حالات– نادرة – يقطع فيها المتعلم حفظه للقرآن ويدرس العلوم الرياضية أوغيرها ثم يعود ويستأنف حفـظ القرآن لاسيما إذا كانت سنة متقدمة بعد الثالثة عشرة ،أنظر: ابن بشكوالة قسم ٢ ترجمة رقم ٩٣٩٠ ص٦٣٢.

(5) ابن خلدون: المقدمة ، حـ ٤ ، ص١٢٤٠ ، وانظر: صبحي عيسى الحضارة في غرب البحر المتوسط .

وتعكس رسالة القابسي [1] المشار إليها آنفا ذلك الجو الديني السائد في المجتمع بصورة صادقة حين تعتبر أن مبادئ القراءة والكتابة ماهي إلا سبيل إلى تسهيل تحصيل عنصر هام من عناصر الدين هو القرآن [2].

وفي ظل هذا المجتمع المتدين الذي يرى أن التعليم ليس إلا وسيلة لتحصيل أمور الدين التي هي بذاتها أهم مقوم لشخصية الفرد والمجتمع.

خرج القابسي برأي في مسألة "إلزام التعليم" في تلك الفترة المبكرة نسبيا بالنظر لمسألة التعليم الإلزامي [3]، ولم يكن هذا سوى إجتهاد في الرأي أما الواقع فلم يكن فيه أي إلزام من أي سلطة سوى ذلك الإلزام الأدبي والعرف الإجتماعي في أن يرسل الوالد ابنه للمكتب لتحصيل شئ من العلم في سن مبكرة.

وثمة أمر آخر تشير إليه رسالة القابسي وهي خروج الفتاة مع الصبي ، لتلقي العلم في الكتاتيب ، ويهتم القابسي بإسداء النصح بمراعاة عدم الإختلاط بينهن وبين الأولاد [4].

كما وجد كتاب آداب المعلمين مما دون محمد بن سحنون المتوفي سنة٢٥٦هـ عن أبيه صغير الحجم ، وهو يبلغ ربع كتاب القابسي أو أقل ، وهو خاص بتعليم الصبيان ، اعتمد عليه القابسي كثيرا ونقل عنه واسترشد به وترسم خطاه وتبلغ صفحات هذا الكتاب المطبوع ٦٤ صفحة منها ٣٨ صفحة مقدمة الأستاذ/ حسن حسني عبد الوهاب في شئون التعليم ، فكأن كتاب ابن سحنون نفسه عبارة عن ست وعشرين صفحة لاغير من الحجم الصغير.

ونثبت فيما يلي فهرسة هذا الكتاب لتتضح لنا الموازنة بين ما تعرض له ابن سحنون وبين ما كتبه القابسي [5]:

١-ما جاء في تعليم القرآن العزيز.
٢-ما جاء في العدل بين الصبيان.
٣-باب ما يكره محوه من ذكر الله.
٤-ما جاء في الأدب وما يجوز في ذلك وما لا يجوز.
٥-ما جاء في الختم وما يجب في ذلك للمعلم.
٦-ما جاء في القضاء بهدية العيد.
٧-ما يجب للمعلم من لزوم الصبيان.
٨-ما جاء في إجازة المعلم ومتى تجب.
٩-ما جاء في إجازة المصحف وكتب الفقه.

وبالرجوع لنص الكتاب نجد أن ما نقله القابسي عنه يكاد يكون بلفظه في بعض المواضع وبإختلاف يسير في مواضع أخرى كحذف السند عن رأى فقيه أو تغيير في العبارة دون إخلال في المعنى ، على أن القابسي لم يكتف بما أخذه عن كتاب "آداب المعلمين" بل نقل عن الفقهاء الذين أخذ عنهم سحنون وابنه كابن القاسم وابن وهب وغيرها.

فإذا كان لابن سحنون فضل الصدارة في تحرير كتاب خاص في تعليم الصبيان ، فللقابسي ميزة التوسع في هذا الموضع والإفادة في أبوابه المختلفة والترتيب الذي يدل على استقرار فكرة التعليم في الذهن والعمل على بيان السبل المختلفة المؤدية لتحقيق الغاية المنشودة منه ، فالقابسي يسجل في كتابه أحوال تعليم الصبيان في القرن الرابع ، وابن سحنون يدون هذه الأحوال في القرن الثالث.

---

(1) رسالة مفصلة في أحوال المعلمين والمتعلمين.
(2) رسالة الأهوان: التعليم ص٨٠.
(3) المرجع السابق ص٨٣.
(4) رسالة الأهوان: التعليم ، ص٢٨٧ ، أنظر: صبحي عيسى– الحضارة في غرب البحر المتوسط ص٣٤٥
(5) أنظر الأهوان: التربية من الإسلام ص٤٥

يختص كتاب القابسي في شئون التعليم المتعلقة بالصبيان فقط ، ويتعرض كذلك للمكان الذي يتلقون فيه العلم وهو الكتاب ، ولو أن المؤلف [1]جعل عنوانه "الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين من الصبيان" لكان ذلك منه فعلا في الإيضاح والبيان ، وللصبي سن يبدأ عندها في دخول الكتاب وسن ينتهي بعدها من التعليم في ذلك المكان ، لكن القابسي لم يحدد سن الدخول أو عدد السنين التي يقضيها الصبي وهي مدة الدراسة في الكتاب ، ونستطيع مع ذلك أن نتلمس زمن ابتداء التعليم ووقت انتهائه فيما يختص بالصبيان من ثنايا ما كتب.

ويقول القابسي [2] " وينبغي للمعلم أن يأمر بالصلاة إذا كانوا في سبع سنين ، ويضمهم إذا كانوا أبناء عشر" وكذلك قال مالك.

ونص الحديث كما أخرجه أبو داود "مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر".

ولا يستنتج من ضرب الأولاد على الصلاة إذا كانوا بنى سبع سنين ، أن سن التعليم تبدأ من ذلك الوقت ، وإن يرجح الباحث هذه السن دون غيرها ، والواقع أنه لم يكن هناك سن معينة يبدأ عندها في تلقي العلم ، وإنما كان الأمر متروكا لتقدير آباء الصبيان ، فإذا وجدوا أن الطفل بدأ في التمييز والإدراك دفعوا به للكتاب عن أبى بكر بن العربي قال: "وللقوم في التعليم سيرة بديعة وهي أن الصغير منهم إذا بدأ في التمييز بعثوه إلى المكتب [3]

ونحن نرجح أن هذه السن لم تكن محددة بين الخامسة والسابعة ، تبعا لإختلاف "تضج الصبيان وتقدمهم في الفهم والتمييز ،جاء عن القابسي" سأل مالك عن تعليم الصبيان في المسجد ، فقال لا أرى ذلك يجوز لأنهم لا يتحفظون من النجاسة "وفي موضع آخر" وإن كان صغيرا لا يقر فيه ويعبث فلا أحب ذلك. فالطفل الذي لا يتحفظ من النجاسة ولا يستطيع الإستقرار هو طفل دون السابعة في الغالب.

ويذهب الصبي مبكرا إلى الكتاب ، فيبدأ بحفظ القرآن ، ثم يتعلم الكتابة ، وعند الظهر يعود للمنزل لتناول الغداء ، ثم يرجع بعد الظهر ويظل حتى آخر النهار ، وبطالة الصبيان من بعد ظهر يوم الخميس ، وسحابة يوم الجمعة ، ثم يعود دون صباح السبت.

يتعلم الصبي مدة دراسته التي قد تستمر لوقت البلوغ أو بعده بقليل القرآن والكتابة والنحو والعربية ، وقد يتعلم الحساب والشعر وأخبار العرب ، على أن أهم ما يدرس الصبي هو حفظ القرآن على الطريقة الفردية أو الجمعية ، إذ يبدأ المعلم أو العريف بآية يرددها الصبيان من بعده ، ولكل صبى لوح يكتب فيه ، يثبت فيه ما يريد أن يحفظه ، ثم يمحوه ليكتب شيئا جديدا ، ولم يكن من اللازم أن يحفظ الصبي القرآن كله ، إلا إذ كانت تلك رغبة أبيه[4] دون الدرس والعلم ، أو هرب من أتعاب ، عاقبه المعلم بالنصح تارة ، والعزل والتهديد مرة أخرى والضرب تارة ثالثة إن لم تنجح النصائح ، ولم يجد التهديد.

وإذا أتم الصبي مرحلة تعليم الكتابة ، جاز إمتحانه فيما حفظ من القرآن وفي الكتابة وإختبار حفظ القرآن كله يعرف بالختمه.

وعندئذ إما أن ينقطع عن التعليم ويتجه إلى الصناعة التي يريد أن يزاولها لكسب المعاش ، وإما أن ينصرف لمرحلة أخرى من التعليم في الكتاب ، هذه هي الصورة التي ندركها من الإطلاع على كتاب القابسي على وجه الإيجاز ، وأركان هذه الصورة التي تتركب منها أربعة هي: الكتاب والمعلم والصبي والقرآن ، هذه العمد الأربعة هي الأساس الذي يقوم عليه التعليم الأولى كما وصفه القابسي ، وعلينا أن نبحث بعد ذلك أهذه الصورة مستمدة من

---

(1) أبو الحسن القابسي رسالة المتعلمين والمعلمين ص٣٧.

(2) الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين من الصبيان وهي فصل من رسالته المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين.

(3) كتاب أبي بكر العربي أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي ، جـ٢ ، ص٢٩١ ، مطبعة السعادة سنة ١٣٣١هـ بالقاهرة الأهواني: التربية في الإسلام ، ص٤٦-٤٧.

(4) أنظر : رسالة القابسي والأهواني : التعليم في رأي القابسي.

الواقع أم يصف فيها ما ينبغي أن يكون ، ثم نتبين إذا كان هذا النوع من التعليم إقليميا أم عاما [1].

وكان معلمو ذلك الوقت يتفاوتون من حيث الخلفية الثقافية ، فبعضهم لم يكن يعرف إلا القرآن والكتابة ، وبعض آخر تتسع ثقافته لمعارف أخرى غير القرآن ، فترتفع منزلته العلميـــة ، ومن حيث الوضع الإجتماعي للمعلم ، فإنه كان يتقاضى أجرا على عمله سواء مشاهرة أو مساناة حسب الإتفاق أو يترك هذا التقدير وفي أمر الصبي ،

ومن ثم فقد كان القيام بالتعليم وسيلة لكسب المعاش ، ويبدو أن أجر المعلمين لم يكن مرفعا بحيث يعنى المعلم أو يجعله بمنأى عن الإتيان ببعض الأعمال التي ينظر إليها المجتمع على أنها (نواقص) ، فقد يبعث المعلمون بصبيانهم إذا تزوج رجل أو ولد له "فيصيحون عند بابه ويقولون: أسنادا ، بصوت عال ، فيعطون ما أحبوا من طعام أو غير ذلك فيأتون به معلمهم [2] ، كما كانوا يستهدون آباء الصبيان في المناسبات الدينية ، وعند ختم الصبي للقرآن ، حتى أصبح ذلك بمثابة العرف المتفق عليه ، وينهي القابسي عن كل من هاتين الصفتين إلا أن يكون ثانيهما قد حدث "من غير مسألة" كما نص عليه سحنون [3]، ونفهم كذلك أنه قد جرت عادة المعلمين أن يقبلوا ، بل يأمروا صبيانهم بإحضار طعام أو غيره ، وهذا يوضح الحالة الإقتصادية في قابس من غنى وفقر وكذلك في بقية المدن [4].

كما كان هناك في أحواز قابس استعمل نوعا من الكتاب يسمى الشريعة (على حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه) فالجملة الكاملة هي محل تعليم الشريعة ، والشريعة - بهذا المعنى الخاص عبارة عن خيمة ممتازة وسط خيام الحى البدوى أى عبارة عن كتاب خيمي [5]. ففي العشائر الجبليه أو الصحراوية ينشئ رئيس الدوار خيمه للمؤدب يعلم فيه الأحداث من ذكور وأناث ، (بعد انتخاب من تتوفر فيه شروط المعرفة والثقة والقدرة على تعليم الأحداث) [6].

ويتداول بيوت العشرة إطعامه بالتناوب على طول العام ويعطونه معونات من حبوب وثمار أو بعض الأغنام كما يعطونه كسوة وهدايا في المواسم والأعياد ، ووجد عند البدو وظائف أخرى يؤديها لهم المؤدب مثل رقيه المرضى ، الوعظ والإرشاد ، كتابة رسائلهم وأحيانا الإمامة في الصلاة. وقد تنتج القيمة فتنتقل معها (الشريعة) [7]

الزوايـــا :

الزاوية مرحلة وسطى بين الكتاب الذي هو مدرسة ابتدائية عليا ووضعها مثل وضع الخانقاه الشرقية وانحصر دور الزوايا في مهمة تعليم الطالب وإيوائه من ناحية السكن والمأكل والملبس والتعليم على نفقة الزاوية.

---

(1) أنظر فؤاد الأهواني: التربية في الإسلام ، ص٥٣

(2) الأهواني: التعليم ، ص١٨١ ، ٢١٩، أنظر عبدالأمير شمس الدين: بين ابن سحنون والقابسي ص٥٣ وما يليها.

(3) السابق : ص١٨١

(4) لقد تطورت حالة الكتاتيب في إفريقية بعد ذلك بكثير في بلاد إفريقية في تقارير محفوظة في الأرشيف الوطني فيونس عن منطقة الأعراض وهي قابس وأحوازها ويتبع البواحث لتقرير منطقة قابس ذكر كتاتيب حاره قابس ومنزل قابس والزارات وزرف والحانة والمطوية وغنوس ومطماطـــه وتامرزت والزوارة وتاجور وبني عيسى وتوجان وبني عيسى وتوجان وبني زليطن وجرجيس وحدث أن تاجور كانت حالته من المعلـــم والمتعلـــم والملك بالنسبة لبني زليطن وأن تقرر مدنين لما تبعنا للقائد بمعلوماتها عن الكتاتيب في منطقتهـا. أما عن الكتاتيب الأخرى فقد آلت مما كتبها للزوايـــا وقليل منها للجوامع والمساجد والمدارس وجميعا ٣٤ كتابا كان إحدى عشر من المعلمين يعتمدون على المصاحف وهو ما يدل على عدم حفظـــهم للقرآن ومنعت هذه الكتاتيب ٨٠٢ تلميذا فقط. أنظر تقرير أواخر صفر ١٢٩٢هـ-أبريل ١٨٧٥ أ / د / ث القسم التاريخي كرتـــون رقـــم ٦٣ ملف ، وأنظر أحمد قاسم الكتاتية في البلاد التونسية بحث كراسات تونسية سنة ١٩٨٦ ص١٨٠ ومايليها.

(5) محمد بن تاويت: الأدب المغربي ص٦٢.

(6) عثمان الكعاك: مراكز الثقافة ص٦٦

(7) المرجع السابق ص٦٧.

الزوايا لها أنواع فنوع بسيط أو الزاوية البسيطة أي لا تنسب لطريقة أو لمذهب أو أن تكون علي ضريح أو ولي من أولياء الله وإنما هي عبارة عن مجموعة من الأبنية البسيطة لبيت الطلبة وتعليمهم أي عده غرف حول صحن كبير ، فتكون من الكتاب وغرفة التدريس ومكتبة وجامع مع المرافق للازمة. وأحياناً يكون هناك أرض حجوارها حباً عليها (وقفا عليها) لتعيش منها ومن وعدات الأهالي ونذورهم وما إلي ذلك [1] وهناك نوع آخر من الزوايا وهي أن تكون علي ضريح أو تابعة لولي من أولياء الله الصالحين فتكتسب سمعة جيدة وتكثر إيراداها من زوارها ونذورهم وشيئا فشيئا تتحول إلي مركز عمراني كبير [2] وهذا موجود بكثرة في قابس وتستطيع الباحثة أن تقول أن نمو عمران قابس عشوائياً كان ذلك أحد أسبابه مثل زاوية سيدى علي النوري العثماني في وبعض جارة القديمة [3] وزاوية سيدى المشيرفي في الشمال الغربي من ربوة خزنة المياه في قابس [4] كما توجد علي طريقة المار بجارة زاوية سيدى بن عيس [5] وزاوية سيدى القبطوني [6] وزاوية سيدى عبد النافع حيث ينعطف سور المدينة شمالا إلي بابها [7] وكذلك زاوية سيدى الفرجاني وقد بنيت في عهد متأخر(عهد البايات في تونس)[8] وغيرهم.

زوايا الطرق :

وهي التي تكون علي طرق القوافل والتعليم هو برنامج الدراسي الموحد بين عموم الزوايا وهي تجمع بين العمل والتعليم ويعني أن فيها مهمة البريد إذا لزم الأمر و انزال المسافرين إلي دار التصنيف أو الفندق ونسخ موطأ مالك وأجزاء القرآن الكريم [9] وترتيب أناشيد وأحزاب خاصة بها وتكتمل من زاوية إلي أخرى بنفس الطريقة حيث أن التعليم موحد فيها كما ذكرنا.

المدارس :

لم نطو المدرسة تعليمي أو مؤسسة ذات نظام تعليمي أدارى معين لها إلا في مطلع القرن الخامس من الهجرة في الشرق ثم امتدت بعد ذلك المدارس إلي الغرب الإسلامي وأنحاء العالم [10] وقد بدأت بنفس نظام الكتاب أى في مكان متفق علية أو في دار المعلم وكل النظام دون تدخل الخلافة إلي أواخر القرن السادس من الهجرة وأوائل القرن السابع فقد ذكر لنا الغبريني [11] والونشريسي [12] عن أخبار مدارس وفتاوى تخص التعليم ومعلمي المدرسة في سلاوتلمسان وكان يعقوب المنصور الموحدى بين مدرسة سنة٥٩٣ هـ ١١٩٦ م في ولاية سلام [13] انتشرت المدارس بعد ذلك في جميع أنحاء المغرب فإنشاء الحفصيون في بلاد أفريقية أول مدرسة ثقافية [14] وفي قابس كان ابي لبابه الأنصاري ومدرستة يؤديان دورهما

(١) أنظر للكمال : مركز الثقافة ص ٥٣
(٢) الكمال:مراكز الثقافة ص ٥٣
(٣) المزوروقي:قابس ص٣٩
(٤) المرجع السابق ص ٦٨
(٥) نفس المرجع ص ٦٨
(٦) نفس المرجع ص ٣٤
(٧) نفس المرجع ص ٦٦
(٨) نفس المرجع ص ٣٥
(٩) الكمال: مراكز الثقافة ص ٥٧
(١٠) انظر: أحمد فؤاد الأهوان: التربية في الإسلامي ص ٧٣-٧٥ وانظر خوليان ريسرا : التربية الإسلامي في الأندلس ط دار المعارف ط ص ١٣٥-١٤١
(١١) الغبريني عنوان الدراية ص ١٠٠ - ١٠٢
(١٢) المعيار المعرب ص ٧ ص ١٤٣
(١٣) الغبريني ص ١٠١
(١٤) ابن ابي دينار المؤنس ص ١٥٦

التعليمي في تثقيف أهل قابس [١] وكان مثله مثل باقي المساجد كان تعقد فيه حلقات تعليم الكبار ومجالس العلم [٢] محبه في العلم ثم ما لبث أن أصبح يضم ملاحقاً وفروعا وأروقة وقد زاره القاضي المطرف بن عميرة بعد تعينه قاضي علي قابس واحدارها ووصفه في قصيدة شعرية بديعة [٣] ومهما كانت الصلة بين الجامع والمدرسة فإن المدرسة لخدمة طلاب العلم وكان متوازيين في الصلة بينهما ولم تذكر لنا أى من المصادر أي تدخل بين الجامع والمدرسة.

المساجد :

المسجد هو المركز الأول للإشعار الروحي والعلمي لأنة مكان العبادة والتعلم ، وموطن التذكر والتفقيه والتوجيه ، ولم تكن رسالة المساجد في الإسلام مقصورة علي الناحية الدينية وحدها ، بل كانت المساجد ولاتزال فتحة الأبواب لا يرد عنها طالب علم ، أو قاصد ثقافة ففي مسجد الرسول الله (صلي الله علية وسلم)أقام المهاجرين وفيه استقبل الرسول علية الصلاة والسلام الوفود وفيه أطلقت البعوث ، وأرسلت الجيوش ، نعم لقد كان المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام مكانه للعبادة والاعتكاف، وكان التعليم والتوجيه ومحل تشاور المسلمين ومقر القيادة العسكرية وعقد الألوية للجيوش المجاهدة في سبيل الله مكاناً للقيادة واستقبال الوفود القادة علي الرسول صلي اله علية وسلم واعية في دخول الإسلام هذه هي خليفة المسجد وظيفة المسجد في كل زمان وهو المدرسة ففي المسجد كل علم ينفع الناس من علوم القرآن وعلوم السنة والشريعة واللسان وسنن الله في الأكوان وكل علم يحتاج إلية الأمة الإسلامية يكون تعلمه فرد كفاية في نظر الإسلام وعلي ذلك بني مسجد عقبة بالقيروان ومثله كل مساجد أفريقية [٤] فكان الصحابة العلماء يذهبون للفتوحات ونشر الثقافة الدينية وتعاليم الإسلام في كل البلاد التي يفتحونها وأخذ عنهم أهل الأمصار المختلفة وارتحل الكثير من العلماء للتفقه في الدين وجمع أحاديث الرسول علية الصلاة والسلام وكثير طلب العلم إذا كانت هناك حركة مستمرة للعلماء [٥] ونتيجة لتركز الحركة العلمية الثقافية علي الناحية الدينية بالأقصى أصبح المركز الأساس والرئيسي للثقافة والمعهد الأول للتعليم ومكانة العبادة إلا و هو المسجد.

ولقد كان التعليم أول الأمر بقابس بالمسجد الجامع [٦] وتليه المساجد الأخرى كمساجد الأربطة علي طول الساحل [٧] (ساحل خليج سرت الصغرى أو ساحل قابس يعطي ذلك)وقد صار فيما بعد المسجد الجامع في قابس فرعاً أساسيا للجامع الأعظم في القيروان (جامع عقبة) حتى أنه بنى على غراره [٨] وأصبح مركزا دينيا واجتماعيا رئيسيا في قابس ، ومقرا للفصل في القضايا وحلف اليمين ومثله مثل جامع ومثله مثل جامع سوله على سبيل المثال كان يحلف فيه الخصوم بين يدى القضاة[٩].

---

(١) العياش رحلة العياش ص ١٠١-٦٢

(٢) المصدر السابق نفس الصفحة

(٣) التجاني حيث أوردها في حديثه عنه وعن قابس ص ١٠٩

(٤) انظر عبد العزيز اللميلم : رسالة المسجد في الإسلام ط بيروت ط ٣-ص ١٠٦ ٢٧٠

(٥) انظر سيدة كاشف : مصر في فجر الإسلام ط الهيئة العامة للكتاب

(٦) التجاني: ارحلة ص ٢٤-٩٦

(٧) المصدر السابق ص٢٤-٩٧

(٨) Marcais: Archilecture Musulmana. J.78.وأنظر الفصل الأول من هذه الرسالة

(٩) الونشريسي : المعيار المعرب... ج٣ ص١٥٩

المسيد:

يسمى معهد التعليم الإبتدائي عند الحضر في المدن أو القرى أو المدائن الجبلية أو الصحراوية مسيدا أو مكتبا فكلمة تحريف بربرى لكلمة مسجد وتميز لها لتباين المعقد بين المسجد الذي هو محل الصلاة والسيد الذي هو محل التعليم ويوجد غالبا ملحقا بالمسجد أو لجزء منه ويكون غالبا لكل مجموعة ذات خمسين دار مسيد، أى عند نهاية الشارع وتقاطع الطرق فلا تشق المسافة بين الدور والمسيد على الطفل الصغير، ولا تعسر مراقبته ويكون عند ذهابه وإيابه بمرأى من شيخ الحى وأصحاب المحلات وهذه المراقبة بطريقة لطيفة وقائمة فالطفل دائما هو رأس مال منطقته وقد يكون غدا شاعر الحى أو فارسه أو عظيمة ويتكون المسيد في طابقه الأسفل من ميطأه ومسجد صغير ليتعلم الأطفال الوضوء والصلاة كذلك محاط بحديقة صغيرة يلعب فيها الصغار ويتدربون على الفلاحه والطابق العلوى يحتوى على اللواح والمحايات والصلصال ......الخ أى نفس نظام الكتاتيب [1]

لقد أنشأ البربر المسيد وعلموا العربية بالبربرية وعلموا فيه القرآن عربيا مبينا وشرحوه بالبربرية وترجموه إليها، وكان معظم ابربر من الخوارج فكانت مساجدهم التعليمية على النظام الخارجى فقد انتشرت هذه المذاهب الخارجية وبخاصة مذهب الأباضية في قابس وفي جنوبها وباديتها وجزيرة حرية كل إلى الجنوب من طرابلس والأباضية لهم نظام خاص بالتعليم بالنسبة للأطفال وبالنسبة للمراءه والشباب ويوجد نظام العزابه وهو نظام تعليمى بقدر ما هو نظام إجتماعى في نفس الوقت وقد اهتم شيوخ العزابة بالتعليم بوضع مناهج دراسية وشروط لحلقة التعليم وأهل الحلقة الأباضية صنفان: آمر أى شيخ الحلقة أو نائبه والعريف الذي هو صنفه عريف منفرد وغير منفرد أما غير الأمر فهو المأمور ويقصد بذلك الطلبة أى الذين يتلقون الأوامر [2].

الأربطة :

الأربطة جمع رباط وهو بمعنى: ملازمة ثغر العدى وتعنى أيضا المحافظة على أوقات الصلاة ، وفسر الطرطوشى هذا المعنى في تفسيره للآية الكريمة "ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون" [3] ، إذ أوضح أن للجهاد في الآية معنيين ، الأول المحافظة على أداء الصلوات [4] ، والثاني هو الجهاد وهو المعنى الأكبر لهذه الكلمة ، كما جاء من القرآن الكريم في قوله تعالى: "واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم" [5]

والرباط ، مصدر "رابط" أي لازم [6] بمعنى الإقامة وملازمة الرباط ، وهو منشأة دينية إسلامية تقام على السواحل وخاصة على خليج سرب الصغير (قابس) بصدر درء خطر العدو ودفع أذاه عن أراضى المسلمين.

والرباط أو المرابطة، أي ملازمة ساحل العدو، وأصله أن يرابط كل واحد من الفريقين خيله/ ثم صار لزوم الساحل رباطاً وملازمة أسمه مرابط [7]

وقد ظهر الرباط تدعيماً لفكرة الجهاد التي دعا لها الإسلام، حيث يمزج الرباط بهذه الفكرة امتزاجاً شديداً، ويعد جزءا منه، وقد حرص الإسلام على الجهاد فدعى إلى الجهاد والمثاغرة،

---

(1) أنظر الكعاك : مراكز الثقافة ... ص ٦٧-٦٨.

(2) في ذلك انظر المزيد من التفاصيل:

(3) القرآن الكريم: صورة آل عمران ، آية ١٩٩.

(4) الطرطوشي: سراج الملوك ، ط . بيروت ، ص٩٧.

(5) القرآن الكريم : سورة الأنفال ، آية (٦).

(6) ابن منظور : لسان العرب ، مادة (ربط).

(7) المرابط هو مفاعل من الرباط، وهو ملازمة ثغر العدو، وهو من الألقاب التي ظهرت كصدى لبعض مظاهر النهضة السنية التي قامت على أكتاف السلاجقة في المشرق، وتبعها من بعدهم الأتابكة، ثم ما لبث أن انتقلت للمغرب، انظر "حسن الباشا" الألقاب الإسلامية ص ٤٦٦.

وقد ورد في فضلهما أحاديث كثيرة عن رسول الله فقد روى مسلم في صحيحة عن سلمان الفارسي أن النبى قال: "رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطاً مات مجاهداً، وأجرى عليه رزقه من الجنة وأمن الفتان [1]، وعنه أيا أنه قال: "كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطاً في سبيل الله فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامه [2]، وغير ذلك من الأحاديث التي تعظم فضل الجهاد وتجزل العطايا من الله- سبحانه وتعالى- للمرابطة [3]

والمرابط داخل الرباط غالباً ما يكون متطوعا في سبيل الله، لا يبتغى من وراء مرابطته سوى وجد الله تعالى، وهو في أثناء مرابطته يحرص على الالتزام بالعبادة والطاعة لله، وكان بعض المرابطين يسكن بأهله الرباط، ولكن الفقهاء في حكمهم للرباط والمرابطة في سبيل الله يرون أن الرباط شرعا هو الإقامة في الثغور لحراستها، فمن سكن الثغور بأهله فليس بمرابط [4]، فيحين أن الإمام مالك أجاز للرجل أن يسكن الرباط بأهله عندما سئل عن ذلك، بقوله : "لا بأس بذلك" [5] ، وقد يطلق على الرباط كلمة قصر [6] حيث اشتهرت هذه المؤسسات التي عرفت بدور المرابطين باسم القصور، مثل قصر الطوب، ورباط البحر وفيه مسجد الصهريج [7]، ورباط الحامة على خليج قابس قرب صفاقس وقصر قابس ، وهناك الربط التي أقامها الأفراد مساهمة منهم في الجهاد وتحصين السواحل على خليج قابس ومن أشهر تلك الربط " قصر طبنة " وقصر نقطة" ووصفهما بأنهما "قصران عامران" [8]، إلى جانب "محرس بطوية" الذي كان يتميز بوجود منارة عالية يصعد إليها عبر برج من مائة وست وستين درجة [9]، و "محرس جبلة"، و"محارس أبى الغصن"، "ومعمداس" و"اللوزة" و"الريحانة" [10] وعلى مقربة من قابس توجد أنقاض أحد المحارس القديمة وهو يعرف ببرج خديجة [11] وله منار عال، ويقرب قابس كان هناك "قصر قابس" [12]، هذا بالإضافة إلى مجموعة من الربط والقصور المقامة في العصر الأغلبى على الساحل للجنوب من مدينة تونس، ومن أهمها "رباط الحمة" [13]، و"قصر أقليبية"، و"قصر المدفون" [1]، وقصر الفورتين ، وقصر سلقطة ، ومصر قبوذية

---

(1) ابن تيمية: مجموع فتاوى أحمد بن تيمية، جمعها ورتبها عبد الرحمن من محمد الحنبلي، ج ٢٨ الخاص بالفقه والجهاد، مكتبة ابن تيمية، ط ٣، ١٤٠٦ هـ ، ص ٦.

(2) الحسن بن عبد الله: آثار الأول في ترتيب الدول، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٩٥ هـ ص ١٦٦.

(3) عن الأحاديث في فضل المرابطة: أنظر محمد بن أبي زيد: الرسالة، دار الهلال، بيروت، د.ث ص ٩٧/٩٦، أحمد شلبي: موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، ج ٩، مكتبة النهضة المصرية، ط ٣١٩٨٣، ص ٨٠.

(4) الدباغ: معالم الإيمان، ج ١، ص ٩

(5) سحنون: المدونة الكبرى، ج ٣، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٢٣هـ، ص ٦/٥.

(6) القصر: المراد به البناء المشيد العالي وأصله الحبس لقوله تعالى "حور مقصورات في الخيام" أى محبوسات فيها، البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص ١٩٦، الشحان، ص ١٨٠

(7) الفريق: عنوان الدراسة ص ١٧٨،٦٣

(8) الشحان: الرحلة، ص ٨٤ ١٠٤- البكرى: المغرب، ص ٢٠

(9) عن محارس صفاقس، أنظر: ابن حوقل صورة الأرض ٧٠، البكرى: المغرب ص ٢٠، الإدريسي: نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٢٨٠.

(10) هي خديجة بنت أحمد بن كلثوم المعافرى، وكانت شاعرة مشهورة، وذكرها ابن رشيق في كتابه "النموذج"، وقد ذاعت شهرتها في القرن الرابع الهجرى بسبب أشعارها في حبيب لها يدعى أبا مروان عبد الملك بن زيادة الله، وقد رفض أهلها زواجها من حبيبها- أنظر: حسن حسنى: شهيرات التونسيات، ص ٥٣.

(11) يرجح حسن حسنى عبد الوهاب أن يكون سبب تسمية هذا الحصن راجعة لهذه الشاعرة حيث يرجح أن يكون أهلها قد سكنوا المنطقة المجاورة للحصن وعندما ذاعت شهرة خديجة أطلق اسمها على الحصن حسن حسنى : المرجع السابق، ص ٥٤

(12) البكرى: المصدر السابق، الإدريسى: المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٩، ياقوت: معجم البلدان، ج ٤، ص ٢٨٠.

(13) البكرى: نفسه، ص ٨٤، الحميرى: الروض، ص ٤١٥/ ١١٠- الشحان: المصدر السابق، ص ١٨

أقليبية"، و"قصر المدفون" [1]، وقصر الفورتين ، وقصر سلقطة ، ومصر قبونية ، وقصر الجرف ، وقصر الروم [2]

إلى جانب الكثير من قصور المرابطة التي انتشرت على بقية ساحل قابس أنشأت في العصر الأغلبي أمثال "مصر مرسى الوادى" ، و"قصر النخلة" ، و"قصر صالح" ، و"مصر بنى مأمون" ، و"قصر الهرى" ، و"قصر جرجيس" ، و"قصر شماخ" و"قصر ينقة" [3] ، و"قصر جبل التوبة" ، و"قصرجمة" ، و"قصر الديماس" [4] ، و"قصرزرمدين [5] ، وغيرهم من الربط ، وهكذا كانت الربط كثيرة العدد ومتنوعة الإنتشار على طول ساحل قابس في العصر الأغلبي.

مساجد لها وظيفة الربط أو الأربطة :

كان من اهتمام الأغالبة بالربط أو الرباطات والتوسع إقامتها أن بنوا مساجد كثيرة على طول ساحل قابس، كان الغرض من إنشائها أن تؤدى نفس المهمة التي تقوم بها الربط، حيث إنهم أقاموا هذه المساجد على ساحل البحر، وكانت تتميز بمنارتها العالية التي تجعل الموجود داخلها يشرف على البحر ويراقبه وكان بذلك يجمع بين العبادة ومراقبة البحر، وقد ذكر الرحالة التجانى [6] هذه المساجد بقوله "..... وعلى الساحل بطولة مساجد كثيرة وهي مساكن للصالحين، والساكن بها يجمع بين الاحتراس ومجانبة الناس وأكثرها من مبانى ابن الأغلب ومسجد أجاص التي زارها التجانى [7] وقال "رأيت فيها مسجداً يذكر أهلها أن لها فضلاً مشهوراً عندهم وأن الدعاء مستجاب عنده وقد أظهر بعد فلازم به الرباط".

الأربطة كمراكز للعلم:

لما أخذ فقهاء المالكية ينشرون مذهبهم وعلومهم للناس بعد أن ثبتت أقدامهم. لم تكن المساجد الجامعة أو الزوايا أو المدارس هي أماكن نشر علومهم مذهبهم فحسب بل لقد امتدت أنشطتهم إلى الأربطة (أو الربط) فجلسوا للتدريس والتعليم في جنباتها وبذلك أصبحت للأربطة وظيفة أخرى لا تقل أهمية عن وظيفتها الحربية وأخذ الناس يقصدونها لا للجهاد فقط بل لتحصيل العلم أيضا [8] حيث تدرس بها العلوم النقلية (الدينية واللسانية) وكان المجاهدون والمرابطون ينقطعون فيها للعبادة والعلم إلى جانب الحراسة وبذلك احتوت هذه الأربطة على الكثير من المرابطين والعلماء والعاملين، وكانت العلوم متشابه في كل الأربطة فهي العلوم الدينية مثل الحديث والفقة والعلوم اللسانية والتعليم [9] مثل اللغو والنحو والبيان وغيرها بالإضافة إلى بعض العلوم الأخرى كتعلم الطب [10] والإسعافات المختلفة لذا نجد المرابط إلى جانب الجهاد العسكري كان لديه جهاد آخر لا يقل أهمية وهو طلب العلم فكان يدرس العلوم المختلفة

---

(1) عن هذه القصور انظر: البكرى: نفسه، ص ٨٤،٨٥

(2) هذا القصر مازال موجودا لليوم بالقرب من بلده الحرس بين صفاقس وقابس ، وهو حصن بيزنطى قديم كان يعرف باسم Younga وممن رابط بهذا الحصن أبو خارجة عنبة بن خارجة الغافقي– المعروف عند الأهلي باسم (سيدى ، عنبه) – وقد أقام مرابطا بالحصن إلى أن مات فدفن بجواره (سنة ٢١٠ هـ/سنة ٨٢٥م) – أحمد مختار العبادى: دراسات في تاريخ المغرب ، ص٢٩٢ ، ورابط به واصل بن عبد الله اللخمى من أصحاب محمد بن سحنون.

(3) أنظر: ترجمته في الدباغ ، معالم الإيمان ، جـ(٢) ، ص٨٥

(4) الإدريسى: نزهة المشتاق ، مج (١) ، ص٣٠٣.

(5) هو رباط يقع بالقرب من القرية المعروفة بأسمه (قرية زرمدين) ، وكان هذا الحصن ميناء أسفله بالحجارة وأعلاه بالطين، وكان السكان يلجأون إليه ويتحصنون فيه عند هجوم قرصان الفرنجة عليهم، التجانى: الرحلة، ص ٥٥–٥٦، حسن حسنى عبد الوهاب: الورقات، ج (٢)، ص ١١٠

(6) التجانى: المصدر السابق، ص ٢٢، ص ١١٢

(7) المصدر السابق نفس المكان

(8) حسن محمود: قيام دولة المرابطين ط، ص ١٣٢

(9) ابن خلدون المقدمة ص ٤٣٥-٤٣٦

(10) ابن خلدون المقدمة ص ٤٣٥- ٤٣٦

كالحديث والتفسير والفقه وبخاصة الفقه المالكى [1] والتزموا في علي التفسير بكل ما هو مأثور عن النبى (عليه الصلاة والسلام) ويبتعدون عن التأويل والرأى والقياس اقتداءا بإمام مذاهبهم : مالك بن انس [2] (سنة ١٧٩هـ -٧٦٥م) إلى جانب دراستهم لموطأ مالك درسوا مدونه ابن سحنون وأسد بن أسد بن الفرات وغيرها من الكتب السنة على يد علماء المذهب مثل سحنون بن سعيد (سنة ٢٤٠هـ -٨٥٤م) وابنه محمد (سنة ٢٥٦٠هـ- ٨٦٩م) ويحيى بن عمر (٢٨٩٠هـ - ٩٠١م) وهذا على سبيل المثال [3] أما عن طريقة التعليم في هذه الأربطة. فالفقية أو الشيخ المرابط الذي يعلم يجلس على حصير أو سجاد وأحيانا على كرسي وحوله في حلقة بمجلس الدارسين من المرابطين ينصتون في صمت وقبل أن يدخل في الدرس كان على الشيخ أن يقرأ البسملة والحمد لله. والصلاة على رسول الله ثم يقرأ ما تيسر من آيات القرآن وبعض الأحاديث النبوية الشريفة [4]. وكان التدريس أما عن طريقة الأمالى أن الطلبة يسجلون ما يقوله الشيخ مسألة (كما الإملاء) ويقرأها الشيخ بنفسه ويصحح أخطاءها ثم يوقع الشيخ أو يختم على كلامة وهذا الختم يبيح للطالب أن يروى ذلك العلم [5] أما أن يكون العلم من كتاب مقرر معين على الطلبة.

وبعد انتهاء الدرس والشرح بختم الشيخ بقوله : والله ورسوله أعلم ثم يقرأ الفاتحة وينصرف الطلاب بعد ذلك [6] وقد ساعد علي ازدهار العلوم احتواء كل رباط علي مكتبة كبيرة اشتملت علي كثير من المؤلفات الأصلية من أمهات الكتب حيث كان المؤلفون يحسبونها علي هذه الأربطة مما ساعد علي ثراء وازدهار العلم [7] وسوف نجد هذا النظام في رباط البحر على ساحل قابس ورباط القصر بالحامة ومسجد الصهريج برباط البحر وغيرهم [8] كان نتيجة لاضطراب الأوضاع نتيجة الانتشار المذاهب الخارجية كالصفرية والحشوية والاباضية [9] أن تسبب فوضي وأدى إلي اعتزال الناس واعتمادهم بالدين الإسلامي بحثا عما يعصمهم مما يحيط بهم ومن هنا نجد أنه قد ظهر الزهد والتصوف وارتبطا بالأربطة حيث زهد الرابطين وتصوفوا انصرفوا إلى الجهاد بشتيه. جهاد النفس وجهاد الدفاع عن الوطن والزهد هو أول درجات التصوف التي وعت تعريفات تثيره تفسير فقد قال عنه معروف الكرخى [10] التصوف الأخذ بإحقاق واليأس بها في أيدي الخلائق، ممن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف، بينما وجد ابن خلدون [11] صعوبة في تفسير التصوف.

علماء قابس ودورهم في الحياة الثقافية:ـ

أبو لبابة الأنصارى

هو بشير بن عبد المنذر أبو لبابة الأنصارى الأوسى وهو من بني عمرو بن عوف ثم من بني أمية بن زيد [12]أو من بنى زيد بن مالك.وأبو لبابة بن المنذر وإسمه بشير [1] وهو بشير

---

(1) ابن فرحون: الديباج المذهب " ط١ جـ ١ ص ٨٢-١٣٥

(2) أبو العرب: فهم طبقات علماء افريقية ص ١٠٦-١٠٩ الدباغ : معالم الايمان جـ ٢ ص ٥١-٥٩

(3) المصدران السابقان نفس المكان

(4) عيا ض: المدارك جـ ٣ ص ١٠٠

(5) محمد عادل عبد العزيز : التربية الاسلامية في الغرب وأصولها ط القاهرة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م ص ٢٣- ٢٤

(6) المرجع السابق ص ٢٥

(7) الكمال مراكز الثقافة ص ١٧

(8) الغبريني عنوان الدراسة ص١٩٨

(9) الوسياني السير: ورقات ١٦-٤٨-٥٦

(10) أبو محفوظ بن فيروز الكرخى كان شيخا معروفا بالورع والتصوف مكان استاذا لسرى السقطى وصحب داوود الطائر وتوفى ببغداد سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م لمزيد من التفاصيل انظر : أبي عبد الرحمن السلمي: طبقات الصوفية تحقيق نور الدين شريبة ط القاهرة ط ٣ ص ٨٣- ٨٥

(11) المقدمة: فصل عن التصوف لمزيد من التفاصيل أنظر محمد بركات البيلى الزهاد والمتصوفة في المغرب والأندلس ط دار النهضة ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م

(12) ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ١ ص ٢٣٣ ترجمة رقم ٤٦٢ ب د ع

ابن عبد المنذر بن زيد بن أمية بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك من الوس وقيل إسمه رفاعة وهو بكنيته أشهر [٢] لكن ابن السالب الكلبى [٣] يعد لنا إثنين إبنان للمنذر بن زنبر (يبدو أنهما أشقاء للبابة) الأول رفاعة بن المنذر بن زبير بن زيد بن أمية شهد بدرا والعقبة الآخرة وقال يوم خيبر والثانى مبشر بن عبد المنذر شهد بدرا وقتل يومئذ [٤] ومن أخبار أبى لبابة الأنصارى مع الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) يحدثنا ابن الأثير [٥] :

أخبرنا أبو البركات الحسن بن محمد بن هبة الله بن عساكر ، أخبرنا أبو العشائر محمد بن الخليل بن فارسى القيس حدثنا أبوالقاسم بن محمد بن أبى ثابت حدثنا محمد بن حماد الظهرانى أخبرنا سهل بن عبد الرحمن أبو الهيثم الرازى عن عبد الله بن عبد الله ابن أوس المدينى عن عبد الرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب عن أبى لبابة قال:

"استسقى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يوم الجمعة فقال أبو لبابة إن التمر في المربد [٦] ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الله اسقنا في الثالثة ، حيث يقوم أبو لبابة عريانا فيسد ثعلب [٧] مربده بإزاره فقال: فاستهلت السماء فمطرت مطرا شديدا وصلى بنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فطافت الأنصار بأبى لبابة يا أبا لبابة إن السماء لم تقلع حتى تقوم عريانا فسد ثعلب مربده بإزاره.

ضرب له رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بسهمه يوم بدر [٨] وعندما استعد رسول الله صلى الله عليه وسلم للخروج لغزوة بدر الكبرى التي كانت أول معركة من معارك الإسلام الفاصلة - جهاز الجيش وتم توزيع القيادات ، واستخلف (صلى الله عليه وسلم) على المدينة وعلى الصلاة ابن أم مكتوم [٩] ، وسار أبو لبابة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يريد ردرا ، فرده في الروحاء [١٠] واستخلفه على المدينة وضرب له بسهمه وآجره وكان كمن شهدها [١١] وهو أحد النقباء. ولقد كان أبو لبابة الأنصارى من الأمثلة الخالدة للذين خافوا مقام ربهم وأيقنوا إن الله سبحانه وتعالى يعلم ما في نفوسهم فكانوا منه على خوف وحذر - وذلك أن الرسول الكريم (صلوات الله عليه وسلم) لما فرغ من غزوة الأحزاب [١٢] - ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفي الله المؤمنين القتال" أخذ يفكر في موقفه من اليهود لقد أذهب الله عنه أعداءه الذين هددوه بالمدينة.

وتحزبوا في جيش عدته عشرة آلاف مقاتل للقضاء عليه وعلى دعوته، لكن اليهود في بنى قريظة نقوا العهد وتحالفوا مع الأحزاب د المسلمين ولولا ارتحال الأحزاب تحت وطأة الرعد القاصف والريح العاصف لنزل اليهود إلى المدينة ولطعنوا المسلمين من الخلف ... وكان لابد

---

(١) الكلبي:ابن المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى (ذ/٢٠٤ هـ)جمهرة النسب جـ ٣ صـ ٦٢٤ ط بيروت/ ١٤٠٧هـ ١٩٨٦ ط١ ج ٣ ص ٦٢٤

(٢) بن الأثير : مصدر سابق نفس الجزء والصفحة.

(٣) المصدر الجزء والصفحة

(٤) المصدر الجزء والصفحة

(٥) أنظر: أسد الغابة نفس الجزء والصفحات

(٦) المربد: موضع يجفف فيه التمر.

(٧) ثعلبة: أي ثقبه الذي يسيل منه ماء المطر.

(٨) ابن السائب الكلبي: جـ٣ ص٦٢٥

(٩) صفي الدين البار كفوري: الرحيق المختوم (بحث في السيرة النبوية فائز بالجائزة الأولى لمسابقة السيرة النبوية التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي).

(١٠) الروحاء : موضع بين الحرمين على بعد ٣٠ أو ٤٠ ميل من المدينة ، أنظر الأثير.

(١١) أسد الغابة في معرفة الصحابة نفس الجزء والصفحة.

(١٢) قبل غزوة الأحزاب ساد المدينة الأمن والسلام واطمأن الرسول ومن معه أن قريشا أمامها فترة طويلة حتى تستعيد قوتها وأنه نجح في بسط السلام حول المدينة وكسر شوكة الأعراب حولها ووجد الرسول الكريم ومن معه الفرصة لنشر الإسلام وبخاصة أن مجرى الأحداث تحول لصالح المسلمين لكن اليهود شرعوا في التآمر مرة أخرى على المسلمين ... أنظر: بن هشام المعافرى (د/٢١٣هـ) مختصر السيرة ابن هشام القاهرة ١٤١٤هـ-١٩٦٤م ط١.

من إلقاء على بني قريظة بما فعلت .. وسار إليهم المسلمون يتقدمهم على كرم الله وجه- استجابة لأمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الذي أمر مؤذنا يؤذن في الناس: من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة. وبعد ذلك حاصر المسلمون بني قريظة واشتدوا فيه خمسة وعشرين ليلة حتى أهدهم وقذف الله في قلوبهم الرعب [1].

وأيقنت بنو قريظة أنه مهما كانت عندهم من حصون فلن تمنعهم من الله، ثم من قبضة المسلمين مهما طال الحصار. وأيقنوا أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) غير منصرف عنهم، حتى يناجزهم. قال كعب بن أسد لهم: يا معشر اليهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وأني عار عليكم خلالاً ثلاثاً: فخذوا أيها شئتم. قالوا: وما هي؟ قال: نتابع هذا الرجل ونصدقه فوالله لقد تبين لكم إنه نبى مرسل، وأنه للذى تجدونه في كتابكم، فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم.

قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبدا، ولا نستبدل به غيره، قال: فإذا أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج لمحمد وأصحابه مصلين السيوف، لم نترك وراءنا ثقلا، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك، ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه وأن نظهر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء [2] قالوا : نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم؟ قال: فإن أبيتهم علي هذه، فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها فأنزلوا لعلنا نصيب من محمد غرة.

قالوا نفسد سبتنا علينا، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد غلبت [3] فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ [4] ! قال: ما بات رجل منكم منذ ولانته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما [5]، ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يرسل إليهم أبا لبابة ليستشيروه في أمرهم- وقد اختاروا أبا لبابة لهذا الأمر لأن ماله وولده فهم وكذلك لإنه كان من قبيلة الأوس التي كانت من حلفاء قبيلة بنى قريظة [6]. فلما رأوه قادما عليهم أسرعوا إليه وقاموا إليه رجالا ونساءا وأطفالا جهشوا وظلوا يبكون في وجهه [7]وقالوا له : يا أبا لبابة: أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم وأشار بيده إلى حلقه يريد أن النبى (صلى الله عليه وسلم) سيذبحهم إن نزلوا على حكمه [8]هذه الإشارة العابرة أيقن أبوا لبابة إنه بهذه الإشارة العابرة قد خان الرسول الكريم صلوات الله عليه وأن هذه الحركة السريعة انطوت على تحري لليهود يدفعهم إلى التمرد على أمر الله فلا ينزلون الله ورسوله ويقول أبو لبابة: "والله مازالت قدماي من مكانهم حتى علمت أنى خنت الله ورسوله [9] ثم يمعن أبو لبابة في التعبير عن خلجات نفسه في هذه اللحظة فيقول:ثم ندمت واسترجعت ، ولقد نزلت وأن نزلت وأن لحيتي لمبتلة من الدموع ، والناس ينتظرون رجوعي إليهم ، لكني ما رجعت بل أخذت من وراء الحصن طريقا آخر حتى جئت المسجد حيث ربط أبو لبابة نفسه في عمود من عمد المسجد وقال لا أبرح مكاني هذا حتى أموت أو يتوب الله علي مما صنعت..أعاهد الله ألا تطأ قدماي أرض بني قريظة أبدا ولا أرى في بلد خنت فيه الله ورسوله [10] ومكث أبو لبابة مشدودا برباطة إلي العمود لا يفارقه إلا لصلاة يؤديها أو لضرورة ينحيها عن نفسه ثم يعود

---

(1) المصدر السابق نفس الجزء صـ ٢٤-٢٥ وانظر أحمد البسيوني: أبو الأنصارى/ مجلة منبر الإسلام عدد ١٢ السنة ٢٣/ مجلد ٣/ سنة ١٩٦٥ ص١٠٩

(2) مختصر سيرة ابن هشام نفس الجزء صـ ٢٥

(3) نفس المصدر والجزء والصفحة

(4) المسخ هو تحويل الثورة البشرية إلى صورة أخرى أقبح نفس المصدر والجزء والصفحة هامش ٣

(5) نفس المدر والجزء والصفحة

(6) انظر : منبر الاسلام مرجع سابق نفس المجلد والجزء والصفحات

(7) جهش/ بكاء بصوت عالى انظر مختصر سيرة هشام مصدر سابق نفس الجزء والصفحة هامش ٣

(8) نفس المصدر والجزء والصفحة وانظر نفس المرجع

(9) نفس المصدر نفس المرجع انظر المباركفور مرجع سابق نفس الصفحة(٨: ١)

(10) انظر مختصر ابن صدر سابق الجزء نفس الجزء ص ٢٦ وانظر المباركفورى مرجع سابق ص ١٠٩

إلي ما كان علية وكانت زوجته في وقت كل صلاة تفك وثاقه ليصلي ثم يعود فتربطة في العمود مرة أخرى وظل هكذا حتى بلغ خبره إلي رسول الله (صلي الله علية وسلم) الذي قال أما أنه لو جاءني لاستغفرت له فإما إذ فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقة من مكانه حتى يتوب الله عليه يا لعظمة هذا الدين الذي أكرمنا الله به حيث قال:ورضيت لكم الإسلام ديناً إن رسول الله (صلي الله علية وسلم) وهو خير خلق اله وأكرم الناس علي الله-عز وجل- ولا يملك أن يغفر لمذنب ذنباً فالله وحده هو الذي يقبل التوبة من عباده وهو وحده الغفور الرحيم ومن يغفر الذنوب إلا الله"؟

ولقد أنزل الله عز وجل على رسوله توبته على أبى لباب – وهو يتلقى عن جبريل الأمين قوله بسم الله الرحمن الرحيم "وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم" [1] صدق الله العظيم – ومع أنوار الصباح سمعت أم سلمة (حيث كان الرسول الكريم في بيتها) رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول فرحا تيب على أبى لبابة" فطلبت منه أم سلمة أن تتولى تبشير أبا لبابة بالعفو عنه من المولى القدير فوافق الرسول الكريم لأنه يقول عليه الصلاة والسلام" آية أحب الأعمال إلى الله تعالى بعد الفرائض إدخال السرور على المسلم [2] ولما سمع أبا لبابة خبر العفو عنه حتى غمره الفرح وقال للناس في المسجد الذين نهضوا لفك وثاقه "لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلعنى بيده وذلك تعظيما لرسوله ورجاء لبركته متى لا يعود لمثل فعلته، فما مر الرسول (صلى الله عليه وسلم) عليه خارجا لصلاة الصبح أطلقه وأراد أبو لبابة أن يعظم شكر الله عز وجل الذي قبل توبته فعزم على أن ينخلع من ماله كله حمدا لله وشكرا كما عزم أن يهجر وطنه الذي عصى الله على أرضه ، تخلصا من البيئة السيئة حتى لاتشده إلى أسفل بعد أدت به هذه التوبة إلى السمو الروحى فقال "يا رسول الله أن من توبتى أن أهجر دار قومى التي أصبت فيها الذنب ، وأن اخلع من مالى صدقة إلى الله وإلى رسوله (صلى الله عليه وسلم) فلم يقبل الرسول الكريم – صلوات الله عليه – أن يتجرد من ماله كفه شفقة عليه ورحمه بولده – وتشريعا عادلا – فقال له: "بل يجزيك يا أبا لبابة الثلث [3] وإستنادا إلى ما سبق بثوار التاريخ في مدينة قابس على ألسنة أهلها من ذلك الوقت على أن هاجر لنشر دعوة الإسلام في إفريقية في زمرة المجاهدين العاملين لخير دينهم وأمتهم ويبدو أنه وصل إلى إفريقية من إحدى الجرائد المرسلة إلى هناك [4] إن تاريخ فترة الفتوح لا يزال يسبح في الغموض لان المؤرخين اقتصروا على ذكر الغزوات الكبيرة وأهملوا ذكر السرايا التي كان المركز الإسلامي في المدينة المنورة يبعث بها للاستكشاف والفتح فقد أكنت هذه السرايا تتوالى سنويا تقريبا على إفريقية فتصل إلى قابس وجهات لغزاوة وقفصه الجريدة وتتعمق أحيانا في تراب إفريقية فتصل الدواخل [5] ولا ننسى أيا الحاميات التي كانت تتركها الجيوش الكبرى خلفها مستندة إلى صلح من بعض الجهات أو القبائل بحيث تعتقد أن إفريقية لم تخل من منذ الغزوة الأولى للفتح الإسلامى على إفريقية وكان يموت من بعض هذه الحاميات أو السرايا رجال يخفي أمرهم على المؤرخين الذين جاءوا بعد هذا العصر إذ لم يشر إليه أحد من قدماء المؤرخين في القرون الإسلامية الأولى ، وقد ذكره القاضى أبو المطرف بن عميرة [6]

---

(1) سورة التوبة أية ١٠٢/٢/ أنظر: ابن هشام نفس الجزء ص٢٦

(2) منبر الإسلام مرجع سابق ص١١١

(3) أنظر المبار كفورى مرجع سابق نفس الصفحة وانظر منبر الإسلام نفس الجزء والصفحة.

(4) انظر محمد المرزوني: قابس جنة الدنيا صـــ ٢٣٤ ط الخان ط١

(5) انظر المزروقى مرجع سابق ص ٢٣٦- ٢٣٩ عند ذكره لحديث حسن حسنى عبد الوهاب في ذلك

(6) تاى من العهد الحنفي عينه الخليفة المستنصر على بجاية ثم قابس واسمه بالكامل أبو المطرق أحمد بن عبد الله بن محمد بن حسن بن عميرة المخزومـــى ٥٨٢-٦٥٨هـــ/١١٨٦-١٢٦٠م، أنظر: أبو العباس الغبرينى عنوان الدراسة فيمن عرف العلماء في المائة السابقة لجابه مح/ عادل – بيروت ١٣٨٩ ط١ ص٣٠١.

في إحدى رسائله التي كان يكتبها أبناء وجود في بلدة قابس ووصفها فيها "بالجمال فهو تام الغربة مدهام الغابة مستأثر بسيد من سادات الصحابة [1] ، كما ذكره بعد ذلك الرحالة العبدرى [2] وفي أواخر القرن السابع من الهجرة في حديثه عن قابس قال "وبه قبر أبى لبابة صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعليه مسجد وهو منه في بيت مغلق".
وبعده بما يقرب من القرن يحدثنا النجاتي[3] في أوائل القرن الثامن أثناء زيارته لقابس إضافة. لما سبق من قول ابن عميرة وما ذكره أهل قابس "أن ابا لبابة الأنصارى مدفون ببلدهم وقبره عندهم مزار مشهور، وبقابس أيضاً مسجد ينسبونه إليه، ولم أر أحداً من المؤرخين عدا أبا لبابة عدة ممن دخل افريقية من الصحابة فلعله إن ثبت أن قبره هناك ممن أغفل المؤرخين ذكره منهم.
أما بن ناجى القيروانى[4] فيقول "لما وليت قضاء قابس وجد فيهم يزورون قبراً في بيت نظيف داخل مسجد خارج عن البلد من عربيها يسمى مسجد أبى لبابة صاحب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وجميع من في قابس وسائر عمالها يقولون ذلك وينقلونه نقلا متواترا حرهم وعبيدهم .. فقلت لهم (الكلام لأبن ناجى[5] أن المؤرخين قالوا لم يدفن بإفريقية من الصحابة غير أبى زمعة بالقيروان فقالوا ما رأينا أحد تردد فيما ذكرناه لك ثم لو وصلت تونس سألت عن ذلك شيخنا أبا الفضل أبا القاسم البرزلى[6] فقال لى: "لما حجبت زرته قبره ونقلهم فيه متواترا فما ذكره المؤرخون إنما هو فيما عاينوه وذلك بأية علم خلاف ما لم يعلموه فالعمل على ما ذكره أهل قابس ولا قادح يقدم في عملهم" لكن العباس[7] فقد أكد وجود قبر أبى لبابة بناء على ما سبق من حديث أتين ناجى وشيخه البرزلى.
وهناك مما ذكره البلاذرى[8] ما يؤكد وجود العديد من الصحابة الذين دفنوا في إفريقية ضمن السرايا فقد قال وبث أبن أبى السرح السرايا ففرقهم في البلاد فأصابوا غنائم كثيرة واستاقوا من المواشى ما قدروا عليه" وعلى ذلك فلا يستبعد أن جماعة من الصحابة قد ماتوا ودفنوا في إفريقية وأغفل ذكرهم المؤرخون القدماء لعدم بلوغ العلم بهم إليهم وقد تواتر زعم أبن أهل الجنوب الشرقى من إفريقية ما بين مدنيين وجرجيس ومنقردان وجربة[9] من وجود قبور للصحابة في حصنهم فمن يرون عن أجدادهم أن سبعة من الصحابة قد استشهدوا ودفنوا بمكان يسمى إلى اليوم (جرف الصحابة) بأرض تسمى أرض (الغرابات) وتبعد عن مدنين نحو خمسة وعشرين ميلاً على طريق جرجيس[10] وإذا صنح وجود قبور للصحابة هناك فيكونون من بين من استشهد في الغزوات الأولى التي كانت تترادف وتتوالى على إفريقية من طرابلس[11].

القابسي:

"هو أبو الحسن على بن محمد بن خلف المعافرى القروى المعروف بالقابسي"

---

(1) أنظر محمد شريفه: القاضى ابن عميره حياته وآثاره ط القاهرة ط1 ص112

(2) أبو عبد الله محمد بن محمد الحيى

(3) انظر ابن ناجي: معالم الايمان ج1 ، ص 10-12

(4) انظر المرزوقي: مصدر سابق ص239.

(5) مصدر سابق ج 3 ص 238.

(6) من فقهاء المالكية كان مقيماً في ترنس وتتلمذ على يديه الكثير مثل ابن نال.

(7) الرحلة ص 95.

(8) البلاذرى فتوح البلدان ص 228.

(9) ثلاثة من البلدان في الجنوب الشرقى من قابس في الطريق الآتى من طرابلس أما جربه فهي جزيرة جنوب شرق قابس على خليجها.

(10) جرجيس تقع إلى الغرب من جزيرة جربة.

(11) أنظر المرزوقى ص 138.

الفقيه القيرواني[1] قال عنه القاضي غياض[2] "ولم يكن أبو الحسن قابسا وإنما كان لدعم بشد عمامته شد القابين فسمي بذلك. "أما صاحب معالم الإيمان"[3] وهذا فيه نظر وظاهر قولهم "المعروف بابن القابسي" يقتي أن والده كان من أهل قابس فإما أن يكون أتى القيروان وتزوج بهاء وإما أن يكون أتي به صغيرا".

"ولقد حج القابسي سنة ثلاث وخمسين" وسمع كتاب البخارى بمكة من أبي زيد ورجع إلى القيروان فوصلها غداه الأربعاء أول شعبان أو ثانية سنة سبع وخمسين: كذا قال أبو عبد الله بن وهب"[4] وكان القابسي "عالماً عاملاً - جمع العلم والعبادة والزرع والزهد، والخشية ورقة القلب ونزاهة النفس ومحبة الفقراء، حافظاً لكتاب الله ومعانيه وأحكامه عالماً بعلوم السنة والفقه وإختلاف الناس سلم له أهل عصره ونظر أئمة في العلم والدين والفضل، كثير الصيام والتهجد بالليل والناس ينام.."[5] له الكثير من المؤلفات الهامة من أهم ما درس منها أزماناً طويلة: الرسالة المفضلة لأحوال المعلمين والمتعلمين وكان فيها أسلوباً جديداً في التعليم الصحيح على الشريعة الإسلامية، كما شجع فيها تعلم الفتيات الصغيرات، كما أن له كتاباً في أهمية الحصون كان مهما للأربطة ونظامها وحمايتها[6] وقد توفي في عام ٤٠٣هـ / ١٠٢٥م. ذكر ياقوت[7] عدة علماء من جملة علماء قابس: عبد الله بن محمد القابسي من مشايخ يحيى بن عمر الفقيه الشهير الذي توفي أواخر القرن الثالث الهجرى فإن يعنى أن عبد الله القابسي كان موجوداً في النصف الأول من القرن الثالث للهجرة ويرجع أنه كان فقيهاً أو من علماء الشريعة[8] أبو محمد حلف بن محمد القابسي. ذكره أبو العربي التميمي[9] "كان رجلاً صالحاً ثقة له سماع من أبن غانم القاضي ومن بهلول بن راشد" وهم من أبناء قابس الذين سكنوا القيروان وأنه كان من طبقة ابن سحنون الذي قال عنه "أنه لم يبدل ولم يغير"[10]

عيسى بن عيسى القابسي:

أبو موسى عيسى أبن عيسى (موسى) بن نزار بن يحيى القابس وصفة ياقوت[11] بأنه الفقيه المالكى الحافظ تتلمذ على أبى عبد الله الأهوانى وأبى على حور التوفي ورحل إلى المشرق فسمع بمكة من أبي ذر العدوى وببغداد من أبي الحسن العنيفي وأبى القاسم التنوخي وأبى الحسين الحرانى وأبى محمد الجوهرى وأبى الحسن القزوينى وغيرهم وأنتصب للتدريس بدمشق فقرأ عله عبد العزيز الكتانى أبو بكر الخطيب ونصر المقدس - .. وكان ثقة ومات بمصر ٤٤٧ هـ / ١٠٦٩[12].

الوزير سلام بن فرحان:

سلام بن أبى بكر بن فرحان الهلالى من بن هلال، وقد عاش بقابس في بلاط بنى جامع الهلاين وتقدم عندهم حتى أصبح وزيراً لأخر أمير من بنى جامع الأمير مدافع ابن رشيد فلما هرب مدافع بن جيوش بن عبد المؤمن الموحد في عام ٥٥٥هـ حتى ابن فرحان ساقته ودافع

---

[1] أبن خلكان وفيات الأعيان ترجمة رقم ٤١٩.

[2] ترتيب المدارك جـ ٢، ص ١٨٨.

[3] الأسيدى الدباغ جـ ٣ ص ١٨٠:١٥٨.

[4] الدباغ معالم الإيمان جـ ٣ - ترجمة القابسي.

[5] أحمد فؤاد الأهوان: التعليم في رأى القابسي ص ١٧-٢٢..

[6] أحمد فؤاد الأهوان : التعليم في رأى القابسي ص ١٧-٢٢.

[7] معجم البلدان جـ ٤ ص ٢٨١.

[8] المرزوقى : قابس ص ٢٥٣.

[9] حلقات علماء إفريقية ترجمة.

[10] أنظر في ر..: الأمام سحنون ط الفرحان وأنظر المرزوقى ص ٢٥٩.

[11] المعجم جـ ٤ ص ٢٨١.

[12] المصدر السابق نفس الجزء والصفحة وأنظر المروقي ص ٢٥٤.

مخدومقة حتى قتل في المعركة وقد كان بن فرحان شاعراً وله أشعار كثيرة في مدح بني جامع[1]

أبو ساكن عامر من محمد الهلالي.

قال عنه النجاتي: [2] عامر بن محمد بن مكى بن كامل من جامع أبو ساكن. تربى في بلاطه اباءه وأجداده بنى جامع أمراء قابس بعد عام الأخماس فارق قابس مع عائلته وسكن دمشق. وظل يكتب أشعار رثاء في أيامه الجميلة بقابس وكان أبنة أيضاً شاعراً مفوها[3] وصفة صاحب الخريدة[4] بأنه "كان بدوياً وأميراً سريا وله أشعار خماسية أى يغلب عليها الحماس وبساطة العبارة. توفي قبل ٥٧١هـ.

أبو الفضل بن عبد الله بن نزار الهوارى أبو الفضل

هو ابن الفقيه عبد الله بن نزار الهوارى القابس قال عنه صاحب الخريدة أنه كان حياً في عصره (أى إلى ٥٩٧ هـ) وهو من قبيلة هوارة البربرية ويظهر أنه عاش في بلاط بن جامع كان من شعرائهم وكثيراً ما مادحهم. وقد بقى في قابس حتى جاءها الموحدون فتقرب إليهم بشعره واختص أولاد عبد المؤمن بالمديح[5]

ابن ميكان أو أبن مشكان (بالقاسم)

كان شيخ قابس وفقيهاً وله تلاميذ ومديرين ذكره العنبرين.على أبو عبد الله محمد بن القاسم ابن منداس ولد ٥٥٧ هـ بمدينة الجزائر حيث ونشأ وتعلم ثم رحل إلى قابس فأخذ عن شيخها من ميكان ثم عاد إلى مسقط رأسه وعكف على تدريس علوم الحديث وهو شيخ قارئ ولخوى. توفي ٦٤٣ هـ/١٢٦٥م[6] أبو المطرف أحمد بن عبد الله بن محمد بن حسين بن عميرة. **المخذومي:**

وهي الشيخ فقيه مجتهد وعالم جليل من أهل جزيرة في الأندلسية وولى القضاء بأربوله وخاطبه من الأندلس وسلا ومستطيفه ثم قابس وذلك في عهد الدولة الحفصية وله أشعار فيها ورسالة في وصفها ومدحها وذمها توفي ٦٥٨هـ/١٢٦٠م [7]

صارت قابس من أهم المراكز الثقافية في إفريقية وغدت مقصد وهدف الكثيرين من علماء المغرب والمشرق عامة وقد ساعدت التطورات السياسية التي تعرضت لها إفريقية نحو منتصف القرن الخامس من الهجرة والمتمثلة في الغزوة الهلالية.[8]

وفتح قابس واستقرار مقدمهم تلك القبائل وهو مؤنس الرباهي بقابس ومعه أغلب القبائل سواء في قابس أو نواحيها - أدى ذلك أن أصبح الأدب والشعر عنصراً هاماً من عناصر المجتمع الثقافي لقابس ولقد دعم الشعر والأدب البنية الثقافية فقد اتسمت ثقافة بن هلال يجب للقصص والشعر المحلون والقصص فقد طور ذلك المجتمع القابسي بإقراره قواعد الأدب فقد خل الأدب الشعبى تعريبه منى هلال[9] لما تصوره من بطولات وملاحم وخاصة مع قبائل رنانة فأصبحت سيرة شعبية يحكى في كل زمان ومكان - لقد أصبح الأدب الشعبى وما يحيط بصفة من صورة الشجاعة والبطولة من أهم ثمار الثقافة لا في قابس فحسب بل في أخر بقية والمغرب والمشرق العربى بكل بلدانه.[1] واضيفت ألوان من الأحداث الخيالية وقصص

---

(1) أنظر حريدة القصر للأصفهادى ترجمته ص ١٠٥ وحسن حسنى حسنى عبد الوهاب مجمل الأدب التونسى ص ٨٦ وأنظر المرزوقى ص ٢٥٤

(2) الرحلة ص ١٠٣.

(3) المرزوقى ص ٢٥٦

(4) الأصفهاني ترجمته كذلك ترجم النجاتي في رحلتهم أنظر النجاتى ص ١٠٣: ١٠٢. وأنظر الحلل جـ ١ ص ٣٥٨.

(5) ذكره النجاتى وأنظر الأصفهاني المصدر السابق.

(6) أنظر العنبرين : عنوان الدراسة ص ٢٤٨ وأنظر المرزوقى ص ٢٥٥.

(7) المصدر والمرجعان السابقان نفس الأماكن

(8) كما يخبرنا السجل رقم ٥ من السجلات المستفيدة.

(9) عبد الله العدوى مجمل تاريخ المغرب جـ ٢ ص ١١٢ وأنظر عبد الحميد يونس السير الهلالية.

والمشرق العربى بكل بلدانه.[1] واضيفت ألوان من الأحداث الخيالية وقصص البطولة والممزوجة بالحب والأساطير مثل قصص الجازية ودياب بن غانم على سبيل المثال ، ما يدلنا على أن هذه القصة بالذات لها ظل من الواقع والحقيقة أنه يوجد كان بالقرب من قابس يسمى مرقب دياب.[1]

مجالس الشعر والأدب : -

كانت مجالس الشعر والآدب في بلاط بني جامع تضاهي مجلس بلاط بني باديس في الروعة ، وإليها وكثرة الشعراء الذين يمدحونهم ، ومن أشهر الشعراء ، الوزير سلام ابن فرحان ، ويحي التيفاشي القفصي[2] ، وكان يوجد مثل أي دويلة مجالس الوعظ والقصاص ومجالس الموسيقي.

مجالس أدب القبائل الهلالية وشعرهم : -

ما من شك في أن شعر شعراء بني هلال نمط ومن الشعر العربي ، له لونة الخاص ، ومميزاته الفريدة ، ولم يهتم أحد قبل ابن خلدون بالتحدث عن بني هلال ، وأهمية أدبهم فقد قال عنهم : - "فيقرضون الشعر لهذا العهد في سائر الأعاريض لى ما كان عليه سلفهم المستعربون ، ويأتون بالبطولات مشتملة على مذاهب الشعر وأغراضه في المدح والرثاء والهجاء ، كما يستطردون من فن أي فنه في الكلام ، كما أن لهؤلاء العرب في هذا الشعر بلاغة فائقة ، ويمتاز شعرهم بخلوة من الأعراب وقوة الإحساس وسذاجة التصوير ، ومن أمثلة شعرهم في الحرب بينهم وبيني بني باديس وانتصارهم عليه[3].

وإن ابن باديس لأفضل مالك ∴ ولكن لعمري ما لديه من رجال.

ثلاثون ألفا منهم غلبتهم ثلاثة آلاف وذاك محال.

كما أن لهم أشعارًا كثيرة كتبت عنها مئات المؤلفات ، وقد اقتبس منهم بربر إفريقية طرائق الإنشاد والتنغيم ، وحينما تنافس كل من بني غانية والغز اتباع قراقوش الأرمنى ، حول استحواذ هذه القبائل العربية على تأييدهم ، لجأ بنو غانية إلى الشعر داعين العرب لنصرتهم لما يربطهم وإياهم من صلات رحم ، ويعيرونهم بانقيادهم للعبيد من الموالي الغز[4].وإلي جانب مجالس الأدب والشعر وجد أن لهم من الخصائص الموسيقية لرواية السيرة الهلالية في مصر ، ثم انتقلت معهم لقابس وباقي إفريقية.

علماء تنقلوا ما بين جبل نفوسة وجربة وقابس والجريد:-

- **أبو مسور يسجا بن يوجين اليهراسني** : يعتبر المؤسس الفعلي للحركة العلمية والفكرية التي استمرت في الجزيرة ما لا يقل عن ثمانية قرون ، بداية من القرن الرابع الهجري ، وكان يقيم في بداية حياته في جبل نفوسة وفيه تعلم دروس ، ثم انتقل لجزيرة جربة واستقر فيها ، وكان ذلك في بداية القرن الرابع.

من أبرز إنجازاته : بناء الجامع الكبير في حومة الحشان ، إحداثه لمدرسة الجامع الكبير التي جمعت النواة الأولي لحركة تعليمية وتثقيفية ، سادت كل الجزيرة في وقت قصيرة

---

(1) عبد الحميد يونس السيرة الهلالية وندوة الحمامات عن السيرة الهلالية تغريبة بني هلال: كل أشعارهم (ليسوا لهم اسم مؤلف) مجلة عالم الفكر مجلد ١٧ عدد ١ لسنة ١٩٨٦ عن السيرة الشعبية.

(1) المرزقي: قابس جنة الدنيا ص٢٤-ابحاث المؤتمر الأول للواحات في تونس ص٨

(2) للاشترادة : أنظر : العماد الاصفهاني ، من جريدة العصر ، قسم شعراء المغرب أنحاء متفرقة.

(3) انظر : ابن خلدون ، ج (٢) ، ص ١٥١ وما يليها.
- وأنظر : فهمي عبد اللطيف أبو زيد الهلالي ، ص ١١٨.
- وانظر : رابح بونار : المغرب العربي ، ص ٣٥٥ ، ص ٣٥٧.

(4) المرجع السابق ، ص ١٩٧ ، انظر مطبوعات أعمال الندوة العالمية الأولي حول السيرة الهلالية بالجماعات ، بتونس ، المرجع السابق ، ص ٧١. ، حسن حسني عبد الوهاب ، ورقات ، ج (٢) ، ص ٢٥٤.

، وقد ذاعت شهرته بصفة جعلته يصبح الحاكم الفعلي للجزيرة في العهد الفاطمي[1]، تلك الفترة التي كانت فيها جربة مستقله استقلالاً تامًا وقبرة موجود ومعروف لليوم بحومة الفاهمين بقلالة ، قرب مسجد أبي مسور.

- **أبو زكرياء فصيل بن أبي مسور** : هو ابن الشيخ أبي مسور بسجا ، عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ، وتوفي في بداية القرن الخامس الهجري من أبرز أعماله بعثة لفكرة نظام العزابة وتركيزه للحركة العلمية في الجزيرة ونشرها ضريحة موجود لالآن شمال الطريق المؤدية للمطار على مسافة من الجامع الكبير[2].
- **صالح بن أبي زكرياء فصيل بن أبي مسور ، ويونس بن أبي زكرياء** ، هما ابنا الشيخ فصيل، عاشا في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري ، وأبرزها يونس غذ ترأس الوفد الذي أرسله أبو زكرياء فيصل للاتصال بأبس عبد الدربن أبس بكر الفرسطائي مؤسس نظام العزابة في الربوع الإباضية بالجنوب التونسي ، والجريد (قسطالة والقصور) ليعرض عليه فكرة تأسيس هذا التنظيم الاجتماعي الجديد ويذكر الدرجيني أن يونس كان مشهورًا "بتصرفه في فنون المسائل[3].
- **محمد كمّوس** : هو أبو محمد كموس الزواغي ، قبرة موجود للأن في حوقة الحشان ويعرف بسيدي عمر كمّون ، كان أحد شيوخ الجزيرة خلال النصف الأول من القرن الخامس الهجري ، قتل في الهجمة التي شنها المعز بن باديس الصنهاجي على الجزيرة والمعروفة بواقعة الجامع الكبير سنة ٤٣١هـ ، سنة ١٠٣٨م[4].

أخبرني أبو صالح النفوس بتوزر مثل سنة ٢٤٠ أن أول من علم القرآن بجبل نفوسة عمر بن ميمكتن ، علمه بمنزل (ايفاطمان) [5]، ويقال إن عمر هذا إنما تعلم القرآن بطريق مقمداس ، كانت تلقي فيها السابلة والمارة من المشرق يعنى الجند العربي الداخل إلى إفريقية ، فيكتب عنهم لوحة من القرآن وينصرف إلى منزله فإذا حفظ ما فيه رجع إلى المحجة فيكتب من المارة والرفاق ، كذلك حتى حفظ القرآن.

- **أبو عمرو النميلي** : من شيوخ النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس الهجري ، وتذكر المصادر أنه قتل في واقعة الجامع الكبير سنة ٤٣١هـ سنة ١٠٣٨م عن ستة تناهز المائة والعشرين عامًا ، وهكذا تكون ولادته سنة ٣١١هـ /سنة ٩١٨م وكان من أبرز العلماء المنسوبين إلى غار مجماج ، الذي ضم مؤلفي ديوان العزابة ويسمي أيضًا ديوان المشائخ وهو عبارة عن موسوعة فقهية ضخمة اعتمدت طيلة القرون الموالية لتجريس الفقة الإباضي في جزيرة جربة وجبل نفوسة ، وفي الجنوب التونسي والجريد ، وفي بقية الربوع الإباضية بالقطر الجزائري ، والديوان

---

[1] انظر : على يحي معمّر : الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة الثالثة ص ٧٧ : ٨٣ أبو زكرياء يحي بن أبي بكر ، كتاب السيرة ، ص ٢٣٩.
- الدرجيني : طبقات ، ج (٢) ، ص ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨.
- الوسياني : السير ، مخطوط ، ص ٢١.

[2] انظر : فرحات الجعبيري : نظام العزابة ص ٢٩.
- الوسياني ، سير ، ص ٢٨ إلى ٣٢.
- الدرجيني : طبقات ، ص ١٢٩ — ١٣٠ — ١٤٣ — ١٤٥ ، ج ٢ —
- —أبو زكرياء : السيرة ، ص ١٤٢ — ١٤٣ — ١٤٤ — ٢٤٥ — ٢٤٦ — ٢٤٧ — ٢٤٨ — ٢٤٩.

[3] جعبري : نظام العزابة ص ١٨١ — ١٩٦ ، درجيني : طبقات ، ص ٣٩٣ ، ج (٢) ، ج (١) ، أبوراش ؛ مؤنس ، ص ٦٥ ؛ الوسياني : السير ، ص ٣٠ ، أبو زكرياء ، كتاب السيرة ص ٢٤٤ ، ٢٤٥.

[4] الشماخي : كتاب السير ، ص ٣٧٢ الطبعة الحجرية ، الدرجيني ؛ طبقات ، ص ١٦٢ ، ج (١) ، أبوراس ؛ مؤنس ، ص ٦٥ ، الوسياني : السير ، ص ٣٠ ، أبوزكرياء ، كتاب السيرة ص ٢٤٤ ، ٢٤٥.

[5] السير : الشماخي ، ص ١٤٢.
- حسن عبد الوهاب : ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية (تونس ١٣٩٢ هـ ، ١٩٧٢م) قسم ، ص ٨٠ — ١٢٠.

موجود إلى اليوم في جزيرة جربة ، وهو مخطوط ، وقبر الشيخ النميلي موجود اليوم بين الجامع الكبير بالحشان والطريق المؤدية للمطار[١].

- **أبو طاهر إسماعيل الجيطالي** : عاش مدة طويلة في كجبل نفوسة خلال القرن الثامن الهجري ثم انتقل لجزيرة جربة واستقر فيها وتوفي فيها ، وهو مدفون في مقبرة الجامع الكبير ، ومن أشهر تآليفة (الكتاب القناطر) ، وكان إمامًا عالمًا ورعًا مستجاب الدعوة له تصانيف كثيرة في كل علم ، وسبب انتقاله لجربة أن فقهاء طرابلس حسدوه وافتروا عليه لحاكم طرابلس ، ولقد تلقاه علماء الجزية أحسن لقاء واجتمع عليه الطلبة وكان يقرأ أو يضيف في المجلس الواحد ، توفي سنة ٧٣٧هـ ، ودفن بالجامع الكبير[٢].

طريقة التعليم في البوادي وفي داخل البلاد : –

لقد كانت الأغلبية للبربر ، فقد نقل أقدم المؤرخين وهو سلام بن عمر ليتعلم البربر طريقة عمر بن يمكيتن ، بأن يأخذ لوحة حتى يحفظ القرآن ، ويمكن أن تكون تلك الطريقة قد اتبعت في قابس بما أنها باب إفريقية[٣].

وكان ابن يمكيتن يعيش في حدود (١٤٠هـ – ٧٥٧م) ، يستفاد من ذلك أن ترصدنا ناشئة البربر للسابلة من العرب القادمين من مصر إلى القيروان في مبتدأ المائة الثانية للهجرة، إنما حصلت على السورة.

١-حرص أبناء الأهالي الأصليين على تعلم الدين الجديد واجتهادهم في مزاحمة أبناء الفاتحين والتساوي معهم في العلم والمعرفة.

٢-قلة وجود المصاحف المكتوبة في ذلك العصر ، حتى يحتاج المتعلمون للتعرض للمسافرين الوافدين وتلقي سور القرآن بالإملاء منهم ، ورسمها على الألواح بقصد حفظها[٤].

التعليم عند يهود قابس :

كان التعليم في مكان مخصص يسمى (صلا) إلى المدرسة أو مكان الصلاة أو البيعة ، وهي كل عمارة يلقن فيها التعليم التقليدي ، ولو كان الأمر يتعلق بمحل خصوصي اكتراه المعلم لهذا الغرض حتى بيته الخاص[٣]. (ويلاحظ مما سبق أنها تشبه نفس ظرف المدرسة لتعليم أطفال المسلمين).

وفي نهاية التعليم الابتدائي للطفل اليهودي يقام احتفال بارمصواه ، (الرشد الديني) ومعناه أن الطفل أصبح يافعا وعليه منذ ذلك الوقت أن يقوم بالواجبات التي يأمر بها التوراة [٤].أما التعليم العالي فاسمه (اليشفاه) ويدور حول محورين مختلفين أولهما مادي وبزجماني، أي توضيح الشريعة اليهودية ، وثانيهما شكلي ، هو تطوير الرغبة المعرفية للطالب.

كما أن البنت اليهودية تتعلم تعليماً أساسياً حتى زواجها مبكراً ، ثم بعد ذلك تتقن صنعة مفيدة مثل التطريز أو تفصيل الملابس أو أغطية الفراش [٥] كما أن هناك الطالب الصانع الذي يتعلم وشريعته ، وفي نفس الوقت يحاول إتقان صنعته ما ليعمل بها.

كما كان على الطالب أن يتعلم اللغة العربية بجانب دراسة باللغة العبرية ، وقد نبغ شعراء اليهود ، وقرضوا الشعر مثل :

---

[١] درجيني : طبقات ، ج (٢) ، ص٣٦٤ ، جعبيري ، نظام العزابة ص ١٧٥ ، الوسياني : مخطوط ص ٣١ ، شماخي ، سير ، ص ٣٧٢.

[٢] ابوراس الجربي : مؤنس الأحبة في أخبار جربة ، ص ص ٩١— ٩٢.

[٣] الوزير السراج: الحلل.. ص ٢٣٣

[٤] السير: الوسياني ورقة ٣٠ حسن حسني عبدالوهاب ورقات... ج٢ ص ٨٠-١٢٠

[٣] حاييم الزعفراني : ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب ، ص ٦١.

[٤] المرجع السابق ، ص ٦٦.

[٥] وهذه الصناعات مشهورة في قابس ، واليهوديات يعملن لها تقليداً للمرأة المسلمة ، نفس المرجع ، ص٧٠. وانظر: Encycloredia Judauce : gabes.

١-باقاشوت (أناشيد ومرتبات) وهذا النوع ينتمي للشعر الغنائي ، والمزامير التوراتية تجدد مناجاة الشاعر الداخلية والتي يعلم فيها عن علاقاته مع الله ومع العالم ومع المجتمع ، والباقاشوت مثل المزامير من ضمن المرتبات والترايفل ، وهما معاً تعبير رائع عن العواطف المشتركة.

٢-التحنوت (شعر الابتهال) : الذي يتعرض لما نعيشه الطائفة اليهودية من حالات الضيق والعوز فتطلب من الله أن يغفر خطاياها وأن يعيد صهيون ويخلص الشعب الإسرائيلي.

٣-أهابوت (أناشيد الحب) : وهي ترتل قبل (سماع الشهادة) (اسمع إسرائيل) وتستلهم حب الله لإسرائيل ، الحب الذي يرتبط بفكرة الاصطفاء والخلاص.

٤-مقدمة صوفية لقطعة شعائرية خاصة بيوم السبت أنعا قطعة طولية ذات رجع صوفي قوي، وتقابل أبياتها الستة والعشرون القيمة العددية للحروف التي بتكون منها "يهوه" ، وهو أحد (أسماء الله الحسنى) ويكشف يعقوب ابنسور في هذه القطعة عن التعاليم القبالية التي استقاها من مختلف المصادر مثل "زهار" ونظريات اسحق لوريا ، والأعمال الفكرية السابقة التي تركها يهود جنوب فرنسا ويهود شمال إسبانيا.

علماء يهود :

إبراهيم بن عزرا : هو إسحاق إبراهيم بن مئير بن عزرا ، ولد في طليطلة سنة ١٠٩٢م، كان خير رسول درس اللغة العربية وآدابها بين اليهود المثقفين في البلدان ، ولقد ترجم بعض الكتاب المسلمين أشعاره العبرية باللغة العربية شعراً.

أدبه :

كانت الرغبة في الإحاطة بجميع العلوم والحكمة طابع المثقفين في القرون الوسطى. فلا عجب أن تكون كذلك طابع الكاتب والشاعر اليهودي (ابن عزرا) فبالرغم من أنه قد ساق النقاد للإعجاب به دائماً وأبداً ، وبالرغم من أن نطاق مهارته كان واسعاً ملوناً ، وأنه كان قد تفوق كثيراً في تفسير اسفاراً التوراة ، ووضع كتب قواعد اللغة وعلى الفلك والرياضيات والفلسفة ، وبالرغم من ممارسته لمهن أخرى ، فإن كل ذلك لم يمنعه من ممارسة الشعر أيضاً والتفريغ له.

وكان قد نسبوا إليه الشيء الكثير من أقوال الآخرين حين ووجدا فيها تعبيراً صائباً أو رأوا فيها فكاهة مستلحمة ، وبعد (ابن عزرا) أو كتاب المدرسة الأسبانية بعد أن جرب حظه في الشعر الجدلي ، حيث يجرى نقاشاً بين حيوانات ، وحتى أنه قد أجرى مناقشات بين المفاهيم المعنوية ، وكذلك بين الإنسان والحيوان وبين فصول السنة وبين أيام السبوت والأعياد ، وقد كان هذا اللون الأدبي منتشراً آنذاك بين مختلف الشعوب وقدر له أن ينتشر فيما بعد بثوبه العبري كذلك.

وتحتل قصيدته الكبرى (حي بن يقظان) محل الصدارة في أشعاره وقد أهداها لصديقه شموئيل بن جامع في قابلس (تونس) ، وتشبه هذه القصيدة (تاج الملك) لابن غبيرول إلا أنها من حيث القصة تشبه أسطورة تعيد إلى ذاكرتنا المقامات التي امتدت جذورها في الأدب العبري على عهد (ابن غذرا) ، وتعتمد قصيدة (حي بين يقظان) على مقالة فلسفية بنفس هذا العنوان وضعها الأديب العربي (ابن سينا) (٩٨٠م – ١٠٣٧م) غير أن (ابن عزرا) قد غير الأسلوب المعنوي الأصلي الصعب ، وجعله قصة حية جذابة ، ولقد جعل لكل شخص ، ولكل حادث في هذه القصة مغزى مثالياً ، وإن كان في الإمكان فهم هذه القصة على بساطتها وفي هذه القصة يحدثنا الشاعر كيف التقى بشيخ يدعى (حي بن يقظان) من أورشليم ، وكيف قام حي بإرشاده في جولة قاما بها في جميع عالم الأحياء ، حتى بلغا المرحلة العليا لهذا العالم ، وهي

المرحلة التاسعة ، وإذا بهذا المرشد الخفي يصيح الشاعر (اخلع نعليك واطلب عفو روحك من مادة جسدك إذ هذا هو الحدّ النهائي الذي يستطيع أن يبغله كل ابن أنثي ، غير أن هذا القرب من الخالق هو بالذات الذي زاد من تشوق المؤلف إلى معرفة الخالق أكثر فأكثر ، وقد كشف له (حي بن يقظان) عن الطريق لهذه المعرفة ، وهي طريق التوبة المطلق إذ يقول : – "أعرف روحك حسب قدرتك وطاقتك ، وحينئذ تستطيع معرفة الخالق والتطلع إليه".

وموضوع قصة (حي بن يقظان) المركزي هو الجولة في عوالم خفية برفقة مرشد محاط بالألغاز ، وهو موضوع معروف ومنتشر في آداب عدد من الأمم ، وهو موجود في عدد من كتب القدماء ، وأشهر من تناول هذا الموضوع هو "دانتي" في الكوميديا الإلهية*.

* أنظر حاييم الزعفراني: ١٠٠٠ سنة من حياة اليهود... ص٦٩ وما يليها.

خاتمة وأهم النتائج

بعد هذه الدراسة التى تناولت تاريخ قابس السياسى والحضارى على مدى ما يقرب من قرنين من الزمان : من أول تتابع قبائل الغزوة الهلالية، حتى بداية الدولة الحقيقية فى أفريقيه، أى من عام ٤٤٢ هـ /١٠٥١م إلى عام ٦٢٥ هـ / ١٢٤٧م عرضنا فيها لإسم هذه المدينة وتحليله، موقعها وخصائصه، الأسلوب المعمارى الخاص بها خططها وتطورها العمداني، وحياتها السياسية، والإدارية، والاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية. استخلصنا من مجمل فصول هذه الدراسة أهم النتائج التاليه : كان اسم قابس قديما يتكون من عدة ألفاظ، مثل لفظ تكاب ـ تكابى ـ تكاباى ـ نكاباس. وحملت تلك الألفاظ عدّه معانى مثل : المكان الرطب المروى ـ الجسر ـ المعدية مقدمه سفينة ـ أرض داخل فى البحر .. رجحت الباحثه تكوني هذا اللفظ من مقطعين Tack و Kap ، مقطع Tack أو Taki يرجع أصله اللى اللغة الكلتيه القديمة بمعنى مركب شراعى أو أما المقطع الثانى Cape من الكلمة اللاتينية Caput يعطى معنى أرض داخله فى البحر Hcad Land's أو معنى أخر مقدمه السفينة وقد عُرِّب الاسم فاصبح قابس، ولقد قال الله تعالى على لسانه سيدنا موسى عليه السلام "لعلى أتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى" [سورة طه آية١٠]

كان لموقع قابس المتميز بحريا وصحراويا منذ أقدم العصور أهميه كبرى فى مسيرتها التاريخيه. فهى تطل على خليج سرت الصغير (ويتسمى وتجمل باسمها الآن)، الذى ربطها بالموانى الأوروبية. جعلها هذا الموقع شرقا على مقربه من طرابلس وبرقه فمصر. وشمالا وغرب على مقربه من صفاقس المهديه سوسه تونس القيروان وباقى مدن افريقيه كقفصة فى الغرب ونفزاوة وبلاد الجريد. أما الجنوب فجبال مطماطة ومدنين وغيرهما وكانت قابس على جادة الطريق العظمى فارتبطت بكل البلدان عن طريق قوافل الحج والتجارة والبريد ، لهذا الموقع المزدوج مقومات ساهمت فى إبرازه ومن أهمها : مناخها الجيد والصحراء فى جنوبها بسبب وجود الخليج والبحر الذي يعد مصدرا للثروة البحرية. كذلك غزارة المياه الجوفية وتدفق العيون والينابيع. مما جعل الأراضي المحيطة بقابس تمتاز بكثافتها الزراعية وغناها إذ تقع في منطقة جفيتة يتم فيها تبادل المنتجات الزراعية العديدة مع السكان الذين يمثلون نسبة كبيرة من سكان إفريقية . وهي تعد أكبر مراكز التسويق الاقتصادي والتجاري خارجياً وداخلياً منذ أقدم العصور وهذا يجعلنا نلاحظ أقوال الرحالة والجغرافيين العرب تشهد لها بالازدهار والأصالة والبروز الاقتصادى والاجتماعي والثقافي لأنها من أهم المدن الواقعة علي خليجها علي شاطئ بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط اليوم) بصفة عامة.

كان لقابس اسلوب خاص بها من ناحية الطراز المعماري. ان الطرز المعمارية متشابهة في كل العالم الإسلامي، وان بدت مختلفة، فهي متشابهة في السمة العامة الغالبية، ومختلفة في بعض جزئيات تخضع دائما لطبيعة بعض المدن.

كان اسلوب الطراز المعماري القابسي وبخاصة التقليدي هو استخدام الإمكانيات الموجودة في البيئة نفسها أو البيئة المجاورة علي سبيل المثال فكان هناك طريقة السقف الحامي «نسبة للحامة». وكان هناك أحجاز المائة التي تنقل من جنوب قابس، في قابس مسجد جامع يشبه مسجد القيروان الكبير، لكنه يصغره في المساحة والذي كان طرازه نموذجا احتذي به في كل المدن الافريقية ومنها قابس. وحظيت قابس بشهرة دينية لوجود قبر أبا لبابة الأنصاري بها. وقد بنيت مدرسة له وأصبح مزارا. كذلك حفلت قابس بوجود أضرحة كثيرة بجانبها مساجد خاصة بها مسجلة عند سكان قابس ومنطقتها، أما قصر العروسين والقصبة فقد نوه التجاني الي التشابه بينهم وبين قصور وبنايات قلعة بن حماد.

وقد لجأت الباحثة الي أبحاث حفريات هذه القلعة، ومراجعة تقارير الأثريين، كي تصل الي فائدة علمية من حيث التخطيط. وكذلك لجأت الي تفسير قصائد الشعر التي وصفتهم.

كانت الأسواق منتشرة في قابس وحولها علي هيئة وكالات وأرباع وخانات والشوارع والحارات مثلها مثل المدينة الإسلامي، وهناك تفسير للحارة كأصغر وحدة عمرانية تتكون منها، المنطقة السكنية وتشتمل علي مجموعة من السكان المتقاربين في كل شيء يجمعهم الإسلام، ولكل حارة وشارع طابع مميز خاص. وقد يرتبط بنوع عمل السكان «النحاسين ـ العطارين.... وهكذا». وجميع البيوت تفتح علي الحارة، ووجد الساباط أو بمعني جس من فوق المنزل علي يمين الحارة، أو الشارع يؤدي من فوق الي شمال الحارة وفي نفس الوقت يعطي ظلا للمارة. كان المنازل والدور في قابس تتميز بوجود الحوش والفناء الداخلي، وهي سمة عامة إسلامية ـ وإن كانت من قبل الإسلام ـ حتي في القصور، وقد لاحظت الباحثة ان هذا النوع من الدراسة لم يأخذ حظه من الدراسة الوافية، وكان في قابس قبل اسلامها أسقفية وبيعة يهودية، وكان السور والخندق من الأحجار الضخمة من عمل الرومان «علي الأرجح» والأرياض في قابس كان فيها جلّ أسواقها. وكان لها مرفأ للسفن ومنارة قابس مشهورة تشبه منارة الاسكندرية وكان بها فنادق كثيرة للتجار الأجانب. لها نظام خاص بها وتخضع للإشراف الدقيق. كما كانت الرباطات الكثيرة من السمات التي تميز قابس من الناحية الدينية المعمارية.. ولا ننسي ذكر العمارة البربرية التي كان لها طراز خاص بها، مثل المسيد أو المسجد البربري، القري المحصنة، والرباط البربري، علي الجبال جنوب قابس، وكان للبربر اسلوبهم في البناء بعد اسلامهم.

بدأت بشائر الفتح الإسلامي علي هيئة كتائب وجرائد زاحفة نحو افريقيا، تحمل اليها دينا جديدا وحياة حضارية جديدة، ودورا جديدا حديثا مازال ممتدا بها للآن. ان مدينة قابس رغم عرقتها وقدمها الذي يرجع ربما قبل العصر الفنيقي، إلا انها في دورها التاريخي وتراثها مدينة إسلامية تأكد وضعها الحقيقي لظهور الاسلام كقوة عظمي في افريقيا... ترجح الباحثة أن قابس أسلمت قبيل معركة سبيطلة، لأنها بحكم موقعها كانت بالنسبة لعرب الفتح القاعدة الخلفية لحماية وجودهم وظهورهم في معركة الفتح الفاصلة سبيطلة وتدفقت عن طريقها قبائل الفتح الاسلامي بعد ذلك في ربوع المغرب كله، تحمل العقيدة السمحة واللغة السليمة والحضارة القويمة. بعد ذلك كان لقابس دورها الهام فعن طريقها عبر

الدعاة الفاطميون الي مدن افريقيا والمغرب. وعن طريقها ايضا عبرت القوات الفاطمية لغزو مصر بهدف الاستقرار فيها، بعد أن قاومت البلاد مذهب الفاطميين الشيعي بعد انتشار المذهب المالكي ومذهب الأياضيين في قابس وجنوبها. لذا كانت هناك ثورات ضد الفاطميين، وصراعات سياسية. بعد نزوح الفاطميين الي مصر وبناءهم لحاضرتهم فيها: القاهرة.. دخلت قابس ومعها طرابلس في دائرة الصراع بين الفاطميين وبني زيري، وهم من قبيلة صنهاجة الذين تولوا افريقيا من قبل الفاطميين بعد رحيلهم.

لما أظهر المعزبن باديس الزيري الخلاف مع الفاطميين، ونبذ طاعتهم وحولها الي العباسيين. ارسل اليه الخليفة المنتصر بالله الفاطمي بإيعاز من وزيرة البازوري، جحافل الهلاليين علي هيئة قبائل متتابعة، لقد كانت غزوتهم هذه من أبرز الأحداث، لتي عصفت بأفريقيا منذ رحيل الفاطميين، واتضح للباحثة بعد دراسة السجل رقم ٥ من السجلات المستنصرية ان هذه الغزوة كانت منظمة علي هيئة جيش شعبي يحمل رايات وبنود الفاطميين برا وبحرا لافريقيا بقيادة الحسن بن الملهم ملك الدولة وحاصر المعز بن باديس برا وبحرا حتي حصره في المهدية وانتشرت القبائل العربية في أنحاء افريقيا، واستولت علي الحاضرة القيروان. وكانت قابس كما يخبرنا السجل مركزهم بعد فتحها واستقرارهم بحصنها، حيث فضربت العملات المستنصرية وقد وجدت الباحثة عملات فاطمية علي الطراز الشيعي مسكوكة في المهدية من أول عام ٤٥١ هجرية وعام ٤٥٥هـ

مما يؤكد فتح قابس من قبل السجل المكتوب في عام ٤٥٥هـ. كانت لهذه الغزوة آثارا سلبية كثيرة. كانت لها آثارا ايجابية اكثر فقد انتشر الدين الاسلامي واللغة العربية وتعرب المغرب كله كما كانت قابس مركزهم باستمرار، وأسست فيها أول دويلة عربية هلالية، هي إمارة بني جامع الهلاليين، وكانت لهم نظامهم وقوانينهم وعلاقاتهم، وان لم تخبرنا المصادر عن ذلك بالتفصيل. كانت لهم علاقات سياسية وتجارية بصقلية وقد انتهز يوسف مولي الأمير الرياحي الهلالى فرصة سفره ويجيء ابنه الصغير بدلا من الكبير واتصل بروجار الثاني ملك صقلية انذاك وتسبب تصرفه في أرضه سياسية بين الحسن بن زيري وبين روجي الثاني قد توالت الأحداث المؤسفة وأدت في النهاية الي سقوط الدولة الزيدية واستيلاء النورمان علي المهدية وقابس. ثم خلصها الموحدون وطردوا النورمان كما انتهت دويلة بني جامع ايضا في عام ٥٥٥هـ

كان لقابس والعرب فيها صلات مع نواحي افريقية، مثل صفاقس وسوسه وقفصه وبلاد الجريد ـ أما علاقتهم بمصر فكان لها أطوار متعددة فبعد أن خلصت قابس من حكم النورمان وانتهت منها حكم دويله بني جامع. غزتها قوات قراقوش الأرمني مملوك تقي الدين ابن أخي صلاح الدين الأيوبي. الذي سارت حملته الي سنتريه وزويله وأزال منها دويلة بني خطاب ثم غزا طرابلس وفتحها، وسار يستولي علي القلاع في طريقه، ويخطب علي المنابر لتقي الدين ثم صلاح الدين ثم للدولة العباسية، بعد ذلك كان هناك بنو غانية الآتين من جزر شرق الأندلس للاستيلاء علي افريقيا وتفويض حكم الموحدين، وإعادة مجد أجدادهم المرابطين كون بنو غانية مع قراقوش الأرمني. وقواته، بالاضافة الي عرب بعض مناطق

افريقيا، كونوا حلفا ثلاثيا ضد الموحدين. وقابس وصحراءها الي جنوب برقة وطرابلس وصارت أرضا لصراعات وحروبا.

كما كانت تارة مركزا لقراقوش وتارة أخري لبني غانية الي أن قضى الموحدون علي هذه الحملات نهائيا أوائل القرن السابع من الهجرة بعد سلسلة من الحروب .

من خلال ذلك تلاحظ الباحثة مما سبق ان قابس ومنطقها تكررت فيها ظاهرة اتخاذها قاعدة للمنازعات أو مركزا لاسترداد الملك كل ذلك كان يدور في اطار الصراع علي السلطة ليس علي افريقية فحسب لكن في إطار المغرب بأكمله.

دخلت قابس تحت سيطرة الموحدين مرة ثانيا لكنها لم يكن سيطرة مباشرة إذ أضحت بعد ذلك في اطار حكم الحنفيين وهم جزء من الموحدين.

مما سبق نجد أن الوضعية السياسية قد تفاوتت علي قابس لذا تغيرت الإدارة فيها تبعا لمن يمتلكها.

من حيث الحياة الاجتماعية كان لقابس عاداتها الاجتماعية ومعتقداتها المتوارثة لكن مما لا شك فيه أن الاسلام بتعاليمه الحنيفة كان من أهم المؤثرات الاجتماعية فيها. وبالتالي تأثرت ثقافتها وموروثها الثقافي التي تطور بفاعلية فخرج منها علماء أجلاء مثل أبو الحسن القابس وغيره.،

الملاحــق

١- خريطة فتح العرب للمغرب

٢- خريطة مدينة قابس

٣- خريطة المدينة القديمة

٤- لمسجد الجامع بالقيروان الذى بنى على غراره بقابس

٥- زخارف وطرز المسجد الجامع

٦-الحارة الاسلامية ليا مدلولها الاسلامى

٧- قابس وأحياءها واولياءها الصالحين

٨- المنزل التقليدى فى قابس (بحث د. البقلوطى).

٩-العمارة البربرية.

١٠-١٠ب- السجل ٥ من السجلات المستنصرية (صفحتان).

١١- ثبت ولاة قابس.

١٢- ثبت بنى زيرى.

١٣-١٣ب- دينار ذهبى فاطمى شيعى ضرب المهدية ٤٥١هـ وجه وظهر.

١٤-١٤ب- دينار ذهبى فاطمى شيعى ضرب المهدية ٤٥٥هـ وجه ظهر.

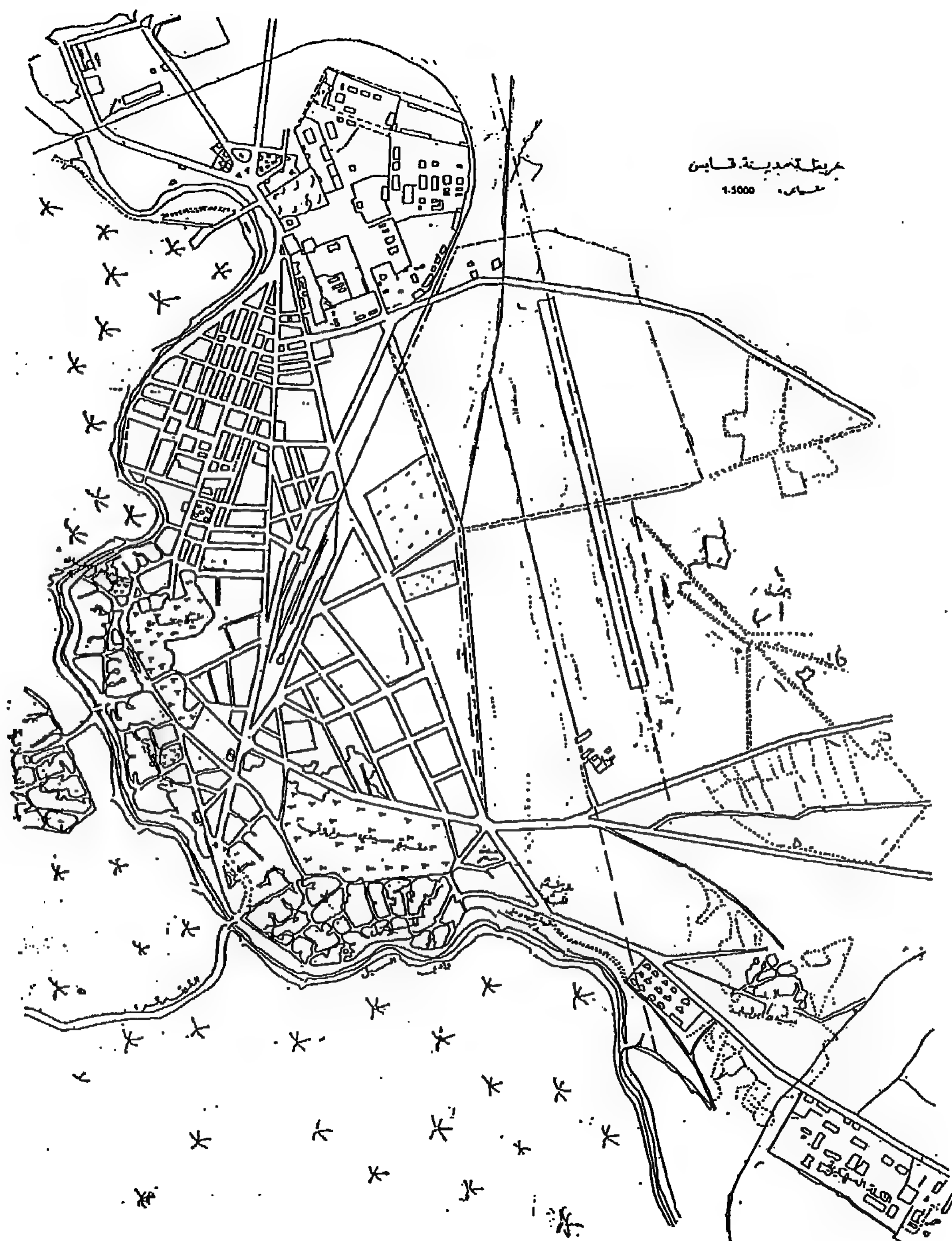
١٥-١٥ب- دينار ذهبى فاطمى شيعى ضرب المهدية ٤٥٧هـ وجه ظهر.

١٦-١٦ب- دينار ذهبى ضرب قابس ٥٤٢هـ لرشيد بن جامع بن على الدهمان اليلالى وجه وظير.

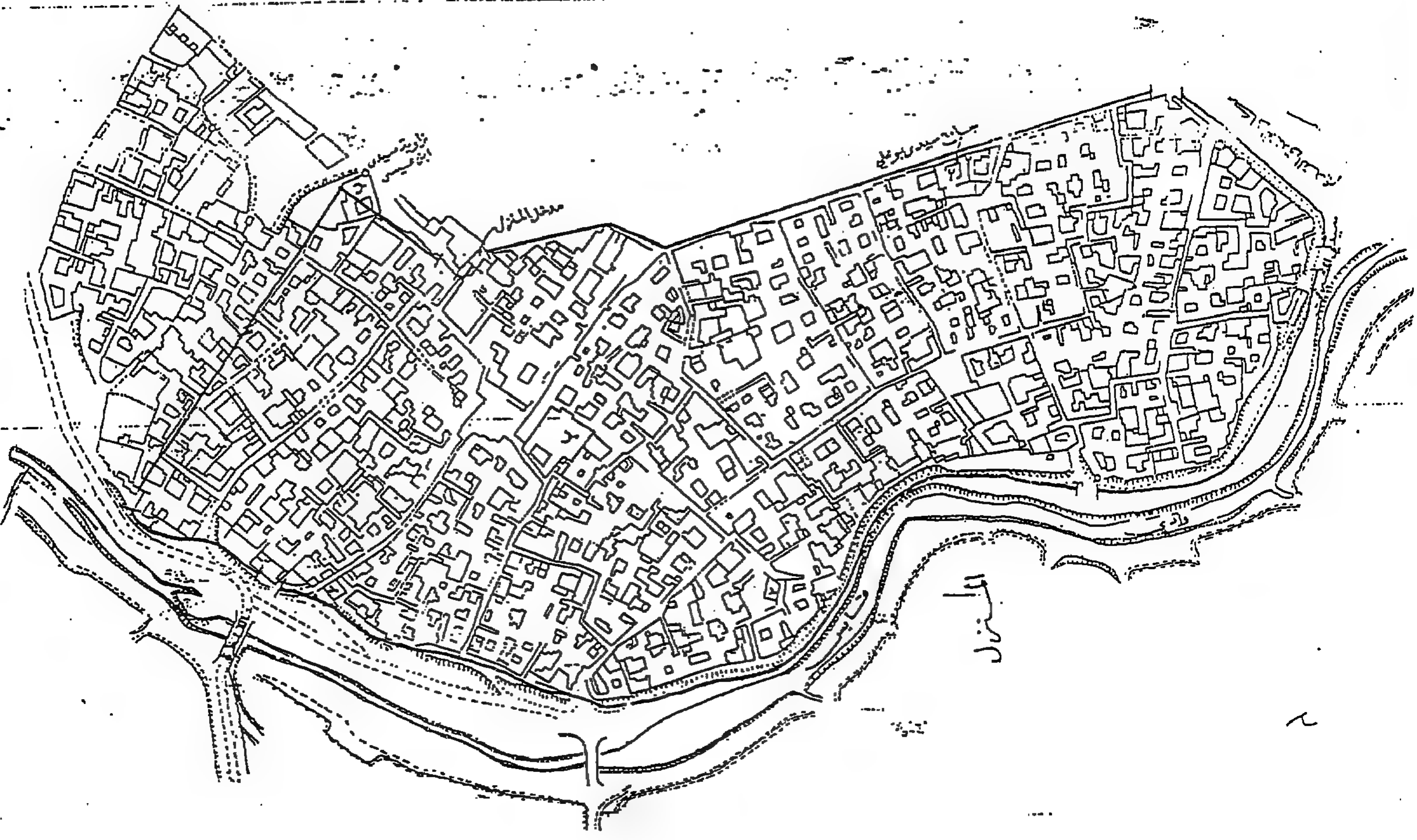
فتح العرب للمغرب (٢)

- حملة عمرو بن العاص على برقة ثم طرابلس سنة ٢٢ - ٢٣ هـ / ٦٤٣ - ٦٤٤ م
- حملة نافع بن عبد القيس الفهري إلى زويلة سنة ٢٣ هـ / ٦٤٤ م
- حملة عبد الله بن سعد على إفريقية وانتصاره في سبيطلة سنة ٢٧ - ٢٨ هـ / ٦٤٧ - ٦٤٩ م
- حملة معاوية بن حديج على إفريقية سنة ٤٥ هـ / ٦٦٥ م
- حملات عقبة بن نافع الأولى على ودان وفزان سنة ٥٠ هـ / ٦٧٠ - ٦٧٥ م
- حملة عقبة بن نافع الأولى وإنشاء القيروان سنة ٥٠ - ٥٥ هـ / ٦٧٠ - ٦٧٥ م
- حملة أبي المهاجر دينار حتى تلمسان سنة ٥٥ - ٦٢ هـ / ٦٧٥ - ٦٨١ م
- حملة عقبة بن نافع الكبرى سنة ٦٢ - ٦٤ هـ / ٦٨١ - ٦٨٣ م

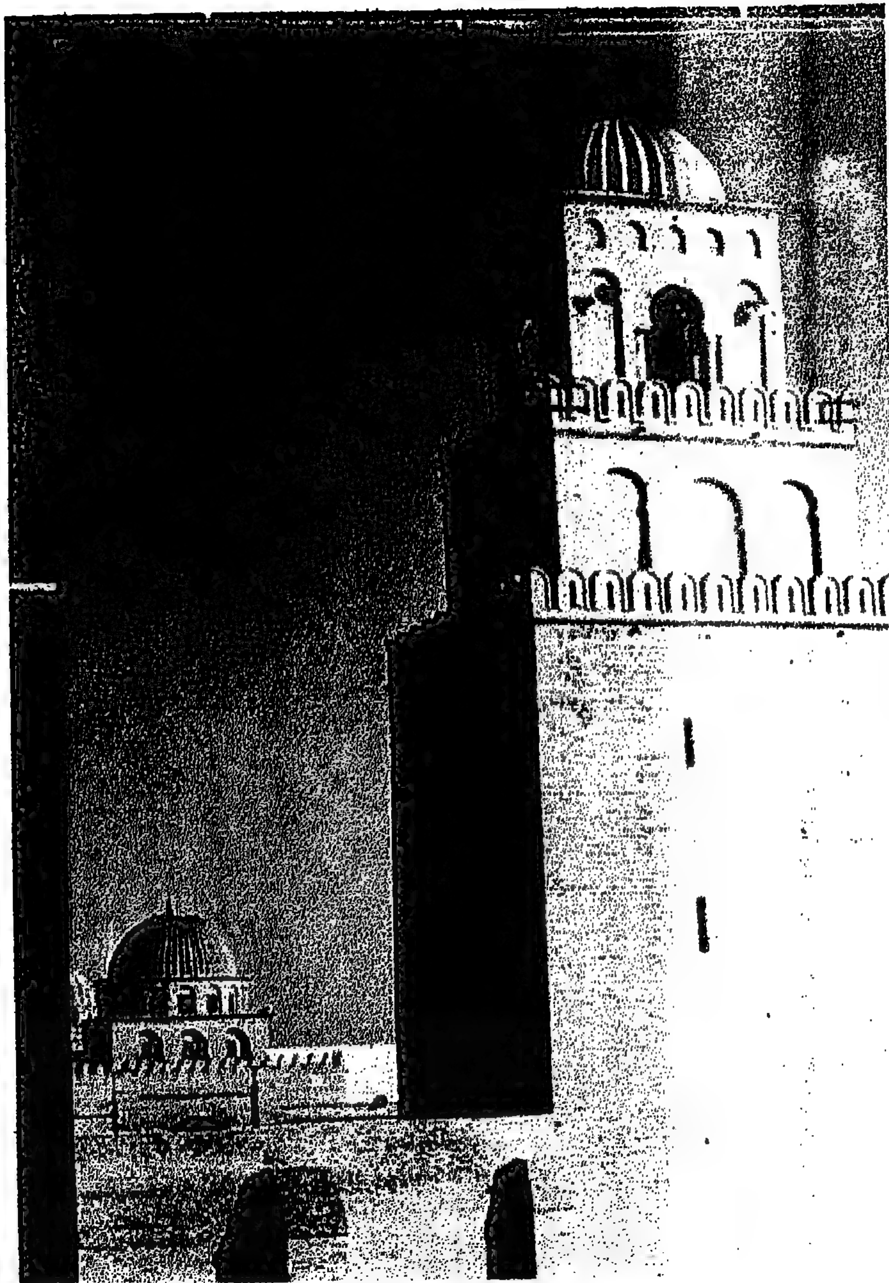




المرزوقي من المعهد الوطني للآثار خريطة رقم (1)
و الشريف بتونس

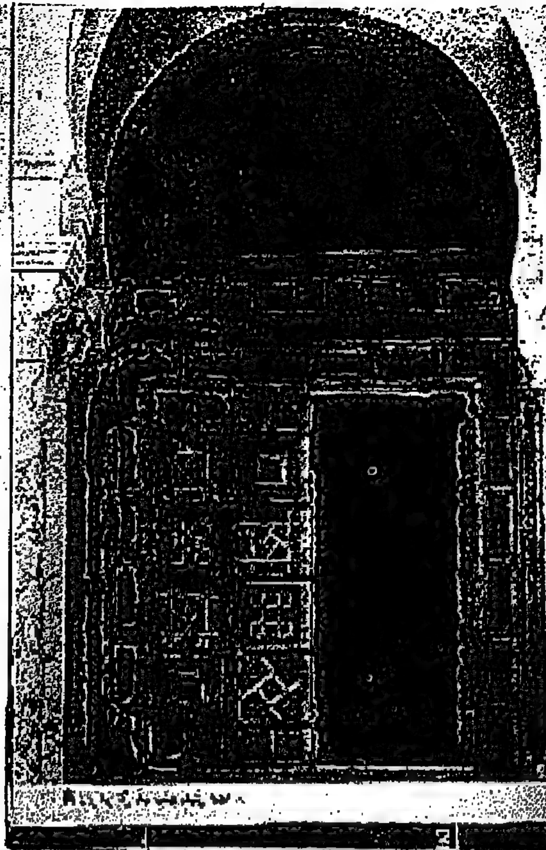

خريطة المدينة القديمة المسورة
منزل قابس
مقياس: 1:2000
المرزوقي، بحث المتحف الوطني للآثار والفنون بتونس

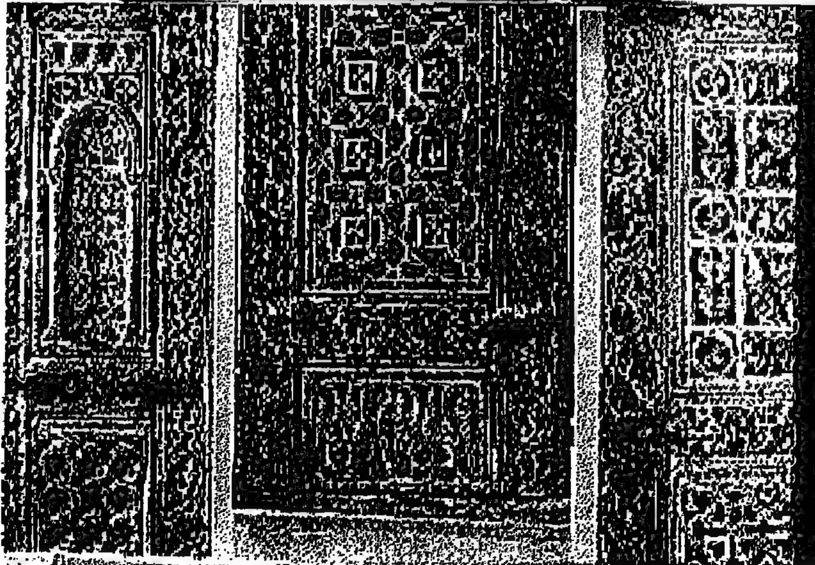
المسجد الجامع بالقيروان الذي بني على غراره المسجد الجامع بقابس



ويلاحظ المنارة المربعة وهي طراز شائع في كل المغرب والأندلس

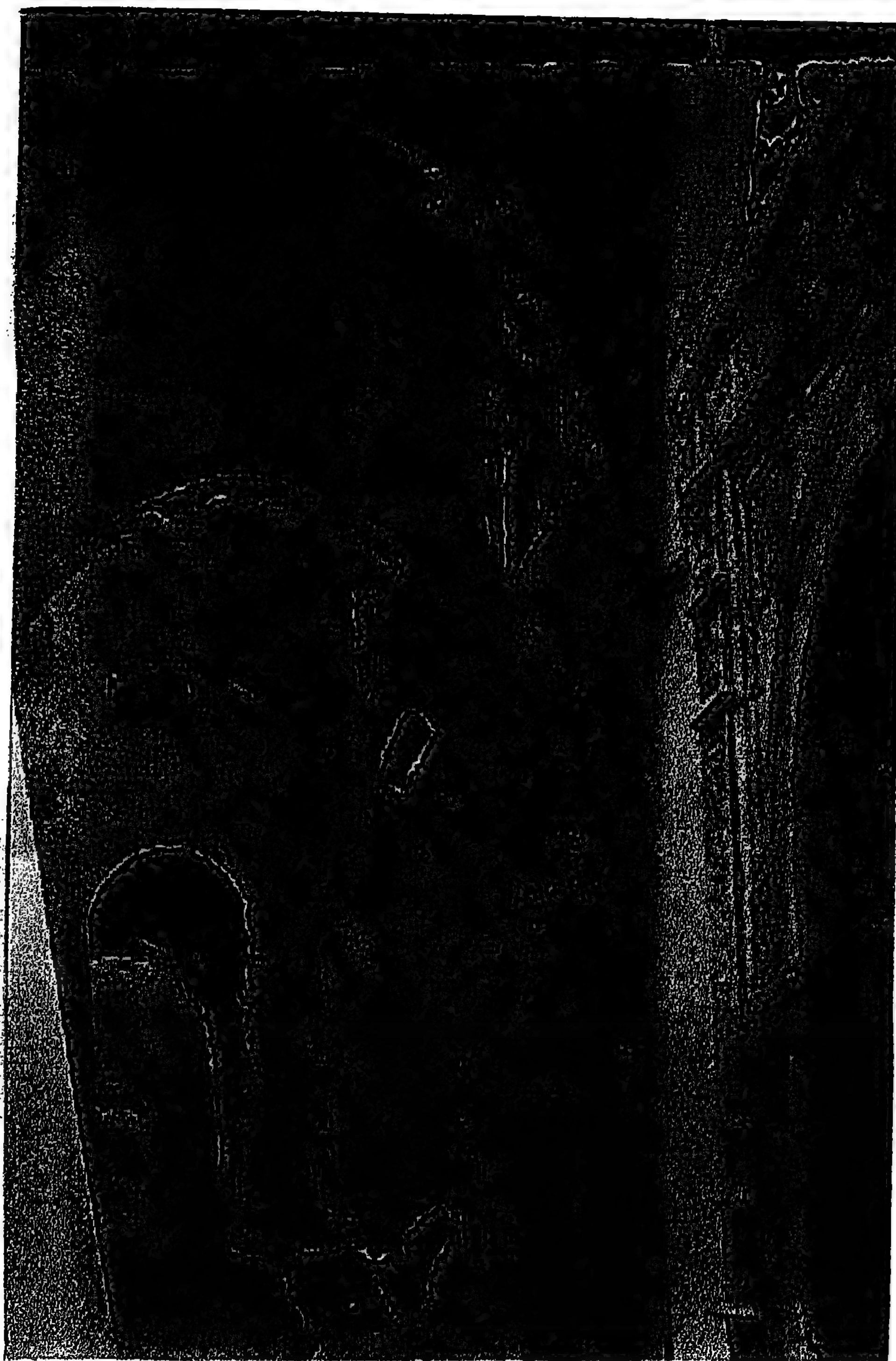
زخارف المنبر
تميزت زخارف كل باب
بشكل خاص



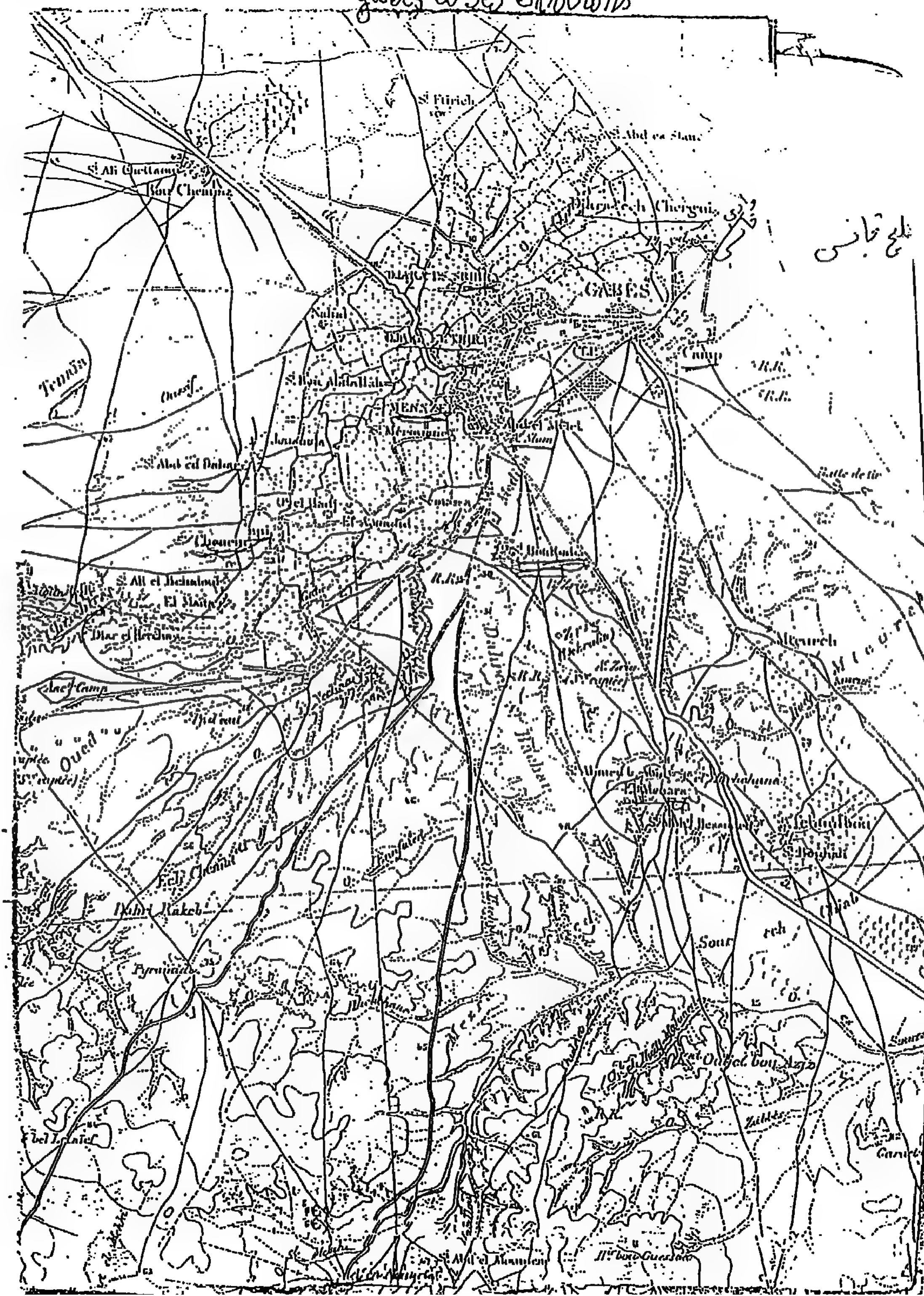


طرز وزخارف المسجد الجامع بالقيروان الذي عملا مثله في قابس

الحارة الإسلامية لها مدلولها المعماري الإسلامي



Gabès et ses environs



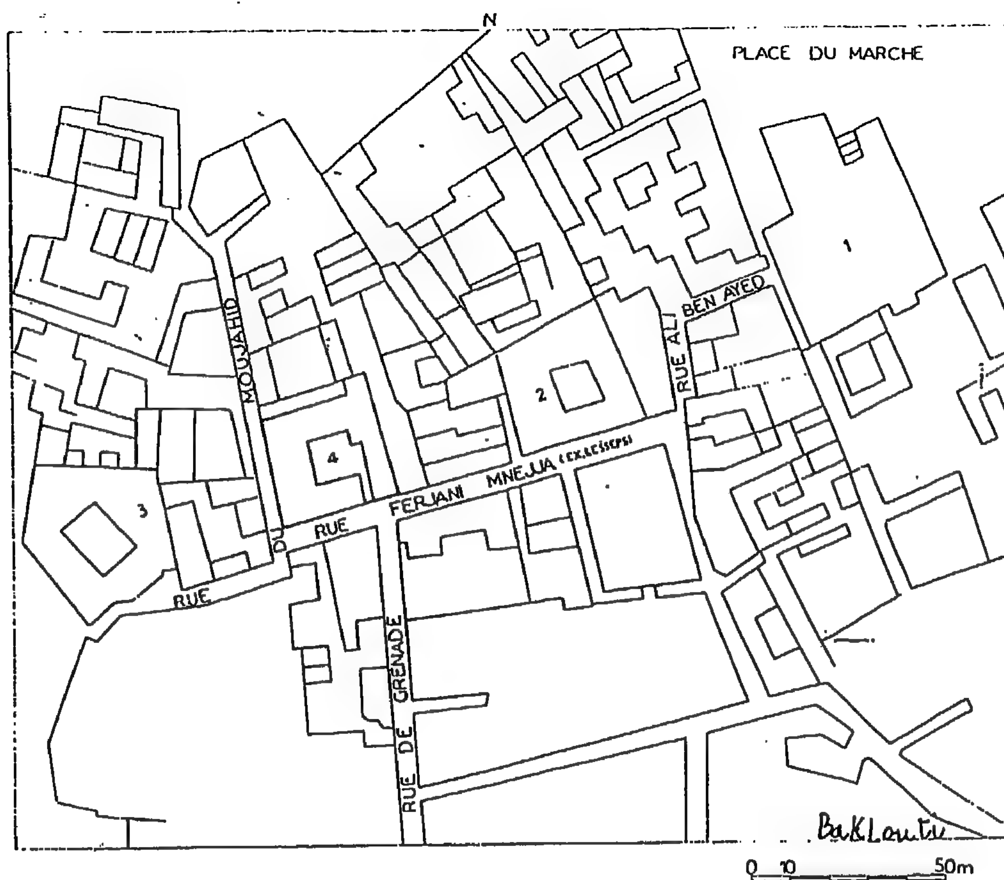


Fig. 3. — Plan de situation.

1. Grande Mosquée.
2. Synagogue (aujourd'hui disparue).
3. Sanctuaire de Sidi Abdelkrim.
4. Houche Khraïef.

العمارة البربرية في جبال مطماطة جنوب قابس



• سجل رقم (٥)

بخط اليد الشريفة بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين.

من عبد الله ووليه: معد أبي تميم، الإمام المستنصر بالله، أمير المؤمنين، إلي سيف الإمام، المظفر في الدين، نظام المؤمنين، علي بن محمد الصليحي.

سلام عليك: فإن أمير المؤمنين يحمد اليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يصلي علي جده محمد، خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وعلي آله الطاهرين، ويسلم تسليما(أ).

أما بعد: فالحمد لله الذي أرسل سماء جوده علي ساحات أمير المؤمنين مدرارا، وجعل فلكها يتضاعف عزة وإقباله دوارا، وملائكتها أعوانا لنصره وانصاره، المنتقم من كل عدو ولد فاجرا كفارا، الهاتك وقد هتك لحرمة الضيعة عنده أستارا، المدير دائرة السوء عليه أن اتخذ دار البغي علي مصطنعه دارا، وسالبه النعمة إن لم يحسن (٢٠) للمنعم بها عليه جواراذلكم الله لا إله غيره الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا.

يحمده أمير المؤمنين إلاها واحدا قهارا، ويشكر له جزيل نعمه إعلانا وإسرارا، ويسأله أن يصلي علي جده الذي بعثه من بين الأنام مختارا، محمد الداعي إلي الحق إعذارا وإنذارا، الواضع بهدايته عن الخلق أغلالا وآصارا، وعلي وصيه في أمته السامي منارا، وسيف نبوته الماضي غرارا - علي بن أبي طالب - العالي شرفا ومقدارا، وعلي الأئمة من ذريته الحامين جارا، الذاكين نجارا، الذين جعلهم الله لمساجده عمارا، وبلطائف هممهم في ملكوت السماء سفارا، وقد كان انتهي اليك من حضرة أمير المؤمنين خير ابن باديس اللعين في التباث أموره عليه لما أصبح جسم طاعته للدولة ملتاثا، وابتكات مرائر سعادته لما ثبت عهدها، فكانت كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا وأن أمير المؤمنين رماه من كنانة رأيه بنبال أصابت مقاتله، وضربه بنصال بتت (٢١) مفاصله، واطلق نحوه من اعنه قبائل لرياحية والزغبية من منعه أن يبل ريقا، وسد لأنقاسه طريقا، ورما به في أسر حصار لا يكاد يكون منه طليقا وملك جميع دياره التي كان بها يدل، ونال منه النيل الذي هو علي وشك نواره بإذن الله تعالي يدل، وسير الأمير أمين الدولة ومكينها - حسن بن علي - بوصلهم (ب) الي أعمال افريقية ليؤلف بين قلوب العرب المقدم ذكرهم علي الطاعة تاليفا يزعن له جموحهم، ويمنعهم من أن يتنازعون فتذهب ريحهم، ولتكون كلمتهم علي استئثال الكفر للنعمة متفقة وآرائهم فيما يؤدي الي كشف النعمة بمكانة موفقة، ولما كان في هذا الوقت ورد كتاب الي حضرة أمين المؤمنين يذكر تصبحه في وجهته بوجه الإقبال وفوزه في نهضته ببلوغ الآمال، وأنه لم يذر غلا في الصدور إلا نزعه ولا شملا من صلاح الجمهور إلا جمعه وان اصناف العرب دانت له دين الأمم لربها ودارت علي قضايا (٢٢) أمره ونهيه دور الرحي علي قطبها وانه سار فيهم بجيش يغض لهم

(أ) في الأصل: «ليعمل إن شاء الله»، وأمامها علامات خطأ، كانه يريد حذفها من النص.

(ب) يخطيء الهمداني في الاسم، فيقرأه: حسن بن علي بن ملهم، وانما بوصلهم.

انظر. The Letters (B.S.O.S). VII, 1933- 1935

البر وجحافل كأنهم في صفحات البر والبحر وبنود أمير المؤمنين طللت علي رأسه من النصر غماما وطلعة أعلامه أرته من طوالع السعد أعلاما حتي أحدقوا بحصن الخائن الذي لا يكاد من بأس الله يحصنه ولا من أخذه الأليم يؤمنه فاطل عليه إطلال من يجد في قلبه من وقع سيف المنايا رجيفا ومن وقوع سهامها. وخرج إليه ابن بلكين صهره علي اخته، وابن يلمو الذي هو مقدم قومه، وابن حماد الذي هو صاحب قلعة كتامة (أ) مستأمنين وبعفو أمير المؤمنين لائذين وعلي بابه ترسلا في مثله عن صنهاجة وافدين، ثم فتح حصن قابس (ب) وأقام علي منابره الدعوة النبوية وصرف العين والورق علي السكة المستنصرية وولي عليه ابن يلمو المذكور وصار بالباقين الي الباب وانه لم يبقي في حصون البحر وضواحي البر إلا ما القي الله الي أمير المؤمنين مقاليده (٣٣)، ومكن منه أنصاره وعبيده واطلع فيه من سعادة النداء بشعاره نجوماً، جعلها للشياطين رجوما، واستصحب من مشايخ تلك الأعمال قوما رغبوا في الشرف بالهجرة الي الحضرة، والمشافهة بالشكر والدعاء لما نجاهم الله تعالي منه من الغمرة، وكشف عن وجوههم بإضلال ذلك الخائن من الحيرة، والتماس تدبير أمورهم مما يؤذن بتمام صلاحها بعد أن كساهم الله برحمته رونقا، ونقي عن مشاربهم بحمد الله روقا، فديارهم بالمسار مشمولة، وعراصهم بالتهاني مأهولة، وهو وارد قريب المسافة وصحبته خلق من الحجيج، يذكر انهم لا يطئون للبدو والحضر إلا موطيء، الطاعة موطئا، ولا يصادقون «إلا» مذعنا لها ولصفقه (ج) معطيا، وانه خلف ابن باديس للعين محصورا في مثفاة (د) من الأرض، محصولا علي شفا جرف الأخذ والقبض، قد فغر الردي له فمه، ولن يبعد بعون الله أن يلتقمه، وأمير المؤمنطن يسأل الله جلت عظمته معونته، علي شكر نعمه التي هو عن القيام بواجب اقلها محصور ولسانه عن الوفاء بأيسره مقصور ويقول: «الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن أن ربنا لغفور شكور ٢٥ـ ٣٤».

أعلمك أمير المؤمنين بنبأ هذه العارفة الطارفة لتنشره علي المنابر، وتذيعه في البوادي والحواضر إن شاء الله تعالي، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكتب في شهر رمضان سنة خمسة وخمسين وأربعمائة.

والحمد لله وحده وصلي الله علي المصطفي محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلي آله الطاهرين المهديين وسلم تسليما وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولي ونعم النصير.

(أ) في الأصل: كيانه

(ب) في الأصل فاس. في الواقع، لم يصل الفاطميون إلي فاس في مراكش، ولكن نشاطهم بقي في افريقيا، أي تونس الحالية.

(ج) في القاموس «صفق يده بالبيعة،» أي وضع يده في يد الخليفة، ويريد أن يقول: أن هؤلاء الأشخاص دانوا بالطاعة للخليفة.

(د) المثفاة هي المنفي.

ولاة قــابــس

١ـ محمد بن الحسن: تولي أمور المعز وجيوشه وكان علي طرابلس وأضيفت له قابس فبعث عامل عليها وجمع الأموال وهادي الكبار وأخذ مال خزانة الدولة وهادي الكبار وراسل القاهرة التي ما لبثت أن أرسلت له سجل. فضاق منه المعز فقتله سنة ٤١٣هـ

٢ـ محمد بن ولمويه «أو وليمه كما يسميه النويري» بعد أن قضي علي ثورة عبدالله بن الحسن أخو محمد بن الحسن لما ثار لمقتل أخيه وقتل الكثير من الصنهاجيين بعد ٤١٣هـ

٣ـ ابراهيم من ونمو أو ولمويه الذي كان قائد القيادة ودخل جربه وأخضعها للمعز بن باديس وذلك عام٤٣١هـ

٤ـ ابن ونمو ايام الزحف الهلالي «هكذا ذكرة السجل ٥ ولم يذكر اسمه الأول»

٥ـ المعز بن محمد بن ولمويه حوالي ٤٥٠هـ

٦ـ ابراهيم بن محمد بن ولمويه الصنهاجي

أوائل النصف الثاني من القرن الخامس الهجري تولي بعد موت اخيه وكان موجودا سنة ٤٧٤ وقتل سنة ٤٨٩هـ (عنهم مؤنس بن يحيي الهلالي».

٧ـ الأمير عمر بن المعز بن باديس: بايعه الاهلون عام ٤٨٧هـ وأسقطه تميم بن المعز بن باديس في نفس السنة وظهر فيها أمراء بنو جامع ايضا.

٨ـ مكي بن كامل بن جامع: كان بها سنة ٤٩٣هـ

٩ـ الأمير رافع بن مكي: تولي قبل وفاة تميم واستمر زمن يحيي وجزء من عهد عليه واضطر الي الخروج من قابس وترك الحكم سنة ٥١١هـ

١٠ـالأمير رشيد ابن كامل «عم رافع»: بعد سنة ٥١١هـ

١١ـ الأمير محمد بن رشيد: في عهده خرج عليه يوسف مولاه واتصل بصقلية.

١٢ـ الأمير معمر بن رشيد: تولي بتوصية من الأمين الحسن الزيري تنفيذا لوصية والده.

١٣ـ الأمير مدافع بن رشيد: أخذ الموحدون منه قابس ٥٥٠هـ

١٤ـ الأمير عبدالله بن عبدالمؤمن بعد انتصار الموحدين ٥٥٥هـ

١٥ـ قراقوش الأرمني ونائبه ياقوت الإفتخار بعد ٥٧٠هـ

١٦ـ أبوسعيد بن أبي حفص ويعرف بابن تافراجين واليا من قبل الموحدين

١٧ـ نائب محمد عبدالواحد بن ابي حفص الهنتاني من قبل الناصر الموحدي بعد انتصارهم وفتحهم لقابس وبلاد افريقيا كافة ٦٠١هـ وما بعدها.

١٨ـ داوود ابن أبي داوود من قبل الشيخ أبو محمد بن أبي حفض صاحب افريقية ٦٠٧هـ

١٩ـ الشيخ ابن بكي مدير شئون قابس الي أن استولي ابن زكريا الحنفي علي بلاد افريقيا ٦٢٧هـ

بنو زيرى
(صنهاجة أفريقية، الحاضرة القيروان)

١ ـ أبو الفتوح (يوسف) بلكين بن زيرى، (توفى فى ٢١ ذى الحجة سنة ٣٧٣) المحرم ٣٦٢.

(كان فى أول الأمر من عمال الفاطميين)[1] ، ....

٢ ـ المنصور بن يوسف (ولقبه عدة العزيز بالله) .... ٢١ ذى الحجة ٣٧٣.

٣ ـ أبو مناد باديس بن المنصور، ناصر الدولة، (ولد فى ١٣ ربيع الأول ٣٨٦ سنة ٣٧٤، وتوفى فى ٣٩ ذى القعدة سنة ٤٠٦)[2] ، ....

٤ ـ المعز بن باديس، شرف الدولة (استقل بالأمر سنة ٤٣٧)[3] ، .... ٣٠ ذى القعدة ٤٠٦.

٥ ـ أبو طاهر تميم بن المعز .... مستهل شوال ٤٥٣.

استيلاء الفرنجة على المهدية .... ٤٨٠.

٦ ـ أبو طاهر يحيى بن تميم، (قتل فى ١٠ ذى الحجة سنة ٥٠٩)[4]، .... ١٥ رجب ٥٠١.

٧ ـ على بن يحيى (٥)، .... ١٠ ذى الحجة ٥٠٩.

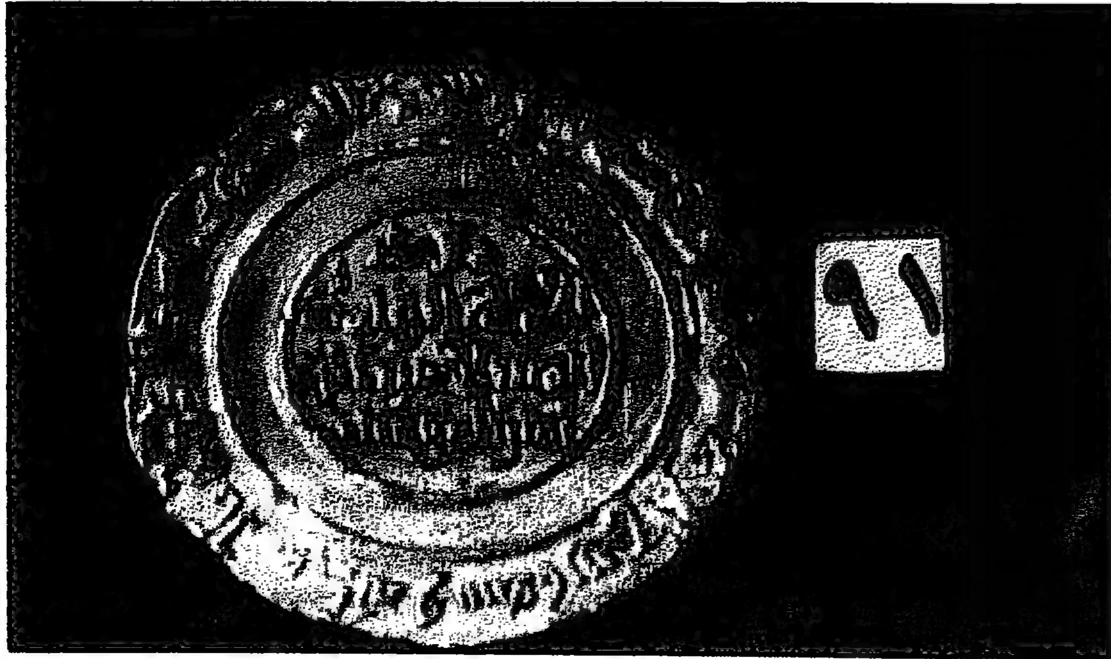
٨ ـ أبو يحيى الحسن بن على، (أصبح منذ سنة ٥٥٥ يحكم المهدية من قبل عبد المؤمن، ربيع الثانى ٥١٥ توفى سنة ٥٦٣) .... روجر الثانى النرمندى ثم الموحدون (١٠ المحرم سنة ٥٥٥). ٥٤٣.

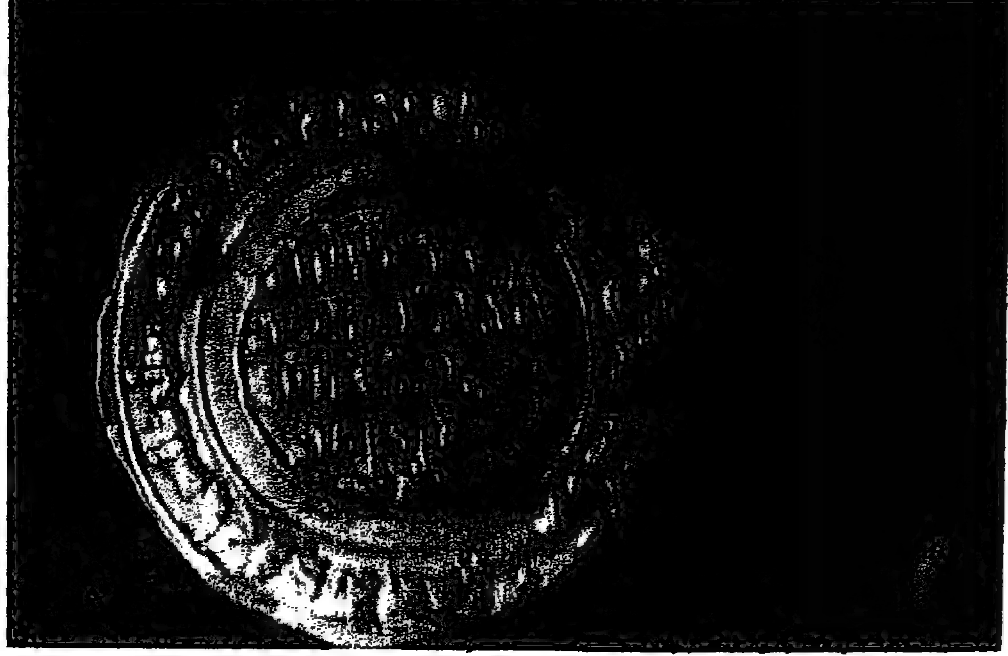
---

(١) ذكر ابن خلكان (ج١ ص ٩٣) أنه توفى بواركلان يوم الأحد لسبع بقين من ذى الحجة. المترجم.
(٢) المصدر السابق (ج١ ص ٨٦).
(٣) ولد فى ٧ جمادى الأولى سنة ٣٩٨ وتوفى فى مستهل شوال سنة ٤٥٣. انظر ابن خلكان (ج٢ س ١٠٤).
(٤) ابن خلكان (ج٢ ص ٢٣٩).
(٥) ولد بالمهدية فى ١٥ صفر سنة ٤٧٩ وتوفى فى ٢٣ ربيع الثانى سنة ٥١٥. انظر ابن خلكان (ج٢ ص ٢٤١).
مستخرج من زمباور معجم الأنساب والأسرات الحاكمه فى التاريخ الاسلامى والجامعة فؤاد الأول ١٣٧١ هـ – ١٩٥١ ص ١٠٩.

دينار ذهب يحمل رقم ٤٣٦٧ ، ٩١ مسلسل.عام الصك ٤٥١ هـ

في المهدية في شهر ربيع الآخر على طراز المستنصر بالله الفاطمي وهذا يثبت أن قابس فتحها الفاطميون من قبل عام ٤٥٥ هـ وعادت العملات الشعبية تضرب في المهدية





ضرب هذا الدينار في المهدية على الطراز الفاطمي عام ٤٥٥ هـ
ويحمل رقم مسلسل ٩٣ ورقم ٤٣٥٤٧ في سجل المتحف




٩٢٣

دينار يحمل رقم ١٧٠٨٦ في سجلات متحف الفن الإسلامي بالقاهرة

ضرب في المهدية عام ٤٥٧ هـ على الطراز الشعبي ويحمل رقم مسلسل ٨٩





المصادر والمراجع

المحتويات :

بسم الله الرحمن الرحيم

المصادر المخطوطة :-

البرادي : أبو القاسم بن إبراهيم البرادي د/ ٩٩٧ هـ/ ١٣٠٠م - رسالة في كتب الإباضية ١٧٩١ - دار الكتب المصرية.

العمري : ابن فضل الله شهاب الدين أبو العباس أحمد في القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي ؛ مسالك الأبصار ج ٢ - ٥٠ - عن بلاد المغرب والسودان والأندلس ٤٣٧٦ - دار الكتب المصرية ونشر جزء صغير يخص بلاد المغرب والأندلس تحقيق حسن حسني عبد الوهاب في تونس ١٣٨٢هـ - ١٩٧٢م في دورية كراسات تونسية العدد ٣٩. Cahiér de Tunisie XXXIX P.100 to 118.

العيني : بدر الدين أبو محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسن - ٨٥٥هـ ١٤٥١م عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان - ميكروفيلم ٣٥٠٦١ تاريخ دار الكتب المصرية.

المغربي : محمد الشطبي بدون ؛ كتاب الحماله في أخبار الزمان - ١٤١٦ تاريخ - دار الكتب المصرية ميكروفيلم ١٤١٩٧ تاريخ.

ابن منكلي : محمد بن منكلي المصري كان حيًا أثناء فترة حكم الأشرف زين الدين شعبان بن حسن بن الناصر محمد بن قلاوون - ٧٦٤ - ٧٧٨هـ ، ١٣٦٢ - ١٣٧٦ م - وتقلد أثناء حياته منصبا كبيراً في الجيش، الأحكام المملوكية والضوابط الناموسية في فنة القتال في البحر - هذا المخطوط هو رسالة دكتوراه عبد العزيز عبد الدايم من قسم التاريخ - جامعة القاهرة ١٣٨٨ هـ - ١٩٧٨م وهذا المخطوط لم ينشر وهو موجود بمكتبة الآداب - جامعة الإسكندرية تحت رقم ٩.

الوسياني : أبو الربيع سليمان بن عبد السلام بن حسان بن عبد الله الوسياني كان حيا في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري السير ص ٩١١٣ ج - ميكروفيلم ص ٨٤٥٢ دار الكتب المصرية. ود/ سعد زغلول له بحث : هوامش على سير الإباضية عن هذا المخطوط ضمن أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب ١٣٦٦هـ ١٩٧٩م.

الملزوزي: عبد العزيز عبد الواحد، نظم السلوك في تاريخ الأنبياء والخلفاء والملوك مصور عن الخزانة الملكية بالرباط وموجود بمكتبة بلدية الإسكندرية برقم ٢٥٨٩.

المصادر المخطوطة ١

المصادر المطبوعة :-

ابن الآبار : أبو عبد الله محمد بن أبي عبـد الله أبـي بكـر القضـاعي ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠م،
- الحلة السيراء - مج / حسين مؤنس - دار المعـارف ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م ط٢.
- المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي على الصدفي المكتبة الأندلسية - دار الكـاتب العربي ١٣٨٧هـ - ١٩٧٦م. كتاب التكملة لكتاب الصلة "غسان" نشر الفريديل وابـن أبي شنب - ط الجزائر المطبعة الشرقية ١٢٦٧ هـ /١٩١٩م ط ٢.

ابن الأثير : "عز الدين أبي الحسن على بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحـد الشـيباني المعـروف بـابن الأثـير د/ ٦٣٠هـ - ٢٥٥م"
- الكامل في التاريخ مراجعة د/ محمد يوسف الدقاق ط بيروت : "دار الكتب العلميـة ط ١ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

ابن الإخـوة : "محمـد بـن محمـد القرنـي المعـروف بـابن الأخـوة د/ ٧٢٧هـ ١٣٤٩م".
- معالم القربة في أحكام الحسبة - ط١ القاهرة الهيئة العامة للكتـاب - ١٣٦٩هـ - ١٩٦٧م.

الإدريسي: "محمد بن محمد بن أبي عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسـي مـن علمـاء القرن السادس الهجري - الثاني عشر الميلادي". نزهة المشتاق في أختراق الأفـاق ط بيروت عالم الكتب بدون.

الأزدي : "جمال الدين أبو الحسن على بن ظافر ويقال عنه أيضاً ابن ظافر ت/ ٦٢٣هـ - ١٢٤٥م"
-أخبار الدولة المنقطعة- تح حسن حبش ط القاهرة ط ١.

الإشبيلي : "بكر بن إبراهيم عاش في عصر الدولة المرينية" التيسير فـي صناعـة التسـفير. تقديـم وتحقيق عبد الله كنون - صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في تدريـس مجلـد ٧ - ٨ "١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م" ص ٣ وما يليها.

الإشبيلي : "ابن العوام الأندلسي الإسبيلي بدون" مختصر كتاب الفلاحة باعتناء بـانكوري - مدريـد ١٨٠٢ - ط١. وطبعة ثالثة بتونس بدون.

الأصفهاني : "عماد الكاتب د/ ٥٩٧هـ - ١٢٠٠م" جريدة القصر وجريدة العصر - قسـم شـعراء المغرب تح/ محمد المرزوقي - محمد العروس المطوي الجيلاني - تونس ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م النشرة الثانية.

ابن أصيبعة: "موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي ٦٦٨هـ - ١٢٩٠م عيون الأنباء في طبقات الأطباء - شرح وتحقيق نزار رضا - بيروت مكتبة الحياة ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

الأوسي الأنصاري : "نمير بن أبراهيم بدون" يرجع المحقق أنه عاش في زمـن الدولـة الأيوبيـة – تفريج الكروب في تدبير الحروب تحقيق جـورج سـكانلون. – القـاهرة : منشـورات الجامعة الأمريكية ١٣٩١هـ – ١٩٧١م.

ابـن بسّـام : "أبـو الحسـن بـن علـى بـن حسـن الشـنتريني ت ٥٤٢هـ – ١٠٦٤م" –الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – أربعة أقسام في ثمانية أجزاء تح إحسـان عبـاس ط بيروت دار الثقافة ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م.

ابن بشكوال : "ابو الوشم خلف ابن عبد الملك د/ ٥٧٨هـ ١٢٠٠م" كتاب الصلة "٧ أجـزاء بتقسـيم المؤلف" ط القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة – ١٣٨٦هـ – ١٩٦٦م "سلسـلة المكتبة الأندلسية – ٤".

ابن بصال : "عبد الله محمد إبراهيم بدون" كتاب الفلاحة – ط انطوان – ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

ابن بطوطة : "محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيـم اللواتـي الطنجـي د/ ٧٧٩هـ – ١٤٠١م" – تحفة النظار في عجائب الأمصار – المعروف برحلة ابـن بطوطـة ط بـيروت دار صادر ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

البكري : ابو عبيد الله عبد الله بن عبد العزيـز بـن محمـد ابـن أيـوب ابـن عمـرو البكـري (ت/ ٤٨٧هـ ١٠٩٠م". المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب دي سلان Deslane – ط باريس ١٢٩١هـ ١٩١١م ط٢. كتاب المسالك والممالك جزءان، تح ادريـان فـان ليوفن اندري فيري – ط٢.

البلاذري : "احمد بن يحي بن جابر د/ ٢٧٩ هـ – ٨٩٢م" – فتوح البلدان – تح/صلاح الدين المنجد – ط القاهرة – لجنة البيان العربي ١٣٧٦هـ – ١٩٥٦ نشر مكتبة النهضـة العربيـة بالقاهرة. ط تونس الدار التونسية للكتاب ١٤١٢هـ

البلوي : "لم تعرف – الوفاة" أبو محمد عبد الله بن عمير بن محفوظ المدني ١٩٩٥م كتـاب سـيرة أحمد بن طولون، تح محمد كرد علي – دمشق المكتبة العربية ١٣٥٨هـ/١٩٣٩م

البيذق : "ابو بكر الصنهاجي المكتبي بالبيذق عاش في القرن السـادس الـهجري – الثـاني عشـر الميلادي" اخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين الرباط دار المنصور للطباعة ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

التجاني : "ابو محمد عبد الله بن محمد بن احمد د/ بعد ٧١٠هـ تقريباً – ١٣٣٧م" رحلـة التجـاني تقديم جسن حسني عبد الوهاب – ط ليبيا – تونس – الدار العربية للكتـاب ١٤٠٢هـ ١٩٨١م. ط٢.

ابن تغري بردي : "جمال الدين على ابو المحاسن بن يوسـف الأتـابكي د/ ٨٧٤هـ – ١٤٦٩م". –النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ط القاهرة ١٣٨٣ هـ – ١٩٦٣م. المطبعـة الأميرية نسخة مصورة من هذه الطبعة.

التميمي والنوبختي : "الحسن بن موسي النوبختي وسعد بن عبد الله العمري التميمي بدون" -كتاب فرق الشيعة – تح/ عبد المنعم الحفني ط القاهرة – دار الرياط ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ط ١.

الجربي : "محمد بو راس د/ ١٢٢٢هـ – ١٨٤٣م" مؤنس الأحبة في أخبار حربة – تح/ محمد المرزوقي – ط تونس المطبعة الرسمية ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م.

الجرسيفي : "عمر بن عثمان" – رسالة في الحسبة – نشرها ليفي بروفنال من ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب – ط القاهرة – المعهد العلمي الفرنسي ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥م.

الجزنائي : "ابو الحسن على" – كتاب زهرة الآسي في بناء مدينة فاس ترجمة إلىالفرنسية ونشرة الفرديل Alfred Bel ط الجزائر – ١٣٤٣ هـ – ١٩٢٣م.

ابن جعفر : "ابو الفرج قدامة د/ ٣٢٨هـ – ٦٤٨م" الخراج وصيغة الكتابة تح/ محمد حسن الزبيدي ط. بغداد دار الرشيد للطباعة ١٤٠١هـ ١٩٨١م ط٢.

ابن جلجل : أبو داوود سليمان بن حسن الأندلسي المعروف بابن جلجل طبقات الأطباء والحكماء تح/ فؤاد سيد ط. القاهرة ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م.

الجوذري : "ابو على منصور العزيزي الجوذري عاش في القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي" سيرة الاستاذ جوذر – نشر محمد كامل حسن – محمد عبد الهادي شعيرة ط القاهرة – ١٣٧٤هـ – ١٩٥٤م ط١.

ابو حامد الغزالي : "محمد بن محمد الطوسي د/ ٥٠٥هـ – ١١٣٦م" التبر السبوك في نصيحة الملوك – مراجعة سامي النشار ط القاهرة بدون ١٤٤٨م – ٨٥٢هـ.

ابن حجر العسقلاني : "شهاب الدين أحمد بن على د/ ٨٥٢هـ – ١٤٤٨م" رفع الإصر عن قضاة مصر ط القاهرة ١٣٧٧هـ ١٩٥٧ط١.

أبو الحسن القابسي : "ابو الحسن على بن محمد بن خلف المعافري المعروف بأبي الحسن القابسي د/ ٤٠٣هـ – ١٢٠٥م" الرسالة المفصلة لأحوال المعلمين والمتعلمين-نشر حسن حسني عبد الوهاب ١٣٣٢هـ ١٩٥٢م.

الحسن الوزان : بن محمد الفاسي – المعروف بـ ليو الأفريقي عاش في القرن الثامن الهجري – الرابع عشر الميلادي". – وصف إفريقيا ترجمة محمد حجي – محمد الأخضر ط بيروت دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م ط٢.

ابن حزم : "ابو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم القرطبي الأندلسي الظاهري د/ ٤٥٦هـ ١٠٧٨م" – جمهرة انساب العرب تح/ عبد السلام م هارون ط. القاهرة دار المعارف ١٣٩١هـ – ١٩٧١م ط ٣ "ذخائر العرب – ٢". الفصل في الملل والأهواء والنحل – ط القاهرة – مكتبة الخانجي ١٣٢٠هـ – ١٩٤٠م – ط١ – خمسة أجزاء.

الحسن بن عبد الله : "بن محمد بن بن عبد الله د/ ٧٠٨ هـ – ١٣٠٨م" – آثار الأول وترتيب الدول – ط القاهرة مطبعة بولاق ١٢٩٥هـ – ١٨٧٥م على هامش كتاب السيوطي : تاريخ الخلفاء.

ابن حماد : أبو عبد الله محمد علي بن حماد د ٦٢٨هـ ١٢٣١م أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم. تح/ التهامي تقره وعبد الحليم عويس. ط. القاهرة دار الصحوة ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

الحمادي اليماني : "محمد بن مالك بن القضائل الحمادي " – كشف أسرار الباطنية وأخبار القرابطة تح/ محمد زينهم محمد عزب ط القاهرة – دار الصحوة – ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م ط١.

الحميدي : أبو عبد الله محمد بن ابي مضي فتوح بن عبد الله "ت ٤٨٨هـ – ١٠٩٥م" – جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، وأسماء رواة الحديث وأهل الثقة والأدب وذوي النباهة والشعر – ط / القاهرة – الدار المصرية للتأليف الترجمة والنشر – ١٤٨٦ هـ – ١٩٦٦م – ط١ "المكتبة الأندلسية – ٣".

الحميري : "ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم د/ ٧٢٧هـ – ١٣٢٧م" كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار تحقيق احسان عباس ط. بيروت ١٤١٠هـ ١٩٨٠م ط٢.

الحنبلي : "الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي د/ ٧٩٥ هـ – ١٣٩٢م" – الاستخراج لأحكام الخراج – بيروت دار المعرفة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ملحق بكتاب الخراج لأبي يوسف ووجدت طبعة أخري في مجلد مستقل من ط بيروت دار الكتب العلمية ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ط ١.

ابن حوقل : "ابو القاسم محمد بن على البغدادي النصيبي ت ٣٨٠هـ – ١٠٩٥م" – صورة الأرض – ط بيروت بدون / إلى جانب ط ليدن – برايل ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧م.

ابن حيان : "ابو مرون حيان بن خلفين حسين بن حيان د/ ٤٦٩ – ١٠٩١م" – المقتبس من انباء أهل الأندلس، تح/ عبد الرحمن الحجي ط بيروت سنة ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥م : السفر الثاني تح/ محمود على مكي بيروت دار الكتاب العربي ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣م. السفر الثالث – نشر ملنشور أثيوبيا – باريس بولس كنتر الكنبي – ١٣٥٧هـ – ١٩٣٧م. السفر الخامس – تح/ بهاروشا لميتا وغيبريكو كوتبطي م. صبيح – مدريد المعهد الأسباني العربي للثقافة الرباط كلية الآداب ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. – قطعة من عهد حكم المستنصر، تح/ عبد الرحمن الحجي بيروت دار الثقافة ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥م. "المكتبة الأندلسية – ٤".

ابن حيوس : أبو الفتيان محمد بن سلطان محسن بن محمد بن حيوس بن محمد بن المرتضي بن محمد بن الهيثم بن عدي ابن عثمان الغنوي "٤٧٣هـ – ١٠٩٥م". – ديوان ابن حيوس – ط بيروت بدون.

الخشني : "أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني ت ٣٦١هـ - ٩٧٢م" - قضاة قرطبة - الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦م "المكتبة الأندلسية - ١" وصفات علماء إفريقية، تح/ محمد زينهم ط القاهرة -مكتبة مدبولي ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

ابن الخطيب : "لسان الدين ابو عبد الله بن محمد بن سعيد بن الخطيب السليماني د ٧٧٦ هـ - ١٣٧٤م" أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام قسم ٣ تح / مختار العبادي ومحمد الكتاني تحت عنوان : تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط وهو الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصقلية ط الدار البيضاء دار الكتاب ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

ابن خردادبة : "ابو القاسم عبد الله بن عبد الله -ت ٣٨٠هـ ٩٩٠م" المسالك والممالك نشرة ليدن بريل ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م. وطبعة ثانية : بيروت مكتبة الحياة بدون.

ابن خلدون : "عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضري المغربي - د ٨٠٨هـ - ١٤٣٠م" - تاريخ ابن خلدون المسمي - كتاب العبر وديوان المبتد والخبز في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر.
- ط بيروت - مؤسس جمال للطباعة والنشر "بدون" المقدمة تح/ عبدالواحد وافي-
ط القاهرة دار الشعب ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١م ط ١.
التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً تح/ محمد بن تاديت الطبجي ط القاهرة ١٣٧١هـ ١٩٥١م. العمران البشري في مقدمة ابن خلدون تأليف بانيلا كريسوفا ترجمه عن الروسية رضوان إبراهيم مراجعة سمية محمد موسي ط القاهرة الهيئة العامة للكتاب - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦م "المكتبة العربية".

ابن خلكان : "شمس الدين ابو العباس احمد - ت ٦٨١هـ - ١٢٨٢م" وفيات الأعيان وأنباء الزمان تح/ احسان عباس في ثمانية مجلدان ط بيروت دار الثقافة ١٣٩١هـ - ١٩٧١م بدون.

ابن دحية : "عمر بن الحسن بن على - د ٦١٣هـ - ١٢٣٥م" المطرب في أشعار أهل المغرب تحقيق مصطفي عوض عبد الكريم - طر القاهرة ١٣٦٤هـ - ١٩٥٤م.

الدباغ : "ابو زيد عبد الرحمن عبد محمد بن الأنصاري الأسيدي الدباغ د. ٦٩٦هـ - ١٣١٨م" "أكملة وعلق عليه : أبو الفضل أبو القاسم بن عيسي بن ناجي د/ ٨٣٩هـ - ١٤٦١م" معالم الأيمان في معرفة أهل القيروان تحقيق وتعليق محمد ناضور ثلاثة أجزاء - ط تونس المكتبة العتيقة والقاهرة : مكتبة الخانجي ١٣٦٨هـ - ١٩٧٨م - ط١.

الدرجيني : "ت ٦٧٠هـ ١٢٧٢م" أبي العباس أحمد بن سعيد بن خلف المزاتي طبقات مشايخ المغرب جزآن، تح/ إبراهيم طلاي بيروت ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

الدواداري : "أبو بكر عبد الله بن أيبك د بعد ٧٣٦ هـ – ١٣٧٦م" كنز الدر وجمع الغرر – الجزء السادس نشر تحت عنوان : الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تح/ صلاح الدين المنجد. ط القاهرة ١٣٨١ هـ – ١٩٦١م.

الديار بكري : "حسين بن محمد بن الحسن د ٩٨٢ هـ – ١٥٧٤م" تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفس "جزءان" ط/ القاهرة. المطبعة الوهبية ١٢٨٣هـ – ١٨٦٣م ط١.

ابن أبي دينار : "محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني على الأرجح توفي ١١١٠هـ ١٦٩٨م" المؤنس في أخبار أفريقية وتونس – تحقيق محمد سخام ط تونس ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م ط و ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ط٢ وطبعة ثالثة ط دار المسيرة ومؤسسة دار السعيدان بتونس ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م ط٣.

ابن رشيد السبتي : "أبن عبد الله محمد بن عمر بن رشيد السبتي د / ٧٢١ هـ – ١٣٢١م بقابس". رحلة ابن الرشيد بعنوان المؤلف : ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة إلى الحرمين مكة وطيبة تحقيق محمد الحبيب الخوجة ط تونس : الدار التونسية للنشر ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢م.

الرشيق القيرواني : أبو اسحاق إبراهيم بن القاسم د بعد ٤١٧ هـ – ١٠٣٩م – قطعة من تاريخ لإفريقية والمغرب تحقيق عبد الله العلي الزايدان – عز الدين عمر موسي – ط بيروت – دار الغرب الإسلامي توزيع دار الشروق بالقاهرة ١٤١٠ هـ – ١٩٩١م ط١.

الرشيدي : "الرشيد الدين أبو الحسن أحمد بن علي ابن إبراهيم بن الزبير ت ٦٥٢هـ ١١٦٦م" الذخائر والتحف تح/ محمد حميد الله – ط الكويت ١٣٧٩هـ ١٩٥٣م.

ابن الزبير : "أبو جعفر احمد بن الزبير د ٧٠٨ هـ – ١٣٣٠م" – صلة الصلة – روائع التراث العربي – ط بيروت – مكتبة الخياط ١٣١٩ هـ – ١٩٧٢م.

الزركشي : "محمد ابو عبد الله بن ابراهيم بن اللؤلؤ كان حيا في ٧٩٤ هـ – ١٤١٦م" – أعلام لساجد بأحكام المساجد تحقيق الشيخ أبو الوفا مصطفي المرعي – ط القاهرة – ط ٣ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م – تاريخ الدولتين الموحد به والحفصية تح/ محمد ماضور – ط تونس " ١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦م".

ابو زكريا : "يحيى ابن أبي بكرالبراسني السدراتي ت ٤٧١هـ – ١٠٧٨م" السيرة وأخبار الأئمة، تح/ عبد الرحمن أيوب – تونس الدار التونسية للنشر ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

الزهري : "محمد بن أبي ركر أبو عبد الله كان حيا في القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي" – كتاب الجغرافيا تحقيق محمد صادق ط دمشق ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م. وتوجد طبعة أخرى ببيروت تدون.

سحنون : "سحنون بن سعيد التنوخي د ٢٤٠ هـ – ٨٦٢م" المدونة الكبري الأمام دار الهجرة الأمام مالك بن أنس الأصبحي "ستة عشر جزءا" نشر محمد ساس المغربي التونسي القاهرة – مطبعة السعادة ١٣٢٣هـ.

السراج : "محمد بن محمد بن السراج الوزيرالأندلسي : ١١٤٩ هـ – ١٧٧١م" الحلل السندسية في الأخبار التونسية – سلسلة نفائس المحفوظات – الجزء الأول في أربعة أقسام تح/ محمد الحبيب الهيلة – ط تونس ١٣٩٠ هـ – ٩٧٠م.

ابن سعيد المغربي : "ابو الحسن على بن موسي بن سعيد د / ٦٧٣ هـ – ١٢٨٥م" – بسط الأرض في الطول والعرض – تطوان ١٣٧٨ هـ – ١٩٨٥م – المغرب في حلي المغرب تح / شوقي ضيف جزءان القاهرة ١٣٧٣هـ – ١٩٥٠م – الغصون اليانعة في شعراء المائة السابقة تح / إبراهيم الإبياري ط – القاهرة دار المعارف ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٤م. – اختصار القرح المعلي في التاريخ المحلي – تح / ابراهيم الابياري ط بيروت دار الكتاب اللبناني ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م. كتاب الجغرافيا تح إسماعيل العربي ط بيروت ١٣٩٠هـ ١٩٧٠.

ابن سعد : "محمد بن سعد الكاتب الواقدي ت ٢٣٠ هـ – ٨٣٥م" – كتاب الطبقات الكبير ط القاهرة مطابع الأهرام تحقيق حمزة النشرتي – عبد الحفيظ فرغلي – عبد الحميد مصطفي ط القاهرة – مطابع الأهرام ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢"

السقطي الأندلس : "ابو عبد الله محمد بن ابي محمد القطر المالقي" – كتاب في آداب الحسبة – نشر كولين وليفي بروفنسال باريس ١٣١٥هـ – ١٩٣١م Livi – Prorvencal and colin.

السلاوي : "ابو العباس احمد بن خالد الناصري ت ١٣١٥ هـ – ١٨٩٧م" – الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصي ج١ – ط الدار البيضاء ١٣٧٣ هـ – ١٩٥٤م.

السمرقندي : "الحاكم الامام ابي نصر احمد بن محمد السمر قندي الأبر يسيمي د/ ٥٥٠ هـ – ١١٧٢م" – رسوم القضاة تحقيق محمد باسم الحديثي ط بغداد – ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م "سلسلة كتب التراث – ١٢٤"

السويدي : أبي الفوز محمد أمين البغدادي "لم يذكر سنة وفاته" سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ط. بيروت ودار الكتب العلمية ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

السيوطي : "الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد د ٩١١ هـ – ١٥٣٣م" – بغية الدعاة في طبقات اللغويين والفجاة جزءان تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ط القاهرة – البابي الحلبي ١٣٨٤ هـ – ١٩٩٤م. – حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة جزءان القاهرة ١٣٢٧ هـ – ١٩٤٧. – تاريخ الحلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ط القاهرة ١٣٥١ هـ – ١٩٧١م.

ابن شاكر : "ابن شاكر الكتبي ١٢٠ هـ – ٧٦٤م" – فوات الوفيات خمسة أجزاء تحقيق احسان عباس ط بيروت ١٣٩٣ هـ – ١٩٧٣م. – عيون التواريخ تح/ فيصل السامر ونبيلة داوود جلود ط بغداد ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م.

ابو شامة : "عبد الرحمن بن اسماعيل شهاب الدين الدقيقي ت ٦٦٥ – ١٢٦٨م" – كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية جزءان ط القاهرة ١٢٨٧ هـ – ١٩٠٩م ط دمشق ١٤١٥هـ ١٩٩١م – الذيل على الروضتين – نشرة عزت العطار الحسيني الدمشقي بعنوان : تراجم رجال القرنين السادس والسابع والقاهرة ١٣٦٧ هـ – ١٩٤٧م.

ابن شاهنشاه : "محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي" مضمار الحقائق وسر الخلائق، تح/ حسن حبشي ط القاهرة ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

ابن شداد : "القاضي بهاء الدين ابو المحاسن يوسف بن رافع ابن تميم ٦٣٢ هـ – ١٢٣٤م" – النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ط بيروت بدون.

الشماخي : "ابو العباس احمد بن سعد ابن أبي عثمان بن عبد الواحد د ٩٢٨ هـ – ١٥٢٢م" السير ط٢ تحقيق أحمد بن مسعود الشيباني سلطنة عمان منشورات وزارة التراث القومي ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

الشهر ستاني : "ابو الفتح محمد بن عبد الكريم ابن ابو القاسم ت ٥٤٨ هـ – ١١٥٣م" – الملل والنحل – ط القاهرة ١٣٦٨ هـ – ١٩٤٨م ط١ وتوجد طبعة ثانية بيروت بدون.

الشيزري : "عبد الرحمن بن نصر ت ٥٨٩ هـ – ١١٩٣م" نهاية الرتبة في طلب الحسبة – تح/ السير الباز العربي ط القاهرة ١٣٦٦هـ – ١٩٤٦م وطبعة ثانية القاهرة الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٩م.

ابن صاحب الصلاة : "ابو عبد الله بن احمد بن مسعود بن عبد الملك المعروف بابن صاحب الصلاة ولد بشاطبة ٥٤٢ هـ – ١١٦٤م –ت ٦٣٥ هـ – ١٢٥٧م" – تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين – السفر الثاني تحقيق عبد الهادي التازي – ط بيروت "١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م".

ابو صالح : "الأرمني – ٦٠٦ هـ – ١٣٠٨م – تاريخ الشيخ ابو صالح الأرمني المعروف بكتاب كنائس واديرة مصر – طبع وترجمة اينس – A.T.A. Eretts. اكسفورد – ١٣١٣ هـ – ١٨٩٥م.

ابن الصغير : "كان معاصر للدولة الرسمية في عهد السلطان افلح بن عبد الوهاب الذي حكم ما بين ٢٤١ هـ – ٨٥٥م و ٢٨١ هـ – ٨٩٤م" – تاريخ الائمة الرسميتين ط بيروت بدون.

الصفدي : "صلاح الدين خليل بن ايبك ٧٦٤ هـ – ١٣٨٦م" – الوافي بالوفيات تسعة أجزاء مطبوعة نشر دار نشر فرانز ستابنلي ايفسباونو طبعة ثانية منقحة بمساعدة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية – بيروت دار صادر – اعتناء سروي برسيج.

ابن الصيرفي : "ابو القاسم على بن منجب بن سليمان الشهبي بابن الصيرفي من رؤساء الكتاب في عهد الدولة الفاطمية" – قانون ديوان الرسائل – والإشارة إلى من نال الوزارة تح/ أيمن فؤاد ط القاهرة ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م ط٢

الضبي : "أحمد بن يحي بن احمد بن عميرة د ٥٩٩ هـ – ١٢٠٣م"
بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس. ط لقاهرة – دار الكاتب العربي – ١٣٨٧ هـ – ١٩٦٧م المكتبة الأندلسية – ٦

الطبري : "أبو جعفر محمد بن حرير ت ٣١٠ هـ – ٩٣٢م" – تاريخ الرسل والملوك "ج٣ ,٥، ٤" تح/ محمد أبو الفضل ابراهيم . ط القاهرة دار المعارف ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤م "ذخائر العرب ٣٠".

الطرطوشي : "أبو بكر محمد بن الوليد بن الأندلسي – ٥٢٥ هـ – ١١٢٦م" – سراج الملوك ط مصر المطبعة الخيرية ١٣٠٦ هـ – ١٩٣٦م ط١ وطبعة ثانية في بيروت بدون.

ابن عبد الحكم : "أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الحكم بن اعين – ٢٥٧ هـ – ٨٧١م" – فتوح مصر وأخبارها تحقيق عبد المنعم عامر ط القاهرة مكتبة مدبولي ١٤٠١ – ١٣٨١ هـ – ١٩٩١م ط١.

ابن عبد الملك الأنصاري : "أبو عبد الله محمد بن محمد الأوسي" – التكملة لكتابي الموصول والصلة تح/ احسان عباس ط بيروت مكتبة دار الثقافة ١٣٨٥ هـ – ١٩٦٥م.

ابن عبدون : "محمد بن أحمد بن عبد ربه التميمي" – رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة ضمن ثلاثة رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب – نشر ليفي بروفنسال القاهرة – المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرعية ١٣٧٥هـ – ١٣٥م.

العبدري : رحلة العبدري ، المسماة الرحلة المغربية "من سنة ٦٨٨هـ إلى سنة ٦٩٠هـ" سلسلة الرحلات "٤" ، المجموعة الحجازية "١" ، تحقيق محمد الفاسي ، نشر جامعة محمد الخامس ، الرباط المغرب ، ١٩٦٨م.

عبد الواحد المراكشي : "محي الدين عبد الواحد بن على التميمي المراكشي ولد ٥٨١هـ – ١٢٠٣م" المعجب في تلخيص أخبار المغرب تح/ محمد زينهم محمد مراد ط القاهرة دار الفرجاني للنشر والتوزيع ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

ابن عذاري : "ابو العباس احمد بن عذاري المراكشي بن رجال القرن السابع الهجري – الثالث عشر الميلادي"، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ط ١ تحقيق ليفي بروفنسال – كولين– ط ليدن – ١٣٦٨ هـ – ١٩٤٩م– ج٢ تصحيح دوزي – ليدن ١٢٦٨ هـ – ١٨٤٩م – ج٣ تحقيق ليفي بروفنسال باريس ١٣٥٠هـ – ١٩٦٧م –تح/ احسان النسر بيروت ط دار الثقافة ١٣٧٨هـ – ١٩٦٧م وقسم يخص دولة الموحدين، تح/محمد المزالي وآخرون– نشر نطوان ١٣٨٣هـ – ١٩٦٣م.

أبو العرب التميمي : "أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام بن تميم التميمي ط/ ٣٣٣هـ – ٩٤٤م" – طبقات علماء أفريقية وتونس تحقيق على الشابي ط تونس ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م.

عماد الدين إدريس : "الداعي إدريس عماد الدين الفرنسي بن عبد الله الألفي من رجال القرن التاسع الميلادي" ٨٧هـ – ١٤١٧م – عيون الأخبار وفنون الآثار سبعة أجزاء ج٥ عن الدعوة الشيعية في اليمن والمغرب إلى سقوط الأغالبة وعهد المهدي ج٦ في الخلافة الفاطمية من المعز إلى المستنصر وج٧ في الدولة الصليحية باليمن ج٥ ،تح/ فرحات الدشراوي ط تونس ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ج ٧ محفوظة في مكتبة عباس الهمداني.

يوجد طبعة بيروت ١٤٥هـ – ١٨٥م بعنوان تاريخ الخلفاء الفاطميين في المغرب، تح/ محمد البغدادي.

العقباني : "أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد العقباني د / ٨٧١ هـ – ١٤٩٣م" تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر – تح/ على الشنوفي نشر في دورية Bulletin d'êtudes orientales ١٣٨٨هـ – ١٨٦٧م.

العماد الأصفهاني : "أبو عبد الله محمد بن صفي الدين ٥٩٧هـ ١٢٦٧م"، جريدة القصر وجريدة العصر قسم شعراء المغرب تحقيق عمر الدسوقي وعلى عبد العظيم ط القاهرة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤م.

ابن عمر : "يحي بن عمر" – أحكام السوق – نص فيه استخرجه محمود على مكي وعلق عليه في صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد – المجلد الرابع ١٣٧٥ هـ – ١٩٥٦م.

العياشي : "أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المالكي المغربي ١٠٩٠هـ ١٦٧٩م". رحلة العياشي أو ماء الموائد "النص الخاص بليبيا وخاصة برقة وطرابلس في رحلتي الذهاب والعودة فيما بين تونس ومصر ، خلال الفترة الممتدة من سنة ١٠٥٩هـ/١٦٤٩م إلى ١٠٧٤هـ/١٦٦٣م" ، تح/ الدكتور سعد زغلول عبد الحميد وآخرون ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ١٩٩٦م.

القاضي عياض : "القاضي عياض بن موسي السبتي د/ ٥٤٤هـ – ١١٦٦م" – ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك – تعليق محمد بن تاويت، تح/ محمد بن الشريف ط الرباط ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م وج٣ ،تح/ عبد القادر الغمراوي ط الرباط ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م.

الغبريني : "أبو العباس احمد بن أحمد بن عبد الله الغبريني ٦٤٤ هـ – ٧١٤هـ – ١٢٦٦ – ١٣٣٦م". عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة بيجابة. ط بيروت "١٣٨٩هـ – ١٩٧٩م".

ابن غلبون : "محمد بن خليل الطرابلسي – من رجال القرن الثاني عشر الهجري – الثامن عشر لميلادي" تاريخ طرابلس العرب المسمي بالتذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخبار نشر وتصحيح القاهرة أحمد الراوي – القاهرة ١٣٤٩هـ – ١٩٢٩م.

أبو الفدا : "عماد الدين اسماعيل نور الدين على بن جمال الدين محمد ٧٣٢هـ – ١٣٣٤م". – تقويم البلدان – قام بتصحيحه وطبعه البارون ماك كولن – ط باريس ١٣٥٠هـ – ١٩٣٠م – المختصر في أخبار البشر ط بيروت دار المعرفة – دار النشر والطباعة.

ابن فرحون : "برهان الدين إبراهيم ابن شمس الدين بن على بن محمد بن فرحون المالكي – ٧٩٤هـ – ١٣٩٩هـ"، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب جزئان تح/ محمد الأحمدي أبو النور القاهرة دار النشر سنة ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٥م.

ابن الفرضي : "ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف، ت ٤٠٣ هـ – ١٠٢٥م". – تاريخ علماء الأندلس جزءان – القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر ١٣٨٦ – ١٩٦١م "المكتبة الأندلسية – ٢".

ابن الفقيه: "أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني المعروف بابن الفقيه ٣٦٥هـ – ٩٩٥م" – مختصر كتاب البلدان ط ليدن ١٨٨٥ م – ١٢٥٣هـ .

ابن قتيبة : "ابو محمد عبد الله بن مسلم ٢٧٦٠هـ – ٨٩٨م"– الإمامة والسياسة "المنسوب إليه" تح/ طه الزيني – بيروت دار المعرفة للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧.

القسنطيني : "ابو العباس احمد بن الحسين على بن الخطيب المعروف بابن قنفد القسنطيني ت ٨١٠ هـ – ١٤٣٢م" – الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح/ محمد الشاذلي تونس الدار التونسية للنشر ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م، سلسلة نفائس المخطوطات.

ابن القطان : "ابو الحسن على بن محمد عبد الملك الكتاني الفاسي ت ٦٢٨هـ – ١٢٣٠م" نظم الجمان في أخبار الزمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، الطبعة الأولى ، تح/ الدكتور محمود على مكي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ١٩٩٠.

القلقشندي : "أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الشهاب الشافعي البدري. ت ٨٢١هـ – ١٤١٨م" – صبح الأعشي في صناعة الإنشا ج٥ نشر المؤسسة المصرية العاملة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، "مجموعة تراثنا" ، مطبعة كوستا توماس بالظاهر ، القاهرة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، الطبعة الثانية ، تح/ إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب المصري واللبناني ، القاهرة بيروت ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

الكندي : "أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي المصري ت ٣٥٠هـ – ٩٧٢م" – كتاب الولاة وكتاب القضاة تصحيح زمن كتب ط بيروت مطبعة الأباء اليسوعين ١٢٨٠ هـ – ١٩٠٨م).

المالقي : "أبو الحسن علي بن محمد المعافري ت ٦٠٥ هـ – ١٢٠٨م" – الحدائق الغناء في أخبار النساء. تراجم لشهيرات النساء في صدر الإسلام، تح/ عايدة الطيبي – ط ليبيا – تونس الدار العربية للكتاب – مطبعة الشركة التونسية ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ – ط١.

الأمام مالك : "الإمام مالك بن أنس ت ١٧٩ هـ – ٧٩٥م" – موطأ مالك – جزءان تصحيح محمد فؤاد عبد الباقي – ط القاهرة دار إحياء الكتب العربية ١٣٧١ هـ – ١٩٧١م.

المالكي : "أبو عبد الله بن أبي عبد الله المالكي ت في القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي". كتاب رياض النفوس في صفات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونسائهم وسير من أخبارهم وفضائلهم ج١ في حسين مؤنس ط القاهرة ١٣٦٤هـ وطبعة أخرى ،تح/ بشير البكوش، بيروت ط٢.

الماوردي : "القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي ت ٤٥٠ هـ – ٩٥٧م" – الأحكام السلطانية والولايات الدينية نشر محمد فهمي السرجاني – ط القاهرة المكتبة التوفيقية ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

مجموعة : رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية صدرها ليفي بروفنسال. – ط المغرب – المطبعة الاقتصادية – ١٣٦٠هـ – ١٩٤١م.

مجموعة : الوثائق الفاطمية ،تح/ جمال الدين الشيال ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.

المسعودي : "محمد الباجي المسعودي" – الخلاصة النقدية في أمراء أفريقية ط تونس ١٣٢٣ هـ – ١٩٤٣م ط١.

ابن مغاور : "الأندلس" نور الكمائم وسجع الحمائم، تح/ محمد بن شريفة – ط الرباط ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م ط١.

المقدسي : "شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن أبي بكر ابن البناء الشامي المقدسي البشاري
ت حوالي ٣٩٠هـ – ١٠٠٠م" – أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم – ط. القاهرة – مكتبة مدبولي ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م ط٣ – المقدس حياته تأليف فلاح شاكر بغداد ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ط١.

المقري : "أحمد بن محمد المقري التلمساني ت ١٠٤١ م – ١٦٣١م" – أزهار الرياض في أخبار عياض نشر فيه ثلاثة أجزاء مصطفي السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي – ط. القاهرة ١٣٥٢هـ – ١٩٤٢م – نفح الطيب من غصن الأندلس الرهيب عشر أجزاء تح/ أحسان عباس ط بيروت ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م وتوجد طبعة أخري بيروت بدون.

المقريزي : "تصر الدن أحمد على بن تقي الدين ت ٨٤٥هـ – ١٣٧٧م" – الواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية – ط بيروت بدون – السلوك لمعرفة دول الملوك نشر محمد مصطفي زيادة ط القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ثلاثة أجزاء – اتعاظ الحنفا بذكر الفاطميين الخلفا تحقيق محمد حلمي أحمد ط القاهرة ط٢ – نشر جمال الدين الشيال ١٣٦٨هـ – ١٩٤٨م – المقفي الكبير ٨ أجزاء، تح/ محمد البعلاوى ط بيروت ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

المكناسي : "أبو عبد الله محمد بن احمد بن محمد المكناسي ت ٩١١هـ – ١٥٣٣م"– الروض الهاتون في مكناسة الزيتون ط الرباط ١٣٧١هـ – ١٩٥٣م.

المنصوري : "بيبرس المنصوري نائب السلطنة بمصر ت ٧٢٥هـ – ١٣٤٧م" – مختار الأخبار – تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة ٧٠٤هـ ،تح/ عبد الحميد صالح حمدان ط بيروت الدار المصرية اللبنانية ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م ط١.

ابن منظور الأفريقي :"جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على بن أحمد ابن القاسم بن منظور الأفريقي المصري "٦٣٠ – ٧١١هـ – ١٢٣٢ – ١٣١١م" – لسان العرب – تح/ عبد الله على الكبير – محمد أحمد حسب الله هاشم محمد الشاذلي ستة أجزاء ط القاهرة – دار المعارف ط ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.

مؤلف مجهول : "أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم" – دراسة وتح/ محمد زينهم محمد عزب ط القاهرة – دار الفرجاني للنشر والتوزيع ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م ط١.

مؤلف مجهول : "الحلل الموشيه في ذكر الأخبار المراكشية" – تح/ سهيل ذكار – عبد القادر زمامة ط الدار البيضاء – دار الإرشاد الحديثة ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

مؤلف مجهول : كتاب فتح الأندلس – نشر المستشرق الأسباني خوالكين جونثالث – ط الجزائر – ١٢٦٧هـ – ١٨٨٩م.

مؤلف مجهول : كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار ، لكاتب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري ، نشر وتح/ د. سعد زغلول عبد الحميد ، الإسكندرية ١٣٧٨هـ.

مؤلف مجهول : كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس في عصر الموحدين ، نشر أويثي ميراندا صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلدان التاسع والعاشر، ١٩٦١-١٩٦٢.

مؤلف مجهول : "مفاخر البربر نشر ليفي بروفنسال ط الرباط - ١٣٣٤م" - وهذا المؤلف المجهول ألف كتابه في ٧١٢هـ - ١٣٣٤م.

ابن ميسر : "تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب ت ٦٧٧هـ ١٢٧٨م":

" أخبار مصر - المنتقى من " انتقاه تقي الدين المقريزي ، تح/ أيمن فؤاد سيد ، القاهرة - المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

ناصر خسرو : "ناصر خسرو علوي " - سفر نامة أو رحلة ناصر خسرو - تح/ يحي الخشب ط القاهرة ١٤١٢هـ / ١٩٢٢م ط٢.

النباهي المالقي: " أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي ت أواخر القرن الثامن هـ و الرابع عشر الميلادي" - المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا - تح ونشر ليفي بروفنسال - ط القاهرة دار الكاتب المصري ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م.

ابن النديم : "أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق المعروف بالوراق ت ٤١٢هـ/١٠٢١ تقريبا" "الفهرست " تحقيق رضا تجدد ، طهران ١٣٥٠هـ/١٩٧١م.

النعمان القاضي : "أبو حنيفة بن محمد بن حيون المغربي ت ٣٦٣هـ/٩٧٤م" المجالس والمسايرات ، تح/ الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح ، ومحمد اليعلاوي منشورات الجامعة التونسية ١٣٩٨ هـ-١٩٧٨ ط رسالة افتتاح الدعوة" تح/ وداد القاضي ،ط بيروت ١٣٩١ هـ - ١٩٧١م- دعائم الاسلام ،تح / تامر العارف ، ط بيروت ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

النويري : "شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري النويري ت ٧٣٢هـ - ١٣٦٤م" - نهاية الأرب في فنون الأدب واحد وثلاثون جزء تح نخبة كبيرة من الأساتذة/ سعيد عاشور ومحمد أمين وحسين نصار وآخرون ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٤١٢ - ١٩٩٢م.

ابن هشام : "ابن محمد عبد الملك بن هشام المعافري ت ٢١٣هـ - ٨٣٥م" - مختصر سيرة ابن هشام جزءان - ط القاهرة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ط١.

الهمذاني : "أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ت ٣٢٤هـ/٩٤٥م " صفة جزيرة العرب" تح/ محمد بن على الأكوع ، طبعة ثالثة ، بيروت ١٩٨٣.

ابن واصل : "جمال الدين بن واصل الشافعي المذهب ت ٦٩٧هـ -١٢٩٨ م" - مفرج الكروب في أخبار بني أيوب نشر جمال الدين الشيال - جزءان ط القاهرة ١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م.

ابن وردان : تاريخ مملكة الأغالبه، تح/ محمد زينهم محمد عزب ط القاهرة - مكتبة مدبولي ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

ابن الوردي : "محمد بن عمرو ت ٧٤٩هـ - ١٣٧١م" - تاريخ ابن الوردي - جزءان - منشورات العراق النجف - نشر المطبعة الحيدرية ١٣٨٩هـ - ١٩٦٠م ط٢.

ابن الوزان : "الحسن بن محمد الوزان الزياني ت حوالي ٩٣٠هـ/ ١٥٥٢م" - "وصف إفريقية" ترجمة من الإيطالية إلى الفرنسية A. EPAULARD وعلق عليها ايبلار ث. مونو، ترجمة من الفرنسية إلى العربية د. عبد الرحمن حميدة ، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية العلوم الاجتماعية ، الرياض ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

الونشريس : "أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن على ت ٩١٤هـ - ١٥٣٦م" المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقية والأندلس والمغرب - تح/ جماعة بن الفقهاء نشر ط محمد حجي ط بيروت دار الغرب الإسلامي ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

ياقوت الحموي : "شهاب الدين أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت ٦٢٦هـ - ١٢٤٨م" - معجم البلدان خمسة أجزاء - ط بيروت دار صادر ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م. - معجم الأدباء - عشرين جزءا - ط القاهرة مطبوعات دار المأمون - مكتبة القراءة والثقافة الدكتور أحمد فريد الرفاعي - مراجعة وزارة المعارف العمومية.

اليعقوبي : "احمد بن ابي يعقوب بن وهب بن واضح ت ٢٨١هـ - ٩٠٣م" - تاريخ اليعقوبي - ط بيروت دار صادر جزءان - جغرافية اليعقوبي مطبوع مع مؤلف بن رستة الأعلاق النفيسة ط بيروت - ط٢

اليماني : "طاهر بن إبراهيم الحارثي اليماني ت ٥٨٤هـ/١٢١١م"- "الأنوار اللطيفة " ملحق بكتاب الحقائق الخفية عن الشيعة الفاطمية والأثنى عشرية ، لمحمد حسن الأعظمي، القاهرة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

يحيى الأنطاكي : "يحيى ابن الأنطاكي ت ٤٥٨هـ/١٠٦٦م" تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي " باريس ١٣٤٤هـ - ١٩٢٤م، بيروت ط/خرى.

ابن يوسف الحكيم : "أبو الحسن علي بن يوسف "- " الدرجة المشتبكة في ضوابط دار السكة ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد السادس ، العدد "١-٢" ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

أهم المراجع العربية والمعرّبة

ابتسام مرعى خلف الله : العلاقات بين الخلافة والموحدية والمشرق الاسلامى ط دار المعارف. ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

إبراهيم حركات : النشاط الاقتصادى الاسلامى فى العصر الوسيط ط افريقيا الشرق ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م ط١.

إبراهيم طرخان : الإقطاع الإسلامى ـ أصول تطوره.

مجلة الجمعية المصرية التاريخية مجلد ٦ ـ ١٣٦٦هـ ـ القاهرة.١٩٥٧ ـ

إبراهيم العدوى : تاريخ العالم الإسلامى جزء أن القاهرة مكتبة الإنجلو إمبراطورية غانا الإسلامية ـ القاهرة ١٣٠٤هـ ١٩٨٤م.

إحسان حقى : المغرب العربى ـ بيروت (بدون تاريخ).

تونس العربية ـ بيروت دار الثقافة ط٢.

إحسان عباس : ١ـ تاريخ ليبيا منذ الفتح العربى حتى مطلع القرن التاسع الهجرى ـ بيروت ط١

٢ـ العرب فى صقلية دراسة فى التاريخ والأدب ـ دار المعارف ١٣٨٠هـ ـ ١٩٥٩م.

أحمد الطاهر الزاوى : تاريخ الفتح العربى فى ليبيا ـ دار المعارف ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م.

أحمد فكرى : مسجد القيروان ط الدون بوسك ط١ وط٢.

أحمد مختار العبادى : ١ـ الحياة الاقتصادية فى المدينة الإسلامية عالم الفكر المجلد ١١ ـ العدد الأول.

٢ـ دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس الاسكندرية ط١.

٣ـ سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ـ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد مجلد ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م.

أرشيبال دى لويس : القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط ترجمة أحمد محمد عيسى ـ مكتبة النهضة المصرية بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر.

أمارى ميشيل : المكتبة العربية الصقلية ـ ليبسك ١٢٩٥هـ ١٨٧٥م.

إمبرتو ريتستيانو : النور مانديون وبنوزيرى مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٤٩ مجلد ١١ ص ٧٥ ـ ٩٠.

أمين توفيق الطيبى : دراسات فى التاريخ الإسلامى جزآن ط١ طرابلس ١٤١٢هـ ط١ ١٩٩٥م.

بل الفريد : الفرق الإسلامية فى الشمال الإفريقى ـ ترجمة عبدالرحمن بدوى ـ

بنغازى ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م.

انستاس الكرملى : رسائل فى النقود العربية والإسلامية وعلم النميات ط القاهرة ـ مكتبة الثقافة الدينية ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م ط٢

جمال حمدان : جغرافية المدن ـ القاهرة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م ط١.

جورج مارسيه : بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامى فى العصور الوسطى ـ ترجمة محمود عبدالصمد هيكل ـ مراجعة مصطفى أبوضيف أحمد ـ منشاة المعارف إسكندرية ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م ط١.

جويتين : دراسات فى التاريخ الإسلامى والنظم الإسلامية فى حوض المتوسط ـ ترجمة عطية القوصى ط بيروت توزيع مكتبة مدبولى.

حامد العجابى : مسكوكات إفريقية ط جامعة القاهرة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

الحبيب الجنحانى : دراسات اقتصادية واجتماعية فى تاريخ العرب ط٢

حسن إبراهيم حسن : ١ـ تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى ٣ أجزاء ـ القاهرة ١٣٧٧هـ ـ ١٩٥٧م.

٢ـ الدولة الفاطمية مكتبة النهضة المصرية ١٤١٣هـ ط٥.

٣ـ انتشار الإسلام فى القارة الإفريقية ـ مكتبة النهضة المصرية ١٣٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ط٣.

حسن أحمد محمود : ١ـ قيام دولة المرابطين مكتبة النهضة المصرية ١٣١٤هـ ١٩٥٤هـ ـ ١٩٨٤م ط٣

٢ـ دور العرب فى نشر الحضارة فى غرب إفريقية المجلة التاريخة المصرية مجلد ١٤ ـ ١٣٨٨هـ ـ ١٦٦٨م القاهرة.

٣ـ محنة الشيعة بإفريقية فى القرن الخامس الهجرى مجلة كلية الآداب مجلد ١٢ ـ عدد ٣ ـ ١٣٧٠هـ ـ ١٣٥٠م.

حسن حسنى عبدالوهاب : ١ـ ورقات فى الحضارة ـ تونس ط١.

٢ـ قصة جزيرة قوصرة العربية ـ مجلة الجمعة التاريخية المصرية مجلد ١٢، عدد ٢ ـ ١٩٦٩هـ ـ ١٩٤٩م.

٣ـ خلاصة تاريخ تونس ـ تونس ط١.

٤ـ بساط العقيق فى حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق تونس ١٩٧٠م ـ ١٣٩٠هـ ط٢

٥ـ شهيرات التونسيات المطبعة التونسية ١٣٥٣هـ

الحسن السائح : الحضارة المغربية عبر التاريخ، ج١، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٩٧٥م.

حسن على حسن : دراسات فى تاريخ المغرب العربى، مكتبة الشباب، القاهرة ن ١٩٧٧.

حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس، مكتبة مدبولى، ط٢، ١٩٨٦م.

- أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء الإعلام العربى، القاهرة، ١٩٨٧م.

- فتح الغرب للمغرب،، الزهراء ط١.

- المسلمون فى حوض البحر الأبيض المتوسط الحروب الصليبية.

- مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، ج٤، مايو ١٩٥٠ وطبع كتاب: للدار المصرية اللبنانية ١٤١١هـ - ١٩٩١م ط١.

- تاريخ المغرب وحضارته، الزهراء ط٢.

- غارات النورمانديين على الأندلس مقال بمجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، مايو ١٩٤٩م.

ديماند ز. م. س : الفنون الإسلامية ترجمة أحمد عيسى ط مصر ١٣٦٤هـ - ١٩٨٤م.

رابح بونار : المغرب العربى تاريخه وثقافته - الجزائر ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

رولاند أوليفر وجوفيج : موجز تاريخ إفريقية ترجمة دولت صادق مراجعة أحمد السيد غلاب - الدار المصرية للتأليف والترجمة (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م).

زكى محمد حسن : ١- كنوز الفاطميين - القاهرة - ١٣٥٦هـ - ١٩٤٨م.

٢- فنون الإسلام - القاهرة - ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م.

زكى مبارك : التصوف الإسلامى فى الأدب - ج١ - دار الجيل بيروت.

سحر سيد عبدالعزيز سالم : ١- تاريخ بطليوس الإسلامى جزان الإسكندرية ١٩٩١م.

٢- طرق تجارة التوابل فى العصر الإسلامى من أبحاث الندوة العالمية الطرق العربى - اليونسكو ونشر فى مجلة كلية الآثار مجلد ٥.

٣- شاطبة الحصن الأمامى لشرق الأندلس - الاسكندرية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٤- رباط الفتح - الإسكندرية ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٥- قادس ط ١٤١٣هـ - الإسكندرية ١٩٩٣م.

٦- بنو خطاب بن عبدالجبار الترمذى الإسكندرية ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٧- العراقيون فى مصر فى القرن السابع الهجرى - الإسكندرية ١٩٩١م.

٨- بحوث فى التاريخ الإسلامى وحضارته القاهرة - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

سعيد عبدالفتاح عاشور : ١- بحوث فى التاريخ الإسلامى وحضارته القاهرة - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٢- الحياة الاجتماعية فى المدينة الإسلامية - عالم الفكر مجلد ٢ عدد ٢.

٣- طرق تجار الحرير - بحث القى فى الندور العلمية العالمية لطرق الحررير لليونسكو ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٤- الحركة الصليبية ج١ القاهرة - ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٥- بحوث فى تاريخ الإسلام وحضارته.

٦ـ المدينة الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوروبية القاهرة ١٤٩٢هـ ـ ١٩٨٢م وآخرون.

٧ـ تاريخ الحضارة الإسلامية العربية إسكندرية ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

سيد عبدالعزيز سالم وأحمد مختار العبادى
ـ تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس دار النهضة العربية ـ بيروت ـ ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م ط١.

سيد عبدالعزيز سالم : ١ـ المغرب الكبير ـ دراسة تاريخية أثرية ـ إسكندرية ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م ط١.
تاريخ المغرب الإسلامى ١٤١٦هـ ـ ١٩٨٦م ط٢.
٢ـ تاريخ مدينة المرية الإسلامية
مؤسسة شباب الجامعة ـ إسكندرية ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
٣ـ قرطبة حاضرة الخلافة ـ دار النهضة العربية ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م.

سعد زغلول عبدالحميد : ١ـ تاريخ المغرب العربى ٣ أجزاء منشاة المعارف إسكندرية ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
٢ـ العمارة والفنون فى دول الإسلام ـ منشأة المعارف ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
٣ـ العلاقة بين صلاح الدين والموحدين مجلة كلية آداب إسكندرية ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٢م.
٤ـ هامش على مخطوط السير لأبوالربيع الوسيانى ـ أشغال المؤتمر الأول لتاريخ المغرب وحضارته ١٣٠٨هـ ـ ١٩٧٨م.

سلمان مصطفى زبيس : ـ المنستير ـ ماضيها ومعالمها التاريخية، الدار التونسية للنشر، تونس
ـ آثار المغرب العربى، دار الكتب الوطنية، تونس. ط١، ١٩٥٨م.
ـ القبة التونسية ـ وضمن أبحاث المؤتمر الثالث للآثار العربية، عدد١ ـ ٢، بغداد، ١٩٥٩م.

شارل اندريه جوليان : تاريخ إفريقيا الشمالية ترجمة محمد مزالى والعثير بن سلام ظ الدار التونسية ١٣٨٩هـ ـ ط١ ١٩٦٩م.

عبدالأمير شمس الدين : الفكر التربوى عند ابن سحنون والقابسى ـ بيروت دار اقرأ ١٤٥١ ط١ ـ ١٩٨٥م.

عبدالحميد يونس : الهلالية فى التاريخ والأدب الشعبى ـ جامعة القاهرة.

عبدالعزيز اللميلم : حسان بن ثابت ط بيروت ط١ ـ ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م. القاهرة، الفكر ط٢.

عبدالمنعم ماجد : ١ـ حقق السجلات المستنصرية ـ دار الفكر العربى ١٣٦٤هـ ـ ١٩٥٤م، المستنصر بالله ـ القاهرة ط١.

٢ـ نظم الفاطميين ورسومهم، القاهرة ط١.

٣ـ ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها ط دار الفكر العربى ط.

عثمان الكعاك : الحضارة العربية فى حوض البحر المتوسط لجنة البيان ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

ـ محاضرات فى مراكز الثقافة فى المغرب معهد الدراسات العربية بالقاهرة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م.

عبدالله العروى : تاريخ المغرب محاولة فى التركيب جزآن ـ ترجمة ذوقان قرقوط بيروت ط٢.

عبدالرحمن الجيلانى : تاريخ الجزائر العام ـ الجزائر ١٣٥٠هـ ـ ١٩٧٠م.

عطية القوصى : ١ـ دراسات فى الحضارة فى حوض البحر المتوسط ـ جامعة القاهرة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٢ـ تاريخ الدولة العباسية ط جامعة القاهرة ١٤١٦ ـ ١٩٦٦م.

٣ـ أضواء جديدة على تجارة الكارم من واقع وثائق الجينزا ـ المجلة التاريخية المصرية مجلد٢، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

٤ـ ميناء باضع مجلة معهد البحوث والدراسات الإفريقية عدد ٧.

٥ـ مدينة تنيس ـ المجلة العربية للعلوم الانسانية عدد ٢ مجلد ١.

عصام عبدالرؤوف الفقى : تاريخ الفكر العربى ـ القاهرة ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

عز الدين عمر موسى : النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى دار الشروق ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م ط١

الموحدون فى الغرب الإسلامى ـ تنظيماتهم ونظمهم دار الغرب الإسلامى ١٤١١هـ ـ ط١ ١٩٩١م.

عمر عادل عبدالعزيز : التربية الإسلامية فى المغرب ط١ ـ القاهرة ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

فون شاك : الفن العربى فى اسبانيا وصقلية وهو جزء من كتاب شعر العرب فى اسبانيا وصقلية ترجمة الطاهر أحمد مكى ط١ ـ دار المعارف بالقاهرة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٥م.

كريزول : الاثار الاسلامية الأولى، ترجمة عبدالهادى عبلة، استخراج نصوصه وعلق عليه أحمد غسان، دار قتيبة، دمشق، ط١، ١٩٨٤م.

ليفى بروفنسال : نخب تاريخية جامعة لاخبار المغرب الاقصى، مطبعة برطرنة باريس، ط١، ١٩٢٣م.

حقق رسائل موحدية ط الرباط ١٣٥٢هـ ١٩٤٢م.

تاريخ الاسلام فى المغرب والاندلس ترجمة سيد سالم ـ ط١ القاهرة ١٣٧٨هـ ـ ١٩٨٥م.

محمد بركات البيلى : ١ـ الزهاد والمتصوفة فى المغرب ـ دار النهضة العربية ط١.

٢ـ التشيع فى المغرب ـ دار النهضة العربية ـ ط١.
٣ـ دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ـ ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م. وط دار النهضة العربية ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
٤ـ سجلماسة ودورها فى تجارة الذهب مع السودان الغربى مقال مجلة المؤرخ المصرى العدد ٣ يناير ١٩٨٩م.

محمد عبدالله عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م ط١

محمد العزيز نجاحى : مدينة دوز ـ ط تونس دار سحر ط١

محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والإدارية جـ٤ وثائق الدولة الفاطمية والاتابكية ـ جـ٧ وثائق الأندلس وشمال إفريقية مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م. ط٢

محمد الطالبى : الدولة الاغلبية ـ تراجم اغلبية بيروت ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

محمد المرزوقى : قابس جنة الدنيا ـ مكتبة المثنى فى بغداد ـ الخانجى بالقاهرة ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م.

محمد العروس المطوى : السلطنة الحفصية ـ بيروت ـ تونس ط١، الحروب الصليبية فى الشرق والغرب ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

محمد توفيق بليع : نشأة الرباط وتطوره مجلة جمعية الاثارة بالاسكندرية عدد ٥.

محمد عبدالستار عثمان : المدينة الاسلامية ـ ط الكويت سلسلة عالم المعرفة ١٤١٨هـ ـ ١٩٨٨م.

مصطفى أبو ضيف أحمد : اثر العرب فى المغرب فى عصر الموحدين وبنى مرين ط١ اسكندرنية ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

موسى لقبال : دور كتامة فى تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تاسيسها الى منتصف القرن الخامس الهجرى ـ الجزائر ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

هايد. ف : تاريخ التجارة فى الشرق الأدنى فى العصور الوسطى ترجمة أحمد رضا محمد رضا مراجعة عز الدين فودة
الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

بنى هلال شعر ونصوص

١ ـ سيرة العرب الهلالية ـ سيرة بنى هلال وشعرهم

القاهرة ـ مكتبة الجمهورية العربية ـ بدون سنة طبع

٢ ـ مجموعة من أشعار بنى هلال فى الحجاز ومصر والمغرب

القاهرة مكتبة ومطبعة الصنادقية بالأزهر ١٣٥١ هـ ـ ١٩٣١ م

٣ ـ السيرة الهلالية ـ النصوص الشفاهيه للشعراء الشعبيين تجميع عبد الرحمن الابنودى.

٤ ـ سيرة بنى هلال ـ سيرة العرب الحجازية

القاهرة مكتبة الجمهورية العربية (بدون)

٥ ـ سيرة بنى هلال ـ تشتمل على كتاب الانس والابتهاج فى قصة أبو زيد الهلالى والناى وزيد العجاج

القاهرة مكتبة الجمهورية العربية (بدون)

٦ ـ شوقى عبد الحكيم ـ سيرة بنى هلال ـ دراسات فى الأدب الشعبى

بيروت مكتبة التنوير ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٥ م

٧ ـ الطاهرقيقة : من اقاصيص بنى هلال

رواية شفوية طـ تونس الدار التونسيه طـ ٤

٨ ـ الإبداع الشعبى مجلة المأثورات الشعبية عدد ٥ ١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م ص ص ٢٠ ـ ٢٨.

٩ ـ إبراهيم اسحاق إبراهيم السيرة الهلاليه بين الاسطورة والتاريخ المأثورات الشعبية عدد ٢٠ ١٤١٠ هـ ـ ١٩٩٠ م ص ٧ ـ ٢٣

١٠ ـ الشعر الشعبى فى تونس ١٤٠٧ هـ

١١ ـ حسن البسيونى عوده : بنو هلال فى سوهاج ط ١٩٧٨ م.

١٢ ـ محمد أحمد عبد المولى : بنو مرداس الهلاليين ـ ط القاهرة ١ ط ١

١٣ ـ محمد فهمى عبد اللطيف أبو زيد الهلالى ط بيروت ـ ١٤٠٣ ـ ١٩٨٣ م ط ٢.

أطلس

١ـ أطلس تاريخ الإسلام إنشاء حسن مؤنس وآخرون ـ طـ القاهرة ـ الزهراء طـ١.

٢ـ الأطلس العربي طـ القاهرة وزارة التربية والتعليم ١٤٠٠هـ/ ١٦٨٠م طـ٥.

٣ـ أطلس تونس والجزائر إنشاء الحماية الفرنسية طـ الإدارة الفرنسية العسكرية بالجزائر وموجود صورة ملونة من أغلب النسخ محفوظة في الجمعية الجغرافية المصرية بالقاهرة قاعة الخرايط.

4- Atlas antique de Tunis George Marcais et autres tunis 1953.

5- Atlas of Islamic World Robinson Francis Paris, 1989.

٦ـ أطلس التاريخ الإسلامي تصنيف هاري وهازارد ـ رسم خرايط بمبلي مكول ـ ترجمة إبراهيم زكي خورشيد ـ مراجعة مصطفي زيادة ـ طـ القاهرة ـ مكتبة النهضة العربية ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م.

Encyclopedias:

1) Encyclopedie de Lislam, Nouvelle, édition etablie avec le conconrs des prncipaux dintabste - Paris- g.p. Maison neuves, Leiden- E.J. Brill, 1978. Tomc- IVP 350- 355.

2) The Encyclopedia of Islam, Vol IV-V Leyden, London, 1986 2 edition.

3) Encyclopédia Britannica, the University of Chicago, U.S.A., 1975

4) Encyclopedia de LIslam, Dictionnaire Geographique, Ethnographique et des peuples Musulmans, Leyde, 1936.

5) Lexicon universal Encyclopédia Oxford 1983.

6) The World book encyclopedia United State America.

7) Encyclopédia judaica Berlin 3e printing 1974.

8) The cambridge encyclopedia of Africa. Generals editors: Rolan olivar and Michael. Crouder. Cambridge University Press 1987.

9) Macdonalds Encyclopédia of Africa Edit.. London- Macdonald- EduCation, 2 edit- 1978.

Dictionary:

1) Dictionnaire detaille- des noms des vetements chez les Arabes, Amsterdam, 1845.

2) Supplement aux dictionnaires Arabes, 2. V, Leyden, Brill, 1981.

3) The lexicon,webster dictionary Oxford 1984 Printing.

4) the World Book dictionary United State America 1999.

5) Latin- English dictionary London 1866.

6) Lexicon- Greck English dictionary Oxford- 13 editon.

7) Glossary of Arichitecture, Creswel EUC. Library- 1994.

8) سيد عبدالعزيز سالم بعض مصطلحات للعمارة الإندلسية المغربية .في مجلد بحوث اسلامية في التاريخ والحضارة والآثار قسم ٢ ص٢٧٧ وما يليها.

Grand dictionaire Encyclopédie Larousse,. Librairie larousse- Paris 1984.

9) Adictionary of arab topography and place narries by vigel groom librairie li-ban- longman 1982.

١٠) يوسف قونس معجم المصطلحات الجغرافية ـ القاهرة دار الفكر العربي ص٢٨٣

١١) بيار جورج Pierre gorger معجم المصطلحات الجغرافية ترجمة هيثم اللمع.

Dictionary:

PERIODICALS	ABREVIATION
Africa (Tunis) V.1-10	A.T
African studies Bullelin	A.S.B
African studies review	A.S.R
Bulletin d archeologic algricnne Paris V.1.4	B.A.A
Bulletin dinstitut Francais darcheologie ovientale Paris- Cairo V.2-4	B.I.F ao
Bulletin of the school of oriental African studies - London University school of orient.	B.S.O.A.S A.S
Bulletin d etude orientales- 1993	B.C.O
Bulletin de goe graphie et DHis toite 1905	B.G.H
Bulletin critique dés annales Islamogique	B.C.A-1
Les cahiers des arts et techniques	C.A.T
Cahiers des arts et tradilion Populaire Tunis 1-3-5 1988- 1977	C.A.T.T
Cahiers d études aFricanes v- 1-14-1960- V25- 1985	C.E.A
Cahiers de Tunisisc, ton 1957- 1964 1972- 1988- 1997	C.T
Institue de Belle Lettres Arabes, Tunis 1942- 1957	I.B.La
Institut de recher chcsahariennes favauy/ A1 ger-XIX 1960	I.R.S.A
Journal Asia tique, 1947- 1932- 1933.	J.A.
Revue de monde Arabe.	R.M.A
Revue Tunisienne	R.T

المراجع الأجنبية

Abdul wahab (H.H) " Coup d'oeil sur les apports ethniques étrangers en tunisie" R.T., 1917.

" deux dinars nomades de Sicile" R.T., 1930, 215 - 218

Note (sans titre), Bulletin archeologique du Comite, 1922, Cxlviii-cli.

"Villes arabes disparues", Mélanges William Marcais, Paris, 1950,1-15

André Julien (C), Histoire de l'Afrique du Nord, 2e ed. 2vol ; 1er vol. par C . Courtois, 2e vol revu par R Le Tourneau, paeis 1951, 1952.

Basset (R.), " Les Sanctuaires du Djebel Nefoussa" J. A., mai - juin 1899, 437 -470, jullet - aout 1899, 88 -120.

" Un episode d' une chanson de geste arabe sur le seconde conquete de l'Afrique septentrionale par les Musulmans", Bulletin de correspondance, 1885, 136 -148.

Bel (A.), "La Djazia, chanson arabe precedee d'observations sur quelques légendes arabes et sur la geste des Beni Hilal, extraits du J.A. mars -avril 1902 et mars -avril 1903, paris 1903.

Les Benous Ghanya, derniers representants de l'empire almoravide, et leur lutte contre l'empire almohade. Publications de l'Ecole des Lettres d'Alger, paris 1903.

Baklouti, Nasser : La maison Traditionelle en gabés, parmi Le Livre de : L' habi Tation Traditionnelle autour de La Mediterraneen par : Reva ULT. j ." et autres. Cairo 1e edit.

Braudel (F.), La Mediterranee et le monde méditerraneenne a l'époque de philippe II, paris, 1949.

Brunschivig (R.), "Considerations sociologiques sur le droit musulman" Studia Islamica, III, 1955, 61- 73.

Coup d'oeil sur l'histoire des Foires a travers l'Islamec, Recueil de la societe jean Bodin, V, la Foire, Bruxelles, 1953, 43-74.

"Fikh fatmide et Historie de l'Ifriqiya", Melanges G. Marcais, II Alger, 1957, 13-20.

La Berbérie orientale sous les Hafsides, 2 vol., paris 1940, 1947.[Traduit en arabe par H. Sahli, Beyrouth, 1998].

La Tunisie dans le Haut Moyen Age, sa place dans l'historie, Conferences de l'Intitut francais d' Archeologie orientale, cairo 1948.

"Mesures de capacite de la Tunisie médievale" R.A., 3e - 4e trim. 1953, 86-96.

"Sur les mesures tunisiennes de capacitie au commencement du XVIIe siecle", A.I.E.O., 1937, 74-87.

"Un aspect de littérature historico-geographique de l'Islam", Melangesoe Demombynes, Cairie 1935-1945.

"Urbanisme medieval et droit musulman", R.E.I., 1947, 127-157.

"Apropos d'un toponyme tunisie du moyen Age", R.T., 1935, 159-155.

Cahen (C.), "L'Historie economique et sociale de l'Orient musulman medieval", Studia Islamica, III, 1955, 93-115.

Un texte peu connu relatif au commerce oriental d'Amalfi au Xe siecle, estratto dall' Archivio Storico per le Province Napolettane, Nouvelle serie, xxxIv, 1953-1954, Naples 1954 (tire a part 8p.).

canard (M.), "La procession du Nouvel An chez les Fatimides", A.I.E.O.,x, 1952, 364-398.

Le ceremonial fatimide et le ceremonial byzantin, Essai de comparaison, Byzantion 1951, 2e fasc., 355-420.

"L'Imperialisme des Fatimides et leur propagande", A.I.E.O., vI, paris 1942-1947, 162-199.

"Un famille de partisans, puis d'adversaires, des Fatimides en Afrique du Nord", Melanges G. Marcais, II, 33-49.

Une lettre du calif el-Hafidh a Roger II, Palerme 1955, 125-146.

L'Autobiographie d'un chambellan du Mahdi Obeidallah le Fatimide (trad. de la Sirat Jaafar al-Hajib) Hesperis, 1952.

"Un vizir chrétien a l'epoque fatimide : l'armenien Braham", A.I.E.O.,1954.

Cattenoz (H.G.), Tables de concordance des éres chretienne et hegirienne, Rabat 1953.

Cazes (D.), "Antiquites judaiques en Tripolitane" R.E.J., xx,
1890, 86 - 87.

Essai sur l'historie des Islraelites de Tunisie, paris 1888.

Chalandon (F.), Historie de la domination normande en Italie et en Sicile, 2 vol., paris 1907.

"L'Etat politique de l'Italie méridionale a l'arrivée des Normands", Mélanges d'Archeologie et Historie, xxI, 1901, 411 -452.

Cahen (M.) et Leriche (A.), "Zeneta - Senhadja - Senegal", Bulletin des Etudes arabes, n⁰ 38, 118-119.

De Beylier (General L.), La Kalaa des Beni Hammad, une capital berbere de l'Afrique du Nord au Xie siecle, Paris 1909.

De Cenival (P.), Le pretendu evéchée de la Kalaa des Beni Hammad, Hesperis 2e tr 1932, 1-14.

De Mas Latrie, Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiéns avec les arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen Age, 2 vol., 1er vol paris 1866, avec une introduction paginée a part, 2e vol., paris 1872, Supplement et tables.

Despois (J.), La Tunisie orientale; Sahel et Basse steppes, paris 1940.

Le Djebel Nefoussa, paris 1935

L'Afrique du Nord, paris 1949.

Dozy (R.), Dicitionnaire des noms de vétements chez les Arabes Amsterdam 1845.

-, Supplements aux dictionnaires arabes, 2 vol., 2ed., Leyde- paris 1927

Encyclopédie de l'Islam, 4 vol. et suppl., Leyde - paris 1908 - 1942 2e ed. a partir de 1954.

Encyclopedia Judaica, 10 vol., Berlin 1928-1934.

Ettinghausen ®, Early realism in islamic art, Studi oriientalistici in onore di G. Levi Della Vida, 1, 61-82.

Fagnant (E.), Extraits inedits relatifs au Maghreb, Alger 1924.

Additions aux dictionnaires arabes, Alger, 1923.

Travaux historiques et scientifiques (annee 1950), paris 1953, 119-123

Ferron et pinard, "Céramiques musulmanes a Carthage", Cahiers Byrsa, Iv, 1954, 41-65

Fikry (A.), La Mosquée az- Zaytouna a tunis, Procedings de la Société égypytienne d'études historiques, II, 1952, Cairo 1953, 27-64

Fischel (W.J.), [Jews in the éconómic and political life of mediaeval Islam] Royal Asiatic Society monographs, xxII, Londers 1937.

Fournel (H.), Les Berbéres, 2 vol., paris 1857-1875.

Gaudefroy-Demombynes (M.), "Notes sur l'histoire de l'organisation judiciaire en pays d'Islam", R.E.I., 109-147.
"Un magistrat musulman: le mohtasib", Journal des Savants, 1947, 33-40.
Gautier (E.F.), L'Islamisation de l'Afrique du Nord, lessiécles obscurs du Maghreb paris 1927, 2e éd.; Le Passé de l'Afrique du nord, Les Siécles obscurs, paris 1937.
Gobert (E.G.), "Les Références historiques des nourritures tunisiennes", C.T., 1995, 501-542.
Goitein (S.D.), From the Mediterranean to India: Documents on the twelth centuries, The medieval Academy of America, Cambridge, Massachussets Speculum,xxlx, April 1954 n 2 part 1, 181-197.
-, "Glimpses from the Cairo Geniza on naval warfare in the Mediterranean and on the Mongol invasion, "Studi Orientici in onore di G. Levi Della Vida, 1, 11956, 393-408.
Jews and Arabs, New York 1955.
"The cairo Geniza as a source for the history of muslim civilisation "Studia Islamica, 111, 1955, 75-91.
The last phase Of Yehuda Halevi,s life life in the light of the Geniza papers Taoriz Quaterly, xxlv, 1954, 1-24.
Goldziher (1.) Le dome et la loi de I'slam, trad Arin paris 1910.
Lelivre d, Ibn Toumart, Alger 1903.
Golvin (L.), Le Maghreb central a l'époque des ziirides, Recherches d, archeologie et d, his-toire, paris 1957.
"Note sur quelques fragments de platre troués recemment a le qalaa des Beni Hammad" Mélanges G. Marcais, II, 75 - 94 Recherches archeologiques a la Qalaa des Beni Hammad, Thése secondaire (dactylographié pour le Doctorat és Lettres présentée devant la Faculté des Lettres d'Alger (année 1953).
"Contribution a l'étude des nattes a décor épigraphique au Moyen Age", A. I. E. O., 1959, 213 - 231.
Hazard (H. W.) "The numismatic Society, New York 1952.
Heid (w.) Histoire du commerce du Levant au Moyen Age, trad. Furcy Raynaud, 2 vol., Leipzig 1936.
Idris (H.R.), Analyse et traduction de 2 textes de l'époque ziride, 70e Congrés de l'A. F. A. S. (Tunis mai 1951), fasc. 3, 209 - 216.
"A propos d'un extrait du kitab al - Mihad d' al - Mazari al - Iskandarani", C. T., 1953, 155 - 159.
"Contribution á l'histoire de l'Ifrikiya dp. le Riyadh en-Nufus d'Abu Bakr el-Maliki", R. E. I., 1935, cah. 3, 273-305, cah. 1,45-104.
"Contribution á l'historie de la vie religieuse en Ifriqiya ziride", Mélanges L. Massignon, II, Damas 1957, 327 - 359.
"Deux juristes kairouanais de l'époque ziride : Ibn Abi Zayed et al - Qabisi", A. I. E. O., xII 122-198.
"Essai de datation de la maqsura de datation de la maqsura de la grande Mosquée de kairouan", Arabica, III, mai 1956, 214-215.
"Essai sur la diffusion de La Chaisme en Ifriqiya", C. T., 1953, 126-140.

"Deuxmaitres de l'école juridique kairouanaise sous les Zirides:
Abu Bakr Ahmad b.Abd al-Rahman et Abu Omran al-Fassi", A. I. E. O., 1955, 28-58.
"Fetes chrétiennes célébrées en Ifriqiya á l'époque ziride", R. A. n° 440-441, 1954, 267-276.
"La vie intellectuelle en Ifriqiya méridionale sous les Zirides d'aprés Ibn al-Chabbat". Mélanges G. MarÇais, II, 95-106.
"La crépuscule de l'école malikite kairouanaise", C. T., 1956, 119-126.
"Note sur l'identification du dédicataire de la Risala d'Ibn Abi Zayd al - Qayrawani", C. T., 1953, 63-68.
"Quelques juristes ifriqiyens de la fin du Xe siécle", R. A., nos446-449, 1956, 349-373.
"Une des phases de la lutte du malikisme sous les zirides (XIe siécle); al- Tounisi ; juriste kairouanais et célébre fatwa sur les chiites", C. T.,. 1956, 508- 517.
"Sur le retour des zirides á l'obédience fatimide", A. I. E. O., xI, 1953, pp. 25- 39.
"L'Ecole malékite de Mahdia: L'Imam al-Mazari", Mémorial E. Lévi- provençal.
"Problématique de l'épopée sanhadjienne en Berbérie orientale", A. I. E. O., 1959, 243-255.
"Du mouvement almohade á la dynastie muminide: la révolte des fréres d'Ibn Toumart de 1153 á 1156", Mélanges G. Marçais, II, 111- 116.
Levi - Provençal (E), L'Espagne musulmane au Xe siécle, Paris 193.
Fragments historiques sur les Berbéres au Moyen Age, Extraits inédits d'un recueil compilé en 712/1312 et intitulé kitab Mafakhir al-Barbar, Rabat 1934.
Six fragments inédits d'une chronique anonyme du début des Almohades, éd. trad., Mélanges René Basset, II, 117- 120.
Réflexions sur l'empire almoravide au début du Xie siécle, cinquantenaire de la Faculté des Letters d'Alger, 1932.
Histoire de l'Espagne musulmane, 3 vol., Paris Leyde 1950- 1953.
Trente sept letters officielles almohades, éd. Rabat 1941, analysés par lui dans Hespéris, 1941.
Lévi (R), "notes on costume from arabic sources", J. R. A. S., 1953, 64- 156.
Lewicki (T.), Etudes ibadites nord africaines, partie I, Varsove 1955.
"Le Culte du bélier dans la Tunisie musulmane", R. E. I., 1935, CAH. 2, 196- 200.
Les Ibadites en Tunisie au Moyen Age, Academia di Sciene
Letters, Bib. di Roma, Conferenze, fasc. 6, Rome 1959.
La Répartition géographique des groupements ibadites dans l'Afrique du Nord au Moyen Age, lere partie, Rocznik orientalistyczny, xxI, 1957, 301- 343.
"Les Subdivision de l'Ibadiya", Studia Islamica, Ix, 1958, 72- 82.
"Notice sur la chronique ibadite d'ad-Dargini", Rocznik orientalistyczny, xI, 1936, 146-172.
"Quelques textes inédits en vieux berbére provenant d'une chronique ibadite", R. E. I., 1934, cah. 3, Paris 1935, 275-296.
Une chronique ibadite "kitab al- Siyar", R. E. I., 1934, cah. 1,59- 78.
Une langue romane oubliée de l'Afrique du Nord (MemorialTadeusz kowalski), Cracovie, 1953, 415-480.
Lewis (A. R), Naval power and trade in the Mediterranean, Princeton, New Jersy, 1951.
- Lewis (B.), "The Fatimidids and the route to India", Revue de la Faculté des sc. économiques de l'Université d'Istanbul, xI, 1949-1950.
- Lezine (A.), "Deux Ribat du Sahel Tunisien", C. T., 1956, 279-288.

"Le Ribat de Sousse", Direction des Antiquités et Arts de Tunisie, Notes et Documents, xIv, Tunis 1956.

- Lombard (M.) Arsenaux et bois de la Méditerranée musulmane (VIIe - Ixe S.) ..., Bible général de l'Ecole Pratique des Hautes Etudes, Vie section, Paris 1958, 53-106.

Une carte du bois danse la med. mus., ibdem, av-juin 1959, 234-254.

- Lopez (R.s.) et Raymond (I. w.), Medieval trade in the Mediterranean World, New York 1955.

- Mann (J.), The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimides, 2 vol., Oxford University Press 1920-1922.

- Marçais (G.), La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen Age, Paris 1946.

Les Arabes en Berbérie du XIe au XIVeS., Constantine- paris 1913.

Manuel d'Art Musulman, 2 vol., paris 1926-1927; remanié sous le titre: l'Architecture musulmane d'occident, paris 1954

Marçais (G.), La Berbérie musulmane et l'Orient au Moyen Âge, paris Les Arabes en berbérie du XIe au XIVeS., Constantine- paris 1913.

Manuel d'Art Musulman, 2 vol., paris 1926-1927 ; remanié sous le titre : l'Architecture musulmane d'occident, paris 1954.

Marçais (G.) et Poinssot (L.), objects kairouanais, Notes et Documents, xi, fasc. I et II, 2 vol., Tunis 1948-1952.

Marçais (W.), "Comment lAfrique du Nord a été arabisée", A.I.E.O.,IV, 1938, 1-23, 1956, 5-17.

L'islamisme et la vie urbaine, comptes rendus de l'Académie des Inscriptions, 1928, 86-100.

Pirenne (H.), Historire économique de l'occident mé diéval, Bruxelles 1951.

Pozananski (S.), "Kalâat Beni Hammad", R.E.J., 58, 1909, 297-298.

Quatremére (N.), "Mémoires historiques sur la dynastie des Khalifes fatimides, vie d'Elmoîzz", J.A.3e série août 1836.

Solignac (M.), Recherhes sur les installations hydrauliques de kairouan et des steppes tunisiennes du VIIe S., publications de l'Institut d'Etudes Orientales de la Faculté des Lettres d'Alger, XIII, Alger 1953.

Trabulsi (A.), La critiqu des Arabes jusqu'au Ve siécle H., Damas 1956.

Tyan (E.), Historie de l'oganisation judiciaire en poys d'Islam, 2 vol., paris 1938.

Institutions de droit public musulman, I, Le Califa, paris 1954.

Vajde (G.), Le commentaire Kairouanais sur le "livre de la Création", R.E.I.,Nlle série, VII, 1-62, x, juil.1949-dec. 1950, 67-92.

Valien - Gamaliel, Annuaire de l'Institut de Philosophie et d'Histoire orientales et Slaves,XII, 1953, Mélanges Isodore Lévy, 641-652.

Introduction á la pensée juive Moyen Âge, paris 1947.

Vonderheyden (M.), La Berbérie orientale sous la dynastie des Benou l'Aghlab, paris 1927.

Zambaur (E. de), Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam, Hanovre 1927.

Zbiss (S.M.), "Le Musée d'art musulman de Sidi Bou Khrissan á Tunis" Bulletin économique de la Tunisie, no 77, juin 1953, 96-100.

Le Ribat, Institution militaro-religieuse..., Comptes rendus de l'Académie des inscriptions, 1954, 143-147.

"Mahdia et Sabra-Mansouriya", Nouveaux documents d'art fatimide d'occident, J.A., 1956, 79-93.
Note sur cimetiéres musulmans de Tunis..., Extrait du 70e congrés de l'A.F.A.S(Tunis, mai 1951), fasc. 3, tiré á part.
Corpus des inscriptions arabes de Tunisie 1ere partie, Tunis 1955; 2e partie, Tunis 1960

Abrévations:
A.I.E.O.= Annales de l'Institut d'Etudes orientales de la Faculté des Lettres d'Alger.
C.T.= Les cahiers de Tunisie.
J.A= Journal asiatique.
J.R.A.S.= Journal of the Royal Asiatic Society.
R.A.= Revue Africaine.
R.E.I.= Revue des Etudes Islamiques.
R.E.J.= Revue des Etudes Juives.
R.T.= Revue Tunisienne.

ملخص

- عربى

ملخص

اختصت هذه الدراسة بمدينة قابس منذ الغزوة الهلالية حتى قيـــام الدولـــة الحفصيـــة حوالى ٤٤٢هـ / ٦٢٥هـ ١٠٤١م ١٢٤٧م.

على مدى ما يقرب من قرنين من الزمان كان لموقعها دورا حيويـــا فـــى تاريخـــها. رجحت الباحثة أنها فتحت قبيل معركة سبيطله. لم تخبرنا المصـــادر وكتـب الرحالـة عـن خططها ومنشأتها بالتفصيل، ولكن الباحثة استفادت من ملحوظة للتجانى هى أن قصـــور بنـــى جامع لها نفس أسماء قصور بنى حماد بالقلعة وتشبهها فدرست الحفريات التى أجريـــت فيـــها وراجعت أبحاث الأثريين وترجمتها حتى استطاعت أن تصل إلى وصف يقرب إلـــى الحقيقـــة وقد ساعد على ذلك وجود بعض قصائد للشعر التى وصفت تلك الأبنية الملكية. ووجـــد فـــى قابس مسجد جامع على غرار المسجد الجامع بالقيروان ومساجد أخرى كذلك وجـــد المســـيد البربرى ولقد تأكد عند الباحثة أن البربر كان لهم أسلوب فى حياتهم وكان لهم عمارة خاصـــة بهم كما لهم تقاليدهم وقد تأثروا بالاسلام أما الحياة السياسية فقد استفادت الباحثة مـــن دراســـة سجل رقم ٥ من السجلات المستنصرية ووصلت إلى أن هذه الغزوة الهلالية كـــانت منظمـــة على هيئة جيش شعبى وأنه وجد وظيفة المهمة وهى مكين الدولة عند الفاطميين الذى كان لـــه دورا فى قيادة تلك القبائل وإصلاح ذات بينهم وقد فتحت قابس وفرقت السكة وأصبح مركـــزا لتلك القبائل ومتصلة بالقاهرة عن طريق البريد ومن النتائج السياسية قيام دويله أو إمارة بنـــى جامع الهلالين وكان لها شأنا كبيرا وكان لها عملات وعلاقات سياسية وتجارية وكـــانت مـــن ضمن أسباب استيلاء نورمان صقلية على المهدية وقابس.

إن موقع قابس الحيوى كان سببا فى أنها محط أنظار الطامعين الغزاة للسيطرة علـــى التجارة والنقوذ تبعا لذلك.

تحالف قراقوش الأرمنى مع ابنى غانية فى الاستيلاء على أفريقية وتحويـــل الطاعـــة لبغداد مع سلسلة من الأحداث والوقائع التاريخية. أما من الناحية الإدارية فقد تنوعت الوضعيـــة السياسية من حيث تعددت الإدارات على قابس من الفاطميين وبنى زيرى ثم عـــرب الغـــزوة الهلالية فقراقوش الأرمنى وبنى غانية بعد فتحها فى عام الأحمـــاس، ودخلـــت فـــى سلســـلة الصراعات الطويلة التى قضى عليها الموحدين وتم فتحها واصبحت بصفة نهائية تابعة لبنـــى حفص وهم جزء من الدولة الموحدية أوائل القرن السابع من الهجرة.

تمتعت قابس بمميزات اقتصادية عديدة جعلت الحياة الاقتصادية فيـــها مزدهـــرة إلـــى جانب تشجيع الفقهاء ورجال الدين للزراعة بالاضافة طبعا إلـــى طبيعـــة أرضـــها الخصبـــة ومياهها الغزيرة كانت التجارة داخلية وخارجية كثيرة ومتنوعة فى قابس فكانت البضائع تـــرد إليها ومنها برا وبحرا وصحراء.

أما الحياة الاجتماعية فكانت لها حياة اجتماعية زاخرة بالنظم والتقاليد التى كان الديـــن الإسلامى العامل المؤثر الأساسى عليها ونعمت بحياة ثقافية مثمرة وخرج فيها علمـــاء أجـــلاء مثل (أبو الحسن القابسى) كما تمتعت بشهرة دينية حيث دفن فيها أبو لبابـــة الأنصـــارى كمـــا حملت شعلة نشر الإسلام وكما انتقل غليها خرج منها ليضئ أنحاء المغرب والأندلس من جهـــة ومن جهة أخرى أضاءت شعلته كل القارة الإفريقية.

عن طريق العلماء الذين رحلوا لمختلف البلدان لنشر تعاليمه وكذلك عن طريق نســـخ الكتب الدينية ونشرها عن طريق قوافل التجارة والحج.

summery

This study concentrate on Qabes city since Helalien family to Hafsien state (442 - 625 Heg) -(1041- 1247) .
For nearly 2 Centuries this state had a vital role in history. The researcher see that city entrede before Sopitela battle. No sources or Mounders books tell us about its plans or buildings in detail but researcher learned form what Taggany saw that the palaces of Bany Gamea had the same names of the palaces of Bany Hammad in the citadel and look like - she revise the researches of architecters and transelated to reach too the description near the truth
Some Peoms helped in the description of the royal Buildings and it found in Qabes the mosque looked like the mosque of Kirawan and other mosques and it found El-Masid El- Barbary the researcher found that the Barbar had a style in their life, and a certain architect and had a tradition they affected by Islam about the political life, the researcher found from books of Mostansaria, and she found that the Helalien invasion was organized in the form of popular army, and there was a person in this state of Fatemien has a role if leading this tributes and solve their problems.
Qabes opend and became a centre for this lribute and conected with Cairo by mail and from the political resultes small state or Emirate of Bany Gamea El- Helalien. which had agreat infleunce and had coins, poletecal and commercial relations and this is the causes of invasion of Norman sicily on El- Mahdia and Qabes.
The vital situation of Qabes became a target of the invadors to have the infleunce of trade
The co-olation of Armenian Qaraquosh with Bany Ghania to occupied Africa and switched the controll for Baghdad with some series of accidents and historic facts about the administrative side the political shape varied because the variety of Administration on Qabes from Fatemien and Bany Zery, then the Arab of Helalien battle then Armenian Qaraquosh and Bany Ghania after it opened in the year of faives(El-Akhmas) then it were a series of long conflicts then the Mowahedien opened it and it became finaly under the controll of Bany Hafs which is part of the Mowahedia state in the beginning of 7^{th} century of Hegra.
Qabes had relish by a many economic property made a economic life very thriving beside the encouragement by the minister to farming becous of the good land and obundant water.
The inside and autside commerce was larg and different in Qabes.that the goods was bake by land sea and desert
The sociality lif was a foul of methods and customs whech Islam effective in it and a cultuar life fruitful, to release a great scientists like (Abo El- hassan El- Qabesy) And it had relish by religious fame that Abo Lobaba El-Ansary was bury in Qabes and Islam was circulate to Andalos and All Africa


Bibliotheca Alexandrina
0229611